المكتبة اليمنية التاريخية

العقود اللؤلؤية

في تاريخ الدولة الرسولية

تأليف الشيخ

علي بن الحسن الخزرجي

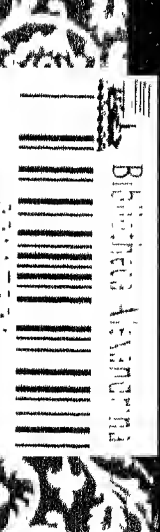
حقّقه

محمد بن علي الأكوع الحوالي

الجزء الأول

مركز الدراسات والبحوث اليمني - صنعاء

دار الآداب - بيروت - لبنان













العُقُودُ اللؤلؤيَّة

في تاريخ الدولة الرسوليّة



المكتبة اليمنية
مشروع ثقافي لنشر ذخائر التراث اليمني

صدر منه :

١ ـ الجزء الاول من الإكليل للهَـمْداني

تحقيق الأستاذ محمد بن علي الاكوع .

٢ ـ الجزء الثاني من الإكليل للهَـمْداني

تحقيق الاستاذ محمد بن علي الاكوع .

٣ ـ قرة العيون بأخبار اليمن الميمون للحافظ الديبع

تحقيق الأستاذ محمد بن علي الأكوع .

٤ ـ المفيد في اخبار صنعاء وزبيد لعمارة اليمني .

تحقيق الأستاذ محمد بن على الاكوع .

٥ ـ تفسير الدامعة للهَـمْداني .

تحقيق الأستاذ محمد بن علي الاكوع .

٦ ـ الجزء الثامن من الإكليل للهمداني .

تحقيق الاستاذ محمد بن علي الاكوع .

٧ ـ المقالة العاشرة من سرائر الحكمة للهمداني .

تحقيق الأستاذ محمد بن علي الاكوع .

٨ ـ نظام الغريب لعيسى بن ابراهيم الربعي الوحاطي .

تحقيق الأستاذ محمد بن علي الاكوع .

٩ ـ صفة جزيرة العرب للهمداني .

تحقيق الأستاذ محمد بن علي الاكوع .

تحت الطبع

١١ ـ السلوك في طبقات العلماء والملوك للبهاالجندي .

تحقيق الاستاذ محمد بن علي الاكوع .

١٢ ـ الجوهرتان العتيقتان للهمداني .

تحقيق الاستاذ محمد بن علي الاكوع .

١٣ ـ التقصار في جيد علامةالامصار لمحمد بن حسن السجني الذماري .

١٤ ـ نزهة المعتبر في فضائل جبل صبر للمخلافي .

تحقيق الاستاذ محمد بن علي الاكوع .

١٥ ـ كشف اسرار الباطنية لمحمد مالك الحمادي المعافري .
تحقيق الاستاذ محمد بن علي الاكوع .

١٦ ـ الاختصاص في تاريخ الرازي .
ليسري بن ابراهيم العرشاني .

تحقيق الاستاذ محمد بن علي الاكوع .

١٧ ـ تصحيح العقود اللؤلؤية للخزرجي .
للاستاذ محمد بن علي الاكوع .

العقود اللؤلؤية

في تاريخ الدولة الرسولية

تأليف الشيخ

علي بن الحسن الخزرجي

عني بتصحيحه وتنقيحه

الشيخ محمد بسيوني عسل

الجزء الأول

مركز الدراسات والبحوث اليمني - صنعاء

دار الآداب - بيروت، لبنان

الطبعة الأولى
مطبعة الهلال بالفجالة بمصر
سنة ١٩١١

الطبعة الثانية
ربيع الأول ١٤٠٣
كانون الثاني ١٩٨٣

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الثانية

ان مجرد نظرةٍ فاحصة ، وبامعانٍ ، لمقدمة المصحح الأول الأستاذ الفاضل الشيخ محمد بسيوني عسل رحمه الله تكشف ما واجهه من صعوبات في التصحيح ، وما لاقاه من عناء وتعب ، الأمر الذي يعذر منه ويعتذر له على ما مـرّ فيه من بياض غفل وفجوات فارغة ومن تصحيف وتحريف في الأصل استعصى عليه فهمها فوضعها كما هي .

وعذره واضح بيِّن ، ذكر البعض في مقدمته ، ألا وهو فقدانه المراجع التي يرجع اليها في التصحيح ، ومنها قلة معلوماته وضعف دراساته عن بلد هو عنه بمنأى وليس بخبير عن رجالاته واعلامه واسماء بقاعه وبلدانه .

ومهما يكن ، فقد قدّم أمام عمله خلوص النية وصدق الطويّة ، وكفى بذلك تزكيةً له فنزجي الى روحه الطاهرة الثناء المستطاب والشكر العاطر ممزوجاً بالدعوات بان يسقيه الله بوابل رحمته وان ينزل عليه الضياء والنور .

غير ناسين فضل بعض العلماء المستشرقين الغربيين الذين هم أول من أيقظوا الهمم بنشر ذخائر العرب وبعثوها من مراقدها وانتشلوها من وهدتها وهي تعد بآلاف وعشرة آلاف ، من اندر التراث العربي وأثمنه .

فنحن ـ بحق ـ مدينون لهم بفضيلة السبق وبالدرجة الأولى ، ثم لإخواننا الأعلام المصريين الذين حازوا قصبات السبق فملأوا مكاتب العالم الاسلامي بمختلف المطبوعات وبشتى العلوم والفنون فجزاهم الله خير الجزاء .

حتى لقد حرص بعض المستشرقين مثل الأستاذ « جب » ان يوقف حياته وغصنه الرطيب في دراسة الكتب العربية النادرة وغيرها وآدابها وتاريخها وفلسفتها ودين أهلها فاهتصرته المنيّة وهو في الخامسة والأربعين من عمره ولم ينعم بثمرات جهوده فأرادت أمه السيدة « جيب » ان تخلد ذكر عزيزها وفلذة كبدها الذي عجلت المنية بانتهابه قبل تمام يناعه فوقفت لهذا الغرض « ستة آلاف جنيه » الى آخر ما ذكر في المقدمة .

ثم ، بربك ، قارن بين هذا المستشرق وأجل نظرك الى الماضي القريب عهد الحكم المباد : بيت حميد الدين الذين ملكوا ناصية اليمن قرابة سبعين عاماً ، هل ترى كتاباً واحداً تناولته أيديهم بالنشر والطباعة ، وبعثوه من رمسه وأحيوه من دارس يومه وأمسه ؟ ان الجواب سيكون لا وألف لا ، رغم أن الطباعة لتلك العهود كانت رخيصة وميسورة وبنفقات زهيدة وفي متناول كل إنسان مهما كانت ماليّته ، اللهم إذا استثنينا فلتات قام بها الأمير الشهيد عبد الله بن الامام يحيى والملقب سيف الاسلام ووزير المعارف ، فانه طبع ونشر كتباً قليلة تعد بالأصابع بمطبعة صنعاء التي هي من مخلفات العهد العثماني ومن أوراقهم أيضاً . على أني أعتقد جازماً ان الامام يحيى ومعه ابنه أحمد ولي العهد والامام أخيراً كانا غير راضيين بهذا النشاط الفكري .

ونحن نستثني أيضاً مطبوعات الشيخ العلامة المؤرخ عبد الواسع بن يحيى الواسعي الأنسي المتوفى سنة ١٣٧٩ ، كشرح الأزهار والفرائض وشمس الأخبار وتاريخه بالورق الأصفر وبمجهود فردي ، ومع هذا فلم يلق شرح الأزهار ، عند اواسط الفقهاء المتفيهقة ، رواجاً لانه فقد الصبغة المذهبية وهو قولهم « هب » و« قرز » ، أي هذا المذهب الصحيح المعتمد وقرره زيد بن عبد الله الأكوع الحوالي الذماري واخيرا اشتراه الامام يحيى بثمن بخس وكدسه في مخازنه كتدبسه

الأصفر الرنان والفضة البيضاء .

واذكر وأنا طفل بين الأطفال في « المعلامة » نتسكع في حلقة مفرغة نبحث عن مصحف «ختمه» لنتعلم القراءة والهجاء منها فلم نجد شيئاً سواءً حينما كنا في قرية « الذاري » « خبان » او بمدينة ذمار. وما عرفنا المصاحف الا عن طريق مطابع الهند : حيدر أباد الدكن وأخيراً عن مطابع القاهرة التي غطت جميع الأسواق والى يوم الناس هذا ونحن عالة على الناس .

ولما قامت الثورة المجيدة في يوم الخميس ٢٨ ثمانية وعشرين خلت من ربيع الآخر سنة ١٣٨٢ اثنتين وثمانين وثلاثمئة وألف من الهجرة الموافق ٢٦ سبتمبر سنة ١٩٦٢ اثنتين وستين وتسعمئة والف ميلادية ، كانت الآمال عريضة والطموحات تداعبنا وتتجاوز حدود المعقول والتصورات فوق الخيالات إذ بالثورة تصطدم بصخرة عاتية وبخطر داهم وخطب مهول ـ فترسف فرائصها وتتعثر مسيرتها وكادت تختنق في مهدها لما واجهته من الحروب الشرسة والنزيف الدموي من اليمنيين انفسهم وفي أنفسهم تدعمهم جهات متعددة وكرها وتسللاتها وامداداتها من الجار الملاصق والى يوم الناس هذا. ورغم هذا كله فلا زال الزحف الثوري يتخطى الأشواك ويتحدى الأخطار وبكل شجاعة وبأس ولا ولن تعود عقارب الساعة الى الوراء .

وبدأت إطلالة تشع من وزارة الاعلام بنشر وطبع كتب التراث اليمنى على علاته وبالتصوير على عواهنه بدون مراجعة على اصوله وتوثيقها وتصحيح ذلك ولا بوضع مقدمة ولا ترجمة للمؤلف ولا فهارس للموضوعات ولا للاعلام الشخصية ولا للبلدان مما هو من متطلبات الكتاب ومحتاج اليه بالضرورة للباحث الحريص والمنقب للفائدة .

وما أحوج وزارة الاعلام وغيرها من المصالح التي تهتم بإحياء التراث الى رجال مخلصين ذوي خبرة كاملة ومقدرة لائقة واطلاع واسع ومعرفة نافذة ودقة مناهبة وايمان صادق وقلم سيال وذهن وقاد .

ومن اشعاعات الثورة التي لا يستهان بها ولها مستقبل ان شاء الله زاهر تأسيس مركز الدراسات والبحوث اليمني الذي يرأسه زين الشباب الدكتور عبد العزيز بن صالح المقالح الرعيني الحميري حفظه الله . فقد قام المركز بطبع بعض كتب التراث على منوال وشاكلة ما قامت به وزارة الاعلام سواءً بسواء .

هذا ، وقد التمس مني المركز ان اعيد النظر في مراجعة وتصحيح هذا الكتاب « العقود اللؤلؤية » ليعود طبعه من جديد وبثوب قشيب وحتى يقال : هذه بِضاعتُنا رُدّت الينا ، فلبيت هذا الالتماس خدمة للعلم والوطن العزيز ولابناء بلدتي ، وقمت بكل ما عندي من جهد ونشاط لتصحيح الكتاب بجزئيه من فاتحته الى خاتمته كلمة كلمة وسطراً سطراً وصفحة صفحة ، جلوت عنه المبهمات وغطيت ما فيه من هفوات وملأت ما فيه من فراغ وبعثته حيّاً سويّاً .

فاليك أيها القارىء كتاب « العقود اللؤلؤية ، في تاريخ الدولة الرسولية » كاسمه منظماً منضداً منقّحاً مهذباً في سمطه الدريّ الوضاء سائلا من الله العفو والعافية وحسن الختام .

وسبحان الله وبحمده وسبحان الله العظيم

وحرر بتاريخه خمس مضت من ربيع الأول سنة ١٤٠٢ هـ اثنتين وأربعمئة والف .

الموافق ٣١ واحدٌ وثلاثون ديسمبر سنة ١٩٨١ هـ إحدى وثمانون وتسعمئة والف ميلادية .

خويدم العلم

محمد بن علي ابن الحسين الأكوع الحوالي

ترجمة المؤلف الخزرجي

أسمه ونسبه

هو موفق الدين ابو الحسن علي بن الحسن بن وهاس الخزرجي الزَّبيدي ، يرتفع نسبه الى الصحابي الجليل قيس بن سعد بن عبادة الانصاري الخزرجي سيد الخزرج .

مَنْ ترجم له

ترجم له الحافظ احمد بن علي بن حجر العسقلاني المتوفى سنة ٨٥٢ هـ في كتابه « إنباء الغمر بأنباء العُمْر » ج ٢ ـ ٤٤١ ، وفي كتابه « الدرر الكامنة في اعيان المئة الثامنة » وترجم له السخاوي المتوفى سنة ٩٠٢ هـ في كتابه « الضوء اللامع » ج ٥ ـ ٢١٠ ، وفي « شذرات الذهب » ج ٧ ـ ٩٧ ، لابن العماد المتوفى سنة ١٠٩٨ تسع وثمانين والف هـ وفي كتاب « آداب اللغة العربية » لجرجي زيدان المتوفى سنة ١٩١٤ مـ ج ٣ ـ ٢٠٥ وترجمنا له في « قرة العيون » ج ١ ـ ١٩ .

والعجب من العلامة الفاسي صاحب تاريخ مكة المسمى « العقد الثمين في تاريخ البلدالامين » فانه التقى بالخزرجي واجتمع به بمدينة زبيد وحج الخزرجي وينقل عنه كثيراً ولم يترجم له وهذا ان دل فانما يدل على قصور الانسان وعجزه عن درجة الكمال .

وكل هؤلاء المؤرخين يثنون على صاحبنا الخزرجي ثناء عاطراً ويشيدون بمواهبه ونبوغه .

ومما قاله الحافظ ابن حجر :«واشتغل بالادب ففاق اقرانه ومدح الافضل والاشرف ثم الناصر وكانوا يقترحون عليه الاشعار في المهمات فيأتي بها على احسن وجه وكان طريقةُ شعره الانسجام والسهولة دون تعانى المعاني التي لهج بها المتأخرون».

وقال في الدرر الكامنة :«بعد الثناء عليه واجتمعت به في زبيد وقد جمع لبلده تاريخاً وآخر بالحروف».

قال الحِوالى : ومؤلفاته في التاريخ التي وصلتنا خبر وجودها ثلاثة تواريخ :

١ ـ « العسجد المسبوك في من تولى اليمن من الملوك » ، وقد صورته وزارة الاعلام على علاّته وفي خزانتي منه ثلاث نسخ إحداها مخطوط واثنتان مصورتان ، وقد رتبه على السنين مبتدئاً من ظهور الاسلام الى آخر حياة الملك الأشرف اسماعيل بن الملك الأفضل العباس والمتوفى سنة ٨٠٣ هـ .

٢ ـ « العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية » ، وهو الذي بين ايدينا ، ورتبه على السنين سنة سنة وشهراً شهراً من أول دولة الملك المنصور عمر بن علي رسول مؤسس الدولة الرسولية الغسانية باليمن الى آخر دولة الملك الأشرف المذكور ، يذكر الحوادث العامة ثم التراجم لمن مات في تلك السنة . وقد عول كثيراً على تاريخ الجندي ، ولم يكن من هذا الكتاب الا نسخة في المكتب الهندي في « لندن » وهو هذا الذي اعيد طبعه بعد التصحيح .

٣ ـ « طراز إعلام الزمن في تراجم اعلام اليمن » وهو مرتب على الحروف وابتد أ فيه بأكابر الصحابة والتابعين من أهل اليمن الى أيامه ، وتوجد منه نسخة في « المتحف البريطاني » ، والجزء الأول منه في مكتبة جامع صنعاء ، ويدخل هذا الكتاب فيما أحسب في أربع مجلدات .

وينسب اليه « كتاب الكفاية والاعلام ، فيمن تولى اليمن من الاسلام » وتوجد منه نسخة في مكتبة باريس ، واخرى في لندن .

وله ديوان شعر ومجموع رسائله ، لم نعثر عليهما بعد ، وله قصيدة

« الدامغة » ردّ بها على بعض معاصريه .

وفاته

كانت وفاته بمدينة زبيد سنة ٨١٢ هـ اثنتي عشرة وثمانمئة من الهجرة ، وقيل كانت وفاته في المحرم من السنة المذكورة منصرفه من الحج وذلك بمدينة حرض .



مقدمة المصحح

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله

(أما بعد) فقد عهد إليَّ تصحيح كتاب « العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية » . تأليف الشيخ علي بن الحسن الخزرجي الذي عني بطبعه أمينو أوقاف المغفور له « جب » من نسخة خطية قديمة كانت ملك معتمد خان عالمكيري ثم انتقلت منه الى قمر الدين خان أحد وزراء محمد شاه ثم أهداها وَرن هيْسِتْجِزْ الى دار كتب ديوان الهند بلندن .

ولكون هذه النسخة الخطية ليست مشكولة ولا منقوطة لاقيت في إصلاح الكتاب صعوبة عظيمة لا سيما أني لم أتمكن من الحصول على الكتب التي نقل عنها المؤلف .

ولهذا لم أر سبيلاً لطبع ما وجدته ممحوّاً أو خفيّاً في الأصل الخطي بل اكتفيت بالتنبيه على المحو وطبع الخفي كما هو في النسخة الخطية . ولكني مع ذلك صرفت وقتاً ليس بالقليل في إصلاح ما عن لي خطؤه وفي ردّ عدد عظيم من الأبيات الشعرية المكسورة الى شعر موزون مع المحافظة على المعنى الذي قصده القائل قدر الاستطاعة .

هذا وأرى من الضروري ان اذكر هنا لمحة عن اوقاف ذكرى المغفور له جب التي كانت سبباً في تعميم النفع بكثير من الكتب النادرة العربية والتركية والفارسية

كان المغفور له جب (E. J. W. Gibb) مولعاً بدراسة اللغات العربية

والتركية والفارسية وقف حياته على دراسة تاريخها وآدابها وفلسفتها ودين أهلها ومات وهو في الخامسة والأربعين من عمره في خامس ديسمبر سنة ١٩٠١ فأرادت والدته المغفور لها السيدة جب من أهالي جلاسكو في سكتلاند ان تخلد ذكرى عزيزها وفلذة كبدها الذي عجلت المنية بانتهابه قبل تمام ينوعه فوقفت لهذا الغرض مبلغ ستة آلاف جنيه لصرف ريعه على البحث والتنقيب في تاريخ اللغات العربية والتركية والفارسية وآدابها وفلسفتها ودينها وجعلت الوقف تحت تصرف سبعة أمناء لانفاق دخله في تحقيق تلك الأمنية إما بطبع الكتب النادرة في تلك اللغات حتى تتيسر للذين يعنون بها ولا يمنعهم عن اقتنائها الا تعذر الحصول عليها أو كثرة ثمنها . وإما بترجمة الكتب المفيدة في تلك اللغات أو شرائها . وإما بتخصيص إعانات لمن يقوم بالقاء دروس تتعلق باللغات الشرقية المتقدمة وإما بصرف مقدار من النقود للسفر الى أي بلد بقصد البحث وتوسيع نطاق المعلومات فيما يختص بتلك اللغات الشرقية .

وقد ظهرت ثمرة هذا العمل الجليل بطبع عدة كتب عظيمة النفع في اللغات العربية والتركية والفارسية وأودعت نسخ منها في ديار الكتب العمومية وأهديت أخر الى الاساتذة الذين لهم عناية بهذه اللغات الشرقية .

ولا أرى بدّاً من أن أذكر هنا كيف وقع الاختيار على طبع كتاب « العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية » .

لما أنعمت جامعة كمبردج على سير جيمز ردهُوس (Sir James Redhouse) في يونيه سنة ١٨٨٤ بدرجة دكتور في الآداب (Doctor of Letters) مكافأة له على خدماته العلمية الفريدة في بابها للغة التركية خصوصاً والعلوم الشرقية عموماً صمم على أن يقدم للجامعة عملاً علمياً يخلد به شكران تلك النعمة التي أسدتها اليه الجامعةفبدأ بنسخ كتاب «العقود اللؤلؤيةفي تاريخ الدولةالرسولية» بخط يده من النسخة الخطية القديمة المودعة في دار كتب ديوان الهند بلندن فنسخ الكتاب بعناية عظيمة على أنه لم يكن من الذين ينطقون بالضاد . وعانى والحق يقال في عمله هذا مشقة عظيمة وجعل ما نسخه في مجلد أنيق ثم ترجمه بخط يده الى الانجليزية في

مجلدين وكتب شرحاً للكتاب في مجلد رابع ثم رتّب للكتاب فهرساً ورسم خريطات توضح الأماكن التاريخية التي أتى عليها الخزرجي في تاريخه وجعل هذه في مجلد خامس ثم أهدى المجلدات الخمسة بين دفات من الجلد المغربي الى دار الكتب بجامعة كمبردج في قمطر جميل لتكون هديته تمثال شكر للجامعة على ممر الأيام . واستمر الكتاب في دار الكتب وربما لم يفتحه أحد للقراءة من عهد وضعه حتى عني البروفسر ادوارد برَون (Professor Edward G . Browne) بحصر الكتب العربية بدار الكتب فرأى ان عملاً جليلاً كهذا لا يليق ان يترك راكداً لا ينتفع به . ولعلمه أن علاقة الصحبة كانت متمكنة بين سير ردهوس ومستر جب لا سيا أن الأخير كان تلميذاً محبوباً للأول في اللغات الشرقية رأى أن خير عمل يقوم به وقف ذكرى المغفور له جب هو إحياء كتاب صرف فيه أعزأصدقاء مستر جب نفيس وقته فأشارعلى أمناء الوقف بصفته واحداً منهم بطبع الكتاب من نسخة سير ردهوس . ولما عهد اليَّ تصحيح الكتاب وجدت بالمقارنة مع النسخة الأصلية بعد ابتداء الطبع بقليل ان سير ردهوس ترك من الكتاب عند نسخه تاريخ حياة الفقهاء وأرباب الطرق . ولاجل أن يكون الكتاب كاملاً بدئ الطبع ثانياً من النسخة الأصلية فأخذت صورتها بالفتوغرافية وأرسلت الى مصر للطبع منها لأن ديوان الهند بلندن لا يسمح باستعمال النسخة الأصلية للطبع .

أما فائدة كتاب « العقود اللؤلؤية » على العموم وقيمته التاريخية فنترك الكلام فيهما الى أن يكمل الطبع .

كمبردج في ٢٥ يوليه سنة ١٩١١ .

محمد بسيوني عسل. M . A

مدرس اللغة العربية

بجامعة كمبردج



العقود اللؤلؤية

في أخبار الدولة الرسولية

الباب الأول

في ذكر انتساب الملوك بني الرسول وكيف كان السببُ في دخولهم اليمنَ واستقلالهم بالملك فيها .

قال عليُّ بنُ الحسن الخزْرجي : أعرقُ ملوك اليمن في المُلك في الجاهلية والإسلام ملوك حمْير وملوك غسَّان : ولهذا يُقال حميرُ أربابُ العرب وغسان أرباب الملوك . وذلك أن سبأ الأكبر لما حضرته الوفاة طلب ابنيه حمير وكَهلان وكان حمير هو الأكبر وأقعدهُ عن يمينه وأقعد كَهلان عن شماله ثم طلب سائر بنيه وبني عمه ووجوه قومه وقال لهم : اعلموا أن ولديَّ هذين هذا عن يميني وأشار الى حمير وهذا عن شمالي وأشار الى كهلان فأعطوا حمْير من مُلكي ما يصلح لليمين وأعطوا كَهلان من مُلكي ما يصلح للشّمال . فقالوا يصلحُ لليمين السيف والسوط والقلم ويصلح للشمال العِنانُ والترس والقوس . وحكموا أن صاحب السيف والقلم والسَّوط لا يكون إلاَّ آمراً ناهياً فاتقاً راتقاً وأن هذه صفاتُ الملك الأعظم وأن صاحب العِنان يكون مُصرّفاً لهوادي الخيل في الذّبّ عن المملكة وأن الترس يردُّ به الناس عند اللقاء وأن القوس ينالُ بها المناوي والمغازي وإنْ كانا على البعد . ولا يصلح ذلك إلاّ لحافظ الدولة القائم بحروبها وسد ثُغورها . فتقلد حمير المُلكَ فلم يزَل في ولده وولد ولده

يلي ذلك منهم خالفٌ عن سالف إلى أن قامَ الحارِثُ الرَّائِش . وتقلَّد كهلانُ وولدُه حفظَ الممالك والذب عنها وسدَّ ثُغورِها . يلي ذلك منهم كابرٌ عن كابرٍ الى أيَّام عامِر بن حارثة الأزدي المسمى ماءَ السماءِ وكان في عصر الحارث الرَّائش قائماً بحفظِ المملكة وسد ثغورها على سُنن آبائه من كهلانَ . وكان الحارثُ الرَّائشُ محدَّثاً . والمحدَّث بفتح الدال المُشدَّدة هو الذي يتحدَّث على مستقبلات الزمان ويخبر بما سيكون من الحوادث قبل كونها فيأتي الأمرُ بتصديق ما يقوله . وكان الحارث الرَّائش كذلك وله في هذا الشأن عدَّة قصائد . منها القصيدةُ (التي) أولها :

أنا الملكُ المُتوَّج ذُو العطايا ... جَلبتُ الخيلَ من أوطان سامِ
لأغزو أعبداً جهلوا مكاني ... (سلالة[1]) يافث وقَبيل حَامِ
بني قحطان فانتجعوا وسيروا ... وحجُّوا البيتَ في البلد الحرامِ
باذنِ الله حجُّوا فهو بيتٌ ... توارثَه الهُمام عن الهمامِ
وكونوا مثل مِلْطاط بنِ عمرو ... وذي إنس الغطارفة الكرامِ
فنحنُ الأغلبونَ إذا بطَشنا ... ونحن المتَّقون لكُل ذامِ
وإنَّا يومَ نغضَب أو نُسامي ... تكادُ الأرضُ ترجُف بالأنام
وإنْ نرضى تقرُّ بمن عليها ... ويُشرِقُ وجهُها بعد الظلام
وفينا الملكُ والأملاكُ حقّاً ... ونحنُ الأكرمون بنو الكرام
أبونا يعربٌ وسَبا أبونا ... ونفخر من يُفاخرُ أو يُسامي
فإنْ أهلك فقدْ أثَّلتُ ملكاً ... لكم يبقى الى زمن التّهامي
ويملك بعدنا منَّا ملوكٌ ... بنو عزٍّ كعالية الغمام
ويخْلُف بعدهم منَّا ملوكٌ ... يدينون العباد بغير ذام
وتنتشرُ الأساودُ بعد هذا ... عِقابُ الله في القوم الاثام
ويملكُ بعدهم منَّا ملوكٌ ... ضعيفٌ أمرُهم ثَقِلُ المَرام
ويملكُ بعدهم رجلٌ عظيم ... نبيٌّ لا يُرخّص في الحرام

---

(١) الذي في الأصل (من بني) بدل سلالة ومعه يختل الوزن

يُفارق أهلَه وله كتابٌ يُوافق خطَّه رجعَ الكلامِ
يُسمَّى أحمداً يا ليتَ أني أُؤخَّر بعد مخرجه بعامِ
ويملكُ بعده خلفاءُ برٌّ ويملكُ بعدهم أولادُ عامِ
ويظهر راية المنصور فيهم على خاءٍ إذا نطقوا[1] ولامِ
ويملكُ بعدَه رجلٌ نحيلٌ على آبائِه أزكى السلامِ

ورُبما أنها أكثرُ من هذا . فانه أخبر في هذه القصيدة بمن يملكُ اليمن بعده من حمير وبنيهم بقوله :

فان أهلك فقد أثَّلت ملكاً لكم يبقى الى زمن التّهامي

فكان كما قال ولم تزل ملوك قحطان يتوارثون ملك اليمن الى أن قامت دولة الاسلام . ويعني بالتّهامي النبي صلى الله عليه وسلم . وقوله :

ويملك بعدنا منا ملوكٌ بنو عزّ كعالية الغمامِ

فكان كما قال يعني الملوك الذين ملكوا اليمن بعد الحارث الرائش وقبل ظهور الحبشة . وقوله :

وتنتشر الأساودُ بعد هذا عقاب الله في القوم الإثامِ

فكان كما قال من انتشار الحبشة في اليمن والملك هنالك وكان مُلك الحبشة في اليمن على ما قيل اثنتين وسبعين سنة . تداولها منهم أربعةُ رجال وهم أرياط ثم أبرهة ثم يكسوم ابن أبرهة ثم مسروق ابن أبرهة . وقوله :

ويملك بعدهم منا ملوك ضعيفٌ أمرهم ثقل المرام

فكان كما قال . وذلك أن الملوك الذين ملكوا اليمن بعد دولة الحبشة ليسوا كمن تقدمهم من ملوك حمير في العصر الأول . وقوله :

ويملك بعدهم رجل عظيمٌ نبيٌّ لا يُرخّص في الحرامِ
يُفارقُ أهله ولهُ كتابٌ يوافق خطهُ رجعَ الكلام

---

(١) الذي في الأصل في هذا الموضع (محممة) بدل إذا نطقوا وما هنا اوضح بدليل ما يأتي عند شرح هذا البيت في اخبار عبيدبن شربة ص ٤٠٤ على راي وراي بعد لام وهناك زيادة بيتين فارجع اليها .

يسمَّى أحمداً يا ليت أني أعمّر بعد مخرجه بعامِ

فكان كما قال من ظهور النبي صلى الله عليه وسلم وخروجه من مكة الى المدينة مُفارقاً لأهله وإقامته في المدينة بين الأنصار الى أن تُوفي صلى الله عليه وسلم . وقولهُ :

وله كتاب يوافق خطُّه رجع الكلام * أي يُنزَّل عليه كتابٌ باللسان العربي ويُكتَب بالخطّ العربي يعني القرآن العزيز قال الله تعالى:إنا أنزلناه قرآناً عربيّاً . قال الله تعالى : بلسان عربي مبين . وقوله

ويملك بعده خلفاءُ برٌّ. فكان كما قال من قيام الخلفاء الراشدين بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيام الخلفاء من بني أُميّة وبني العباس وبملكِهم اليمن بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم . ثم أخبر بظهور ملوك غسَّان في اليمن وتملكهم عليها . فقال :

ويملك بعدهم أولاد عام . يريد أولاد عامر فرخَّمهُ للضرورة يعني عامرَ بن حارثة بن امرىءِ القيس بن ثعلبة بن مازن بن الأزد ابن الغوث . وإنما أشار اليه دُون غيره ممن سلف أو خلف لأنه كان معاصراً له إذ هو القائم معه من ولد كهلان لحفظ الأطراف وسد الثغور وجباية الأموال . فخصه بالإشارة والبشارة . ثم حقق ذلك وأوضحه بقوله .

ويظهر راية المنصور فيهم على خاءٍ إذا نطقوا ولام

فكان كما قال من ظهور الملك المنصور واستقلاله بالملك في اليمن وتواتُر ذريته من بعده الى يومنا هذا وهو عُمر بن علي ابن الرسول .

وكان استقلاله بالملك في اليمن في سنة ثلاثين وستمئة من تاريخ الهجرة . وهو معنى قوله على خاءٍ إذا نطقوا ولام . فان الخاءَ على حساب الجمَّل ستمائة واللام ثلاثون . وكان مُلك الحارث الرائِش قبل ظهور النبي صلى الله عليه وسلم نحو ستمئة سنة على ما قيل والله أعلم .

قال علـيّ بن الحسن الخزْرجيُّ تجاوز الله عنه: « وقد كنتُ شرحت هذه

القصيدة التي قالها الحارث الرائِش في جزء لطيف وسميته«المحصول في انتساب بني الرسول». وذلك لما شهدت به من صحة انتسابهم . وقلَّ أن يوجد دليل على صحة نسب أحدٍ من الناس كصحة هذا النسب».

فصلٌ

فلما هلك عامر بن حارثة الأزدي وكان يسمى ماءَ السماءِ لجوده وكرمه (قام[1]) بالأمر بعده ولدُه عمرو بن عامر . وتقلَّد ما كان يتقلد آباؤه من القيام بحفظ المملكة وسدّ ثغورها واستخراج الإتاوات من أربابها وهو المُسمَّى مُزَيْقياءَ وفيه وفي ابنه يقول بعض الأنصار :

أنا ابن مُزيْقيا عمرو وجدّي ... أبوه عامرٌ ماءُ السماءِ

إنما سُمي عامر بن حارثة ماءَ السماءِ لأنه مانَ قومه سنة وقد أخلفت السماء فأجدبت الأرض جدباً شديداً فلم يزل يمُون قومه حتى مُطروا وأخصبوا فسمّوه ماءَ السماء لذلك لكونه خلف ماءَ السماءِ ومانهم سنة كاملة . وإنما سُمي عمرو بن عامر مزيقياء لأنه كان يلبّس كل يوم حُلتين ثم يمزّقهما آخرَ يومه يأنف أن يعود فيهما ويكره أن يلبَسهما غيره . وعمّر عمراً طويلاً يُقال إنه بلغ من العمر ثمانمئة سنة . والله أعلم . وفي أيامه كان خراب السُّد . وكان أول من أسس السُّد سبأ الأكبر واسمه عامر وقيل عبد شمس بن يشجب بن يعرب بن قحطان . ثم بناه حمير بن سبأ بعد موت أبيه ثم أتمه بعد ذلك ذو القرنين الحميري وهو الصعب بن أبي مراثد . وكان السُّد من جبل مأرب الى الجبل الأبلق وهُما جبلان مُنيفان على الجبال الشامخة الممتدة من يمين السُّد وشماله . وكان ينصبّ الى السدّ من أعلى اليمن سبعون وادياً سوى ما يأتيه من الأنهر الصغار، وكان ما فوق السدّ بستة أشهر يصل إلى ذلك السد . وكان ماء السد يسقي شهرين في شهرين . وكان ما يلي مأرب من شمال السد لبني كهلان وما يلي الأبلق من جنوبي السد لأولاد حمير . وكان ماؤه يقيم من الحول الى الحول

(١) الذي في الأصل فامر بالأمر والأولى ما هنا .

على سعة الأرض وعُموم السقي . وكان للسد ثلاثة ثُقوبٍ وكان تحت السد بركة عظيمة فاذا احتاجوا الى السقي فتحوا الثقب الأعلى فينصبُّ الماء في تلك البركة فيسقون به . فاذا نزل الماء عن الثقب الأعلى فتحوا الثقب الأوسط فينصب الماء منه إلى تلك البركة ثم يَسقون منها . فاذا نزل الماءُ عن الثقب الأوسط فتحوا الثقب الثالث فينصب الماءُ الى البركة كما هو . وكانت بلقيس قد جعلتْ في البركة اثنتي عشرة عيناً . فكانوا يسقون جنانَهم وزراعاتهم وما حاولوا من شيءٍ على حسب ما يُريدون وأفضل . وكان الخادم يمشي بين الشجر والمِكتلُ على رأسِهِ فيمتلىءُ مِكْتلُه من الفواكه من غير أن يتناول شيئاً بيدِهِ ولا يلقُط شيئاً من الأرض . وكانت الشمس لا تصل الى أحد يمشي في تلك الجنان من تراكُب الشجر . وكانوا يتعاطون النيران فيما بينهم مسيرة شهرين في شهرين وقيل مسيرة ستة أشهر في مثلها والله أعلم . وفي ذلك يقول الله تبارك وتعالى: «لقد كان لسبأ في مسكنهم آية جنتان عن يمين وشمال كُلوا من رزق ربكم واشكروا لهُ بلدة طيبة وربٌّ غفور[1]». قالوا : وكان الرجل يسير من بلده إلى البلد الثانية فيقيل بها ويُمسي في الثالثة من القُرى التي بارك الله فيها وهي قرى بيت الله المقدس فقالوا : ربنا باعد بين أسفارنا . فلما كفروا نعمة الله أرسل الله إليهم رُسله . فيقال إن الله أرسل اليهم اثني عشر نبيّاً . وقيل ثلاثة عشر نبيّاً . فكذّبوا رُسل الله وأعرضوا عن طاعة الله . فأرسل الله عليهم سيل العرِمِ والعَرِمُ المطرُ الشديد ، قالهُ صاحب التّيجان[2] : ثم أخرب الله السدَّ .

فصل في ذكر خراب السد

قال صاحب التيجان : بينا طريفة بنت الخير الحجورية زوجة عمرو بن عامر المزيقياء نائمة الى جانب عمرو في ليلة من الليالي اذ رأت في منامها كأنَّ سحابةً سوداء غشيت أرض اليمن فبرقت وأرعدت وأصعقت فلم تمرر على شيءٍ إلاَّ

---

(١) سبا ـ ١٥

(٢) كتاب « التيجان في ملوك حمير » عن وهب ابن منبه ، رواية ابن هشام المعافري ، طبع بحيدر أباد الدكن بالهند ، وأعاد طبعه المركز الثقافي اليمني .

أحرقته . ففزعت من منامها وقامت وهي مرعوبة وقد ذُعرت ذعراً شديداً . فسكّن عمرو روعتها وسأل عن قصتها . فقالت : والنورِ والظلماء والأرض والسماء ليهلكنّ الشجرُ ويُتلف اليمن ويخُرب البلاد ويتشتت العباد . قال : وكيف يكون ذلك . قالت يكون سبع سنين شداد تأتي بالزلازل والأوابد يقطع فيها الولدُ الوالد . قال لها عمرو : قد نصحت وصدقت فما وجه الرأي قالت سرْ الى السدّ فاذا رأيت البرق والرعد وطلع النحس وغاب السعد فعند ذلك الجُرذ الجرذ إذا رأيته يكثر الحفر ويقلّب بيديه عظام الصخر فقد أزف الأمر فعليك بالصبر ولا تجزع للدهر . قال لها : فمتى ترين ذلك يكون . قالت له : لا أدري غير أنه أمر من الله نزل وحكم منه سبق في الأزل لا ينصرف عن سهل ولا جبل حيثما أراد وصل فليكن منك الحذر والوجل . فانطلق عمرو الى السدّ فلم يزل يتعاهده حتى رأى يوماً جرذاً يحفر السدّ بيديه ورجليه فكان يُقلّب الصخرة التي لا يقلبها إلاّ أربعون رجلاً : وكان الجرذ أعمى . فلما رأى ذلك رجع الى طريفة وقال لها رأيتُ تصديق مقالتك يا طريفة . فقالت له يا عمرو عجل الأسفار داراً بدار وجاراً من جار عند ما ينزل الأقدار ويستأثر الليل والنهار . قال ومتى ذلك . قالت : لسبع سنين ينزل الأمر بيقين بتفريق اليدين ويكثر الرين . وقال قوم إنها السبع الشداد التي رآها عزيز مصر وفسرّ له رؤياهُ يوسف الصدّيق عليه السلام . ففعل عمرو ما أمرته طريفة وكتم الأمر وأجمع أن يرتحل في ولدِهِ وقومه وكتم ذلك لئلاّ يُنكرهُ الناس عليه . ثم إنه يوماً أمر بعمل مائدة فنحر مئة من الإبل وذبح من الغنم شيئاً كثيراً ونادى في العرب أن هلموا الى مجد مُزيْقياء . فتأتّى له الناس من كل جانب ولم يتخلّف عنه شريف ولا وضيع . ثم أمر أكبر أولاده وهو ثعلبة العنقاءُ جدُّ الأوس والخزرج أبو أبيهم حارثة بن ثعلبة العنقاء . وقال له : إذا أمرتك بأمرٍ فلا تأتمر . فاني سأضربك بعنزتي هذه فاذا ضربتك فالطم وجهي : فقال له ثعلبة : والله يا أبت ما أستطيع دفع يدي الى وجهك ولا تطاوعني نفسي على ذلك . قال : يا بنيّ إن لي عليك حقّاً فلا تخالف أباك فان في ذلك مصلحةً لي ولك . فقال له ثعلبة : سمعاً وطاعة . فلما طعم

الناس وفرغوا وقد اجتمعت أشراف العرب أمر الملك ابنه ثعلبة بأمر فعصاه فضربه بالعنزة فوثب ثعلبة عليه فلطمه . فقال الملك : واذلاّه يُلطم وجهي يوم مجدي . فوثب سائر أولاده وبنو عمه على ثعلبة ليقتلوه . فقال : لا تفعلوا فان الرحمة سبقت له في قلبي قبل السخط ومع العجلة الندم ولكني سأعاقبه بما يكون لي نصفة منه . أبيع مالي وعقاري ولا أدع له شيئاً ينقلب اليه وأنتقل عن مأرب الى غيرها . فقال أهل البلاد : اغتنموا غضبة عمرو فاشتروا منه جميع أمواله . فلما أحرز أثمان أمواله انتقل في ولده وولد ولده وسائر قومه وعشيرته . ثم أخرب الله السدّ بعد ذلك فأقلع الصخور والقصور والأشجار والأنهار فرمى فيها الرمل . فلما رأى من كان تحت السد خرابهُ وأنهم لا يقدرون على شيء منه هربوا الى قُنن الجبال بالأهلين والأموال . وفاض الماءُ على السدّ لكثرة المطر . وخرج الماءُ من الخلل التي حفرها الفأر . وقد ذكر ذلك الأعشى حيث يقول :

وفي ذاك للمؤتسي إسوةٌ ومأربُ عفّى عليها العرِمْ
رجام [1] بنته لهم حميرٌ إذا جاءَ ماؤهم لم يرمْ
فأروى الزروع وأعنابها على سعةٍ ماؤهم إذ قُسِمْ
فصاروا أياديَ ما يقدرو نَ منه على شرُب طفل فُطِمْ

وكانوا كما قال الله تعالى وتبارك « وبدّلناهُم بجنّتيهم جنّتين ذواتيْ أُكلٍ خَمْطٍ وأثْل وشيء من سِدر قليل ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نُجازي الاّ الكفور » ويُروى أن سيل العرم كان قبل الاسلام بأربعمئةسنة . قاله حمزة بن الحسن الأصفهاني[2] . وفي رواية غيره أكثر من ذلك وهي الرواية الصحيحة . والله أعلم

فصل

ولما خرب السد وخرج عمرو بن عامر مُزيقياء في ولده وولد ولده وعدة من

---

(١) في الأصول كلها الثامن من الاكليل وديوان الأعشى ومعجم البلدان ومعجم ما استعجم رخام بالخاء المعجمة بعد الراء راجع هذه المصادر وحبر طريفة في كتاب التيجان اوسع مما هنا .

(٢) حمزة الاصفهاني مؤرخ أديب وفاته سنة ٣٦٠ هـ وكتابه سنى ملوك الأرض والأبياء مطبوع ، انظر ابن خلكان ، والأعلام

قبائل قومه من مأرب متوجهين الى البلاد يرتادون أرضاً تحملهم أو بلداً يمنعهم فنزلوا بلاد عكٍّ مجتازين . وكان رئيس عكّ يومئذ شملقة بن الحُباب . فسألوهم أن يأذنوا لهم في المقام عندهم حتى يأمروا من يرتاد لهم منزلاً ينزلونه . ووجّه عمرو بن عامر ثلاثة من ولده وهم الحارث بن عمرو بن عامر ومالك بن عمرو وحارثة بن عمرو بن عامر وهو أبو خزاعة . قال ابن قتيبة : ومات عمرو بن عامر بأرض عكّ قبل أن يرجع اليه أحد روّاده فاستخلف ابنه ثعلبة العنقاءَ وهو جدُّ الأوس والخزرج ابني حارثة بن ثعلبة العنقاء بن عمرو بن عامر . فتقلد ما كان يتقلده آباؤه من حفظ المملكة وسدّ الثغور . ولما توفي عمرو بن عامر كما ذكرنا وقع الوباءُ في قومه بعده واشتد عليهم الأمر فأرسلوا الى عكّ وقالوا لهم ان هذا الموضع الذي انزلتمونا فيه غير موافق لنا وقد لحقنا فيه من الوباء ما لحقنا فاجعلونا في الموضع الذي انتم فيه لمقامنا عندكم ونحن سائرون عنكم عن قريب . فكرهت عكٌّ ذلك فهاجت الحرب بينهم فاقتتلوا قتالاً شديداً واستمرَّ القتل في عك وقتل شملقة ابن الجُباب غيلة وكان الذي تولى حربهم وقتالهم جذع بن سنان وكان شجاعاً مقداماً فتّاكاً . وكان أعور أصمّ كثير الكيد عظيم المكر ، شيطاناً من شياطين العرب . وكان ثعلبة العنقاءُ كارهاً لذلك من فعله فحلف ان لا يقيم هنالك . فلم يزالوا سائرين حتى صاروا قريباً من مكة . وكان سكان مكة يومئذ جُرهم . فأرسل ثعلبة العنقاءُ رسلاً الى جرهم فسألهم ان يأذنوا لهم في المقام عندهم فأبوا عليهم فاقتتلوا وظفرت بهم الأزد فأجلوهم عن مكة ووليت خُزاعة البيت دهراً طويلاً نحواً من ثلاثمئة سنة .

قال ابن قُتيبة : ومات ثعلبة العنقاءُ بمكة فاستُخلف على قومه أخوه جفنة بن عمرو بن عامر . فتقلد جفنة ما كان يتقلد آباؤه من حفظ المملكة والذب عنها . ولم يزل في مكة مقيماً هو وقومهُ من الأزد حتى ضاقت عليهم مكة وأرادوا الشخوص عنها . وكانت فيهم كاهنة وهي طريفة زوجة عمرو بن عامر مزيقياء . فلما عزموا على الخروج من مكة قالت لهم كاهنتهم من كان ذا همٍّ بعيد وجمل جليد وبأس شديد فليقصد عُمان المشيد . فسار اليه بنو نصر بن الأزد فهم أزد عُمان . فنزلوا عمان

والبحرين وعلوا على ما هنالك فهي مساكنهم الى اليوم . ثم قالت : ومن كان منكم ذا جرأة وعزيمة وفتك وشهامة وصبر على أزمات الدهر فليقصد الوادي من مرّ[1] . فنزلت هنالك خُزاعة فهي مساكنهم في الجاهلية والاسلام . ثم قالت : ومن كان يريد الراسخات في الوحل المطعمات في المحل فليقصد يثرب ذات النخل . فسار اليها حارثة بن ثعلبة العنقاء في ولده من الأوس والخزرج فهي مساكنهم في الجاهلية والاسلام . فلما عزموا على الخروج الى يثرب قالت لهم : يا أهل الوجوه المضيئة والأنفس الأبيّة والمناقب السنية انزلوا يثرب القصيَّة قبل نزول المنية وطول القضية لتعلموا بعد الجهلة وتبصروا صاحب الرسالة . ثم قالت : ومن كان يريد الثياب الرقاق والخيول العتاق والكنوز والأرزاق فليقصد مناهج العراق . فسار اليها مالك بن فهم الأزدي في قبائل من قومه فغلبوا عليها وصاروا فيها ملوكاً فهم ملوك الحيرة قبل ملوك لخم . ثم قالت : ومن كان يريد الخمر والخمير والديباج والحرير والملك والمسامير فليلحق ببُصرى وحفير ولباب دمشق الشام ليملكها أعواماً بعد أعوام ويريها فتوة الكرام . فسار اليها جفنة بن عمرو بن عامر في ولده وولد ولده وكان أكثرهم ولداً ويروى أنه كانت له مئة امرأة منكوحة وسار معه عدة من قبائل غسان قالوا : وانما سمي جفنة لانه ورث جفنة أبيه التي كان يُطعم فيها الناس وكانت جفنة عظيمة يدور بها مئة فارس يأكل منها القاعد والقائم والراكب . وكانت مفصلة فاذا أتي العيد أُخرجت وركُبت وقُـيرّ ظهرها كما تُقيرّ السفينة فاذاانقضى العيد فُصلت وأُعيدت الى موضعها . قال ابن قتيبة : وسـار جذع بن سنـان قاتـل شملقـة بن الجباب فيمن سار الى الشام وكان سيداً من سادات غسّان . فلما اطمأنوا بالشـام أتاهم عامل قيصر يطالبهم بجباية الملك . فقال له جذع بن سنان : نحن قوم غرثى وليس معنا ما نسوقه الى الملك ولكن خذ هذا السيف رهناً عندك الى أن يوجد[1] عندنا ما نسوقه الى الملك . فقال العامل : اجعله في كذ وكذا من أمك فضحـك

---

(١) مـرّ هو ما يسمى مـرّالظاهرين ويسمّى اليوم وادي فاطمة وهو قرب مكة المشرفة .
(١) في الأصل (يتوجه)

الحاضرون . وكان جذع بن سنان أصمّ فلما رأى الجماعة ضحكوا عرف ما قال العامل : فاستلّ السيف وضرب عنق العامل . فقال بعض الحاضرين خذ من جذع ما أعطاك . فذهب مثلاً فمضى كاتب العامل الى قيصر فأخبره بما كان من غسان وقتلهم العامل . فوجه قيصر اليهم جيشاً كثيفاً ليقاتلوهم ويطردوهم عن البلاد فهزمتهم غسان واخذوا سلاحهم . ثم بعث اليهم جيشاً آخر فلم تقم لهم قائمة مع غسان فهزموهم وقتلوا منهم طائفة . فلما رأى ذلك قيصر استنابهم على عرب الشام ورفع أيدي سليح عنها . وكانت سليح ملوكاً على عرب الشام قبل غسان . ولم تزل غسان ملوكاً هنالك الى أن قامت دولة الاسلام . والله أعلم .

فصل

في ذكر ملوك الشام في الجاهلية من غسان

قال عليّ بن الحسن الخزرجي عامله الله باحسانه : كان أول من ملك الشام من غسان بعد جفنة بن عمرو بن عامر الحارث بن عمرو بن جفنة وهو الحارث الأكبر وكنيته ابو شمر وكان يدعى محُرّقاً لأنه أول من عاقب بالنار وولدهُ يُعرفون بآل محُرق . قال ابن خمُرْطاش [1] في مقصورته :

والشُّمُّ من شُم بنـي محُرقٍ ... من طبـق الأرض جنـوداً كالدَّبا

هذه رواية الأشعريّ . قال : ثم ملك بعده ابنه الحارثُ الأعرج بن الأكبر وأمهُ مارية ذات القُرطين التي يُقالُ فيها « ولو بقرطي مارية » وهـي مارية بنـت الأرقم بن ثعلبة بن عمرو بن جفنة . وقيل مارية بنت ظالم بن وهب ابن الحارث بن معاوية بن ثورٍ وهو كندةُ وإليها ينتسِبُ ملوك غسّان . قال حسـان بن ثابـت الأنصاري يمدح ملوك بني جفنة :

أولادُ جفنـة حول قبـر أبيهمُ ... قبـر ابـن مارية الـكريم المُفضل

يغشـون حتـى ما تهـرُّ كلابهُم ... لا يسألـون عن السـواد المقبل

---

(١) ترجمة ابن حرطاش في الجندي ووفاته سنة ٥٥٠ هـ .

بيضُ الوجـوه كريمـة أحسابهم شمُّ الأنـوف من الطـرازِ الأول

وكان خير ملوكهم وأيمنهم طيرا وأبعدهم مغاراً وأشدهم مكيدةً ، وهو الذي غزا خيبر وسبا أهلها ثم اعتقهم بعدما قدم الشام . وسار اليه المنذر ابن ماء السماءِ اللخمي في مئة الف من قومه وأهل بلاده ووجه اليهم الحارث الأعرج مئة رجل من غسان واظهر انه بعث بهم للمصالحة وكان فيهم لبيد ابن يزيد الغساني الشاعر . وكان يومئذ غلاماً . فاحاطوا برواق المنذر بن ماء السماء وهجم عليه جماعة منهم فقتلوه وقتلوا جماعة من قومه وأهل بيته ممن كان عندهُ وطاروا الى متون خيولهم فنجا بعضهم وقتل بعضهم . وعند ذلك حملت خيول الغسانيين على جموع المنذر فهزموهم وقتلوا منهم طائفة وأسروا أُخرى . وكان هذا اليوم يسمى يوم حليمة . وذلك ان حليمة بنت الحارث الأعرج طيبت أُولئك المئة بطيب من طيب الملوك ثم لبسوا اكفانهم ثم لبسوا الدروع من فوقها ثم ساروا نحو المنذر فسمي ذلك اليوم يوم حليمة لذلك .

ثم ملك بعد ولده الحارث الأصغر بن الحارث الأعرج بن الحارث الأكبر .

ثم ملك بعده أخوه النعمان بن الحارث الأعرج بن الحارث الأكبر وهو الذي قال فيه النابغة الذبياني .

هذا غلامٌ حسـنٌ وجههُ مستقبـل الخـير سريع التمامْ
للحارث الأصغروالحارثالأعـ ـرَج والأكبـر خـير الأنامْ
ثم لهنـدٍ ولهنـد وقد اسرع في الخـيرات منـه امامْ
خمسـةٌ آبائهـمُ ما همُ أكرم من يشرب صوب الغمامْ

وفيه يقول النابغة أيضاً :

فان يجـزع النعمان نفـرح ونبتهج وبـات معـدّاً خيرهـا وربيعها
ويرجـع الى كهـلان ملك وسؤددٌ وتلك المنـى لو أننـا نستطيعها

وقال ابن قتيبة :

وكان للنعمان بن الحارث ثلاثة بنين : حجر بن النعمان وبه كان يكنى أبوه

وعمرو بن النعمان . والنعمان بن النعمان وكلهم كان ملكاً . وفيهم يقول حسان بن ثابت الأنصاري :

من يغُرّ بالدهر او يأمنهُ ‏ ‏ ‏ من قبيلٍ بعد عمرو وحُجر
مَلِكًا من جبل الثلج الى ‏ ‏ ‏ جانبي ايلة من عَبدٍ وحرّ

ثم ملك بعده أخوه عمرو بن الحارث الأعرج وهو الذي اشار اليه النابغة الذبياني حين فارق النعمان بن المنذر . وفيه يقول :

عليَّ لعمرو نعمةٌ بعد نعمةٍ ‏ ‏ ‏ ووالده ليست بذات عقارب

قال ابن قتيبة :
وكان يقال لعمرو بن الحارث ابو شمر الأصغر

وقال المسعوديُّ : لما هلك [1] الحارث الأكبر كان أول ملك بعده الحارث ابن ثعلبة بن عمرو قال : وأمه ذات القرطين . قال : ثم ملك بعده النعمان ابن الحارث بن جبلة ابن الحارث بن ثعلبة بن جفنة . ثم ملك بعده عوف ابن أبي شمر . وكان ملكه حين بعث النبي صلى الله عليه وسلم .

وذكر بعض الاخباريين ان حسان بن ثابت وفد على الحارث بن أبي شمر بالشام . وكان النعمان بن المنذر ملك الحيرة يساميه . فقال الحارث بن أبي شمر لحسان بن ثابت : يا ابن الفُريعة بلغني أنك تفضل النعمان عليَّ فقال له حسان : وكيف أُفضّله عليك أو أساميك به . فوالله لقفاك احسن من وجهه ولأُمك اشرف من أبيه ولشمالك أجود من يمينه ولقليلك أكثر من كثيره ولثمادك أمرع من غديره ولكرسيك أوسع من سريره ولجداولك أغزر من بحوره وليومك أطول من شهوره وإنك لمن غسان وإنه لمن لخم فكيف أُفضّله عليك أو أُعدله بك . فقال يا ابن الفُريعة ان هذا لا يُسمَّع الاّ في شعر فقال :

---

(١) في الأصل (ملك) عبارة المسعودي ابي الحسن علي بن الحسين المتوفى سنة ٣٤٦ هـ ، فكان اول من ملك من ملوك غسان بالشام الحارث بن عمرو بن عامر الخ ثم ملك بعده الحارث بن ثعلبة بن عمرو الخ انظر مروج الذهب ج ٢ - ١٠٧

نُبئت أن أبا منذرٍ يساميك للحارث الأصغرِ
قذالك أحسن من وجهه وأُمك خير من المنذرِ
ويُسرى يديك على عسرها[1] كيمنى يديه على الميسرِ

ومنهم الحارث بن أبي جبلة بن الحارث بن ثعلبة بن الحارث بن ثعلبة بن عمرو بن جفنة . ذكره ابن الجون[2] . قال : وكان ملكه ثلاث سنين . قال : ومنهم الا يهم بن جبلة بن الحارث بن أبي جبلة بن الحارث بن ثعلبة ابن الحارث بن ثعلبة بن عمرو بن جفنة . ومنهم جبلة بن الأيهم بن جبلة بن الحارث بن ثعلبة بن عمرو بن جفنة . وهو آخر ملوكهم والله أعلم . وكان عدد ملوكهم ثلاثين ملكاً . وقيل اثنين وثلاثين ملكاً . وقيل ستة وثلاثين ملكاً . ومدة ملكهم ستمئةسنة وست عشرة سنة . وفي بعض التواريخ أن مدة ملكهم ألف سنة وستمئةسنة .

فصل

قال علي بن الحسن الخزرجي عامله الله باحسانه : وأورد صاحب التيجان فصلاً ذكر فيه أسماء ملوك غسان . فذكر أن أول ملوك غسان مازن بن الأزد . قال : وهو جمّاع غسان . وكان يسمى قاتل الجوع . ثم ولده ثعلبة بن مازن . وكان يسمى زاد السفر . ثم ولده امرؤُ القيس بن ثعلبة . وكان يسمى بهُلول . ثم ولده حارثة بن امرىء القيس . وكان يسمى الغطريف . ثم ولده عامر بن حارثة . وهو الذي يُسمى ماءَ السماء ويقال ماءُ المزْن : ثم ولدهُ عمران بن عامر وكان كاهناً : ثم اخوهُ عمرو بن عامرٍ وهو الذي يقالُ لهُ مزيقياءُ . ثم ولده ثعلبة بن عمرو بن عامر وكان يقال لهُ العنقاءُ وهو جدُّ الأوس والخزرج : ثم اخوه جفنة بن عمرو بن عامر واسمهُ عُلبة ابن عمرو : ثم ابنه عمرو بن جفنة : ثم ابنه الحارث بن عمرو بن جفنة وهو الحارث الأكبر : ثم ابنه الحارث بن الحارث وهو الحارث الأعرج : ثم ابنه الحارث بن الحارث وهو الحارث الأصغر ثم أخوه النعمان ابن

---

(١) في الأصل (غيرها)
(٢) انظر ترجمته للمؤلف ص ١١٩ .

الحارث الأعرج : ثم أولاد النعمان وهم ثلاثة :عمرو بن النعمان وحُجر بن النعمان والنعمان بن النعمان بن الحارث : ومن ولد الحارث الأعرج ايضاً المنذر بن الحارث الأعرج والأيهم ابن الحارث الأعرج وولدهُ جبلة بن الأيهم وأبو جبلة بن عمرو وهو الذي قتل اليهود بالمدينة . قال : ومنهم جبلة بن جفنة وثعلبة بن عمرو وعمرو ابن عمرو والمنذر بن الحارث بن جبلة : قال : والاياهم الأربعة هم : الايهم بن الحارث بن جبلة بن الحارث بن أبي جبلة بن الحارث بن ثعلبة بن عمرو بن جفنة : والايهم بن الأيهم بن الحارث بن أبي جبلة والايهم بن جبلة ابن الحارث بن أبي جبلة قال وذكر ذلك ابن الجون في شرح الخُمرطاشية عن ابن الكلبي قال وللحارث بن جبلة اربعة أولاد النعمان بن الحارث وجبلة ابن الحارث والمنذر بن الحارث أيضاً قال وكلهم كان ملكاً هذه رواية صاحب التيجان والله أعلم .

قال عليٌّ بن الحسن الخزرجي عامله الله باحسانه . وقد اثبت الفقيه أبو الحسن حمزة بن الحسن الأصبهاني في كتابه المعروف بكتاب تواريخ الأمم اثنين وثلاثين ملكاً من ملوك غسان واحداً بعد واحد وعدد ما ملك كلٌّ واحد منهم من السنين على الانفراد . وذكر أن جملة تلك ستمئة سنة وسنة وقد حكيت ما حكاه في هذا الفصل الثاني الذي يأتي بعد هذا الفصل . وبالله التوفيق .

فصل

وقال أبو الحسن حمزة بن الحسن الأصفهاني رحمه الله كان آل جفنة عمال القياصرة على عرب الشام كما كان آل نصر عمال الأكاسرة على عرب العراق . قال وأصل بني جفنة من اليمن ثم من الأزد . وذلك ان الأزد لما أحست وهي بمأرب بانتقاض السد وخشيت سيل [1] العرم في مأرب فتشاءم قومٌ فنزلوا ماءً يقال له غسان وسموا غسان بالماء الذي نزلوا عليه وهو ماءٌ بسدّ مأرب . وقيل هو ماءٌ بالمشلل قريب من الجحفة . وقيل هو ماءٌ بين (زَبيدٍ ورِمَع وهما واديان للاشعريين باليمن[2]) .

(١) في الأصل (السيل)
(٢) هذا القول اصح الأقوال ولا يزال ماء غسان في رمع

قال : ثم انزلهم ثعلبة بن عمرو بن عامر وهو الذي يقال له العنقاء بادية الشام . وكان ملوكها يومئذ من قبل القياصرة سليح بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة . فلما نزلت غسان في جوار سليح ضربوا عليهم الأتاوة . وكان الذي يتولى جبايتها سُبيط بن ثعلبة بن عمرو بن عوف بن ضجعم بن حماطة فقصد سبيط ثعلبة بن عمرو وطلب منه الاتاوة فاستنظره ثعلبة فقال سبيط لتعجلن الأتاوة أو لآخذن أهلك . وكان ثعلبة حلياً . فقال لسبيط هل لك في من يربح عليك بهذه الاتاوة . قال نعم : قال عليك بجذع بن سنان . وكان جذع بن سنان فاتكاً كما ذكرنا فأتاه سُبيط فخاطبه بما خاطب به ثعلبة بن عمرو . فخرج اليه جذعُ ومعه سيف مذهب . فقال له هل لك أن تأخذ هذا السيف عوضاً عن حقك الى أن أجمع لك الأتاوة . قال . نعم قال . خذه . فتناول سبيط جفن السيف وكان قائمه في يد جذع . فاستلَّه جذعُ وضرب به سبيطاً حتى برد . فقيل له : خذ من جذعٍ ما أعطاك . فذهب مثلاً . ووقعت الحرب بين سليح وغسان فاخرجت غسان سليحاً من الشام وصاروا بها ملوكاً فكان أول ملك من غسان في أرض الشام جفنة بن عمرو مزيقياء بن عامر ماء السماء بن حارثة الغطريف بن امرىء القيس البطريق بن ثعلبة البهلول بن مازن زاد السفر ويقال قاتل الجوع بن الأزد بن الغوث .

قال ويزعم الأزد أن عمرو بن عامر إنما سمي مزيقياء لأنه كان يمزقُ في كل يوم من أيام مملكته حلتين يكرهُ ان يعود فيهما ويأنف ان يلبسهما غيره فلذلك سمي مزيقياء وقيل لأن الأزد تمزَّقت في أيامه وافترقت عند هربهم من سيل العرم . فاتخذت العربُ افتراق الأزد من مأرب بسيل العرم مثلاً فقالوا ذهب بنو فلان أيدي سبأ . ويقال أيادي سبأ . والله أعلم .

وكان الذي ملَّك جفنة على الشام ملك من ملوك الروم يقال له نسطورُس فلما ملك جفنة بن عمرو الشام بعد الملوك السليحيين من قضاعة دانت له قضاعة وغيرها من أهل الشام وغيرهم . وبنى جلَّق والقرية وعدة مصانع . ثم هلك وكان ملكه خمساً وأربعين سنة وثلاثةاشهر . ثم ملك بعده ابنه عمرو بن جفنة خمس سنين وبنى

الأديار دير حالي ودير أيوب ودير هنادة . ثم ملك بعده ابنه ثعلبة بن عمرو بن جفنة وهو الذي بنى صرح[1] الغدير في أطراف حوران مما يلي البلقاء وكان مدّة ملكه سبع عشرة سنة ثم ملك بعده ابنه الحارث بن ثعلبة بن عمرو بن جفنة ولم يبن شيئاً وكان ملكه عشرين سنة .ثم ملك بعده ابنهُ جبلة بن الحارث بن ثعلبة بن عمرو بن جفنة ثم ملك بعده ولده الحارث بن جبلة بن الحارث بن ثعلبة بن عمرو بن جفنة وأمه مارية ذات القرطين بنت الأرقام بن عمرو بن جفنة وكان مسكنه بالبلقاء فبنى بها الحفير ومصنعة بئر عجافٍ وقصر أبيرق وكان ملكه عشر سنين .ثم ملك بعده المنذرُ ولدهُ الأكبر بن الحارث بن مارية وبنى جأثاء وزرقاء قريباً من القرنين وكان ملكه ثلاث سنين . ثم ملك بعده اخوه النعمان بن الحارث بن مارية وكان ملكه خمس عشرة سنة وستة أشهر ثم ملك بعده أخوهُ المنذرُ الأصغرُ وهو أبو شمر بن الحارث بن مارية وكان ملكه ثلاث عشرة سنة . ثم ملك بعده أخوه جبلة بن الحارث بن مارية وكان منزله بخارب فبنى قصر خاربٍ ومخارباً وممنعة وكان ملكه أربعاً وثلاثين سنة . ثم ملك بعدهُ اخوه الايهم بن الحارث بن مارية وبنى الأديار دير ضخم ودير النبوة وكان ملكه ثلاث سنين . ثم ملك بعدهُ اخوهُ عمرو بن الحارث بن مارية ونـزل السدير وبنى قصر العفار وقصر منارٍ وكان ملكهُ ستاً وعشرين سنة . ثم ملك بعدهُ ابن اخيه جفنة الأكبر بن النعمان الأكبر بن الحارث بن مارية وهو المعروف بمحرّقٍ وهو الذي احرق الحيرة وبه سموا آل محرّقٍ وفيه يقول عديٌّ بن زيدٍ مخاطباً النعمان بن المنذر حيث يقول .

سما صقْــر فأشعــل جانبيها ... وألهــاك المروّح[2] والغريب[3]

فبتــن[4] لدى الثــويّة ملجمات[5] ... فصبحــن العبــاد وهــنّ شيب

---

(١) في الأصل (مرج)

(٢) المروّح مما يراح به من الماشية وهي في الأصل (البروج)

(٣) الغريب البعيد وهي في الأصل (القريب)

(٤) في الأصل (فبين)

(٥) في الأصل مجلبات

وكان سيَّارةجوَّابة ' : ثم هلك وكان ملكه ثلاث سنين : ثم ملك بعده النعمان بن المنذر الأصغر بن المنذر الأكبر بن الحارث بن مارية وكان مُلكُه سنةً واحدة ولم يبنِ شيئاً : ثم ملك بعده ابن أخيه النعمان بن عمرو ابن المنذر الأصغر بن المنذر الأكبر بن الحارث بن مارية فبنى قصر السويداء وقصر حارب . ولم ... أبوه عمه ولكنه كان يغزو بالجيوش، وهو الذي امتدحه النابغة بقوله حيث

...ـده ليست بذات عقاربِ

حسانه : والذي يظهر لي أن النابغة
ذكر النابغة في آخر الفصل . وذكر
جبلة وعمرو ابن المنذر الأصغر على ما
. ومعلوم ان النابغة كان قريباً من دولة
ا معاً على النعمان بن المنذر اللخميّ .

سبعاً وعشرين سنة : ثم ملك بعدهُ ولدهُ جبلةُ
صغر وكان منزلهُ بصفّين وهو صاحب عينْ أباغ
ماء السماء وكان ملكه ست عشرة سنة : ثم ملك بعدهُ النعمان بن
... بن مارية ولم يحدث شيئاً وكان ملكه احدى وعشرين سنة وخمسة
...ندهُ النعمان بن الحارث بن الأيهم فاصلح صهاريج الرصافةِ وكان
بعض ملوك لخم اخربها . وكان ملكه ثماني عشرة سنة : ثم ملك بعدهُ اخوهُ المنذر بن النعمان بن الحارث بن الأيهم فلم يحدث شيئاً وكان ملكه تسع عشرة سنة ثم ملك بعده اخوه عمرو بن النعمان فلم يحدث شيئاً وكان ملكه ثلاثا وثلاثين سنة وأربعة اشهر: ثم ملك بعده اخوه حُجر بن النعمان بن الحارث بن الايهم بن الحارث بن

---

(١) في الأصل (سناره خرابه)
(٢) حارب بالحاء المهملة اوله انظر معجم ياقوت الحموي والباء الموحدة آخره

مارية وكان ملكهُ ستّاً وعشرين سنة : ثم ملك بعدهُ ابنه الحارث بن حجر بن النعمان بن الحارث وكان ملكهُ اثنتي عشرة سنة : ثم ملك بعدهُ ابنهُ جبلة بن الحارث بن حجر بن النعمان وكان ملكهُ تسع عشرة سنة وشهراً : ثم ملك بعدهُ ابنهُ الحارث بن جبلة ابن الحارث بن حجر قال : ويسمى الحارث بن أبي شمر . وهو الذي اوقع ببني كنانة وكان يسكن الجابيةوكان ملكهُ احدى وعشرين سنة وخمسة اشهرٍ : ثم ملك بعدهُ ابن النعمان بن الحارث بن جبلة بن الحارث بن حجرٍ وكنيتهُ ابو كرز فبنى ما أشرف على الغور الأيسر وبكاهُ النابغة بقوله :

بكى الحارث الجولان[1] من فقد ربه وحوران منهُ خاشعٌ متضائلُ

وكان ملكُه سبعاً وثلاثين سنة وثلاثة أشهر : ثم ملك بعدهُ الايهم ابن جبلة بن الحارث بن أبي شمر وهو صاحب تدمر وقصر ترعة وهو الذي اوقع ببني العنبر بن حشر وعامله وفيه يقول النابغة :

ضلَّت حلومهم عنهم وغرَّهم سن المعيدي في رعي وتعزيب

ثم ملك بعدهُ اخوهُ المنذر بن جبلة بن الحارث بن أبي شمر وكان ملكهُ سنة : ثم ملك بعدهُ أخوه عمرو بن جبلةبن الحارث بن أبي شمر وكان ملكُه عشر سنين وشهرين : ثم ملك بعدُه ابن اخيه جبلة بن الحارث بن جبلة بن الحارث بن أبي شمر وكان ملكهُ أربع سنين : ثم ملك بعدهُ جبلة بن الأيهم بن جبلة بن الأيهم بن الحارث بن مارية ذاتِ القرطين وهو الحارث بن جبلة بن الحارث بنْ ثعلبة بن عمرو بن جفنة : واسم جفنة ثعلبة بن عمرو مزيْقياء بن عامرٍ ماءِ السماء بن حارثة الغطريف بن امرىء القيس البطريق بن ثعلبة البهلول بن مازنٍ زادِ السفر ويقال قاتل الجوع ابن الأزد بن الغوث وكان ملك جبلة بن الأيهم ثلاث سنين وهو آخر ملوك غسان في أرض الشام : والله أعلم . هذا آخر ما حكاهُ حمزةُ بن الحسن الأصفهاني في كتابه المعروف بتواريخ الأمم والله أعلم .

واتفق المؤرخون جميعاً ان جبلة بن الأيهم كان آخر ملوك غسانَ في الجاهلية

---

(١) في الأصل (الخولان) .

وكان طوله اثني عشر شبراً وكان اذا ركب مسحت قدمه الأرض وادرك الاسلام فأسلم في أيام عمر رضي الله عنه ثم تنصر ولحق بالروم . وكان سبب تنصره ان رجلاً وطىءَ على طرف ردائه وهو يطوف البيت . فالتفت الى ذلك الرجل فلطمه لطمة هشمت انفه وكسرت سنه وخضرت عينه فاستعدى ذلك الرجل على عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال له عمر ارضه أو أُقيدُه[1] . فقال إني ملك وهو سوقة : فقال له عمر ان الاسلام قد سوَّى بينكما . فقال : أمهلني الى غدٍ . فأمهلهُ . فلما جنَّ الليل خرج في حشمِه وعبيده ومن أطاعهُ من قومِه فلحق بالروم وتنصَّر . ثم نَدِم على ما كان منهُ . وهو الذي يقول :

تنصرَّتِ الأملاكُ من أجل لطمة ... وما كان فيها لو صبَرتُ لها ضررْ
تكنَّفني فيها لجاجٌ ونخوةٌ ... فكنتُ كمن باع الصحيحة بالعَورْ
فيا ليتَ[1] أمي لم تلدْني وليتني ... رجعتُ الى القول الذي قالهُ عمرْ
ويا ليتني أرعى المَخاضَ بقفْرة ... وكنت غريباً في ربيعةَ أو مُضرْ
ويا ليت لي بالشام أدنى معيشةٍ ... أُجاورُ قومي ذاهبَ السمع والبَصرْ
أدينُ بما دانوا به من شريعةٍ ... وقد يصبِرُ العودُ الضَّجورُ على الديرْ

قال عليٌّ بن الحسن الخزرجي . ومن ولد جبلة بن الأيهم بنو رسول مُلوك اليمنِ في الإسلام وسأذكرهم في الفصل الذي سأذكرهُ بعد هذا ان شاء الله تعالى وبالله التوفيق .

فصلٌ

في ذكر بني رسولٍ ملوك اليمن في الاسلام . قال علي بن الحسن الخزرجيُّ عاملهُ الله باحسانِه : كان اسمُ رسولٍ محمد بن هارون بن أبي الفتح بن يوحى بن رستَم وهو من ذريَّةِ جبلة بن الأيهم بن الحارث بن جبلة بن الحارث بن ثعلبة بن عمرو بن جفنة بن عمرو مُزيْقياءَ بن عامرِ ماءِ السماءِ بن حارثةَ الغطريفِ بن امرىء

---

(١) في الأصل (اقده)
(١) في الأصل (يا ليت)

القيس البطريق بن ثعلبة البهلول بن مازنٍ زادِ السفر ويسمى قاتل الجوع أيضاً بن الأزْدِ بن الغوث بن نبتٍ بن مالكٍ بن زيْدٍ بن كهْلانَ بن سبأ بن يشجُب بن يعْـرُب بن قحطان . وكان من قضاءِ الله وقدره السابق في علمه أنه لما تنصرَّ جبلةُ بن الأيهم كما ذكرنا أولاً ولحق بالروم يومئذ أقام هنالك الى أن هلك . قيل على شركه وقيل على الاسلام لأن أبياتَه المذكورة التي يقول في أولها . تنصرَّت الأشراف من أجل لطمةٍ . تشهدُ برغبته في الاسلام وندمه على مفارقتـه . والله أعلـم بسريرتِـه . فلما هلك هنالك أقام ولدُه بعدهُ ما شاءَ الله في بلاد الروم . ثم انتقلَ ولدهُ ومن انضم اليهـم من قومهم الى بلاد التُّركمان فسكنوا هنالك مع قبيلة من قبائل التُّركمان يقال لها مجْك[1] هي أشرفُ قبائل التُّركمان . فأقاموا بينهم وتكلمـوا بلُغتهـم وبعـدوا عن العـرب فانقَطعت أخبارُهم عن كثير من النـاس . فكان كثـير من النـاس يظُـنُّ أنهـم من التُّركمان وهم مُقيمون على أنسابهم . فلما خرج أهل هذا البيت الى العراق نسبهُم من يعرِفُهم الى غسَّان ونسبهم من لا يعرِفُهم الى التُّركمان . وكانوا بيت شجاعـة ورئاسة . وكان محمد بن هارون جليلَ القدر فيهم فأدناهُ الخليفةُ العباسُّي وأنسَ به واختصهُ برسالته الى الشام والى مصرَ ورفعَ الحجابَ فيما بينهُ وبينه فانطلق عليه اسم رسول وشُهِرَ به وتُرِك اسمُه الحقيقيُّ حتى جُهل . فلا يعرفُه الا القليلُ من الناس . ثم انتقل من العراق الى الشام ومن الشام الى مصر فيمن معهُ من أولاده .

قال صاحبُ السيرة المُظفَّرِيَّة[2] : فلما استوثق الملك لبني أيوبَ في مصرَ لم يزل معهم عُصبةٌ من بني رسولٍ لعلمهم بتقدم منصبهم في الملك وعُلوِّ هممهم وشدة بسالتهم وثبوت آرائهم . فاجتمع رأي بني أيوبَ على أن يُسلموا اليهمُ اليمـنَ . فقال ذوُو رأيهم إذاً يستقوُون بها عليكم وينازعونكم في الشام . فأجمع رأيهم على تسييرهم الى اليمن صحبة الملك المعظم تُورانْشاه بن أيوب . فخرجوا صحبته بعد ان استحلفهم[3] له أخوهُ الملكُ الناصرُ يوسف بن أيوب وأوصاهم بحسن صحبتِه

---

(١) « بجك » في « قرة العيون » وفي « المسجد » للخزرجيّ

(٢) صاحب السيرة هو الامير محمد بن حاتم اليامي صاحب العقد العالي الثمن .

(٣) في الأصل (استخلفهم) .

والنصح في مُسايرته وخدمته . وكان لهم في الديار المصريَّة جلالةٌ ووجاهـةٌ وحـظ ونباهةٌ . وكانوا خمسة رجال يركبون من بيتٍ واحدٍ : ١ ـ شمس الـدين عليٌّ بن رسول : ٢ ـ بدرُ الدين الحسنُ بن عليّ بن رسولٍ : ٣ ـ نور الدين عمرُ بن عليّ بن رسول : ٤ ـ فخر الدين أبو بكر بن عليّ بن رسول : ٥ ـ شرفُ الدين موسى بن عليّ بن رسول . وكانوا غاية في الشجاعة والاقدام وحسن التدبير في الحرب . لا سيا أبوهم شمس الدين . وكان ولدهُ الأمير بدرُ الدين الحسن بن على بن رسولٍ لا يقومُ لهُ في الحرب عدد وإن كثر . وكان نور الدين له عقل ثاقب ورأي صائب وكان فخر الدين جواداً كريماً . وكان شرف الدين فارساً شاعراً فصيحاً وهو القائـل في ذلك :

نكون حُمَاتَهـا ونـذُبُّ عنها ... ويأكلُ فضلهـا القـومُ اللئامُ
معـاذ الله حتـى نتضيها ... عقائـق في العَجـاج لهـا ابتسامُ

فسمعهُ بعض المصريين فقال : خرجتِ اليمنُ من أيدي بني أيوب . وكان دخولُ الملك المعظَّم اليمن في سنة تسع وستين وخمسمئة فأقام في اليمن السنةَ سبعين ثم رجع الى مصرَ في سنة احدى وسبعين . وترك في اليمن نُوّاباً لهُ يحملون خَراجَها اليه في كل سنةٍ الى أن تُوفي في سنة ستٍّ وسبعين وخَمسمائةٍ . فلما علم نُوابُه بموتِه اختلفوا فيما بينهم وتغلَّب كلُّ واحدٍ منهم على ما تحت يده . فلما علم الملك الناصرُ باختلافِهم وتغلُّبهم على البلاد أرسل أخاهُ الملك العزيز طُـغْتكينَ بن أيوب في قطعة من العساكر وكان دخولُه اليمنَ في يومِ السبت الثالث عشرَ من شوال سنـة تسـع وسبعين وخَمسمئة : فأقامَ في اليمن الى أن تُوفي في السادس والعشرين من شوال سنة ثلاثٍ وتسعين وخَمسمئة . فتولى الملك بعدهُ ولدُه المُعزُّ اسماعيلُ بن طُـغْـتكينَ بن أيوبَ فلم يزَل بها الى أن تُوفي مقتولاً بيد الأكرادِ يومَ الأحد الثامنَ عشرَ من شهـر رجب سنة ثمانٍ وتسعين وخَمسمئة . فتولىَّ المُلكَ بعـده أخـوهُ النـاصرُ أيوبُ ابـن طغُتكينَ بن أيوب فلم يزل بها الى أن تُوفي مسموماً ليلةَ الجمعة الثاني عشر من المحرم سنة عشر وستئمة . وقال الجندي : أول سنة احدى عشرة وستئمة . وعندي أنهُ هو

الصحيح .

وكان الملك الناصر صاحب مصر قد تُوفي وتولى المُلك في الديار المصرية أخوه الملكُ العادل أبو بكر بن أيوب . فلما بلغه علم ما جرى في اليمن من قتل المُعزّ وسمّ أخيه الناصر . وهما معاً ابنا أخيه العزيز . جهز ابن ابنه الملكَ المسعود صلاح الدين يوسفَ بن الملك الكامل محمد بن الملك العادل أبي بكر بن أيوب في جيش كثيف الى اليمن وأموال كثيرة وحالة كبيرة . وكان يومئذ في سن البلوغ . وكتب الى الأمير شمس الدين علي بن رسول وإلى سائر الأُمراء المصريين باليمن يأمُرهم بحسن صحبته والقيام بما يجب من خدمته . وكان دخول الملك المسعود زبيداً يوم السبت الثاني من المحرم سنة اثنتي عشرة وستمئة . وكان قد قَدم قبلَه سليمان بن تقيّ الدين عمر بن شَاهنْشاه بن أيوب المعروفُ بالصوفيّ ومعهُ جماعة في زي الصوفية وكان قدومهُ بعد وفاة الناصر أيوب بن طُغتكين . فاستدعتهُ أم الناصر المذكور لما علمت به وكانت يومئذٍ في حصن تعزّ فقالت لهُ : إنّا نخشى ان يطمع فينا العرب ونحن نساء لا حيلة لنا وقد ساقك الله الينا فقم بمُلكِ ابن عمك . فأجاب الى ذلك فأطلعوه الحصن وأجلسوهُ على سرير المُلك وحلفَ الجُند[1] . وكان ضعيفاً لا درْيةَ له بالمُلك . فاشتغل بالشراب واللَّعب حتى تضعْضعَ المُلكُ واستولى الامام المنصور عبد الله بن حمزة على صنعاء وذمار وفسدت الأطراف . فلما وصل الملك المسعود الى زبيدٍ في التاريخ المذكور واستقرَّ في الدار السلطانية بزَبيد وقد ضعف عسكرهُ وكلّت دوابُّه أرسل الى سليمان بن تقي الدين وكان يومئذ في حصن تعزّ من يخاطبهُ بالصلح على أن يكون الجبالُ لسليمان والتهائم للمسعود . فلما سمع بذلك الأمير بدر الدين الحسن بن علي بن رسول نزل الى الملك المسعود وحثه على الطلوع الى تعزّ . فطلع وحطّ على حصن تعزّ ولقيهُ عساكرُ اليمنِ بأسرها . فقال له الأميرُ بدرُ الدين : أرى ان تكتب الى الجند[1] الذين هم في حصن تعزّ كتاباً تقولُ فيه : أقسمُ بالله تعالى لئن لم تمسكوا

---

(١) في المسجد . وحلف له

(١) في الأصل (الحدام)

سليمانَ بن تقي الدين لا أصبتم مني عافية . ففعل . فلما وصل كتابُـه الى الجنـد نهضوا بأجمعهم الى سليمان بن تقي الدين فأغلقـوا باب المجلس وأمـرُّوا الى الملك المسعود رسولاً يعلمُه بذلك . فلما علم بذلك أرسل نائبه فطلـع فأمسـك سليمان وقيدهُ . ثم طلع الملكُ المسعودُ حصن تَعِزٍّ وكان طلوعُه يوم الأحد عاشر صفر من سنة اثنتي عشرة وستمئة . واستولى على اليمن بأسره من التاريخ المذكور . وأرسل سليمان بن تقي الدين الى مصر مقيَّداً . ولـم يزل الأميرُ شمس الدين عليٌّ بن رسول وأولادهُ مقيمين في اليمن مع بني أيوب على أحسن سيرة . وكان الأمير شمسُ الدين عاقلاً كاملاً صالحاً تقيّاً له رأيٌ ورئاسةٌ ونظرٌ وسياسة . وكان له عند سيف الاسلام المحلُّ الأعلى والقدحُ المعلىَّ حتى أن نساء سيف الاسلام لم يكن يحتجبنَ منهُ لصلاحِهِ وحسن سيرته والتماس بركته .

ولما كتب الظاهر بيْبرسُ صاحب الديار المصرية الى الملك المظفَّر رحمهُ الله كتاباً يهدِّدهُ فيه ويتوعَّدهُ أجابهُ الملك المُظفَّر رحمة الله عليه بما معناهُ نحن محفوظون ببركة جدِّنا ولا نخافُ ضرّاً بحمد الله وبركةِ جدنا رحمه الله . وكان الأمير شمس الدين رحمه الله يسكن في ناحية جبلة ومن مآثره قصر عومانَ هنالك . وكثيرٌ من ذريتـه يسكُنون هنالك الى يومنا هذا . وكان يحب العلماء والصالحين ويحبونهُ لحسن سيرته وصلاح سريرته وكان كثيراً ما يتولى في الجهات الحيسيَّة وصَحـب الفقيه الصالـح حسن بن أبي بكرٍ الشيْبانيَّ . وكان الفقيهُ حسنُ الشيْبانيُّ من الصالحين الكبار وكان يرشدُه لأفعال الخير والرفق بالرعيَّة . فلا يخُالفُه . وكان الشيباني مدعواً له كثيراً . وربما بشرهُ بمصير الملك الى ذُريته : وكانت وفاتُه رحمهُ الله في شهر صفر سنة أربع عشرة وستمئة . وقد رأس أولادُه وانتشر ذكرُهم وبعد صيتهم وظهر من شجاعتهم وبراعتهم ما لم يكن في ظنّ أحدٍ من الناس واشتهروا في البلاد وعرفهم الحـاضرُ والبادي .

وكان أتابَك الملكِ المسعود في أيام دخوله اليمنَ جمالَ الدين فُليتاً . فجهزهُ الى صنعاءَ لحربِ الإمام المنصور عبد الله بن حمزة في شهر جُمادى الأولى من سنة اثنتي

عشرة وستمئة . فلم يزل الحرب بينهما الى أن تُوفي الامامُ عبد الله بن حمزة . وكانت وفاتُه يوم الخميس الثاني عشر من شهر المحرم سنة أربع عشرة وستمئة . ثم تُوفي الأتابكُ بعده . وكانت وفاتُه يوم الخميس سلخ شهر ربيع الأول من السنة المذكورة عند بئر الخولانيّ وقُبر في صنعاء يوم الجمعة عشرة شهر ربيع الآخر . فلما علم الملك المسعود بوفاة الأتابِك فُليت خرج إلى صنعاء فدخلها يوم السبت الثامن من شهر جمادى الأُولى : وتسلم حصن كوكبان يوم الخميس في الخامس من شهر جمادى الآخرة وفي هذا التاريخ اصطلح السلطانُ الملكُ المسعودُ والأشراف . وعاد الملك المسعود من صنعاءَ الى اليمن في شهر رجب من السنة المذكورة وهو مقيم ببني رسول وقد وثق بهم وأنس إليهم وولاّهم الولايات الجليلة وأعجبه من حسن طاعتهم وشدة بسالتهم . فولىَّ الأمير بدر الدين صنعاءَ وجعلها إقطاعاً لهُ . وولىَّ الأمير نور الدين الحصون الوصابيَّة . فأقام فيها مدة . ثم ولاّه مكة المشرفة فأقام فيها مدة . وفي مدة ولايته فيها ظهر ابنه الملك المظفَّر يوسفُ بن عمر فيها وكان يُسمى المكّي . وكان ظهوره في سنة تسع عشرة وستمئة . ولما فصله من ولاية مكة جعله أتابكه ومُتولي أمر عساكره وأُموره كلها فلما تقرَّرت الأحوال وهدأت الحروب والفتن تجهز الملك المسعود الى مصر . وكان خروجه من زبيد يوم النصف من شهر رمضان من سنة عشرين وستمئة . وترك في اليمن نور الدين عمر بن عليّ بن رسول نائباً نيابة عامة . وترك أخاه بدر الدين في صنعاء خاصة . وحلف لهما الجند المقيمون . وتقدم في التاريخ المذكور .فقام مِرْغَم الصوفيُّ في الحقل وبلاد زُبيد . وجبل بني مسلم المُسمى سحمَّر . بفتح السين والحاء المهملتين وتشديد الميم المفتوحة وآخره راءٌ . فدعا الناس الى نفسه وأخبرهم أنه داع لإمامٍ حقّ . فانضاف اليه من غوغاء الناس وطغامهم جم غفير . فسار اليه نور الدين ومعه راشد بن مظفَّر بن الهرِش . فقال مرغُم الصوفي لمن معه . إن قاتلونا في غد هزمناهم وقتلنا راشد بن مظفر . فوقع القتال فكان كما قال اتفاقاً . فازداد الناس له محبة وصدقاً . وكانت وقعة مرغم الصوفي في سنة اثنتين وعشرين وستمئة . ثم تلاشت أموره وظهر للناس كثير من

كذبه وفساد مذهبه . فخرج هارباً من بلد الى بلد .

ثم كانت وقعة عَصر بين الأمير بدر الدين حسن بن عليّ بن رسول وبين الشريف عزّ الدين محمد بن الإمام المنصور عبد الله بن حمزة . فجمع الشريف عزّ الدين جموعه من الخيل والرجل . فكانت خيله سبعمئة فارس وكان رجله ألفي راجل . فقصد بهم صنعاء بعد خروج الأمير بدر الدين منها الى دَرَوان ممداً لأخيه نور الدين بعد الهزيمة . وكان خروج الأمير بدر الدين من صنعاء الى دروان يوم الأحد السادس عشر من رجب سنة ثلاث وعشرين وستمئة . فوصل دروان يوم الاثنين السابع عشر من الشهر المذكور . فلما بلغه العلم بخروج الشريف عز الدين الى صنعاء رجع الى صنعاءَ ورجع معه أخوه نور الدين على الفور فوصلوا وقد وصل الأمير سالم بن عليّ بن حاتم والأمير علْوان بن بشرْ بن حاتم الى صنعاء في خيل ورجل من ذمرمر والعروس وحفظوا المدينة . وقد حط الأمير عزُّ الدين في عَصرٍ وتجهز للقتال . ونزل قاصداً صنعاء فخرجت الرتبة ومن معها من همْدان . ووقع بينهم الطراد بكرة يوم الأربعاء السادس والعشرين من رجب المذكور فاقتتلوا الى وقت الغداة . وبينا هم في القتال اذ وصل الأمير بدر الدين واخوه نور الدين ومن معهما . والناس متلازمون في القتال . وقد وقع القتل في الفريقين وكلٌّ حافظ لاصحابه . فدخل الأميران القصر وتغدى الناس على السماط. ثم قال الأمير بدر الدين . نستريح أولاً ثم ندخل الحمام ان شاءَ الله ثم نخرج . فوقفوا في القصر قليلاً ثم دخلوا الحمام فلما خرجوا منه حرك الرياح واجتمع العسكر الذين وصلوا معهما وهم مئة فارس يزيدون قليلاً أو ينقصون قليلاً . فلما خرجوا من الباب وقف نور الدين في بعض الخيل مركزاً وفئة تَرجع الناس اليه ان انهزموا . وتقدم الامير بدر الدين في الباقين والناس متلازمون في القتال . فرتب أصحابه وحرضهم على صدق القتال والتفت فيهم يميناً وشمالاً وقال : هَيٍّ هَيٍّ . فقالوا : هيٍّ هيٍّ . وكان هذا شعاره في عسكره . وحمل في القوم وصمم فيهم . وحمل سائر أصحابه وصمموا معه . ومنحهم الله النصر والظفر فانهزم جيش الأشراف ولم يقم منهم أحد وولوا

مدبرين . وقتل فيهم قتلاً ذريعاً حتى قيل إنه كسر ثلاثة أرماح وانقطع السيف الذي كان في يده وأطار خيارة الدبوس ولم يرجع من المعركة إلاّ في يده عروة الركاب بركابها . ويروى أنه قتل يومئذ فارساً بفارس صرع أحدهما بالآخر . ولم يزل القتل والأسر فيهم الى أن دخل الليل وغشيهم الظلام . وقتل الشيخ مخلص الدين جابر بن مقبل بعد أن أبلى بلاءً حسناً . وقتل من وجوه العرب جماعة . ووقع في الشريف عزّ الدين نشّاب في عينه بعد أن قاتل هو ومن حضر من اخوته وباتوا ليلتهم سائرين قاصدين ثُلا ولم ينزلوا عن ظهور خيلهم حتى وصلوا ثُلا وقد تفرّق جمعهم ولم يبق معهم غير أربعين فارساً وهم الأشراف وعبيدهم . وفي هذه الواقعة يقول العماد الشيزريُّ وكان شاعر الملك المسعود رحمه الله :

ألا هكذا للمُلك تعلو المراتب ... وتسمو على رغم العداة المناقبُ
فتوح سرت في الأرض حتى تضوَّعت ... مشارقها من طيبها والمغاربُ
بسيف الجواد ابن الرسول توطدت ... قواعد ملك ربُّه عنه غائبُ
فولَّوا ومن طعن القنا في ظهورهم ... عيون ومن ضرب السيوف حواجبُ

وكتب السلطان علوان بن بشر بن حاتم اليامي الى الشريف عزّ الدين محمد بن الامام المنصور عبد الله بن حمزة بن سليمان بن حمزة .

أسادات الورى من كل حيّ ... وأسمى في المعالي من يسامي
وأربطها لدى الهيجاء بأساً ... وأحماها إذا عدم المُحامي
أهنئكم قدوم العيد فرضاً ... عليَّ فعدتم في كل عام
وأهدي نحوكم أزكى سلامي ... الى المأموم منكم والإمام
وأسمعكم أحقّاً ما سمعنا ... فما يشفي سوى صدق الكلام
بأن جموعكم طارت شعاعاً ... ولمّا تخش عاقبة الملام
وولت غير كاسبة ثناءً ... فراراً لم تكرّ ولم تحامي
سوى عشر فحيّا الله عشراً ... تحامت من بني حام وسام
ولم يحضر من الأمراء إلاّ ... شهاب الدين محمود المقام

ونـور الـدين والبـدر المرجّى ... ليوث الحـرب في يوم الصدام
وخيلهـم الى مئـة وعشر ... وهـم ما بـين رمّـاح ورامي
فماذا تصنعـون اذا ألمّت ... جنـود الملك في يمـن وشام
ولاحـت راية المسعـود فيها ... كلائحـة على أرجـاء طام
هنـالك تندمـون ولا محيص ... إذا حُـمَّ القضـاءُ لدى الحمام
فان تقبـل نصيحـة ذي وداد ... فان النصـح من شيم الكرام
أتيتـم طائعـين الى مليك ... شريف النفس ذي منـن جسام
فتـى هزّت بنـو أيوب منه[1] ... حسـامُ مضًى يفـلُّ شَبـا الحسام
وقُلـدت الأُمـور اليه لما ... غدا لا بالـدَّدان ولا الكهام
وقالـت عنـد ذلك قول فذّ ... أديب شاعـر حسـن النظام
فأعـط القـوس باريهـا ودعها ... فقـد أودعتهـا في كف رام
فذبٌّ برأيه والسيف عنهم ... وقـام بملكهـم أوفى قيام

فأجابه عز الدين محمد بن الإمام المنصور عبد الله بن حمزة بن سليمان ابن حمزة يقول :

أمـن برق تألـق بابتسام ... أرقـت ولـم تذق طعـم المنام
لذكر الوصـل أو لفـراق غيد ... تضيءُ وجوهـا جنـح الظلام
رعـى الله الـديار وساكنيها ... وروّى ربعهـا صوب الغمام
فلا تعجـب لتـذكاري فاني ... ذكرت منـازل الحـي الكرام
واعجـب من تذكر وصـل هند ... كتـاب جاءَنـا من ملك نام
سليلهـم المتـوّج أرضعوه ... لبـان المجـد من قبـل الفطام
وأودعـه السـلام فلا عدمنا ... أنامـل نمـت أزكى سلامي
ويخبـر عن طراد الخيل قولاً ... أحقّـاً ما يقـال من الكلام
بأن جموعنـا طارت شعاعاً ... وولّـت لم تكرّ ولـم تحامي

(١) في الأصل الخطي همه من غير نقط ولعله منه ١ هـ مصحح

سوى عشرٍ أغارت غير نُكرٍ ... فعادت جنَّحاً مثل السهام
ولو كان الأمير النَّدب فيها ... عماد الدين محمود المقام
لزارت بيتنا عُصبٌ عِصابٌ ... بكل مهنَّد عضبٍ حسام
ولكن عاقه الرحمن عنا ... فلم يحضر ويوم الروع حام
وكيف تعدُّ هذا القول نصحاً ... وقد صدعت له صمُّ السِّلام
فواعجباً تدافع عن حمانا ... وتنسُبنا الى فعل اللئام
فليس لنطح صخرتهم سوانا ... بني حسن فكُفَّ عن الكلام
وإن كانوا لعمر أبيك أُسداً ... يشبُّ لدى الوقائع بالضرام

وقال السلطان مدرك بن حاتم بن بشر بن حاتم على لسان الأمير بدر الدين حسن بن عليّ بن رسول ونور الدين عمر بن عليّ بن رسول وأرسلا بها الى الديار المصرية .

سلا ذات سمط الدر والمارن الاقنى ... لدى عَصرِمن أصدق الضرب والطعنا
ومن شهدت صنعاء لولا بلاؤه ... لما فارقت رعباً ولا وافقت أمنا
وقد كانت البيض الخرائد خيفة السبا ... من اعادينا أساءَ بنا الظنا
فلما تدانى الفيلقان عشيَّة ... غدا الهام فيها منهم والظبا منا
ورُحنا الى قصر القليس نصافح ... الكؤوس يُغنّينا[1] النديم الذي غنّى
وخيل غشتْنا[2] بالأسنة بعد ما ... تكدَّسن من هنّا علينا ومن هنَّا
ضرُبْن الينا بالسِّياط جهالة ... فلما تعارفنا ضرُبْن بها عنا
وشيمتنا وصلُ[3] السيوف بخطْونا ... إذا قصرت حتى تبيد العدى طحنا
ونحن متى شئنا دسرنا عدوَّنا ... ولا نحتقد حقداً دفيناً ولا ضغنا

---

(١) في الأصل الخطي (ولعسا) من غير تتميم النقط ولعله يُغنّيا ١ هـ مصحح
(٢) في الأصل الخطي (حسوبا الأسنة) ولعله غشتنا بالأسة يعني أتتـا والمراد بالخيل هنا المعنى الحقيقي ١ هـ مصحح .
(٣) في الأصل الخطي (وهل) ولعله وصل يعني ان سيوفهم اذا قصرت عضدوها بكرّهم ١ هـ مصحح

فلا زالت الأخبار منكم تسرُّنا   كما سرَّكم في مصر مخبركم عنا

فلما اتصل علم هذه الواقعة بالملك المسعود وبني أيوب الى الديار المصرية رجع الملك المسعود سريعاً الى اليمن ولم يستقر له قرار هنالك فكان دخوله حصن تعزَّ يوم الاثنين السابع عشر من شهر صفر من سنة أربع وعشرين وستمئة . فأقام فيها بقيّة صفر وشهر ربيع الأول والثاني وجُمادى الأُولى والأُخرى وأياماً من رجب . ثم تقدَّم الى الجند . فلما كان اليوم الخامس عشر من شهر رجب وثب الملك المسعود على بني رسول فقبض بدر الدين حسن بن عليّ وفخر الدين أبا بكر بن عليّ وشرف الدين موسى ابن عليّ فقيدهم وأودعهم السجن .

قال صاحب العقد[٢] : واشتد خوف بني أيوب على ملك اليمن من بني رسول ولم يخافوا أحداً من العرب ولا من الغُز كخوفهم منهم . وذلك لما شاهدوه فيهم من الشجاعة والإقدام وعلو الهمة وبُعد الصيت وحسن السياسة وتمام مكارم الأخلاق واحتياز السيادة وابتناء المجد . واكتساب الحمد . ولأجل ذلك تمَّ عليهم منهم ما كان الكسر فيه مجبوراً والخصم فيه مقهوراً . وكان أمراً مقدوراً . ويُقال إنه قبض نور الدين أيضاً . فلما صاروا جميعاً تحت الاعتقال أطلقه من يومه واستخلصه وكان يأنس به كثيراً ولذلك استنابه في سفرته الأُولى وفي الثانية وجعله أتابك عسكره وبعث باخوته مقيدين الى عدن ثم أرسل بهم في البحر إلى الديار المصرية تحت الحفظ والاعتقال . وكان نور الدين في غاية من العقل والدهاء والجود والكرم وشرف النفس وحسن السياسة وكمال الرياسة . فقلده المسعود أُموره كلها . وطلع الى حقل يحصُب فأخذ بلد بني سيف وذلك في ذي الحجة من سنة أربع وعشرين فأقام في الحقل نحواً من ثلاثة أشهر : ثم عاد الى حصن تعزَّ فأقام فيه مدة . ثم عزم على العود الى الديار المصرية . فتجهز لذلك ونزل الى محروسة زبيد ثم خرج منها متوجهاً الى الشام في شهر ربيع الأول من سنة ست وعشرين وستمئة قاله الخاتميّ : وقال الجنديّ في سنة خمس وعشرين وستمئة انتهى .

---

(٢) هو الأمير بدر الدين محمد بن حاتم اليامي

وكان سبب عودته الى الديار المصرية أن عمَّه الملك المعظم عيسى ابن الملك العادل أبي بكر بن أيوب توفي إلى رحمة الله تعالى وكان يومئذ صاحب دمشق . فكتب اليه والده الملك الكامل السلطان يستدعيه اليه ليعطيه دمشق . ففرح فرحاً شديداً حتى أنه سافر وقد ابتدأ به المرض . فطلب أتابكه نور الدين عمر بن عليّ بن رسول وقال له : قد عزمت على السفر وقد جعلتك نائبي في اليمن فان مت فأنت أولى بملك اليمن من إخوتي لأنك خدمتني وعرفت منك النصيحة والاجتهاد وإن عشت فأنت على حالك وإياك أن تترك أحداً يدخل اليمن من أهلي ولو جاءك الملك الكامل والدي مطويّاً في كتاب . فاذا ألح عليك أعلمتني حتى أجتمع أنا وعمي الأشرفُ عليه ونحاربه ونُشغله . فقال له نور الدين : أخشى أن إخوتي يعارضوني . فقال له الملك المسعود : أنا أكْفيك أمرهم . فقيدهم حينئذ . وقيل إنه لم يقيدهم حتى أمر العسكر بالركوب . وخشي حدوث شيء منهم لميل أكثر العسكر اليهم .

وذكر أبو المظفر سبط بن الجوزيّ في كتابه « مرآة الزمان » أن الملك المسعود تجهز بجهاز عظيم لم يسبقه اليه ملك . من جملته ألف خصي وخمسمئة صندوق من فاخر الأقمشة والملبوس وثلاثمئة بهار من العود الرطب ومن العنبر الفاخر وأربعمئة سُرّية . ومن الجواهر واللآلىء والأحجار النفيسة ما لا ينحصر وسبعون ألف ثوب صيني معلم بالذهب ومن الصنائع ما لا ينحصر عدده . حتى قيل إن المراكب التي أقلت هذا سبعون مركباً . وذلك أنه صاح في البنادر : من أراد السفر الى الديار المصرية فليسافر مع الملك المسعود قبل سفره بمدَّة . فأقبلت التجار من كل ناحية بأنواع التجارات والبضائع فاجتمع بهم في ثغر عدن . وقال لهم بيعوني هذه البضائع التي عندكم لتسلموا من العشور . فباعوا عليه فأخذها منهم وكتب لهم بأثمانها الى اليمن وأحل لهم بحوالات الى كل ناحية . فصاحوا بالويل والثبور . فلم يلتفت إليهم ولم يحصل لأكثرهم شيءٌ . وعدد الجوزيّ الأصناف التي سافر بها وعظمها حتى أن السامع لا يكاد يصدق بها ولهذا تركت ذكرها . قال : وكان ظالماً شديد

الظلم سيءَ السيرة في رعيته سفاكاً للدماء حتى قيل إنه قتل في اليمن ثمانمئة شريف من أولاد الحسنين : هكذا ذكر في « مرآة الزمان » والعهدة عليه .

قال عليُّ بن الحسن الخزرجي : هذا شيءٌ لا يقبله العقل ولا يصدقه النقل : ولا يوجد في اليمن كله من أعيانِ الأشراف الحسنيين مئة رجل ولا ذكر هذا ولا ما يشابهه أحد من علماء التاريخ باليمن ، والله اعلم .

ولما سافر الملك المسعود من اليمن كما ذكرنا وصل الى مكة المشرفة وقد اشتد به الألم : فأقام في مكة أياماً الى أن توفي بها يوم الاثنين الرابع عشر من شهر جمادي الأولى من سنة ست وعشرين (وستمئة) : وقال الجندي توفي في مكة مسموماً في رجب وقيل في شعبان سنة ٦٣٥[١] : وقال ابن عبد المجيد : توفي الملك المسعود في شهر ربيع الأول من سنة ٦٢٦ وكذا قال الشريف ادريس . قال الحاتمي : وأوصي أن لا يهُلَّب[٢] عليه الخيل ولا تقلب السروج وأن يقبر بين الغرباء بمكة قال : ويروى أنه استوهب ثوبين برسم الكفن من بعض الناس : وكان عمره يوم توفي سبعاً وعشرين سنة . والله اعلم .

وكان قد حمل معه جميع خراج ملك اليمن من البيضاء والصفراء والجواهر الغالية والطرف والغلمان والجواري فتقدم مملوكه الأمير حسام الدين لؤلؤ بأولاد سيده وحاشيته وأمواله وحشمه وآلته كلها الى مصر . وكان قد جعل في صنعاء الأمير نجم الدين أحمد بن أبي زكريٍّ واستناب الأمير نور الدين عمر بن علي بن رسولٍ على اليمن كله سهله ووعره برّه وبحره وكان ذلك ما أراده الله تعالى وقدَّرهُ من اظهار كلمة الملك الرسولي وتمكين بسطته ونشر جناح عدله على الخلق ونفاذ صولته وتقليص ظل الملك الأيوبي وزوال دولته .

وفي هذه السنة المذكورة سنة ست وعشرين وستمئة توفي القاضي سري الدين ابراهيم بن أبي بكر بن علي بن معاذ بن مبارك بن تبع بن يوسف بن فضل العرشاني

---

(١) خمس وعشرين وستمئة

(٢) تهليب الخيل : نتف شعرها .

يجتمع مع الحافظ في تبع بن يوسف وكان فقيهاً فاضلاً أُصوليّاً وله مصنفات في الأُصول على مذهب الامام أبي الحسن الأشعري وكان قاضياً بصنعاء . وفي أيامه بنى الأمير وردسار المنارتين بجامع صنعاء وأصلح وبنى الجبانة ايضاً . وهو الذي بنى المطاهير والبركة في جامع صنعاء ولم يكونا قبل ذلك . وكان أول عمارته لذلك في شعبان من سنة ست وستمئة . وكان أحد القضاة الأخيار .ذكر أولو المعرفة بأيامه ان سيرته كانت محمودة .

ويروى أنه اشترى ارضاً فيها شجر كرم ثم حضر عنده خصمان في حكومة بينهما فاتجه الحكم على أحدهما فحكم عليه الحاكم ثم ان المحكوم عليه وصل الى بيت القاضي ليلاً وناداه فأجابه . فقال يا سيدنا أنا فلان ومعي شريم من صفته كذا وكذا وها أنا متقدم الى حظيرتك لأقطعها بهذا الشريم مكافأة لحكمك عليّ فاستوقفه القاضي ثم خرج اليه ولاطفه وربما غرم له ما حكم به عليه . فلما أصبح سعى في بيع الأرض التي له وقال لا يصلح لحاكم مزرعة . وكانت وفاته على القضاء في سنة ست وعشرين (وستمئة) المذكورة . رحمه الله تعالى .



الباب الثاني

في ذكر قيام الدولة المنصورية وأسبابها

قال علي بن الحسن الخزرجي:وقد ذكرنا في السابق ما كان من قضاء الله وقدره في اختيار الملك المسعود لمولانا الملك المنصور عمر بن علي بن رسول نائباً له على اليمن كله سهله ووعره بره وبحره وانفراده بالأمر دون سائر الأمراء المصرية وخلو اليمن من بقية بني أبيه وما جبله الله عليه من حسن السيرة وصلاح السريرة ومحبة الناس له وانقيادهم لأمره طوعاً وكرهاً . وكان مع هذا حازماً عازماً سريع النهضة حسن السيرة ثاقب الرأي عاقلاً وديعاً . وكان من ولائه السلطنة في اليمن على بشارات وإشارات . فمن ذلك ما يروى عنه أنه قال : أمسيت ليلة من الليالي مهموماً لعارض لي . فلما أخذت مضجعي ومضى نحو من شطر الليل سمعت دوياً في الهواء فرفعت رأسي وإذا عفريت يهرب من الشواظ حتى حط نفسه عندي وهو يلهث وكأنه معصرة من عظمه . فقمت من مضجعي فأخذت إداوة الماء فسكبتها في فيه . فلما اطمأن وزال عنه روعه قال أسفر وأبشر يا أبا الخطاب . بالملك من غدن الى عيذاب . ثم ذهب عني .

ويروى أن ثلاثة أقوام من الصالحين وصلوا اليه . فقال الأول : ألسلام عليك يا أتابك . فقال له : هو أخي وعليكم السلام ورحمة الله . فقال الثاني : أنت الأتابك وغير ذلك فقال : وما غير ذلك . فقال الثالث : سلطان اليمن وملكها من ذريتك الى آخر الزمان .

وقال صاحب السيرة المظفرية : أخبرني الشيخ الصالح سليمان بن منصور بن

حريبة قال : لما وصل الملك المسعود من الديار المصرية وعبر طريق خبت القحرية كان على قارعة الطريق شيخان من المشائخ الصالحين أحدهما المغيث والأخر الهدس فقال أحدهما : هل ترى ما أرى . فقال له صاحبه : وما ترى قال : أرى شخصاً إن سار سار العسكر جميعه وإن وقف وقف العسكر جميعه فقال له صاحبه : لعل ذلك المسعود فقال له : لا بل هو الملك المسعود عمر بن علي بن رسول والملك في عقبة إلى آخر الدهر.قال صاحب السيرة : وسمعت الحكاية بعينها من جدّي رحمه الله .

ويروى أن رجلاً كان على جبل الموسم وهو جبل صغير منفرد في خبت العسلقية من نواحي سهام . وكان الرجل يحرس شجراً من العطب له هنالك بالليل . وقد أقبل الملك المسعود في عسكره وطبلخانته . فسمع الرجل لجب الطبلخانة والعسكر . فقعد متعجباً . فسمع قائلاً يقول وهو قريب من الجبل :

أقبل مثل السهم يزجيه الوترْ   ليس له من ملكه سوى السفرْ

هيهات في الأيام طيات أخر

قال : فقصدت موضع الصوت فلم أر شيئاً ولا وجدت احداً فعلمت أنه من الجن وعلمت أن ملك الملك المسعود لسواه .

ويحكى أن الشيخ الصالح محمد بن أبي بكر الحكمي صاحب عواجة رأى راية الملك المسعود يوم وصوله من مصر فقال : هذه اخر راية تصل من مصر الى اليمن .

فصل

ولما توفي الملك المسعود في التاريخ المذكور ووصل علم موته الى اليمن قام السلطان نور الدين قياماً كلياً واضمر الاستقلال بالملك واظهر أنه نائب للمسعود : ولم يغير سكةً ولا خطبةً : وجعل يولي في الحصون والمدن من يرتضيه ويثق به ويعزلُ من يخشى منه خلافاً ، ومن ظهر منه عصيان او خلافٌ عمل في قتله وأسره .

وكان السلطان نور الدين من أهل العزم والحزم جواداً كريماً سريع النهضه

وكان محراباً لا يسأم الحرب . وكان صاحب حلم ودهاء وكان يومئذ مقيماً بزبيدٍ يتولى على البلاد التهامية . وقرر قواعدهُ وسار من محروسة زبيد قاصداً تعزَّ في شوال من سنة ست وعشرين وستمئة. فحطَّ على حصن تعزَّ وحصرهُ حصراً شديداً وضيق على أهله حتى أجهدهم حتى قيل انهمُ ابتاعوا من الحنطة فقط بثلاثين ألف دينار ملكية .

وفي سنة ٦٣٧ تسلم حصن التعكر وحصن خدد وتسلم صنعاء واعمالها . وأقطعها ابن اخيه أسد الدين محمد بن الأمير بدر الدين الحسن بن علي بن رسولٍ . فطلع الأمير نجمُ الدين احمد بن أبي زكريّ حصن براشٍ خائفاً من الملك المنصور .

وفي سنة ٦٣٨ تسلم حصن حبٍّ وبيت عزٍّ وحطَّ على حصن تعزَّ مرةً ثانية فاخذهُ صلحاً على يد القاضي المكين . وتزوّج بنت جوزة وكان زمامها الطواشي نظام الدّين مختصٌّ وكان لبيباً عاقلاً كاملاً في خدمة الملوك .

ثم طلع الى صنعاء فحطَّ على براشٍ وفيه الأميرُ نجم الدين احمد بن أبي زكريّ وذلك في شهر رمضان من السنة المذكورة . وفي خلال ذلك وصل اليه الأشراف الى حصن ذمرمر وهم الأمير عماد الدين يحيى بن حمزة وأولاده والأمير شمس الدين أحمد بن الإمام وجميع إخوته ووهَّاس بن أبي قاسم فتحالفوا وتعاضدوا وعقدوا بينهم صلحاً عامّاً وقالوا له : يا مولانا نور الدين تسلطن في اليمن ونحن نخدمك ونبايعك على أن بني أيوب لا يدخلون اليمن فتبايعوا على ذلك وأشاروا على السلطان بعمارة البِرْك وأشار نور الدين على الأشراف بعمارة حصن مُدَّع وتم الصلح بينهم على أحسن الوجوه ولم يجر بينهم قتال إلى أيام الإمام أحمد بن الحسين في سنة ٦٤٦ إلاّ مرة واحدة وسأذكر سبب ذلك في موضعه من الكتاب . فلما انتظم عقد الصلح وصلهم السلطان نور الدين بمال جزيل وخلع سنية وأقرَّهم على بلادهم فلما افترقوا على الصلح والسدأد اضطرب حال الأمير نجم الدين أحمد بن أبي زكريّ وعلم حينئذ أن أسبابه انقطعت فراسل السلطان نور الدين في معنى الصلح . ونزل الأمير نجم الدين من الحصن الى لقاء السلطان فترجل بين يديه وحمل الغاشية . فخلع عليه السلطان خلعاً سنية وأنعم عليه إنعاماً تامّاً وعقد له بكريمته ونزل صحبته الى اليمن

ونزل أيضاً الأمير أسد الدين محمد بن الحسن بن عليّ بن رسول في صحبته أيضاً فلما استقر السلطان في دار ملكه رجع الأمير أسد الدين الى صنعاء .

وفي هذه السنة توفي الإمام العلامة أبو العتيق أبو بكر بن الشيخ يحيى بن اسحق بن علي بن اسحق العياني ثم السكسكي نسبة الى عُيانة بضم العين المهملة وفتح المثناة من تحتها وبعد الألف نون مفتوحة وآخر الاسم هاءُ تأنيث وهي قرية معروفة . وكان والده الشيخ يحيى من أعيان اهل اليمن في الصلاح والجود والثروة وفعل الخير وكثرة الحج .

ولما علم به صاحب بغداد وتحقق حسن سيرته كتب له مسامحة في أرضه وأن تبقي على ذريته ما بقي منهم انسان . قال الجندي وهي بأيدي ذريته الى الآن يجرون عليها وذريته أكمل أهل وقتنا في فعل المعروف وإطعام الطعام . وكان كثير الزيارة لفقهاء ذي اشرف فلما سمعهم يثنون على الفقيه ابراهيم حديث بجودة الفقه والدين سأله ان ينتقل معه الى جبا ليقرئ ابنه أبا بكر المذكور وغيره فأجاب الى ذلك وسار معه فتفقه به أبو بكر المذكور . وأخذ عن الامام سيف السنة عدة من كتب الحديث وكان ممن حضر السماع لصحيح مسلم عليه في مدينة الجند .

وحج مكة سنة ثمانين وخمسمئة فلما رجع الى مدينة زبيد اخذ بها عن الفقيه عباس بن محمد الآتي ذكره إن شاء الله تعالى . وكان فقيهاً محققاً مدققاً ذا صلاح مشهور وعلم مذكور فقصده الطلبة من انحاء اليمن رغبة في علمه وانسانيته . وممن أخذ عنه ولده يحيى وأخوه محمد ومن المشرق احمد بن محمد بن منصور الجنيد وعثمان ابن اسعد الشعبي وطائفة من فقهاء الجبال ومن فقهاء تهامة ابراهيم بن علي بن عجيل وعلي بن قاسم الحكمي وعلي بن مسعود الكُتُبي من أهل المخلافة وغيرهم . وهم أكثر فقهاء الجبال اصحاباً . قال الجندي واخبرني الثقة انه حج سنة ولم يستطع الزيارة الى المدينة فقلق لذلك قلقاً شديداً فرأى النبي صلى الله عليه وسلم في المنام يقول له يا أبا بكر لما لم تزرنا زرناك فقال بكرمك يا رسول الله فعلت ذلك لي فادع لي

(١) من أهل الخلافة .

فدعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فقال ولاخوتي . ولاولادي . وأولاد أولادي حتى عَـدّ سبعة بطون والنبي صلى الله عليه وسلم يدعو لكل بطن عند ذكره فهم يرون الخير والبركة فيهم بدعاء النبي صلى الله عليه وسلم .

وفي سنة تسع وعشرين (وستمئة) طلع السلطان نور الدين الى صنعاء مرة ثانية وتسلم حصن بكر وكوكبان وحصن براش . وبعث الى مكة المشرفة أميراً يقال له ابن عبدان مع الشريف راجح بن قتاد وبعث معهما خزانة كبيرة . وهو أوّل جيش جهزه الى الحجاز . فنزلوا الأبطح وحاصروا الأمير الذي فيها من قبل الملك الكامل وكان يسمى طغتكين وكان معه مـئتا فارس . فأنفق الطغتكين في أهل مكة نفقـة جيدة وحلفهم وتوثّق منهم . فراسلهم الشريف راجح بن قتادة وذكرهم إحسـان السلطان نور الدين أيام كان أميراً على مكة من قبل الملك المسعود . وكانت ولاية السلطان نور الدين في مكة سنة ٦١٧ وفي السنة المذكورة كانت ولادة السلطان الملك المظفر في مكة المشرفة .

فلما راسلهم الشريف كما ذكرنـا مال رؤساؤهـم الى جيش المنصـور فأحس بذلك الطغتكين فخاف على نفسه فخرج هارباً في من معه إلى ينبع . وكان في ينبع رتبة الملك الكامل وزردخانة وغلة . فأقاموا هنالك وأرسلوا الى الملك الكامل رسولا الى مصر وأخبروه بوصول عسكر صاحب اليمن وما كان من أهـل مكة . فجهـز الملك الكامل عسكراً كثيفاً وقدّم عليهم الأمير فخر الدين بن شيخ الشيوخ . فأرسل الى الشريف شيخه أمير المدينة وإلى الشريف أبي سعد أن يكونا معه . وكانا في خدمة الملك الكامل فوصلوا الى مكة وحاصروا ابن عبدان والشريف راجحاً وقاتلوهم فقتل ابن عبدان وانكسر أهل مكة وقتل منهم مقتلة عظيمة . وأظهر الطغتـكين حقـده عليهم ونهب مكة ثلاثة أيام وأخاف أهلها خوفاً شديداً . فلما علم الملك الكامل بما فعل غضب عليه وعزله واستدعاه إلى مصر وأرسل الى مكة أميراً غيره يقـال ابـن مجليّ . فوصل الى مكة في سنة ثلاثين وستمئة .

وفي هـذه السنـة تـوفي الفقيه يحيى بـن الفقيه فضـل بـن اسـعـد بن حمير ابن أبي سالـم المليكي . وكان مولده سنة ستين وخمسمئة . وتفقه بعبد الله بن سالـم الأصبحي وتزوج ابنته منيرة ولهُ منها أولاد معروفون تفقه منهم جماعة ومسكنهم قرية الملحمة ولهم فيها مسجد ينسب اليهم وهو شرقيها يعرف بالمسجد الأعلى . (وكانت) قراءته البيان على سليمان بن فتح . وكانت وفاته في القرية المذكورة ليلة الخميس ثالث عشر شهر ربيع الأول من السنة المذكورة والله اعلم .

وفي سنة ثلاثين وستمئة أمر السلطان نور الدين بضرب السكة على اسمه وأمر الخطباء ان يخطبوا له في سائر أقطار اليمن . وإلى هذا أشار الحارث الرائش بقوله الذي تقدم ذكره حيث يقول :

وتظهر راية المنصور فيهم على خاءٍ مخففة ولام

وقد ذكرنا ذلك في الباب الأول وبالله التوفيق .

وفي هذه السنة توفي الامام العلامة ابو عبد الله محمد بن علي بن الحسن بن علي بن أبي على القلْعي بفتح القاف وسكون اللام نسبة الى قلعة حلب بالشام وقيل نسبة الى قلعة بلدة بالمغرب هذا قول الجندي . وقال الأسنوي في طبقاته انه منسوب الى قلعة بينها وبين زبيد نحو يوم ولم يذكر الأسنوي اسم هذه القلعة التي نسبه اليها ولا في أي ناحية هي من زبيد وهذا غلط من الأسنوي والله أعلم . وكان القلعي المذكور فقيهاً عالماً كبيراً عاملاً له مصنفات كثيرة مشهورة انتفع الناس بها . منها قواعد المهذب ومنها مستعذب ومنها إيضاح الغوامض في علم الفرائض مجلدان جيدان جمع فيه بين مذهب الشافعي وغيره وأورد فيه طرفاً من الجبر والمقابلة والوصايا . وله احتراز المهذب . وله لطائف الأنوار في فضل الصحابة الأبرار . وله كنز الحفاظ في غرائب الألفاظ يعني ألفاظ المهذب . وله تهذيب الرياسة في ترتيب السياسة . وله كتاب احكام القضاة . وله غير ذلك . وأكثر ما توجد مصنفاته في ظفار وحضرموت ونواحيها وعنه انتشر الفقه في تلك الناحية ولم ينتشر العلم عن أحد في تلك الناحية كما انتشر عنه . وأعيان فقهائها اصحابه وأصحاب اصحابه .

وحج من مرباط فأخذ عنه بمكة وزبيد وغيرهما من البلاد التي مر بها خلق كثير . وكانت وفاته بمرباط في السنة المذكورة وقبره هناك والله أعلم . وفيها توفي الفقيه سالم بن محمد بن سالم بن عبد الله بن خلف بن زيد بن أحمد بن محمد العامري وكان فقيهاً محدثاً غلب عليه الحديث . وكان زاهداً ورعاً تأتيه الناس من البعد للزيارة وقراءة العلم وانتفع بصحبته خلق كثير منهم الشيخ احمد بن الجعد وأبو شعبة وغيرهما . وكان من كرام الفقهاء شريف النفس عالي الهمة . ولم يزل على الطريق المرضية الى ان توفي في السنة المذكورة . وكان مولده في سنة سبعين وخمسمئة والله اعلم . وفيها توفي الفقيه الصالح عبد الله بن علي بن أبي عبد الله بن أبي القسم بن أسلم المرادي وكان فقيهاً عارفاً ورعاً مشهوراً . وكان اخوه ناجي بن علي فقيهاً غلبت عليه العبادة . وشهر بالصلاح وله كرامات كثيرة وكان كبير القدر شهير الذكر وروي أنه خرج لزيارة الشيخ عمران المسن[1] صاحب ذُبحَان فخرج بخروجه جماعة من أهل بلده على عزم السفر لزيارة الشيخ المذكور . فقال الفقيه ناجي ينبغي أن تجعلوا لكم رأساً تمتثلون قوله وتقبلون امره ولا تخالفونه فانه سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقالوا له يا فقيه أنت أولى من يلي أمرنا فقال قد رضيتم قالوا نعم فتوثق منهم . وساروا من قريتهم المعروفة بتيثد[2] من نواحي دلال فوصلوا الجند وصلوا في الجامع بها ثم خرجوا يريدون زيارة مسجد صَرَب[3] المشهور هنالك وهو خارج عن المدينة فلقيهم فقير فطلب مهم شيئاً فقال الفقيه للذي يحمل زادهم اعط هذا درهماً فأعطاه فرضي بذلك بعضهم ولم يرض آخرون ففهم الفقيه ذلك منهم فلما رجعوا الى المسجد وصلّوا فيه العصر جاءَهم فقير عليه مدرعة صوف وصافحهم ثم صافح الفقيه وقبل يده ونزل فيها عشرة دراهم فالتفت الفقيه الى أصحابه وقال هذه حسنتكم قد عجلت لكم لما تغيرت نياتكم . ثم سلم الفقيه الدراهم الى

---

(١) هو في الأصل من غير نقط وقد اصلحناه

(٢) تتييثد بتاء مثناة من فوق وياء مثناة من تحت ثم ثاء مثلثة ثم دال بلدة في دلال ثم من جبل بعد ان جبل في نفس مدينة الجند

(٣) صرَب بالتحريك : جبل في مدينة الجند نفسها .

صاحب الزاد فعلموا أن الفقيه قد اطلع على ضمائرهم فاستغفروا الله تعالى عن ذلك وسألوا الفقيه التجاوز عنهم . ومن غريب ما جرى له انه قرب يوماً طعاماً لأصحاب له ليأكلوا فجاءَهم هِرٌّ فجعل يتدعك بأرجِل الجماعة فضربه بسواك كان عنده فوثب الهر عنهم وقال أنا أبو الربيع فتبسم الفقيه وقال ولا تنفذ علي فما عرفت ان اسمك سليمان . توفي بين المدينتين[٣] في قاع البزواء ليس له تاريخ محققْ . وفيها توفي الفقيه العالم أبو العباس احمد بن الفقيه مقبل بن عثمان بن مقبل بن عثمان بن أسعد العُلي بضم العين وفتح اللام نسبة الى جد له اسمه عُلة . وكان ميلاده بذي اشرق سنة ست وخمسين وخمسمئة ثم انتقل الى موضع يسمى عَرج بفتح العين والراء المهملتين وبعدهما جيم . وهو أول من سكن قريته وكان تفقّه بالإمام سيف السنة وبالفقيه زيد بن عبد الله الزبراني وغيرهما . وكان حافظاً محققاً فقيهاً مدققاً صنف كتاباً يسمى الجامع يدل على جودة علمه وكتاباً في أصول الفقه سماه الايضاح وله شرح المشكل في غريب اللمع . وهو احد الفقهاء الذين كثرت ذراريهم وانتفع الناس بهم وعنه اخذ عمر بن الحداد والشكل[١] وابناه محمد وأبو بكر وامتحن بقضاء عدن وعاد الى بلده فتوفي بها في شعبان من السنة المذكورة والله اعلم .

وفي سنة ٦٣١ جهز السلطان نور الدين خزانة عظيمة الى الشريف راجح بن قتادة وعسكراً جراراً . فنهض الشريف راجح في العسكر المنصوري واخرجوا العسكر المصريَّ من مكة . وفيها أرسل السلطان نور الدين هدية عظيمة الى الخليفة ببغداد . وكان الخليفة يومئذ المستنصر بن الظاهر العباسي وهو والد المستعصم بالله . وطلب منه تشريفة السلطنة . وكان التقليد بالنيابة كما جرت عوائد الملوك . فعاد الجواب بأن التشريفة تصلك الى عرفة . فخرج من اليمن يريد الحج . فحج على النجب حجة هنيئة . وهرب منهُ الشريف راجح بن قتادة ولم يحج معه . فضاق صدره . فلما قضى نسكه ورجع الى اليمن رجع الشريف الى مكة .

(٣) المدينتان . مكة والمدينة المنورة

(١) كذا في الأصل من عير نقط تحت الياء

وكان الخليفة قد أرسل بالتشريفة والتقليد اليه صبحة الحاج من العراق فبلغ حاجُّ العراق الى نصف الطريق فقطعت العرب عليهم الطريق ودفنوا المناهل : فاعتاق الحاجُّ في الطريق الى أن فاتهم الحجُّ فرجعوا الى بغداد : ولم يصل منهم في ذلك العام أحدٌ .

وفي سنة ٦٣٢ وصلت كسوة الكعبة من بغداد : ومعها رسولٌ من الخليفة المستنصر الى السلطان نور الدين : فعلق الكسوة ودخل اليمن الى السلطان نور الدين : واعلمه ان التشريفة والتقليد يصلانه في البحر على طريق البصرة : فوصلت التشريفة ووصل التقليد بالنيابة في السنة المذكورة : وكان رسول الخليفة الى السلطان نور الدين بالتشريفة والتقليد رجلاً يسمى معالي وكان السلطان نور الدين يومئذ في الجند : فارتقى الرسول على المنبر وقال : يا نور الدين ان العز يقرئك السلام ويقول : قد تصدقت عليك باليمن ووليتك اياه . والبسهُ الخلعة الشريفة الخليفية على المنبر .

وفي هذه السنة (٦٣٢) ارسل السلطان نور الدين الى مكة المشرَّفة بقناديل من ذهب وفضة للكعبة المعظمة . وأرسل بخزانة كبيرة على يد ابن النصري الى الشريف راجح بن قتادة وأمر باستخدام الخيل والرجل واعلم أنَّ عسكراً واصلاً من مصر الى مكة . فلما وصل ابن البصري مكة وعلَّق القناديل وصلَ العسكر المصريُّ الى مكة قبل ان يستخدم الشريف أحداً فخرج الشريف راجح وابن النصري الى اليمن . وكان العسكر المصري خمسمئة فارس فيه خمسة أمراء يقال لأحدهم وجه السبعُ . والثاني البندقي . والثالث ابن أبي زكريٍّ . والرَّابع ابن برطاس . والخامس المقدَّم الكبير وهو أمير يقال له جبرئيل . فدخلوا مكة وأقاموا بها . وفي سنة ٦٣٣ جهز السلطان نور الدين عسكراً من اليمن وقدم عليهم الأمير شهاب الدين بن عبدان . وبعث بخزانة الى الشريف راجح بن قتادة وأمره ان يستخدم العسكر ففعل . فلما صاروا قريباً من مكة خرج اليهم العسكر المصري فالتقوا في موضع يقال له الخريفين بين مكة والسرِّين فانهزمت العرب وأسر الأمير شهاب الدين

بن عبدان فقيَّده الأمير جبرئيل وأرسل به الى مصر .

وفي هذه السنة توفي الفقيه احمد بن الفقيه ابراهيم بن أبي عمران وكان ميلاده يوم الخميس السابع عشر من شهر شعبان من سنة سبع وخمسين وخمسمئة وكان تفقّه بالامام سيف السنة .

ويروى انه لزم مجلسه احدى عشرة سنة . وانه أقام في جامع اب لم يخرج منه الا في قُبران صاحبٍ يعز عليه . وبعد ذلك كان يختلف الى بلده في قليل من الأوقات . فاخذ عن سيف السنة الفقه ، والنحو واللغة . والحديث . والأصول . وحاكاه في أموره كلها حتى في الخطومات وهو ابن تسع وعشرين سنة[1].

فقال في ذلك شعراً :

ولما مضت تسع وعشرون حجةً ... من العمر عرتني وعرت الى الصبا
وانذرني شيبي بحتفي معجلاً ... فقلت له اهلاً وسهلاً ومرحبا
وسمعاً لداعي الحق منك وطاعةً ... وان كنتُ بطالاً وان كنتُ مذنبا

وهي أطول مما ذكرت ونسخ بيده كتباً كثيرة . وكتب على كل منها أبياتاً من قوله يقول فيها :

وقف حرامٌ وحبس دائم الأبد ... بقاء رجاً ثواب الواحد الصمد
على الحنابلة المشهور مذهبهم ... من آل بيت أبي عمران ذي الرشد
لا حظّ فيه لبدعيّ يخالفني ... او كان معتقداً ضداً لمعتقدي

وكان السلطان نور الدين يحبه ويعتقده . ولمابنىمدرسته التي بدرجة المغربة المعروفة بالوزيرية لم يزل يتلطف به ويرسل اليه حتى نزل من بلده وقعد في المدرسة ودرس بها . ثم قال له السلطان نور الدين رحمة الله عليه اني أحب ان أكون اقرأ عليك ونزولي في كل يوم الى المدرسة يشق علي وعليك وعلى الناس . فان رأيت أن يأتيك الركبدار في كل يوم ببغلة[2] تركبها وتطلع الينا الحصن . فاقرأ عليك في خلوة

---

(١) الأمر مشكل حيث قال ان ميلاده السابع من شهر شعبان من سنة تسع وخمسين وخمسمئة ووفاته سنة ٦٣٢ اثنين وثلاثين وستمئة وعمره تسع وعشرون فليرجع الى تاريخ الجندي او الى غيره لأن عمره سيكون ٧٦ سنة .

(٢) كل يوم ببغلة . كذا عبارة الجندي .

فافعل . فاستعفاه من ركوب البغلة . وقال أنا أطلع كل يوم بدرسيّ من أصحابي يؤنسني . فكان يطلع الحصن كل يوم ويطلع معه درسي من أصحابه . فاذا وصل الى باب السادة وقف الدرسي ويدخل الفقيه من غير إذن . فيقرأ عليه السلطان ما شاءَ الله . ثم يخرج الفقيه . فكان هذا دأبه . وكان السلطان رحمه الله إذا أراد ان ينزل من الحصن يأمر من يسبقه الى الفقيه يسأل منه أن يقف له على باب المدرسة . فاذا قابل السلطان ذلك الموضع طرح السلام . ثم رفع يده يشير الى الفقيه ان يدعو فيفهم الفقيه الاشارة فيدعو والسلطان واقف رافع يديه . فاذا مسح الفقيه وجهه مسح السلطان وجهه . ثم يتقدم السلطان حيث يريد . ولما دنت وفاته انتقل الى بلده فتوفي بها عند طلوع الفجر من يوم الجمعة لليلة او ليلتين من المحرم أول السنة المذكورة . وكان آخر ما فهم من كلامه لا اله إلاّ الله ولله الحمد وكان يقول من زمن متقدم : يوم الجمعة وليلتها عليّ ثقيلتان[1] ، ولعل موتي فيهما . وممن أخذ عنه القاضي محمد بن علي وسيأتي ذكره ان شاءَ الله تعالى . قال الجندي ومن أحسن ما رأيته معلقاً بخطه ، ما كتبه عقيب سماع البخاري اذ كتبه لقوم أجازهم :

فيا سامعاً ليس السماع بنافع اذا انت لم تعمل بما انت سامع
اذا كنت في الدنيا عن الخير زاهداً فما أنت في يوم القيامة صانع

وفيها توفي الفقيه الصالح عثمان بن محمد بن الفقيه فضل بن أسعد بن حمير بن جعفر المليكي الحميري . وكان فقيهاً فاضلاً صالحاً عالماً متأدباً له محفوظات جيدة ، وبديهة حسنة وكان حاضر الجواب . يحسن الإيراد نظماً ونثراً . توفي يوم الأحد لثلاث بقين من رمضان من السنة المذكورة . وكان ميلاده آخر نهار الجمعة سلخ شهر المحرم من سنة إحدى وخمسين وخمسمئة والله أعلم .

وفيها توفي القاضي ابو الحسن . علي بن عمر بن محمد بن علي بن أبي القسم الحميري . وكان ميلاده سنة اثنتين وسبعين وخمسمئة . وامتحن بقضاء إب فكان ذا سيرة مرضية . وكان زاهداً ورعاً ولو لم يكن من ورعه إلاّ امتناعه من قبض الرزق

---

(١) في الجندي ثقيلان

على القضاء في مدينة إب لكفى . ولما حضرته الوفاة اوصى ابنه الأكبر أن لا يتولى القضاء. وأوصى اهله ومن حضره بتقوى الله ولم يزل على القضاء المرضي الى أن توفي ليلة السبت لست خلون من جمادى الأولى من السنة المذكورة والله أعلم .

وفي سنة ٦٣٤ تسلم السلطان نور الدين حصون حجة والمخلافة ومخلافيهما وكان السبب ان الأمير تاج الدين محمد بن الأمير عماد الدين يحيى بن حمزة بن سليمان بن حمزة بن علي بن حمزة نزل الى السلطان نور الدين فأكرمه وانصفه واقطعه المحلاف[1] فطلع الى بلاده مسروراً فسوّلت له نفسه اخذ حصن كوكبان فعامل فيه ودخله أصحابه ولم يبق من أخذه شيء وكان في الحصن رتبة جيدة من الخيل والرجل وكان من عادتهم في كوكبان ان يتركوا عشراً من الخيل لابسة وخمسين راجلاً بسلاحهم استمراراً على الأبد . فلما طلع اصحاب الشريف خرجت عليهم الرتبة من الخيل ومن معها من الرجل فقلتوا منهم جماعة وطرح أكثرهم نفسه الى الحيد تردياً .

وكان الأمير يحيى بن حمزة قد عمر حُصن منابر . وهو في بلاد السلطان مما يلي تهامة يطل على المحالب والمهجم . فلما علم السلطان بما فعل الشريف وولده محمد بن يحيى غضب من ذلك غضباً شديداً . وكان مع السلطان يومئذ الأمير محمد بن حاتم العباسيّ صاحب حصن عزان المصانع . وكان عزيزاً كريماً عند السلطان . فلما رأى اهتمام السلطان بأخذ حصن منابر ، قال للسلطان : أنا أعطيك حصن عزان وأنا أعلم ان الشريف يحيى بن حمزة يرغب اليه ، ويسلم حصن منابر . فقال السلطان وأنا أزيده عشرة آلاف دينار . فأرسل السلطان وزيره وهو الشيخ ناجي بن أسعد الى الشريف يحيى بن حمزة وعرض عليه ذلك فلم يقبل وقال قد صرت شريكاً لكم في المهجم .

فعاد الوزير بغير شيء . فاشتد غضب السلطان لذلك وكتب الى الأمير شمس الدين أحمد بن الامام المنصور عبد الله بن حمزة متمثلاً بقول الأول :

---

(١) في العسجد : المحالب ، وهو الأصوب وكذا في قرة العيون ج ٢ ـ ٧ .

إذا لم يكن الا الأسنَّـة مركباً　　فلا رأيَ للمضْطـر إلا ركوبها

وكان الأمير شمس الدين أحمد بن الإمام متغيرّ الخاطر من عمه الأمير عماد الدين يحيى بن حمزة في نقضه الذمم والصلح الذي جرى في ذمرْمرَ ولم يمكنهُ التخلي من عمه . فخرج السلطان من محروسة زبيدٍ وقدَّم تجاههُ الأمير نجم الدين أحمد بن أبي زكريّ ولقيه المشائخ بنو بطينٍ وغيرهُم واستخدم السلطان العساكر وأنفق الخزائن وأتلف الأموال . فكانت الأكياس تصبُّ بين يديه صبّاً كما يُصبُّ أعدالُ الطعام : وسار نحو حجَّة والمخلافة في ستين الف راجل فاستولى على حجةوالمخلافة ومخلافيها[1] في يوم واحد اتفاقاً لم يتفق لأحد قبلهُ ولا بعدهُ . وانتجت هذه الفعلات على يحيى بن حمزة أخذ حصنِ منابر والحصون التي يجمع جميعها بقيمةٍ هنيئةٍ . ثم أخذ السلطان نور الدين جميع ما قد كان صالحهم عليه من البلاد العليا . وهي البونُ والاسنادُ[2] والخشبُ والخاردُ ومَطِرة . ولما رجع السلطان من سفره المذكور مؤيداً منصوراً وصل اليه الأمير جعفر بن أبي هاشم والشيخ حسام الدين حاتم بن علي الحيد من جهة الأشراف فأصلحوه على البلاد التي قد استفتحها لا معارض له فيها . وعاد الى تهامة . وكان السلطان نور الدين عند مسيرته الى حجة ومخلافة قد أمر الأمير أسد الدين محمد بن الحسن بالخروج لمنع الأمير شمس الدين أحمد بن عبد الله بن حمزة ان أراد نُصرة عمه . فخرج الأمير أسد الدين فحط بالجنات . وكان الأمير شمس الدين بالطرف وكان يومُ قارنْ وهو من مشاهير الأيام العظام .

ولما رجع السلطان نور الدين من غزوته الى المِخلافة قال الأديبُ جمال الدين محمد بن حمير :

هنئـت بالنصر لما جئـت في لجبٍ　　مظلـلاً بالـرُّدَيْنيات والقُضب

ومرحبـا يا رسـوليَّ الملـوكِ وإن　　غاب السّماكان والجـوزاءُ لم تغبِ

---

(١) في العسجد وقره العيون وحصونها وهو الأصوب

(٢) كذا في العقد الثمين ، وفي العسجد وقرة العيون ، والأحناد ، ولم اتحقق مكانه .

غزوت مبـين اذ هاجـت شقاشقها وفي الرُّدينـي ألفـافٌ من العرب
فاليوم قلْحـاحُ لا يرْغـو بهـا جملُ والذئـب لو نطحتْـه الشـاة لم يثِب
وهي قصيدة طويلةٌ

ثم ان الأمير عماد الدين يحيى بن حمزة وأولادهُ اعترفوا بالخطأ واعتـذروا الى مولانا السلطان نور الدين فأعادَ عليهم حجة والمخلافة وحصونهما . وهكذا شيم الملوك يأخذون قهراً ويعيدون عفواً :

وفي سنة ٦٣٥ خرج السلطان نفسه قاصداً مكة المشرفة في ألف فارس وأطلق لكل جندي يصل اليه من أهل مصر المقيمين في مكة ألف دينار وحصاناً وكسوة . ومال اليه كثير من الجند . ثم أمر الشريف راجح بن قتادة فواجههُ في أثناء الطريق . فحمل اليه النقارات والكوسات . واستخدم من أصحابه ثلاثمئة فارس . وكان يسايرُه على الساحل . ثم تقدم الى مكة : لما تحقق الأمير جبرئيل وصول الملك المنصور بنفسه واتتهُ عيونُه بصحة ذلك وقاربه الشريف راجحٌ أحرق ما كان معهُ من الحوائجْخانة والـفرشخانة والأثقال وتقدَّم نحو الديار المصرية . وكان السلطان يومئذ في السرَّين . فلم يشعر حتى جاءهُ نجَّاب من الشريف : فقال البشارة يا من لا يهزمهُ الأمير جبرئيل وأصحابُه : فقال له السلطان : من أين جئت فقال : من مكة . قال : ومتى خرجت قال : أمس العصر . فاستبعد السلطان ذلك فقال : ما أمارة ذلك . فقال هذا الكتاب من الشريف راجح . فعجب السلطان أشد العجب من مسيرهِ وأمر الأمراء المماليك أن يرموا ما عليهم على البشير . فألقوا عليه من ذلك ما أثقلهُ . وسار السلطان من فوره الى مكة ودخلها معتمراً في سنة رجب ٦٣٥ .

قال صاحب العقد : أخبرني من أثق به أن مولانا السلطان نور الدين دخل مكة معتمراً ثماني سنين . وكل ذلك في غير أيام الحج .

ولما وصل الأمير جبرئيل الى المدينة مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم لقيه الخبر بوفاة السلطان الملك الكامل محمد بن أبي بكر بن أيوب صاحب الديار

المصري . فندم كل من كان معه من العسكر لما لم يميلوا الى الملك المنصور وكان الأمير جبرئيل أشجع أُمراء مصر . ولما دخل السلطان نور الدين مكة أنفق على عساكره وتصدق بأموال جزيلة . وجعل رتبة في مكة مئة وخمسين فارساً . وجعل عليهم ابن الوليديّ وابن التعزّي . فأقاموا في مكة . وفي هذه الوقعة يقول الأديب جمال الدين محمدُ بن حمير رحمة الله عليه :

ما ضرَّ جيران نجد حيثما بعدوا ... لو أنهم وجدوا لي مثل ما أجدُ
ومن أباح لأهل الدمنتين دمي ... ما فيه لا ديةٌ منهم ولا قودُ

وفيها يقول :

قل للقصائد حثي واذملي وخِدي ... مثل النجائب في القفر الذي اخذُ
قصّي الحديث عن المنصور ما فعلت ... جنوده وعن القوم الذي حشدوا
لقيتهم بجنود لا عديد لها ... وهم كذاك جنودٌ ما لها عددُ
فزلزل الرعبُ أيديهم وأرجلهم ... حتى السماء رأوها غير ما عهدوا
ولّوا وكان الذي يلقى بهم أسداً ... فعاد ثعلب[1] قفر ذلك الأسدُ
ومن يلوم أميراً فرَّ من ملك ... لا ذا كذاك ولا كالخنصر العضدُ

وفي هذه السنة توفي الفقيه الصالح محمد عمر بن موسى بن عبد الله الجبرتي بلداً القرشي نسباً . وكان فقيهاً كبير القدر شهير الذكر عالماً عاملاً . اخذ عن جماعة في مواضع شتى . وكان أخذه بعدن عن الفقيه ابراهيم القريظي ثم لما طلع الجبال اخذ عن جماعة . منهم عبد الله بن عبد الرحمن البريهي وغيره وكان صاحب كرامات ومكاشفات . درس في مسجد السنة مدة طويلة . فتفقه به جماعة من الأكابر ومن الأصاغر . ومن جملة من اخذ عنه من المشاهير عمر بن سعيد العقيبي وغيره . ولا يعرف له شيخ غيره في الفقه خاصة .

وحكى بعض تلامذته قال : كنت أتولى خدمة الفقيه محمد بن عمر فخرجنا معه يوماً الى الغيل لأغسل له ثيابه بحضرة . فبينا أنا وهو كذلك اذ اقبل فقيه من أهل

---

(١) وفي الأصل الخطي « يغلب » .

المشرق يقال له الخضر وهو يمشي حافياً ونعله في يده . فلما رآه الفقيه تبسم . وقال لي يا فقيه هذا فلان قد جاء يريد السلام عليّ . قلت فما حمله على المشي حافياً . قال كراهة ان يطأ على ما بناه فخر الدين بن رسول . وعن قريب يبني بنو رسول محلة ويقعد فيها مدرساً . ثم وصل الفقيه الخضر المذكور الى عند الفقيه محمد بن عمر المذكور . وتسالما مسالمة مرضية . ثم تباحثا ساعة في بعض مسائل الفقه . ثم توادعا وعاد الخضر في طريقه التي جاء منها . ثم لم تطل المدة حتى بنا بنو رسول المدارس وطلبوا الفقيه الخضر ورتبوه مدرساً في المدرسة الرابية . ثم ان الفقيه محمد ابن عمر انتقل من جبلة الى قرية من مسارقُ الجند. يقال لها الحمرا . فأقام فيها مدة ثم انتقل الى وادي عميد فسكن في قرية يقال لها الظفير . وكان كثير الاجتماع بابن ناصر والفقيه حسين العديني . والاقامة معهما بقرية الذنبتين . فتوفي بها في السنة المذكورة . وحضر الفقيه عمر بن سعيد دفنه في جماعة من أصحابه رحمه الله تعالى .

وفي سنة ٦٣٦ رجع السلطان نور الدين من مكة الى اليمن وأقام ابن الوليديّ وابن التعزّي في مكة كما ذكرنا حتى انقضت السنة المذكورة والله أعلم .

وفي سنة ٦٣٧ وصل الأمير شيخة صاحب المدينة الى مكة المشرفة في ألف فارس . وخرج عسكر السلطان نور الدين من مكة وأخلوها له . وفي هذه السنة تسلم السلطان نور الدين حصن الكميم وطلع صنعاء مرةً ثانية . فأتاه خبر قتل الأمير نجم الدين أحمد بن أبي زكريٍّ . وأتاه الخبر بهزيمة العسكر من مكة .

قال صاحب العقد الثمين : حدثني من أثق به ممن شاهد الحال قال ما رأيت اربط جأشاً ولا أطلق وجهاً من السلطان نور الدين وقد أقبل اليه العسكران مغلوبين مهزومين فلم يتلعثم ولم يتوقف في خبر كسرهم واصلاح أمورهم بالخيل والعدد والملابس والنفقات حتى عادوا أحسن حالاً وأجمل قشرة مما كانوا عليه .

ثم ان السلطان نور الدين رحمة الله عليه جهز ابن النصري والشريف راجح الى مكة في عسكر جرَّارٍ . فلما سمع بهم الشريف شجة وأصحابه خرجوا من مكة هاربين . فتقدم شجة الى مصر . وكان سلطانها يومئذ الملك الصالح نجم الدين

أيوب بن الملك الكامل . فجهز معه عسكراً فيهم علم الدين الكبير وعلم الدين الصغير .

وفي سنة ٦٣٨ وصلت العساكر المصرية الى مكة المشرفة فأخذوها وحجوا بالناس .

وفي هذه السنة توفي الفقيه الصالح أبو محمد الحسن بن راشد بن سّالم بن راشد بن حسن . وكان فقيهاً كبيراً وإماماً جليلاً . تفقه بمحمد بن أحمد بن جديل بسهفنة . ودرس بالمصنعة مدة . فتفقه به خلق كثير منهم القاضي بهاءُ الدين محمد بن سعيد وإخوته وابن عمهم قاضي القضاة محمد بن ابي بكر . وعنه اخذ الخطيب علي بن عمر العبيدي وأبو بكر بن ناصر . وكان وفاته في سلخ جمادى الأولى من السنة المذكورة . وتوفي الفقيه الصالح الفاضل عبد الله بن أحمد بن أبي القسم بن أحمد بن أسعد الخطابي . وكان فقيهاً ماهراً معاصراً لعلي بن الحسن الأصابي . وتفقه بمحمد بن مضمون ومحمد بن أحمد بن جديل . وامتحن بقضاء السَّحول والمشيرق ووحاظة . وكان يسكن قرية الجعامي التي كان يسكنها الإمام زيد الفأيشي . لأنه تزوج في ذريته ثم صار الى هُدافة . وتزوج في ذرية الهيثم أهل الحجفة وأصله من عرب يقال لهم بنو خطاب بخاءٍ معجمة يسكنون حازة القحمة . وكان وفاته بهدافة في القرية المذكورة . وتوفي الفقيه الصالح أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن محمد بن اسماعيل المأربي . وكان رجلاً مباركاً فقيهاً ذاكراً للفقه له مروءَة . واصل بلده ذي اشرق . وتفقه بالقاضي مسعود . وتزوج بابنته في حياته فكان أولاده منها . وقيل للقاضي مسعود كيف تزوج المأربي وهو رجل فقير . فقال أرجو ببركة العلم ان يكون كافياً لي ولأولادي فكان كما قال . وكان يصدع بالحق ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر . وكان مدرساً بالمسجد الذي بناه الأمير بدر الدين الحسن بن علي بن رسول على تربة والده الأمير شمس الدين بقرية عكار .

ويروى انه صلى يوم الجمعة بذي جبلة . ثم خرج من الجامع يريد بيته .
وكان يسكن بذي مخْدان مواضع من وقف المسجد المذكور . فلما صار في الطريق
لقيه رجل راكب على بغلة حسن ومعه عدة غلمانٍ . فظنه وزيراً او قاضياً او بعض
الكبراء من غلمان الدولة . وكان السلطان نور الدين يومئذ في قصر عَومان . فسأل
الفقيه عن صاحب البغلة حين قابله فقيل له هذا طبيبٌ يهوديٌّ يخدم السلطان في هذه
الوظيفة . فانقضّ عليه الفقيه واجتذبه من البغلة التي هو عليها والقاه على الأرض
وخلع نعله وضربه به ضرباً موجعاً شديداً وجعل يقول : يا عدوّ الله وعدو رسوله
لقد تعديت طورك وخرجت عن واجب الشرع فينبغي اهانتك . ثم تركه وقد بلغ
منه مبلغاً . فقام اليهوديُّ ورجع الى باب السلطان وهو يستغيث وقد قلب عمامته .
فقيل له من خصمك . فقال الفقيه محمد المأربي . فأرسل مولانا السلطان نور
الدين رحمة الله عليه رسولاً يسأله عن القصة . فلما جاء الرّسولُ قال له الفقيه سلم
على مولانا السلطان وعرفه انه لا يحل له ان يترك اليهود يركبون البغال بالسروج ولا
يحلُّ لهم ان يترأسوا على المسلمين ومتى فعلوا هذا فقد خرجوا عن ذمة الاسلام
عليهم . فرجع الرسول بالجواب الى السلطان عن الفقيه والسبب . فلما سمع
السلطان ذلك قال لليهوديّ . تقدَّم مع الرسول الى الفقيه ليعرّفك ما يجب عليك من
الشرع فتفعله . ثم قال للرسول . قل للفقيه يسلم عليك السلطان ويجب ان تعرِّف
هذا اليهودي ما يجب عليه في الشرع ومتى جاوزه فقد برئ من الذمة . فقال له
الفقيه . يجب عليك كذا وكذا ولا تفعل الاّ ماهو كذا وكذا ومتى تعديت وجب
عليك النكال وحل دمك . فانصرف اليهوديُّ ورجع الرسول الى السلطان فأخبره بما
كان من الأمر . فقال له : إياك ان تتعدى ما أمرك به الفقيه فتقتل ولا ينفعك احد
فان هذا حكم الله وشرع رسوله صلى الله عليه وسلم . فانصرف اليهودي الى
منزله . ولم يزل الفقيه على التدريس في المسجد المذكور الى أن توفي في سنة ٦٣٨ .

وفي سنة ٦٣٩ استولى السلطان نور الدين على حصن يمُين ومُنيف والسوّا بعد

أن قتل عمار بن السبائي[١] . وكان عمار مطيعاً ممتنعاً على حصونه . فوفد اليه الأديب محمد بن حمير الشاعر المشهور . فأقام على باب داره ساعة من نهار فلم يأذن له فكتب اليه رقعة يقول فيها :

بالباب أصلحك الله امرؤ لسن　　أمضّه السير والادلاج والسهر
وافى الى أرض خولان فصادفها　　مثل القتادة لا ظل ولا ثمر

فلما وقف على رقعته وقع على ظهره كتاباً يقول :

بل كالغمامة فيها الظل والثمر

ثم اذن له فاكرمه وانصفه وأقام عنده أياماً ثم انصرف عنه فلقيه جماعة من عبيد عمار فنهبوه واخذوا ما معه . فاتهم عماراً ووقع في خاطره انه الذي امرهم بذلك . ثم قدم على السلطان نور الدين فانشده في مجلس الشراب .

ما شاق قلبي أحداجٌ وأكوارُ　　ولا شجتني أعلامٌ وآثارُ
ولا أسائلُ أهل النجد إن نجدوا　　ولا أسائل اهل الغوْر إن غاروا
قد يزأر الذئب اذ لا حوله أسدٌ　　ويصهل العيرُ إن لم يلق خطارُ
سررت باليمن الخضراء حين صفت　　لابن الرسول فما من تلك أكدارُ
وكان فيها عظاريدٌ زعانفة　　فما بقي من بني البظراء ديَّارُ
لكن بقي فردُ ثؤْلولٍ تعاب به　　والنار تسهل مركوباً ولا العارُ
ان قلتُ لم يبق سلطان سوى عمر　　قالوا بلى وبقي السلطان عمارُ
او قلت لا قصرَ الا قصرُ دُملؤَة　　قالوا برأس يمُين القصرُ والدارُ
او قلت ما أحسن المعشارَ من جوْة　　قالوا وليس الى ذبحان معشارُ
فخذ يمُيناً ولا تقبل معاذره　　فالكلب حيث خلا بالعظم جبارُ
لم يتفق قط سلطانان في بلد　　هل يدخل الغمد بتَّارٌ وبتارُ

---

(١) أصلحنا هذا من العسجد

ما غبــت الا رمــى بالعــين دملوّة وظــل ينشــد والأقــداحُ دوّارُ
وابــن المحليّ يمُنيه بملحمة كلاهما اتفقــا طبــل ومزمارُ
مولاي لا تحتقــرهُ فابــن ملجــم قد عدى بحيدر والغــدّار غدّارُ
بئس الخبيئــة تحــت الفــرش قمّلةٌ والســدُّ شرٌّ كمــينٌ تحتــه الفارُ

وفي هذه السنة جهز السلطان نور الدين جيشاً كثيفاً الى مكة المشرفة مع الشريف عليّ بن قتادة . فلما علم العسكر الـذي في مكة من المصريين كتبـوا الى صاحب مصر طلبوا منه مادة . فأرسل اليهم بالأمير مبارز الدين عليّ بن الحسين بن برطاس وابن التركماني ومعهم مئة وخمسون فارساً . فلما علم الشريف عليٌّ بن قتادة بوصولهم أقام بالسرّين وأرسل الى السلطان نور الدين يعرفه صورة الحال فتجهـز السلطان نور الدين بنفسه الى مكة في عسكر جرار وخزانة جيدة وعزم شديد فلما علم أهل مصر بقدومه ولّوا هاربين وأخربوا دار المملكة بمكة على ما فيها من عُدة وسلاح. فدخل السلطان نور الدين مكة وصام بها شهر رمضان من السنـة ٦٣٩ المذكورة . ووصل الأمير مبارز الدين عليٌّ بن الحسين في عدة من بني عمه واصحابه راغبين في خدمة السلطان . فأنعم السلطان نور الدين عليهم وكساهـم جميعـاً . وأرسل السلطان نور الدين الى الشريف صاحب ينبع . فلما أتاه أكرمه وأنعم عليه واستخدمه واشترى قلعة ينبع وأمر بخرابها حتى لا يبقى قرار للمصريين . وأبطل السلطان نور الدين عن مكة سائر المكوسات والجبايات والمظالم وكتب بذلك مربعة وجعلت قبالة الحجر الأسود ورتب في مكة الأمير فخر الدين السلاّخ وابن فـيروز وجعل الشريف أبا سعد بالوادي .

وفي ٦٤٠ توجه السلطان نور الدين من مكة الى اليمن . وفيها مات الخليفة المستنصر وتولى الخلافة بعدهولده المستعصم بالله أمير المؤمنين أبو أحمد . وهو الذي يدعى له على سائر المنابر الى وقتنا هذامن سنة ثمان وتسعين وسبعمئـة . وفيها وصل حجاج العراق الى مكة وكان قد انقطع حاج العراق عن مكة سبع سنين فلما يحجج

فيها أحد من العراق من سنة اثنين وثلاثين الى سنة أربعين . فلم وصل امير الحاج العراقي الى مكة كسا البيت وجعل[1] الذهب والفضة على البيت وتصدق بصدقة كبيرة في مكة .

وفي هذه السنة توفي الفقيه العلامة الإمام أبو الحسن علي بن قاسم بن العليف ابن هيس بن سليمان بن عمرو بن نافع الحلمي الشرَّاحيلي . وكان إماماً كبيراً عالماً عاملاً محققاً مدققاً . وبه تفقه غالب فقهاء عصره من غالب نواحي اليمن . وله مصنّفات مفيدة . منها كتاب الدرر في الفرائض . وله مختصر سماه الدرر . بيّن فيه بعض مشكلات التنبيه سيّرها الى بغداد صحبة الامام رضي الدين الصغاني . وأجاب عنها جماعة من علماء بغداد . وأجاب عنها ايضاً محمد بن يوسف الشويري . وأجاب عنها هو ايضاً . فكان جوابه أرضى الأجوبة كلها . وأصله من حكماء حرض وقدم زبيد بعد ان تفقه على الفقيه ابراهيم بن زكريا . ثم لما قدم زبيد اخذ عن الفقيه عباس بن محمد . ثم طلع الجبال فقصد ذي اشرق . فأدرك القاضي مسعوداً وأخذ عنه . ومن أعيان أصحابه بزبيد محمد بن الخطاب وعمر بن عاصم وابراهيم بن القلقل وعبد الرحمن بن المبارك البجلي وعمر بن مسعود الابنان[1] وحسن الشرعبي وعبد بن أحمد من السهولة . قال الجندي : ولقد اخبرني الثقة انه خرج في درسه ستون مدرساً . وكان يحفظ التنبيه غيباً ولا يزال حاملاً له . ومقبلاً عليه . فقيل له انت تحفظه فلمّ تحمله . فقال احتج به على أهل المراء . وكان راتبهُ في كل يوم سبعاً من القرآن اخذ ذلك عن شيخه ابراهيم بن زكريا . وكان ذا ورع شديد . لوزم على قضاء زبيد . ولوزم على التدريس فامتنع . ورسم عليه اياماً فلم يجب الى ذلك . وكان فقيراً يعدم ما يقتاته وفضلهُ أكثر من ان يحصى . وكانت وفاته يوم الخامس من شهر رمضان من السنة المذكورة بزبيد . وقبره في

---

(١) في العسجد ، ونثر عليها .

(١) الابينيان .

الناحية الشرقية من مقبرة باب سهام . معروف مشهور ويتبرك بالدعاء عنده . ولما توفي في التاريخ المذكور خلفه ابنه احمد . وكان فقيهاً مبرزاً فرأس ودرس الى أن توفي يوم الجمعة تاسع ربيع الآخر من سنة أربع وستين وستمئة . ومن تلامذته ابراهيم بن علي القلقل بقافين مكسورتين بينهما لام ساكنة . وكان فقيهاً محققاً جليل القدر وله فتاو[1] تدل على فقهه وسعة علمه . لوزم على تدريس المنصورية بزبيد . فامتنع فرسم عليه . فأقام في الرسم اياماً . وكان من أجلّ الفقهاء قدراً . واليه تنسب القرية المعروفة بمحل القلقل غربي مدينة زبيد قاله الجندي والله أعلم . وتوفي الفقيه العالم أبو محمد عبد الله بن زيد مهدي العريقي من أعروق أيامه وهي قرية قريبة من حصن الشذف ، وهي بضم الهمزة وفتح الياء المثناة من تحت ثم ألف ثم ميم مفتوحة وآخرهُ هاء كان فقيهاً دقيق النظر ثاقب الفطنة اتضح له في بعض المسائل ما لم يتضح لغيره . فلم يقلد فيها امامه . فانكر عليه علماءُ وقته اذ لم يطيقوا الانكار على غيره ممن يقول بقوله كاحمد وداود وكانوا يعظمونه ويثنون عليه . وكان مشهوراً بالعلم والصلاح ومصنفاته تدل على غزارة علمه وجودة نقله . وله عدة مصنفات في الفقه والأصول وكان جيد الفقه . توفي في السنة المذكورة في جامع الصردف معتكفاً . وكان كثير الاعتكاف به بعد خلو الصردف من الساكن . وفيها توفي الفقيه أبو سعيد محمد بن احمد بن مقبل الدثيني كان فقيهاً فاضلاً تفقه بأبيه وهو أحد مدرسي المدرسة المنصورية بالجند . وتفقه به جماعة من أهلها وعاد الى بلده فتوفي بها في السنة المذكورة وقبر الى جنب قبر أبيه والله أعلم . وفي سنة احدى وأربعين تسلم السلطان نور الدين جبل حُفاش وهو من معاقل اليمن المشهورة في الجاهلية والاسلام . وفيها توفي الفقيه الفاضل عبد الرحمن بن محمد بن ابراهيم بن عبد الله بن محمد بن زكريا في بداية الأمر ثم تلميذه وابن عمه محمد بن يوسف بن عبد الله ين يوسف بن زكريا . فلما توفي محمد بن يوسف خلفه في التدريس هو وأخوه عبد الله بن محمد بن ابراهيم . وكانت وفاة الفقيه عبد الرحمن في السنة

---

(١) فتاوى

المذكورة . وتوفي ابن عمه محمد بن يوسف سنة خمس وعشرين وستمئة والله أعلم .
وأما جده ابراهيم بن عبد الله بن محمد بـن زكريا . فكان فقيهاً عالماً محققاً مدققاً ورعا زاهداً . تفقه بأبيه عبد الله بـن محمد ثم بالطويري . وتفقه به جمع كثير من التهائم والجبال وهو أكثر الفقهاء المتأخـرين اصحابـاً حتـى نقـل الثقـة عن الفقيه اسماعيل بن محمدالحضرمي انه قال لبني زكرياعلى غالب فقهاء اليمن منة أوكما قال ، فان غالب طرقهم في الكتب المسموعة عليهم. وانتشر عنه الفقه في اليمن انتشاراً متسعاً . فمن اعيان تلامذة الفقيه ابراهيم بن عبـد الله المذكور موسى بن علي بن عجيل وعبد الله بن جعمان وعلي بـن قاسم الحكمي وعلي بن أبي قاسم ومحمد بن يوسف بن عبد الله بن يوسف بن زكريا وغيرهـم . وكان ورده في كل يوم سُبعاً من القرآن واقتدى به في ذلك جمع كثيرمن أصحابه وكانت وفاته في سنة سبع وستمئة والله أعلم .

وفي سنة ٦٤٢ تسلم السلطان نور الدين حصن سَماة في بلاد خولان . وفي ذلك يقول التاج بن العطار المصري وكان شاعر الملك المنصور رحمة الله عليه :

ما سماءُ الـدنيا على ابـن علي ببعيد فكيف أرض سماوه
ملكٌ يومـه لفتـح مبين في الأعـادي وليلـه للتلاوهْ

واستـولى على بلاد علـوان الجحْـدريّ وطـرده الى بلاد خولان الشـامية .
واستولى على جميع اليمن الأعلى والأسفل ما خلا ذمرمـر وبيت ردم وثُـلا وتلمص وظفار وكحلان بن تاج الدين والطويلة .

وفي هذه السنة توفي الفقيه الصالح عبد الله بن محمد بن ابراهيم بن زكريا وكان فقيهاً ماهراً في التدريس وهو المشار اليه في العلم والفضل والزهد ولما توفي في التاريخ المذكور خلفه ابن عمه محمد بن عمر بن يحيى بن زكريا . وكان فقيهاً فاضلاً وخطيباً كاملاً ولي خطابة زبيد سنتين وتوفي فيها في السنة المذكورة والله أعلم . وفي سنة ثلاث وأربعين توفي الفقيه المقرئ أبو بكر بن أسعد بن حسين . وكان فقيهاً

صالحاً مقرباً حسن الصوت بقراءة القرآن فبلغ السلطان نور الدين خبره فاستدعاه في شهر رمضان ليشفع به فشفع به ليلتين او ثلاث ليال . ثم مرض فلما اشتد به المرض عاد الى بلده فتوفي بها في السنة المذكورة والله أعلم . وفي سنة أربع وأربعين توفي الفقيه العالم الإمام الفاضل القاضي أبو الخطاب عمر بن أبي بكر بن عبد الله بن قيس بن أبي القسم بن أبي الأعز النحوي اليافعي المعروف بالهزاز . وكان فقيهاً صالحاً وهو أحد القضاة المتورعين تفقه بأخٍ له اسمه عبد الله غاب عني تاريخه . ولما امتحن القاضي المذكور بقضاء تعز سار فيه السيرة المرضية . فكان اذا مات أحد وله أولاد صغار امر من يجهزه ويقضي دينه . فاذا فضل شيءٌ من تركته أمر المؤذن ان يصيح على سطح جامع المغزبة المشرف على السوق ألا ان فلان بن فلان توفي الى رحمة الله تعالى . وخلف من المال كذا وكذا ومن العيال كذا وكذا ومن الدين كذا وكذا فقضي الدين وبقي للعيال كذا وكذا فقدر لهم الحاكم في كل شهر كذا وكذا . ثم اذا انفق عليهم في كل شهر امر المنادي ينادي ألا أن اليتيم فلان بن فلان قد صرف من ماله كذا وكذا . وكان الناس يعرفون أموال الأيتام ومع من هي وما يُصرف منها في كل شهر وما بقي لكل يتيم . وهذا أمر لم يسبقه اليه احد من القضاة ولا لحقه فيه أحد وأصابه في آخر عمره الفالج . فلذلك قيل له الهزاز ولم يزل على القضاء المرضي الى أن توفي في تعز ليلة الخميس لثمان بقين من شهر ربيع الآخر من السنة المذكورة . وكان ميلاده لبضع وستين وخمسمئة . وأصل بلده العُقيرة . وللمتوفي في التاريخ المذكور قبر عند حول مجير الدين عند مرباع البقر في سوق مدينة تعز . وكان له اخ يسمى يوسف كان فقيهاً ايضاً توفي قبله بثمانية أيام . وأما مجير الدين فكان اسمه كافور التقي . وهو أحد خدام سيف الاسلام الملك العزيز طغتكين بن أيوب وكان يتعانى القراءة ومحبة أهلها وكان يحب العلماء ويحسن الظن بهم . وله اشتغال بطلب العلم الشريف وكان شيخاً في الحديث . وقد روى عنه جماعة من الفقهاء وهو الذي ابتنى المدرسة المعروفة بالمجيرية في مدينة تعز هنالك يزار ويتبرك بالدعاء عنده . ولم أقف على تاريخ وفاته رحمه الله تعالى .

وفي ٦٤٥ استولى السلطان نور الدين على بلد العوادر وحصونهم . وبلغه عن الأمير اسد الدين بن أخيه أُمور غير مستحسنة . فاستدعاه الى جُـوَّة فأتاه . فلما صار أسد الدين في الجوّة تخوف من عمه خوفاً شديداً فرجع هارباً . فلما بلغ السّحول وجد الأمر قد بلغ الى الأمير ناجي صاحب السحول ان يمنع أسد الدين من طلوع النقيل فأشرف عليه ناجي من طاقة بيته وقال له : إرجع إلى عمك فلا سبيل لك الى النقيل . وكان ناجي المذكور من نصحاء الدولة المنصورية فتحير الأمير أسد الدين وضاق ذرعاً وخشي من غائلة عمه . وكان الأمير أسد الدين يصحب الورد بن ناجي فطلبه وأعلمه بما هو فيه من الأمر وأنه خائف من عمه فسلك به الورد بن ناجي طريق القفر ووصل به الى ذمار من طريق وصاب . وكان دخوله ذمار في أول سنة ست وأربعين وستمئة .

وفي هذه السنة أعني سنة خمس وأربعين . توفي الفقيه الصالح يحيى بن فضل بن سعيد بن حمير بن جعفر بن أبي سالم المليكي[١] . وكان مولده ليلة الاثنين لليلتين بقيتا من جمادى الآخرة سنة خمس وثمانين وخمسمئة . وكان يتفقه بأبيه وغيره وفتح له في العلم فارتقى فيه الى درجة عالية وحاز منه نصيباً وافراً حتى قال الفقيه عمر بن سعيد العقيبي نفعنا الله به لو سئل أبو بكر عن علم الروح ما هو لأفتى به . وكان رحمه الله من العلماء المبرزين توفي ليلة الاثنين التاسع من شهر ربيع الأول من السنة المذكورة . وتوفي الفقيه الامام العالم أبو محمد علي بن عبد الله بن الفقيه محمد بذي جبلة . وكان فقيهاً بارعاً مستطير الذكر بالعلم والخير . تفقه بأخيه أحمد وبالفقيه اسماعيل الحضرمي . وأخذ عن ابن عمه يحيى بن عمر بن عثمان بن الفقيه محمد بن حميد . وعن علي بن أبي بكر بن الفقيه محمد بن حميد وتفقه به جماعة من أهل تعز وولي قضا تعز . فكان ذا سيرة مرضية الى أن توفي يوم الجمعة عيد الفطر من السنة المذكورة والله أعلم .

---

(١) تقدم له ذكر في ص ٥٠

وفي سنة ٦٤٦ قام الإمام أحمد بن الحسين القاسمي فأقامه الزيدية . وكان قيامه في ثُلا في نصف شهر صفر من السنة المذكورة . وبث الدعوة في جميع الأقطار . فأجابه خلق كثير من ناحية اليمن . وأمر بالمحطة على حصون المخلافة . وكان واليها يومئذٍ القاضي شهاب الدين عمارة بن عليّ الأصبهاني من قبل السلطان نور الدين . وكانت حصون المخلافة يومئذ بأيدي الشرفاء أولاد يحيى بن حمزة فلما قام الإمام أحمد بن الحسين راسله الامير أسد الدين على نصرته والقيام معه .فأجابه إلى ذلك . وأقام الفتنة على عمه . فاقتضى الحال طلوع السلطان نور الدين لحربهما وقتالهما . وكان لا يملّ الحرب فتجهز وطلع الى صنعاء. فلقيه ابن أخيه الأمير أسد الدين الى ذمار . فاستعطفه واعتذر اليه فرضي عنه وسار بين يديه الى صنعاء فدخلها يوم الحادي والعشرين من شهر ربيع الآخر من السنة المذكورة .فأقام بها الى يوم الأحد من شهر جمادى الأولى وخرج من صنعاء وحط تحت حصن كوكبان في موضع يقال لدى الهدادى . ثم طلع الضلع وحط في الرُّجام الى حوشان . وتوسم المادة والتنفيس على حصون المخلافة . فحال دون ذلك السواد الاعظم من أهل المغارب . فعاد من الرجام الى حوشان . وكان الإمام في ثلاًّ فكان القتال في العقاب تحت حصن ثلاًّ . وفي بعض الأيام يكون القتال تحت حصن من حصون المصانع . فوقعت بينهم حروب عظيمة . منها اليوم المعروف بيوم العقاب . قتل فيه من عسكر الإمام تسعون رجلاً بالنشاب . وكان أمير القتال يومئذٍ مبارز الدين علي بن الحسين بن برطاس . تولى القتال بعد ذلك الأمير أسد الدين . والسلطان في محطته بحوشان . ثم جهز الإمام عسكراً الى بلد بني شهاب . وكان مقدم العسكر الأمير عبد الله بن الحسن بن حمزة . فحط في حدّة وسناع وخالف معه بنو شهاب وبنو الراعي واهل حضور فنهض السلطان نور الدين الى بلد بني الراعي . وكانوا قد عمّروا موضعاً يُقال له حجر الجراد في جبل حضور فأخربه ورتب في جبل حضور عسكراً من الرجل . ومال اليه جماعة من بني الراعي . وذلك في شعبان من السنة ٦٤٦ المذكورة . ثم سار الى جهة بني شهاب فأتلف زروعهم . ووقع هنالك

حروب كثيرة ورجع السلطان الى صنعاء فدخلها يوم الجمعة الثاني من شهر رمضان من السنة ٦٤٦ المذكورة .

ثم جهز السلطان ابن أخيه أسد الدين الى بلاد هداد في السابع والعشرين من شهر رمضان . فاستولى على مصنعة بني حوال فقتلهم في شوال وقتل أهل علاّنة في ذي القعدة وأخرب بشار في آخر ذي القعدة . وخرج العسكر المنصوريّ من صنعاء الى غيمان فقتلوا جماعة من أهل غيمان في ذي القعدة أيضاً . ورجع الأمير أسد الدين الى صنعاءَ فأقام بها أياماً . وخرج السلطان نور الدين من صنعاءَ الى بلد بني شهاب في اليوم التاسع والعشرين من ذي الحجة فحط في الحقل غربي صنعاءَ وأمر العسكر فأخربوا زروع حدة وسناع ووقعت الحرب هنالك .

وفي هذه السنة ٦٤٦ المذكورة عزل السلطان نور الدين الأمير فخر الدين السلاّخ عن مكة وأعمالها وأمّر المسيب عُوضه بعد أن ألزم نفسه مالاً يؤديه من الحجاز بعد كفاية الجند وقوّد مئة فارس في كل سنة . فتقدم الى مكة بمرسوم السلطان فدخلها وخرج عنها الأمير فخر الدين السلاخ فأقام ابن المسيب اميراً بمكة سنة ست وأربعين والتي بعدها فغيّر في هذه المدة جميع الخير الذي وضعه السلطان نور الدين وأعاد الجبايات والمكوس بمكة وقلع المريعة التي كانت للسلطان كتبها وجعلها على زمزم واستولى على الصدقة التي كانت تصل من اليمن وأخذ من المجد بن أبي القاسم المال الذي كان تحت يده لمولانا السلطان الملك المظفر وبنى حصناً بنخلة يُسمى العطشان واستحلف هذيلاً لنفسه ومنع الجند النفقة فتفرقوا عنه ومكر مكراً فمكر الله به .

ولما تحقق الشريف أبو سعد منه الخلاف على السلطان وثب عليه وأخذ ما كان معه من خيل وعدد ومماليك وقيده وأحضر أعيان أهل الحرم وقال : ما لزمته إلاَّ لتحققي خلافه على مولانا السلطان فعلمت أنه أراد أن يهرب بالمال الذي معه الى العراق وأنا غلام مولانا السلطان والمال عندي محفوظ والخيل والعدد إلى أن يصل اليَّ

مرسوم السلطان فيه . فوردت الأخبار بعد أيام يسيرة بوفاة السلطان .

وفي هذه السنة توفي الفقيه الفاضل أبو العتيق أبو بكر بن محمد بن ناصر بن الحسين الحميري نسباً وكان فقيهاً زاهداً ورعاً متقللاً عن الدنيا لا يلبس الا ما يغزله حريمه من العطب الذي يجلب من تهامة ويكره عطب اليمن . ويقول بلغني انه قد اغتصبها الملوك : ثم متى كمل اعطاه نساجا تحقق دينه وأمانته لئلا يخلطه بغيره . وكان له حول لا يأكل الا منه لأنه ورثه من أهله . وكان لا يقصر ثيابه بل ما تقدم منها جعله عمامة . وما كان جديداً جعله رداءً . وكان إذا اقبل الى المسجد بالذنبتين أنار المسجد . حتى ان الذي يطالع في الكتاب يجد النور على كتابه فيرفع رأسه ليرى سبب ذلك فما يرى الا الفقيه قد دخل المسجد ومناقبه كثيرة . وكان تفقه بالحسن بن راشد المقدم ذكره . واخذ عن أبي الحديد وابن جديل ومحمد بن أسعد بن طاهر بن يحيى وغيرهم . وتفقه به جماعة منهم منصور بن محمد الأصبحي عم الفقيه محمد الأصبحي وعبيد بن أحمد الشبامي . وعنه أخذ محمد بن أحمد بن جديل ولد شيخه . وكان فقيهاً محققاً . وله شعر مستحسن . ومن شعره قوله :

الـوطءُ في دبـر الحـلال محرّم   ومخـالف في خمسـة أحكام
اذن وتعيين وحـلٌّ مطلق   والفـيء والاحصـان في الاسلام

وكان في عصره رجل من الصوفية متعاني الرقص اسمه عطية يسكن قرية البهاقر يقول ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يرقص سمع الفقيه ذلك عن شقّ عليه فقال قصيدة في ذلك المعنى منها قوله :

نبئـت ان بهاقـراً ظهـرت به   لعـب الـولايـد معلما بزفير
حاشى لأحمد ان ان يرى متلاعبا   وعـطيَّة في ذاك غـير خبير

ويروى أنه أصبح يوماً في حلقة تدريسه فجاءَه بعض أصحابه فقال له رأيت في المنام كأن فوق رأسك حمامات كثيرة مجتمعات . وبينهـن طائـر له عليهـن تمييز

بالخلقة والصورة . فبينا أنا اتعجب منه ومنهن اذ به قد غاب عنهن وظني أنه نزل في الأرض فحين فقدته الحمام اخذت في التفرق . فقال الفقيه أنا الطائر والحمام أصحابي . ثم قال استعدوا للموت وأوصى ولم تطل مدته بعد ذلك فتوفي بعد أيام قلائل . وكانت وفاته يوم الخميس عاشر شهر ربيع الأول من السنة المذكورة رحمه الله تعالى .

وفي سنة ٦٤٧ نهض السلطان نور الدين من محطته بالحقل الى مخلاف صداء . فأخرب زرعه وتقدم الى بيت نعامة وفيه الشرفاءُ وعسكرهم وبنو شهاب وبنو الراعي وأهل حضور الى قرية داعر . فحاربهم السلطان هنالك وقتل جماعة منهم وأخرب القرية . وذلك في المحرّم من السنة المذكورة . ولما كان يوم السابع عشر من المحرّم المذكور طلع عسكر الإمام أحمد بن الحسين حصن كوكبان على حين غفلة من أهله . فلما استقلوا في رأسه خرج عليهم المرتبون فقتلوهم أبرح القتل . وكان الإمام قد أغار بكرة ذلك اليوم الى كوكبان ووقف تحت الحصن فلما قتل عسكره عاد الى حصن ثلاّ من فوره وعاد مولانا السلطان نور الدين الى صنعاء فأقام بها الى يوم الثاني عشر من شهر صفر . ووصل اليه الأمير أحمد بن يحيى بن حمزة فخرج الى لقائه فاكرمه ودخل به صنعاء وانعم عليه بحصن بُكُرُ .

ثم تقدم السلطان الى جهة اليمن فحط في قرة العين يوم الثلاثاء الثالث من شهر ربيع الأول وجعل طريقه على نعم لقتال من فيها . وكان فيها الأمير عز الدين محمد بن الأمير شمس الدين احمد بن الامام عبد الله بن حمزة والامير أبو هاشم بن صفي الدين . فحاربهم العسكر المنصوري وقتل من عسكرهم جماعة . ثم تقدم السلطان الى جهران ومعه الأمير أسد الدين محمد بن الحسن بن علي بن رسول مشيعاً لهُ فاجتمع اهل بكيل وأهل عاثين وأهل الصبح وأهل تلك النواحي وعسكر الامام . ومقدمهم الشريف الضياء وكانوا نحو عشرة آلاف راجل ومئة وخمسين فارساً وأرادوا أن يمنعوا السلطان من التوجه الى ناحية بكيل وركزوا في نجد النوبة .

فهزمهم العسكر المنصوري وقتل منهم كثيراً واخرب عاثين والصبج وكان ذلك في شهر ربيع الآخر سنة ٦٤٧ .

وفي سنة ٦٤٧ وصل الأميران موسى وداود ابنا عبد الله بن حمزة الى ضهر في خيل ورجل . وكان في صنعاء أستاذ دار الأمير أسد الدين وهو عز الدين المهندس ومعه رتبة . فحارب الشريفين وطردهما من ضهر . وعاد الأمير أسد الدين الى صنعاء من ذمار بعد نزول السلطان نور الدين الى اليمن فلزم أهل البلاد وعسكر الامام نقيل الغابرة ومنعوه من الطلوع الى صنعاءَ فطلع عليهم قهراً بالسيف وهزمهم وطلع صنعاءَ ثم خرج بعد ذلك الى الكميم في لقاء الخزائن فاجتمعت سنحان والبلاد كافة وعسكر الإمام وهموا بأخذ الخزائن وكانوا نحواً من أربعة آلاف راجل ومئة وخمسين فارساً فقاتلهم وهزمهم جميعاً . ثم خالفت عليه البلاد وافترق عسكره من غزو العرب وهربوا الى الامام ولم يبق الاّ مماليكه . فما اكترث بشيءٍ من ذلك ولا خطر له على بال . وكانت الحرب بينه وبين الشرفاء سجالاً على قلة عسكره وإقبال الناس على الامام . ثم كانت وقعة قارن بين الامام أحمد بن الحسين وبين بني حمزة . فقتل من بني حمزة طائفة وأسر طائفة وكان يوماً مشهوراً . وهو يوم الأربعاء ١٤ من شهر شوال من السنة المذكورة .

وفي هذه السنة توفي الفقيه الصالح عبد الله المأربي وكان فقيهاً مشهوراً صالحاً ورعاً تفقّه بعمر بن سعيد العقيبي وكان صالحاً تقيّاً ولما توفي في التاريخ المذكور ودفن ووقف شيخه على قبره ساعة وهو مصغ الى القبر ثم قال بشرني والله يا تاج بشرني يا تاج فسأله بعض أصحابه عن موجب ذلك فقال لم أر من سبق الملكين قبل أن يسألاه غير هذا . وكان الفقيه يلقبه بالتاج وكانت وفاته في رجب من السنة المذكورة . وفيها توفي الشيخ أبو موسى عمران الصوفي وكان من أعيان مشايخ الصوفية صحب الشيخ عليا الحداد بحق صحبته للشيخ عبد القادر الجيلاني . وكان لزوما للسنّة نفوراً عن البدعة متعلقاً بأذيال العلم وله كرامات كثيرة . ويروى انه اشتغل يوم جمعة بصلاة

فلم يزل في قيام حتى فاتته الجمعة وانقضت فلزم الخلوة واعتكف فلم يزل في قيام وصيام حتى وافته الجمعة الأخرى . وكانت وفاته في السنة المذكورة .

وفي هذه السنة استشهد السلطان نور الدين رحمة الله عليه في قصر الجند ليلة السبت التاسع من ذي القعدة . وثب عليه جماعة من مماليكه فقتلوه . وكان قد استكثر من المماليك حتى بلغت مماليكه البحرية الف فارس . وقيل ثمانمئة . وكانوا يحسنون من الفروسية والرمي ما لا يحسنه مماليك مصر وكان معه من المماليك الصغار قريب منهم في العدد خارجاً عن حلقته وعساكر امرائه . ويقال ان الذي شجعهم على ذلك وآنسهم ووعدهم بما اطمأنت اليهنفوسهمابن اخيه أسد الدين محمد بن الحسن بن علي بن رسول . وذلك انه كان مقطعاً صنعاء من قبل عمه المنصور ثم أراد ان ينزعه منها ويجعلها لولده شمس الدين يوسف المظفر . فعزّ ذلك كثيراً على أسد الدين فعامل المماليك على قتل عمه فقتلوه في التاريخ المذكور فلم ير أسد الدين بعد قتل عمه يوم سعد ابداً . تجري المقادير على خلاف التقادير .

ويروى أنه لما رجع السلطان نور الدين رحمة الله عليه من حرب الامام ودخل مدينة الجند وصل اليه رسول من ملك الهند قبل وفاته بيومين او ثلاثة أيام . فحضر في مجلس السلطان وأدى رسالة مرسله . فأكرمه السلطان وأنعم عليه . فلما خرج قال لترجمانه . قد قرب أمده الا أنه أبو ملك وجدّ ملك ومن ذريته ملوك . ثم قال قولاً بالعجمي فوجده . يأخذها ذو شامة من بعده ويلتقيها مسعد من بعده[1] لا تنقضي من نسله وولده .

وكان السلطان نور الدين ملكاً كريماً حاذقاً حليماً حسن السياسة سريع النهضة عند الحادثة وكان شريف النفس عالي الهمة فارساً شجاعاً مقداماً محراباً لا يمل الحرب . ومن الدلائل على ذلك طرده العساكر المصرية عن مكة المشرفة مرة بعد

---

(١) عبارة العسجد : ثم قال قولا بالعجمية لوحده ترجمانه شعراً . يأخذها ذو شامة في خده ـ ويلتقيها مسعر من بعده ـ لا تنقضي عن نسله وولده .

أُخرى . ولم يقنعه استقلاله باليمن بعد أن كان نائباً لهم فيها بل قاتلهم عن مكة وطردهم عنها وعن الحجاز . واستمال عدة من عساكرهم . وممن استماله من الأمراء الأمير مبارز الدين علي بن الحسين بـن برطاس والامير فيروز الذي ذريته الأمراءُ بنو فيروز أصحاب إب قال الجندي : ويقال ان الأمراء بني فيروز (لعلّه) تديروا إبّاً من زمن قديم يعني من قبل أيام الملك المنصور . والله أعلم .

ولما قتل السلطان نور الدين في مدينة الجند ولم يكن يومئذ أحد من اولاده حاضراً بل كان الملك المظفر في المهجم واخوته ووالدتهم في حصن تعزّ بسبب جهاز الست عازبة ابنة السلطان الملك المنصور عروساً على شريف من أهل مكة فانتقلت بهم الى الدملؤة فاجتمع بنو فيروز وحملوا السلطان في محمل وقصدوا به تعز فدفنوه في المدرسة الأتابكية بذي هزيم لكونه كان مزوجاً على بنت الأتابك سنفز المعروفة ببنت حمزة . وكان مولانا السلطان الملك المظفر رحمة الله عليه يعرف ذلك لهم ويشكرهم وحمل لشمس الدين طبلخانة ولأخيه [illegible]

[illegible] ة .

[illegible] أثاراً حسنة فمما أثره المدرسة التي [illegible] يغبطه عليها سائر الملوك . وابتنى في مدينة تعزّ مدرستين تعرف احداهما بالوزيرية نسبة الى مدرسها الوزيري والثانية الغرابية نسبة الى مؤذنها وكان رجلاً صالحاً اسمه غراب كان مؤذناً فيها . وابتنى مدرسة في عدن . وابتنى في زبيد ثلاث مدارس يعرفن بالمنصـوريات مدرسـة الشـافعية ومدرسـة الحنفية ومدرسـة الحديث النبوي . وابتنى مدرسة في حد المنسكية من وادي سهام . ورتب في كل مدرسة مدرساً ومعيداً ودرسة وإماماً ومؤذناً ومعلماً وايتاماً يتعلمون القرآن . ووقف على الجميع اوقافاً مفيدة تحملهم وتقوم بكفايتهم جميعاً . قال الجندي : وابتنى في كل قرية من التهائم مسجداً ووقف عليها اوقافاً جيدة . وكان النوري مفازة عظيمة فيما بين حيس وزبيد هلك المارّون فيها فابتنى فيها مسجداً وجعل فيه إمامين واشترط

لمن يسكن معهما مساحة فيما يزرعه فسكن الناس معهما حتى صارت هنالك قرية جيدة وانتفع الناس بها نفعاً عظيماً . قال علي ابن الحسن الخزرجي . وأظنها إنما سميت النوري نسبة اليه لكونه الذي أحيى ذلك الموضع وكان يلقب نور الدين كما ذكرنا . والله أعلم . وابتنى بين المدينتين حصوناً كثيرة ومصانع ورتب فيها الرجال . وآثارها هنالك الى عصرنا هذا وأمر بعمارة البرْك وهو جبل متصل بالبحر فيما بين مكة واليمن ورتب فيه العساكر الجيدة لمحاربة بني أيوب . وأرسل الشيخ معيبد بن عبد الله الأشعري صاحب رفح الى الشيخ موسى بن علي الكناني صاحب حليْ ابن يعقوب بأن يتصدى لمحاربة بني أيوب . وكان موسى بن علي الكناني ممن يضرب به المثل في الجود والكرم . فلما وصل اليه الشيخ معيبد برسالة السلطان نور الدين سمع وأطاع . وقال : أي شيء تحمّلني من ضيافة هذا الرجل يعني معيبداً . فقاد اليه خمسين فارساً فقادها معيبد بأسرها الى السلطان نور الدين . فأثنى عليه عنده وقال صاحب هذه النفس يصلح لأن يجري عليه اسم الأمير فأجرى عليه اسم الإمارة من ذلك الوقت .

وكان للسلطان نور الدين من الولد ثلاثة رجال وهما المظفر والمفضل والفائز . وكان المظفر أكبرهم . ظهر في أيام إمْرة أبيه في مكة المشرفة سنة تسعة عشر وستمئة وقيل سنة عشرين وستمئة وهو الذي تولى الملك بعد أبيه وكان أبوه قد أقصاه وقدم أخويه عليه موافقة لأمهما بنت حوزة وكانت قد غلبت عليه حتى أنه استحلف العسكر لابنه المفضل وهو أصغر من المظفر .

وكان شاعره التاج بن العطار . وهو أحد فضلاء أهل مصر والأديب محمد بن حمير أحد فضلاء أهل اليمن فاجتمعا يوماً في مجلس الشراب . فقال له ابن العطار يا مولاي إني شاعرك من الديار المصرية وأراك تفضل ابن حمير عليّ وتنعم عليه أكثر مني . فقال له السلطان انه حاضر القريحة سريع البديهة وأنتم يا أهل مصر وإن كنتم أهل فضل وأدب فانكم تبطئون . ثم التفت الى ابن حمير وقال له . ما تقول :

فالتفت ابن حمير الى ابن العطار وقال ارتجالاً :

متبعشر بعمامة معقودة ... لو بعثرت ملت الفضاء خميرا
وأبوك عطار فما بال ابنه ... يهدي الصنان الى الرجال بخورا

قال وكان به شيءٌ من ذلك . فضحك السلطان نور الدين وقال : أجبه فافحم . وحضر في مجلس الشراب يوماً عند السلطان نور الدين وكان عنده يومئذ ابن أخيه الأمير أسد الدين . وكان للأمير أسد الدين شاعر من أهل المشرق يقال له علي بن أحمد فجعل أسد الدين يثني على شاعره المذكور . فقال السلطان نور الدين لابن حمير ما تقول . فقال ارتجالاً :

أنا البحر فياضاً بكل غريبة ... أحلى بها المنصور دراً وجوهرا
وما ان أبالي عن عليّ بن أحمد ... وعن شعره ذقن ابن أحمد في المسك[1]

فقال له السلطان نور الدين : وما منعك من قافية الراءِ . قال خوف ابن أخيك هذا : وكان ابن حمير شاعراً فصيحاً جيّد القريحة حسن البديهة وهو القائل في مدح مولانا السلطان نور الدين حيث يقول :

قد قيل جاورْ لتغني البحر أو ملكاً ... أنت المليك وأنت البحر يا عمرُ
ما حاز ما حزت لا عربٌ ولا عجم ... ما شاد ما شدت لا جنٌّ ولا بشرُ
إذا الجدود بهم أبناؤهم شرفوا ... أو فاخروا فبك الأجداد تفتخرُ
والكل أنت وفيك السرّ أجمعهُ ... فلا يغرَّنْك ان غابوا وإن حضروا
عزُّوا بعزّك أولاهم وآخرهم ... كما بأحمد عزّت كلها مضرُ

وقال أيضاً يمدحه من قصيدة أخرى

قل للقوافي قفي على عمر ... إياك أن تخدعي فتنخدعي

---

(١) القافية في الأصل هي « الخرا » .

حليّ المكان الـرفيع ترتفعي ولا تحليّ الـوضيع تتضعي
ومـن خمـدت ناره فان أبا أحمـدٍ نيرانـه على اليفع

وكان السلطان نور الدين حنفيٌّ المذهب ثم انتقل منه الى مذهب الشافعي .
قال الجندي في تاريخه : أخبرني شيخي أحمد بن علي الحرازي باسناده عن الإمام أبي عبد الله محمد بن ابراهيم الفشلي المحدّث بزبيد وكان أحد شيوخ المنصور - أخبرني السلطان نورالدين المنصورمن لفظه انه كان حنفيّ المذهب فرأى النبي صلى الله عليه وسلم في منامه وهو يقول له يا عمر صرْ الى مذهب الشافعي . أوكما قال : فأصبح ينظر في كتب الشافعي ويعتمد مذهبه . وكان يصحـب الشيخ والفقيه صاحبي عواجه وهما ممن بشاره بالملك . وصحب الفقيه محمد بن ابراهيم الفشلي .وقـرأ عليه وكان يحب العلماءَ والصالحين . وآثاره وأفعاله حميدة رحمه الله تعالى .



الباب الثالث

في أخبار الدولة المظفرية وفتوحها

قال علي ابن الحسن الخزرجي : لما توفي مولانا السلطان الملك المنصور نور الدين عمر بن علي بن رسول في التاريخ المذكور سار المماليك بأجمعهم إلى محروسة زبيد ثم ساروا منها إلى فشال : وكان فيها الأمير فخر الدين أبو بكر بن الحسن بن علي بن رسول مقطعاً بها من عمه السلطان الشهير نور الدين عمر بن علي بن رسول فلقبوه الملك المعظم وحلفوا له وقصدوا مدينة زبيد . وكان فيها يومئذ ذات الستر الرفيع الدار الشمسي كريمة مولانا السلطان الملك المظفر ووالدته والطواشي تاج الدين بدر الملقب بالصغير . وكان مسجوناً في سجن زبيد حبسته بنت حوزة لكونه كان محب الملك المظفر فأخرجته الدار الشمسي من السجن وأعطته مالاً جزيلاً . فاستخدم الرجال وأمرته باغلاق أبواب المدينة وحفظها وحراسة أسوارها . فرتب المقاتلين على الدَّرب وحارب المماليك والأمير فخر الدين على كره من أمير المدينة وناظرها . وكان الأميرُ يومئذ مملوكاً اسمه قايماز والناظر غريب يعرف بالشرف . وكان السلطان الملك المظفر يومئذ غائباً في إقطاعه بالمهجم وكان غير طيّب النفس من والده لما قدَّم عليه أخويه المفضل والفائز . وكانت أمهما بنت حوزة قد استمالته وغضبت عليه وأقصت ولده السلطان الملك المظفر وكريمته الدار الشمسي عن أبيهما حتى أنه حلَّف العسكر لولده المفضل . فهمَّ السلطان الملك المظفر تلك السنة بالخروج عن اليمن والمسير الى الخليفة المستعصم بالعراق . فلما بلغه الخبر بوفاة والده شق عليه وانثنى عزمه عن الخروج من اليمن وتحيّر في أنه ضاق ذرعاً لما عرض

له من الحوادث العظيمة والخطوب الجسيمة من فقد والده وانحياز المماليك بأسرهم الى ابن عمه فخر الدين وحصارهم لزبيد وأسد الدين على صنعاءَ وأعمالها وقيام الإمام أحمد بن الحسين في البلاد العليا وانتشار صيته واستيلائه على معظم البلاد العليا وحصونها واستيلاء أخويه المفضل والفائز على الحصون والمدائن والخزائن ولم يكن في يده إلاَّ قائم سيفه إلاَّ أن القلوب مملوءَة بمحبته .

فقام مشمراً وجمع من معه من العسكر واستخدم من العرب خيلاً ورجلاً . وخرج من المهجم باشارة الشيخ أبي الغيث بن جميل وسار الى زبيد بحدّ وجدّ وتوفيق وسعد . وكان من دلائل سعادته أنه لما عزم على المسير أمر بتحميل آلته وخزانته فلما شرعوا في التحميل أخرجوا صندوقاً مملوءاً ذهباً ووضعوه ورجعوا للآخر . فمر رجلان من العرب فاحتملا الصندوق الأول . فلما خرج الخزانون بالصندوق الآخر فقدوا الأول فلم يجدوه فوقفوا متحيرين فانتهى العلم بذلك الى السلطان فطلب مشائخ العرب وأمرهم باقتفاء الأثر : فخرجوا من فورهم يطلبون الأثر فما برحوا يقصّون الأثر حتى وقفوا على أثر مبرك الجمل الذي حمل عليه الصندوق فوقفوا ينظرون يميناً وشمالاً فرأوا موضعاً هنالك على غير هيئة غيره : فنبشوه فوجدوا الصندوق ما فضَّ له خاتم فحملوه ورجعوا به فكان هذا من أعظم دلائل الفتح والسعادة .

وكان خروج السلطان من المهجم في عساكره المنصورة في ٢٨ من ذي القعدة سنة ٦٤٧ ولم يزل المحطة والحصار على زبيد الى أن علموا أن السلطان قد صار في الطريق قاصداً زبيداً فارتفعوا حينئذ ولما خرج السلطان الملك المظفر من المهجم الى زبيد كان كلما مرَّ بقبيلة من العرب استخدم خيلها ورجلها وسار في خدمته من رؤساء العرب علي بن عمران القرابلي والشيخ محمد بن زكري الحدقي والشيخ أحمد بن أبي القاسم وكان شيخ مشائخ سردد وحضر الفقيه يحيى بن العمك وكان مقدم الرماة : وخرج الشيخ زكري بن القرابلي على هجين راكباً : فقال له الشيخ علي ابن

أبي بكر السودي وكان يلقب مخلص الدين وهو وزير مولانا السلطان . يا شيخ زكري تكون من أكبر الجند وتركب على هجين فقال وحق رأس مولانا السلطان لاركبن بغلة فخر الدين ان أنعم الله بها على مولانا السلطان . قال له : قد أنعم الله بها عليه[1] . قال : فسوف ترى وكان جملة عسكر مولانا السلطان مئة وخمسين فارساً وألفي راجل وكان فخر الدين في ستمئة من المماليك وألف راجل ولما صار السلطان في أثناء الطريق لقيه بدوال من قال له هذا فخر الدين في الجم الغفير على عدوة الوادي قال فنهنه العسكر فركب السلطان حصاناً شديداً اشقر وأخذ قناة في يده . وكان فارساً حسناً فعطف رأس حصانه وقال يا عرب أين تفرون عنا . أما ترضون أنفسنا بأنفسكم ثم جعل يقول أنا يوسف[2] . قال : فوالله لقد رأيتكم في عسكر يتزايد الى الاقدام كما يتزايد البحر .

ولما علم الأمير فخر الدين ومن معه من المماليك بمسير السلطان الملك المظفر نحوهم اضطربوا اضطراباً شديداً وعزم فخر الدين على طلوع الجبل واللحاق بأخيه الى صنعاء فاجتمع رؤساء المماليك وأعيانهم الذين لا ذنب لهم وهم الأكثر وكتبوا الى مولانا السلطان كتاباً يطلبون فيه الذمة فاذمَّ لهم السلطان على ان يلزموا الأمير فخر الدين والجماعة الذين قتلوا السلطان فأجابوا على ذلك ولزموا الأمير فخر الدين وهو في خيمته وقطعوا طنباً من أطنابه وكتفوه به وساروا بأجمعهم الى السلطان بعد أن لزموا الجماعة الذين قتلوا السلطان هذه رواية الجندي وقال صاحب العقد الثمين كان السبب في لزمه ان فخر الدين لما علم بمسير مولانا السلطان نحوه كاتبه وراسله وبذل له الطاعة وتسليم المماليك وهو يقول :

لا تجمعوا علينا بين قتل أبينا واخراج الملك من أيدينا فامتثلوا أمره واستمعوا قوله وقيدوا فخر الدين وساروا به اليه .

---

(١) في العسجد : عليك .

(٢) في العسجد : انا يوسف انا يوسف

وحكى صاحب العقد الثمين ايضاً قال . وسمعت من مولانا السلطان يقول : كان السبب في لزم المماليك للأمير فخر الدين انهم خرجوا من المحطة يتطلعون الأخبار فوافاهم بريد الأمير فخر الدين ومعه كتب منه الينا بما يسوءهم ، فعادوا الى المحطة ولزموه ووصلوا به تحت الحفظ .

وكان الأمير شمس الدين علي بن يحيى العنسي ظاهره مع السلطان وباطنه مع الأمير أسد الدين وأخيه . وكان شاعراً فصيحاً كريماً واصله من عنس قبيلة من مذحج فكتب اليه الأمير أسد الدين يحثه فيه على القيام ويحرضه على فكاك أخيه فخر الدين وفيه يقول :

لو كنت تعلم يا محمد ما جرى ... لشننتها شعث النواصي ضمّرا

ترمي بها دربي تعِزَّ على الوغى ... لتنال مجداً او تشيد مفخرا

لا بد ان تنجي اخاك حقيقة ... منها واما أن تموت فتعذرا

ان ابن برطاسٍ تمكن فرصة ... آهٍ على موت يباع ويشترى

صحْ يا الحمزة تأت واخصص احمدا ... لتخصّ من بين النجوم الأزهرا

يعني الإمام أحمد بن الحسين والغالب عندي انه إنما يعني الأمير شمس الدين أحمد بن الإمام المنصور عبد الله بن حمزة فانه كان يومئذٍ رئيس بني حمزة . والله أعلم .

لما وصل المماليك بالأمير فخر الدين الى السلطان الملك المظفر أذمّ عليهم وآنسهم من نفسه كثيراً . وسار يريد محروسة زبيد فكان دخوله زبيداً في ١٠ ذي الحجة سنة ٦٤٧ في موكب عظيم وعليه جلالة الملك وأبهة السلطنة فلما قعد على السماط واستقر في دار الملك قامت الشعراءُ بالمدائح يهنئونه بالملك فانشد الشعراءُ شيئاً كثيراً وقام الفقيه سراج أبو بكر بن دعّاس من جملة الحاضرين يهنّيء السلطان بما فتح الله عليه . فقال :

ان غاب افــق الملك عن أفــق العلا ... فانظــر ضياءَ الشــمس قد مـلأ الملا

او كان جفــن الملك امسى ارمدا ... فاليوم اصبــح بالمظفّــر اكحلا

لا تجــزع الــدنيا لفقــد مليكها ... رزئـت برضــوى واستعاضــت يذبلا

ما كان رزءُ الملك الا غيهباً ... غم الــورى وأتــاه صبــح فانجلى

بالملك عاد الــكسر جبــراً وانثنى ... جيد العــلا حالٍ وكان معطلا

هي دولــة غرّا وهــذا مالك ... اضحــى الزمــان به اغــر محجلا

لم يرض غــيرك يا أبــا عمــر لها ... فاستجلهــا ان العــرائس تجتلى

ما زلــت معترفــاً بنعمــة ربها ... متضرعــاً لقدومهــا متبتلا

أو ما تراهــا في زبيد تزدهي ... وتميس في حلل المفاخــر والحلى

امهرتهــا وافي انصــداق فما لها ... كفــؤٌ سواك ولا تريد تبدلا

جاءَتــك طائعــةً ولــم تهــزز لها ... رمحــاً ولم تشهــر عليهــا مِنْصلا

قل للــذي رام التملك جاهلاً ... وسعــى فضــلَّ عن الطــريق وضللا

ما انــت والملك الــذي لا سرُّه ... بادٍ عليك ولســت فيه مؤهلا

ارجــع الى كأس الطــلا ودع العلا ... للمغمــد الأسياف في هام الطلا

ولصاحــب الجيش الــذي سد الفضا ... وفَــلا بحــد السيف ناصية الفلا

وأعــاد ريحــك حــين هبــت أزيبا ... نكبــا بريح منــه هبــت شمألا

اولي الــورى بالملك والــده الذي ... ما أنفــك في نســب المفاخــر أولا

هي دولتــي وأنــا الــذي آمّلتها ... والله يعطــي عبــده ما أملا

ولما قبض السلطان الملك المظفر على الأمير فخر الدين ودخل مدينة زبيد كما ذكرنا واستقر ملكه فاجتمع له عسكر أبيه واحتملت حواصل التهائم وانشرح صدره وطابت نفسه استأذنه مشايخ العرب في الرجوع الى بلادهم فقعد لوداعهم في قاعة سيف الاسلام ودخلوا عليه للوداع فوهب للشيخ زكري بن القرابلي بغلا من دواب الأمير فخر الدين يسمى الدراج ووهب للشيخ علي بن عمران القــرابلي بالمقصرية

وكتب للشيخ محمد ابن أبي زكرى بلغْسان وكساهم وانعم عليهم وأحسن جوائزهم فعادوا الى أوطانهم فرحين مسرورين .

وفي سنة ٦٤٨ استولى السلطان الملك المظفر على تهامة بأسرها وأطاعه أهلها وحملت اليه حواصلها وخرج من مدينة زبيد الى عدن فسار طريق الساحل فاستولى عليها وعلى لحج وأبين في صفر من السنة ٦٤٨ وتسلم حصن يُمين ومنيف وحصون بلاد المعافر جميعها في صفر من السنة وكان أول بلد دخلـه من البـلاد جبـاء فلقيه القاضي محمد بن اسعد الملقب بالبهاء واختطب له بها فهي أول بلد اختطب له فيها من الجبال .

ثم حط على حصن تعزّ في شهر ربيع الأول من السنة ٦٤٨ وكانت محطته في الموضع بدار السعيدة وهوبالحبيل فيما بين المجاهدية وعسق وكتب الى الشيخ علوان بن سعيد الجحدري يطلب منه رجالاً من مذحج فوصله بجيش جرار فأقام محاصراً للحصن الى أن تسلمه في شهر جمادى الأولى من السنة ٦٤٨ بخديعة منه وذلك انه قبض في يوم من الأيام بريداً جاء من المفضل ووالدته من الدملوّة الى أمير الحصن وزمامه وكان أمير الحصن يومئذ علم الدين الشعبي والزمام استاذ يقال له عنبر فلما قبض البريد اخذ ما معه من الكتب وفضها وامر من زوّر على الخط حتى اتقنه ثم كتب الى الأمير علم الدين الشعبي على لسان المفضـل ووالدتـه ان يقبض الزمـام ويسجنه وكتب الى الزمام بمثل ذلك وجعلت اوراقه بين أوراق البريد ووهب للبريد ما أرضاه ووعده بالخير وتقدم البريد بالكتب الى الحصن فلما قبض الأمير والزمام على ما كتب به اليه همّ كل واحد منهما بصاحبه وكانا متصافيين ثم انهما اجتمعا واطلع كل واحد منهما على ما عنده فاتفقا على أن يكتبا معاً الى المظفر ويتوثقا لانفسهما منه ففعـلا وسـلما اليه الحصـن في جمادى الأولى من السنـة ٦٤٨ فجعـل زمـام خادماً لبنت أسد الدين وكان خادماً فيه خير ونال الشعبي عنده حظوة عظيمة ثم انه أقطعه صنعاء فلم يزل بها الى أن توفي وقيل أقام السلطان محاصراً للحصن نحو ستة اشهر

فلما طال مقامه كتب الى خالته بنت حوزة يسألها ان تسلم اليه حصن تعزّ ويكون ولده الأشرف معها وأخوه وامها رهائن عندها وأرسل بهم اليها فكتبت الى الأمير بتسليم الحصن اليه فتسلمه منه .

ثم تسلم حصن حب في رجب من السنة ٦٤٨ وفي ذلك يقول الأديب جمال الدين محمد بن حمير حيث يقول :

وان ملك ولي فذي دولة ابنه	وفي يوسف نعم الخليفة عن عمر
أغار بها من بطن ملحاء غافق	محجلة الارساغ واضحة الغرر
ونادت زبيد يا مظفر مرحباً	أضاء بك النادي وقر بك المقر
وسار الى حب وحبٌّ يجبه	وما حب يعصيه ولو شاءَ ما قدر
حصون أتته وهي بالشرع إرثه	وبالسيف ليس السيف الا لمن قهر

وفي أثناء هذه المدة المذكورة اتفق الإمام أحمد بن الحسين والأمير شمس الدين أحمد بن الإمام عبد الله بن حمزة وقصدا الأمير أسد الدين محمد ابن الحسن الى صنعاء فخرج منها وطلع حصن براش وكان خروجه من صنعاء يوم الثاني من جمادي الأولى من السنة ٦٤٨ ودخل الإمام صنعاء يوم السابع من الشهر المذكور ودخل معه كافة الاشراف وأجابته القبائل واستولى على صنعاء واعمالها ثم على ذمار وجهاتها وكان الأمراء الحمزيون معه وهو غير واثق بهم وهم كذلك .

قال صاحب العقد الثمين وأقام الامام في صنعاء نحواً من سنة والأمير اسد الدين في براش يغاديهم بالقتال ويراوحهم وقد اجتمعت عليه العرب مع الامام فلما طال عليه الأمد واشتد عليه الأمر راسل الأمير شمس الدين أحمد ابن الامام على ان يصلح بينه وبين الامام فأشار عليه الأمير شمس الدين بالرجوع الى مولانا السلطان وملازمته والارتسام تحت امره ثم التقى الأمير أسد الدين والأمير شمس الدين الى الجبوب واتفقوا على أن الأمير شمس الدين يسعى في الصلح بين الأمير أسد الدين

وبين الإمام وأن الإمام يجهز الأمير أسد الدين الى اليمن لحرب ابن عمه السلطان الملك المظفر فاذا صار قريبا من السلطان سعى من سعى في الصلح بينه وبين السلطان فاتفق الأمر على ذلك وسعى من سعى في الصلح بينه وبين الامام فاصطلحوا على ذلك واتفقوا وانتظم الأمر وتجهز الأمير أسد الدين وسار في صحبة الأمير أحمد بن علوان وغيره من بني حاتم وجهز الامام معه أيضاً الأمير عبد الله بن سليمان بن موسى في مئة فارس وخرج الأمير أسد الدين في عسكر عظيم ولم يزل سائراً حتى حط في الشوافي فلما علم به السلطان الملك المظفر خرج في عسكره حتى حط مقابلاً له فسعى بينهم في الصلح بنو حاتم وغيرهم حتى انتظم امر الصلح وكان اللقاء في الموسعة وركب السلطان فرسه المشمر وأقبل في جلال ملكه واحتفال جنده وكثرة عسكره وأقبل الأمير أسد الدين يمشي راجلاً فلما قرب ترجل له السلطان وتسالما وهما راجلان ثم ركب السلطان وسار الأمير أسد الدين قدامه راجلاً وحمل الغاشية بين يديه حتى دخل على السماط فلما بلغوا المرتبة الشريفة قال السلطان للأمير أسد الدين بسم الله يا أمير فقال : حاشاك يا مولانا هذا موضعك وموضع أبيك وهذا موضعي وموضع أبي . ثم انتظم الأمر على ما شرعوه من الصلح وخرج له من الأنعام العميم ما هالهُ حتى قال ليت شعري هل ابقى مولانا السلطان في خزائنه شيئاً .

ثم ان السلطان رحمة الله عليه جهز مادة مئة فارس الى صنعاء وجعل مقدمهم الناسف اليحيى ثم ورد أمره على الأمير أسد الدين بالعود الى صنعاء فسار مبادراً في عسكره وأصحابه ولما بلغ الامام العلم بذلك جهز عسكره الى نقيل الغابرة وظن أنهم يمنعون عسكر السلطان من طلوع النقيل فلم يقم عسكره في وجه العسكر المظفري ساعة واحدة فلما علم الإمام بوصول اسد الدين في العساكر المظفرية خرج من صنعاء الى سناع بعد ان اخرب قصر الأمير أسد الدين وقصر اخيه الأمير فخر الدين وترك السيد الحسن بن الوهاس الحمزى وأخاهُ وغيرهما من الأشراف والعرب رتبة في ظبوة فقصدهم الأمير أسد الدين في العساكر السلطانيه فاخذهم برقابهم وأطلعهم

حصن براش, ثم طلع السلطان صنعاء في ذي الحجة من سنة ٦٤٨ وفي سنة ٦٤٩ رجع السلطان من صنعاء الى اليمن وفيها تسلم حصن التعكر في أول المحرم سنة ٦٤٩ .

وفي آخر الشهر المذكور وصل العلم بقدوم الأمير بدر الدين الحسن بن علي ابن رسول من مصر وقدوم أخيه فخر الدين أبي بكر بن علي بن رسول فأوجب ذلك الصلح بين السلطان وبين الامام فاصطلحا .

ثم ان مولانا السلطان كتب الى كافة النواب بالتهائم باكرام عمّيْه والقيام بحالهما وكتب الى عمته المعروفة بالنجمية وهي يومئذ بالتعكر يقول لها ان رأيت ان تلقى اخوتك فافعلي ففرحت بوصولهما فرحاً شديداً لأنها كانت تبرُّ أهلها خاصة والناس عامة وكان محمد بن خضر قد صار من خلف السلطان وأمه زهراء بنت الأمير بدر الدين وكانت من أعيان النساء حازمة لبيبة وهي التي ابتنت المدرسة المنسوبة الى بني خضر بقرية الجبابي وفيها قبرها وقبورهم وكان محمد بن خضر قد أساء الى السلطان وخالف عليه خلافاً ظاهراً ثم عاد عن ذلك فقال له السلطان يا محمد انزل مع جدتك والق جديك فنزل مع الدار النجمي وجهزها السلطان اتم جهاز ولما نزلوا نزل السلطان بعدهم فلقي عميه في حيس فخرجا في لقائه فلما توجهوا ترجل بعضهم لبعض وتسالموا ثم ركبوا خيولهم ودخلوا الى مدينة حيس فلما استقرَّ بهم القرار أمر السلطان بالقبض على عميه المذكورين بدر الدين وفخر الدين وعلي محمد بن خضر وقيدهم وطلع بهم مقيدين ثم تمثل بقول الأول[1] :

اقول كما يقول حمار سوءٍ	وقد ساموه حملاً لا يطيق
سأصبر والأمور لها اتّساع	كما أن الأمور لها مضيق
فاما أن أموت أو المكارى	وأما ينقضي عني الطريق

(١) لعل هنا سقطاً ففي العسجد وقرةالعيون . وطلعوهم الى حصن تعز تحت الحفظ فساروا بهم يومهم فلما دخلوا من باب الحصن قال الأمير بدر الدين فبحك الله من قلعة خرجنا منك مقيدين ورجعنا اليك مقيدين ثم الح .

فلما دخلوا دار الأدب المذكور وجدوا فيه الأمير فخر الدين الصغير أبا بكر بن الحسن بن علي بن رسول وكان أول من سجن منهم فكتب الأمير شمس الدين علي بن يحيى الى الأمير شمس الدين يحقق له ما كان من الأمر وفي أثناء ذلك يقول :

ودادي ذلك الود القديم	وعهدي ذلك العهد القديم
وبين جوانحي مما أراه	جحيم منه تحترق الجحيم
وقلت قدوم بدر الدين فيه	لنا فرح فما نفع القدوم

فبلغ خبره الى مولانا السلطان فاغضى عنه وكان يكرمه ويقطعه الاقطاعات النفيسة ولا يظهر له شيئاً مما يبلغه . وفي هذه السنة ٦٤٩ تقدم المجد بن أبي القاسم بالرسالة الشريفة المظفرية الى المواقف المطهرة العباسية ببغداد وقيل كان الرسول الى بغداد الأمير عز الدين جعفر بن ابي القاسم فسار على طريق براقش الى العراق واتخذ الأدلة من البادية وسلك طريق الرمل على الرواحل البحرية فحكى ابن اخيه انهم ساروا من براقش الى العراق اربعة عشر يوماً فلما حضر مقام الخليفة ببغداد عرض الكتاب وقرأه الخليفة المستعصم ودعا لمولانا السلطان الملك المظفر فأمر الخليفة ان يكتب له منشوراً وولاهُ العهد .

ثم قال الخليفة انظروا كم جائزة صاحب اليمن فقالوا عشرة آلاف دينار فقال عز الدين بن أبي القاسم وكم جائزة صاحب مصر فقالوا أربعين الفاً فقال لا اقبل لمخدومي دونها فقال له الوزير ان اقليم مصر أكبر من اقليم اليمن فقال عز الدين ما كان في اليمن من نقص فان اوصاف مخدومي يجبره فقال الخليفة لقد سررنا بمقاتلك ثم التفت الى الوزير وقال اخبروه بجائزة صاحب مصر .

ثم كتب الخليفة الى السلطان كتاباً يأمره فيه باستئصال الامام أحمد ابن الحسين وأكد الوصية على الأمير عز الدين في ذلك ثم سار ابن أبي القاسم وسار معه رسول

الخليفة فلما وصل الى السلطان البسه الخلعة وقرأ له المنشور وولاهُ العهد بوكالة المستعصم له في ذلك وسلم له الاجازة وأقام في دار الضيافة فحمل له السلطان ما يستغرق الجائزة وغيرها .

ولما قتل الامام أحمد بن الحسين كما سيأتي ذكره إن شاءَ الله تعالى كتب مولانا السلطان الى الخليفة يعلمه بذلك فلما بلغ الرسول براقش لقيه الخبر بقتل الخليفة ودخول التتر ببغداد .

وفي هذه السنة اصطلح السلطان الملك المظفر واخواه المفضل والفائز واقطعهما لحجاً وابين .

وفي آخر السنة كان وصول رسول الخليفة الى مكة المشرفة بكسوة الكعبة وتشريفة المظفر الذي تقدم ذكرها وبالنيابة المذكورة فكسا البيت وتقدّم الى اليمن فوصل الى السلطان بالتشريفة والنيابة .

وفي سنة ٦٥٠ اصطلح الإمام والأمير أسد الدين محمد بن الحسن بن علي بن رسول . ودخل الأمير أسد الدين في طاعة الإمام وباع عليه حصن براش بمئتي ألف درهم وانتقض ما بين الإمام والسلطان من الصلح وذلك في رجب من سنة ٦٥٠ . وسيّره في عسكر جرار الى ذمار وجهز معه عسكراً من قبله وجعل عليهم الشريف عز الدين هبة بن الفضل العلوي . فلما اتصل العلم بمولانا السلطان جرد لهم الطواشي تاج الدين بدراً والأمير شمس الدين علي بن يحيى . فوقع بين الأمير شمس الدين علي بن يحيى وبين الطواشي تاج الدين مشاجرة فرجع الأمير شمس الدين علي بن يحيى الى الأبواب الكريمة الشريفة وسار الطواشي تاج الدين وحده في العساكر المظفرية . فلما رأى الأمير أسد الدين والشريف عز الدين هبة بن الفضل ما هالهم من العساكر المظفرية هربوا الى السواد ولزموا الجبل وأرسلوا الى الإمام يطلبون منه المدد فأمدهم بالأمير شمس الدين احمد بن الإمام وجميع العرب من بني شهاب وسنحان وأهل حضور وغيرهم فحصل بينهم وبين العساكر المظفرية عدة وقائع

ظهرت فيها بسالة المماليك . ثم إن الإمام تابع الامداد اليهم ولم يترك أحداً من القبائل الاّ جهزه اليهم . فلما رأى الأمير أسد الدين تكاثف عسكر الإمام وتواتر الامداد اليه ادركته الحميّة العربية وعطفته الأواصر اليعربية فانذر الطواشي تاج الدين وصوّب له العودة وقال له : انك اذا رجعت بهذا العسكر سالماً وافراً طلع به مولانا السلطان فلا يقوم في وجهه واحد . فعاد الطواشي الى ذمار ثم سار الى اليمن .

وفي هذه السنة استولى السلطان على حصن الدُملؤَة . وكان سبب ذلك أنه أرسل بولده الأشرف واخته وامها وبالطواشي ياقوت الى خالته بنت حوزة وجعلهم عندها رهائن . فساسوا الأمر وعاملوا الرتبة وقيل : بل طلعت الدار الشمسي كريمة مولانا السلطان مغاضبة لأبيها وشاكية منه الى اخويها وخالتها بنت حوزة وأظهرت الشكوى من أبيها[1] المظفر . وكان معها الطواشي ياقوت وأقامت عندهم أياماً وهي تستميل الخدام وتصلح أحوالهم وتستخدم الرتبة الى ان احكمت الأمر . ثم قيل لبنت حوزة إن البقرة الفلانية في الجوْة ولدت عجلاً برأسين . فأرادت النزول الى الجوْة لتنظر البقرة وعزمت على الدار الشمسي ان تنزل معهم . فاشتكت مرضاً فلم تنزل فنزلت بنت حوزة وأولادها . فلما نزلوا أوقد الطواشي ياقوت النار في رأس الحصن . وكانت الامارة بينه وبين السلطان الملك المظفر ان يوقد ناراً في أعلى الحصن فلما رآها السلطان نزل من فوره وكان السلطان يومئذ في حصن حبّ . وقيل في تعكر . فركب في مئة نفر وسار فقطع اكثرهم في الطريق . وثبت معه جماعة منهم النقيب منصور . فلما صار السلطان قريباً من باب الحصن نزل والنقيب منصور قائم بين يديه . فقال من هذا : فقال عبدك منصور . فتفاءل به حينئذ وانعم عليه وكساه ورفع مرتبته وولاّه بعد ذلك بعض الجهات .

قال المصنِّف رحمه الله : وكان النقيب منصور رئيساً كاملاً هماماً عاقلاً ولم

---

(١) لاخيها . . من أخيها

تزل الرياسة في ولده وولد ولده الى يومنا هذا . وكان منهم الأمير شجاع الدين عمر ابن يوسف بن منصور . انتهت به الرياسة الى أن صار نائب السلطان الملك المجاهد في المملكة اليمنية بأسرها . ومنهم الأمير عز الدين هبة بن محمد بن أبي بكر بن يوسف بن منصور . وكان أميراً بزبيد وكذلك ابن عمه الأمير نجم الدين محمد بن ابراهيم ايضاً تولى مدينة زبيد مدة طويلة . وسنذكر من لا بد من ذكره . ولما وصل السلطان الى باب الحصن بالدملؤة وجد اخاه الفائز قائماً على باب الحصن ولم يفتح له . فقال له · هكذا تضيعون الحصون لا معنا ولا معكم . وساق عنه ففتحوا له الباب فدخل ودخل معه من وصل حينئذ من غلمانه وخدمه . وكان ذلك يوم التاسع عشر من ذي القعدة . وقيل يوم الخامس والعشرين منه في السنة المذكورة .

وفي هذه السنة توفي الفقيه الامام العالم العامل أبو الحسن علي بن مسعود بن علي بن عبد الله بن المحرم بن أحمد الساعي ثم الكتبي . وكان إماماً كبيراً ذا فنون كثيرة .واشتغل في أول عمره بالقراءات السبع حتى أتقنها . وتفقه في قراءته بحراز ثم عاد الى بلده وقصد الفقيه أبا عبد الله محمد بن عبد الله بن نزيل الى جبل تيس فقرأ عليه المهذب ثم ارتحل الى جبا فاخذ البيان عن الفقيه أبي بكر بن يحيى وأخذ عن أبي بكر الحجوري . ثم عاد الى المخلافة فرأس بها ودرّس فلما ظهر الامام عبد الله بن حمزة وغلب امره في تلك الناحية خرج الفقيه المذكور في جمع من الطلبة نحوٍ من ستين طالباً وقصد تهامة فأقام بها مدة . فلما توفي الامام عبد الله بن حمزة وهدأت الفتن عاد الفقيهُ الى بلده المخلافة ايضاً فلبث بها مدة . وقدم الشيخ الصالح أبو الغيث بن جميل الى بلد الفقيه وابتنى هنالك رباطاً وأقاما متعاضدين فلما ظهر الإمام احمد بن الحسين واشتدت شوكة الزيدية انتقلا عن المخلافة وعاد الى تهامة . فنزل الشيخ أبو الغيث مع الفقيه عطاءٍ وهو الذي تنسب اليه القرية المعروفة ببيت عطاءٍ وتوفي في التاريخ الذي يأتي ذكره ونزل الفقيه عند تلميذه الفقيه عمر و ولم يزل هنالك الى أن توفي في السنة المذكورة . وكان إماماً جليل القدر تفقّه به خلق كثير . وانتشر

عنه الفقه في جهة حجة وغيرها انتشاراً عظيماً . ولما تولى كما ذكرنا وصل الشيخ أبو الغيث معزياً به الى تلميذه الفقيه عمرو ومن حضر من أهله وكان زاهداً ورعاً يروى انه ما قبض ديناراً ولا درهماً ولم يتأهل بامرأة قط . فقيل له في ذلك فقال يشغلني عن العلم أو كما قال . ويروى أن حلقته كانت تجمع ثمانين متفقهاً أكثرهم ذو فقر وحاجة وإيثار . ويحكى انه حصلت عليهم ازمة فتضرروا بها ضرراً عظيماً . فعلم بذلك بعض أهل القرية ولم يكن في قدرته ما يقع موقعاً من كفايتهم فبعث بقُرص من الطعام لشخص منهم فآثر ذلك الشخص به صاحباً له ثم آثر ذلك الشخص به آخر ثم آثر آلاخر آخر حتى عاد القُرص الى الذي حصل له ابتداءً فاخذه ووصل به الى الفقيه وأخبره بالأمر فاعجبه ذلك وقال الحمد لله الذي جعل في أصحابي صفة من صفات اصحاب الصفة وانصار نبيّه صلى الله عليه وسلم حيث قال تعالى « ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ، ومن يوق شحَّ نفسه فأولئك هم المفلحون » . ثم جمع الدرسة وقسم القُرص على عدد رؤُوسهم لقمة لقمة .

وفي سنة إحدى وخمسين رجع الأمير أسد الدين بمن معه من العسكر الى البلاد العليا وفسد ما بينه وبين الإمام . وذلك أنه لم يحصل له من قيمة براش الاَّ الشيءُ اليسير ولم يف له الإمام بما عاهده عليه من أمر البلاد . فسار نحو البهيمة[1] في طريق المشرق . وكان في صحبته الأمير علي بن وهاس في جماعة من خيله حتى بلغ عمقين وعَمدان وجُرذان وهي أودية بالمشرق . فضاقت عليهم المسألك هو والأمير علي بن وهاس واشتدت بهم الحال وقصدتهم العساكر المظفرية ولم يروا بدّاً من قصد الشيخ علوان بن عبد الله الجحذري على ما بين الأمير أسد الدين والشيخ علوان بن عبد الله الجحذري من العداوة والبغضاء في أيام الدولة المنصورية . فلما نزلوا عليه لقيهم بالرحب والسعة وانزلهم في العروسين وحمل اليهم الضيافات وأجارهم . فقصدهم السلطان وحط في بلاد الشيخ علوان واخرب منها مواضع

---

(١) في العسجد : نحو رداع ، ولا معنى للكلمة التي في المتن

كثيرة واحرق مواضع اخرى . ولم يزل الشيخ علوان يلاطف السلطان ويراجعه ويسأله الذمة للأمير أسد الدين حتى اذم له على يده . فقال الشيخ علوان في ذلك وكان من فصحاء العرب :

سلام على الدار التي في عراصها ... معاهد قوم لا يذمّ لهم عهد
أناخوا علينا نازلين وفيهمُ ... طوال القنا والمشرفية والجردُ
ليوث شرى خاضوا الرمال فذلّلوا ... مقاولها فارتاع من خوفهم نجد
رَموا موضع الشمس احتساباً لانفس ... أمانيها موتٌ على العز أو حمد
الى أن سرى البرق اليماني لامعاً ... بدملؤَة الغرّا التي ما لها ندٌّ
فزمّوا له بزل الركاب على الوجى ... وقادوا اليه الخيل من فوقها الأسد
يقودهم الملك الذي في يمينه ... عوارف منهن المنية والرفد
تحف به القوم الذين سيوفهم ... عقائق حمر لا يلائمها غمد
رأوا مورداً عذباً فلما دنوا له ... وقد أشرعوا قلن المقادير لا ورد
قضى أسد الدين القضاءَ برمحه ... الى علم زهر النجوم له عقد
فجاش عليهم للمظفر عارض ... له البيض برق والطبول به رعد
همام أبى ان يسلم الملك فانبرى ... وحوليه أرباب الزعامة والجند
يسوقهم سوق السحاب يحثها ... نسيم الصبا حتى ألم بنا الوفد
أكارم كانوا لي عدواً فاصبحوا ... ينادون يا علوان هل ذهب الحقد
فقلت لهم في فرع تيماءَ فانزلوا ... ألا مرحباً هذا السموأل والفرد
مددت لهم ظل العروسين دائماً ... بسطت لهم ايدي الرخاء الذي مدوا
فشكراً لمن أدنى ركاب محمد ... إليَّ واهداه لي الفلك والسعد
فاصبح أرباب الزعامة حولنا ... وما رابني منها الوعيد ولا الوعد
ملوك دنا بعض لبعض فاصبحت ... كتائب عزمي وهي بينهم سد
وأسدٌ إلى أسد تدانت فصدّها ... على حنق ما بينها الأسد الورد
فمن لفخار العرب مثلي ومن لها ... كمثل مقامي في المكاره إن عدُّوا

فحسبـي إنـي الحـرُّ من آل يعرب   وإنـي لمن آوى إلى كنفـي عبد

ولما أذم السلطان الملك المظفر للأمير أسد الدين كما ذكرنا نزل الأمـير أسـد الدين فيمن معه من أصحابه الى السلطان فلقيه بالموسعة فأكرمه وأنصفه وسار الأمير أسد الدين ماشياً بين يدي السلطان بسيفه على عاتقه . فلما دخلوا على السماط وقف وخدم . ثم إن السلطان حمل اليه أموالاً جليلة وأمده بعسكر كثيف . وأمره بالمسير الى صنعاء . فسار أسد الدين في العسكر الى صنعاء فعلم به الإمام فخرج من صنعاء ودخلها أسد الدين . ثم طلع السلطان الى صنعاءَ في رجب من السنة المذكورة وطلع صحبته الأمير علم الدين علي بن وهاس فحط في درب عبد الله . وكان الإمام يومئذ في ساع فخرج من سناع فاخرب السلطان سناع وبساتينها وعاد إلى اليمن فتسلم حصن دروان من الشيخ الورد بن محمد بن ناجي . وفي هذه السنة قتل الشريف أبو سعد بمكة وكان مدة ولايته عليها أربع سنين إلاَّ شهراً . فدخل بنو عمه الى داره فقتلوه في وسط الدار وكان الذي قتله حماد بن حسن وحج بالناس في ذلك العام وأقام بمكة . وفي هذه السنة اختلف الإمام والأمير شمس الدين أحمد ابن الإمام عبد الله ابن حمزة وبنو عمه من بني حمزة واستنصروا بالسلطان فأثر السلطان على الأمير أسد الدين[1] يوم الخامس من ذي الحجة وقد وصلت الخزائن السعيدة اليه فالتقى الأمير شمس الدين في براقش بعد أن رجع الأمير شمس الدين من مأرب ثم ساروا جميعاً فحطوا على الزاهر فاخذوه . وأخربوه .

وفي هذه السنة توفي الشيخ الصالح المشهور أبو الغيث بن جميل الملقب بشمس الشموس . قال بعض العلماء وهذا لقب على ملقب باستحقاق وكان في بدايته قاطع طريق وكان سبب توبته أنه صعد شجرة يريد أن ينظر السَّفر إذا أقبلوا فبينا هو على الشجرة يتأمل الطرق إذ سمع قائلاً يقول يا صاحب العين عليك العين فوقر ذلك في قلبه فنزل عن الشجرة مستكن القلب ونفسه تنازعه في الإنابة . فلم

(١) هنا سقط ففي العسجد وقرة العيون : بمناصرتهم فخرج اسد الدين يوم الخميس الخ .

يجد لذلك غير الشيخ أبي الحسن علي بن عبد الملك بن أفلح بزبيد فوصل اليه وعرض عليه أمره وسأله أن يأخذ عليه اليد فأخذ عليه اليد وألزمه الخدمة للزاوية فأقام يخدمها بالحطب والماء وفي بيت الخلاء دهراً ثم تقدم المراوعة بعد ذلك الى الشيخ علي الأهدَل فأقام عنده أياماً هذبه فيها تهذيباً مرضياً فكان يقول خرجت من ابن أفلح لؤلؤةً عجماء فثقبني الأهدَل . ثم طلع الجبال الشامية بعد ذلك فظهر له فيها أحوال خارقة فمال اليه عالم عظيم من العامة والرؤساء وصحبه جماعة من الفقهاء . فلما ظهر الإمام عبد الله بن حمزة وقوي أمر الزيدية بالجبال الشامية نزل الشيخ الى تهامة ونزل بنزوله الإمام العلامة الفقيه علي بن مسعود المذكور أولاً فسكن الشيخ أبو الغيث رحمه الله مع الفقيه عطا على كره من أهله . ثم قام الإمام أحمد بن الحسين وبلغهُ ان الشيخ مقبول الإشارة مسموعُ القول كتب اليه طمعاً في ميله وميل أهل تهامة كتاباً صدره « قل يا أهلَ الكتاب تعالوْا الى كلمةٍ سواءٍ بيننا وبينكم ألا نعبد إلاَّ الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذَ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فان تولوا فقُولوا اشهدوا بأنَّا مسلمون » . ثم قال القصد يا شيخ الاجتماع على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والسلام . فلما وصل الكتاب مع بعض الشيعة قال الشيخ لرجل من أصحابه اقرأ كتاب الشريف . فلما قرأه وفرغ من قراءَته قال لهُ الشيخ اكتب « ان ينصركم الله فلا غالب لكم وان يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده وعلى الله فليتوكل المؤمنون . الحمد لله فالق الاصباح . ومرسل نسيم الرياح . الى فسحة مبدأ عالم الأشباح والصلاة والسلام على سيد الأنام ومصباح الظلام وعلى آله وصحبه السادة الكرام . (أما بعد) فقد وصلنا كتاب السيد الشريف يدعونا لإجابته ولعمري إنها طريق سلكها الأولون وأقبل عليها الأكثرون . غير أنا نقر منذ سمعنا قوله تعالى « له دعوة الحق » لم يبق فيها متسع لاجابة الخلق . فليس لأحد منا أن يشهر سيفه على غير نفسه ولا أن يفرط في يومه بعد أمسه . فليعلم السيد قلة فراغنا لما رام وليبسط العذر والسلام » فذكروا ان رسول الشريف وقف مع الشيخ وبعث بالكتاب رسولاً . ويروى أنهُ كتب اليه الشيخ احمد بن علوان الذي يأتي

ذكره فيما بعد إن شاءَ الله تعالى كتاباً يقول فيه : أما بعد فاني أخبرك .

جزت الصفوف الى الحروف الى الهجا — حتى عرفت مراتب الابداع
لا باسم ليلى استعين على السرى — كلا ولا ليلى تقل شراعي

فأجابه الشيخ أبو الغيث بن جميل : من الفقير الى الله تعالى أبى الغيث ابن جميل اغذي نعمة الله في محل الحضرة أما بعد فاني أخبرك .

حلَّ في الاسم القديم باسمه — واشتقّت الأسماءُ من أسمائي
وحباني الملك المهيمن وارتضى — فالأرض ارضي والسماءُ سمائي

يا ابن علوان أبت المراهم الشافية ان تقع على جرحك الخبيث حتى تعدم بمرر العقاقير . وكان الشيخ رحمهُ الله كبيرالقدر شهير الذكر صاحب ترقية ومجاهدة قلَّ أن يوجد لهُ نظير . وفضائله أكثر من أن نحصى واشهر من ان تذكر . ومن كلامه قوله شكوتك الى ما في يديك دليل على قلة ثقتك بالله ورجوعك في حال الشدة الى المخلوقين دليل على أنك لا تعرف الله وفرحك بشيءٍ تناله من الدنيا دليل على بعدك من الله . وقد قيل ان هذا من كلام أبي يزيد البسطامي أو أحد نظرائه والله أعلم .

وسئل الشيخ رحمهُ الله عن المستحق لاسم الصوفي فقال هو من صفا سرُّه من الكدر وامتلأَ قلبهُ من العبر وانقطع الى الله عن البشر واستوى عنده الذهب والمدر .

وسئل مرة أخرى عن ذلك فقال الصوفي من كان بعهد الله موفياً . ومن دعائه اللهم اني أسألك يا روح روح الروح ويا لب لب اللب ويا قلب قلب القلب هب لي قلباً أعيش به معك فقد خلقت كلّ ما هو دونك لأجلك فاجعلني ممن شئت من هذه الجملة .

وروي عن الفقيه الامام الصالح إسماعيل بن محمد بن اسماعيل الحضرمي انه قال جرى بيني وبين بعض أصحاب الشيخ أبي الغيث بن جميل كلام من أجله فقلت

له قد كان الشيخ يخطىءُ في بعض كلامه في المجالس فقال لا وانكر عليَّ انكاراً شديداً فلما كان الليل رأيت الشيخ بعد العشاء تمثلت لي صورته فقال لي أخطأنا كثيراً ووقعنا كثيراً ولكن قلت منا العزائم وصفحت عنا الجرائم وسامني البدع الموصوفون بضرهم الاَّ من كان فيه اربع خصال ان يكون لله لا له للناس لالنفسه سالكاًطريقةً وهي طريقة واحدة تبارك اسم ربك ذي الجلال والاكرام . ثم قال لي احذر بنات الطريق فانهن يلتمسن اللمحة والنظرة . فسئل الفقيه عن بنات الطريق فقال هي الكرامات التي تعرض للسالك في طريقه الذي لاحظها حجب عن مقصوده . وكانت وفاة الشيخ [1] على الحال المرضي عازفاً عن السماع منذ مدة نهار الأربعاء لخمس بقين من جمادى الأولى من السنة المذكورة . وتربته مشهورة في بيت عطا وهي قرية من أعمال سردد وجعل عليه التاجر بن الخطبا قبة عظيمة والله أعلم .

وخلف الشيخ فيروز وكان فيروز كبير القدر وهو من أصحاب الشيخ محمد ابن أبي بكر الحكمي صاحب عواجه . وكانت وفاته في سنة اثنتين وتسعين وستمئة وفي هذه السنة المذكورة ايضاً توفي الأديب جمال الدين محمد بن حمير الشاعر المشهور . وكان أوحد شعراء عصره وهو من شعراءِ الدولة المنصورية وكان يصحب الشيخ والفقيه صاحبي عواجه وله فيهما عدة قصائد وشعره فيهما وفي غيرهما كثير مشهور متداول وله ديوان شعر جيد وهو عزيز الوجود . ورأيت بخط الفقيه الامام العلامة ابي العباس أحمد بن عثمان بن بصيص النحوي بيتين من الشعر وهما :

أما قصائد قاسم بن هتيملٍ فمذاقها احلى من الصهباء
هو شاعر في عصره فطن ولكن ابن حمير اشعر الشعراءِ

ويقال ان هذين البيتين لابن سحبان قالهما وقد سئل أي الشاعرين المذكورين أفصح . وكانت وفاة ابن حمير في مدينة زبيد ودفن في مقبرة باب سهام شرقي قبر الشيخ الصالح مرزوق ابن حسن الصوفي بينهما الطريق هنالك الى قرية المخريف

---

(١) موضع كلمة غير ظاهرة في الأصل .

وغيرها من وادي رِمع والله اعلم .

وفي سنة اثنتين وخمسين سار الأمير أسد الدين محمد بن الحسن بـن علي بن رسول . والأمير شمس الدين أحمد بن الإمام المنصور عبد الله بـن حمزة والعساكر المظفرية الى مدينة صعده . وكان الإمام أحمد بن الحسين يومئذٍ في صعده فلم يكن بأسرع من دخول الأميرين المذكورين في العساكر المظفرية الى مخلاف صعده فهرب الإمام الى عُلاف . وجعل السيد الشريف الحسن بن وهاس ذمةً في صعدة في نصف العسكر وسار في النصف الثاني الى عُلاف فأقامت المحطة على صعـدة نحـواً من شهرٍ . والشريف شمس الدين والأمير أسد الدين يغاديانهم ويراوحانهم القتال حتى انقطعت عنهم المادة . وفي أثناء هذه المدة فقئت عين الشريف جمال الدين علي بن عبد الله بن الحسن بن حمزة . ثم فتحت صعدة وأسر الشريف السيد الحسـن بن وهاس . وكانت المدينة محشوّة بأهلها فنهبت منهاأموال جمة واخـذت منهـا غنائـم عظيمة وأخذوا سبعين رأساً من الخيل وأجار الأمير أسد الدين أجزل الناس وستر النساء . وشحن براش صعدة شحنة عظيمة . ورتبا في صعدة الأمير عز الدين محمد ابن الأمير شمس الدين أحمد بن الإمام وهبة بن الفضل ورجع الأميران الى صنعاء . وفي ذلك يقول الأمير عز الدين عزان بن سعيد بن بشر بن حاتم على لسان الأمير شمس الدين أحمد بن الامام ممتدحاً السلطان الملك المظفر بقصيدة من القصائـد الطنانة وهي :

سلام مشـوق وده ما تصرما ... يزورك من نجـد وان كنـت متهما
سلام كنشر الـروض باكرهُ الحيا ... فاضحـى انيقـاً مشرقـاً متبسما
يخصـك من قربٍ وإن كنـت نائياً ... ويهـدي تحياتـي فرادى وتوأما
فيا أيهـا الملك المظفـر والذي ... حمـى قصبـات الملك أن تتهدَّما
ويا دافـعَ الجلّ اذا الخطـب مبهمٌ ... وقـد جنَّ ليل الحادثـات واظلما
ويا مخجـل الأنـواءِ والبـرق خلَّب ... اذا جاد برقٌ من نوالٍ واسجما

ملكت فلم تفخر ونلت فلم تطل ... وجدت فلم تترك على الأرض معدماً

وصُلت فلم تترك عليها معانداً ... ولو أنهُ يرقى الى الجو سُلما

اليك أبا المنصور أهديت أحرفاً ... ابثك اخباراً وان كنت أعلما

وإني لما أوليتني من صنائع ... لاستنجد الأخبار كي اشفي الظما

واستنهض العزم المعيد وطالما ... حللت بهِ عقداً من الهمّ مبرمَا

لأنقم ثأراً او لأكبت حاسداً ... واقضي لبانات النفوس وانعما

فشمّر لشيد المجد اذ انت أهلهُ ... وتمم على اسم الله تُدعَ متمما

فلم يبق في الأقوام الاّ حُثالة ... تهبُّ بها ريح الصبا ان تبسما

نهضنا بجيش منك يطمو عبابه ... يضيق به رحب الفضا حيث يمما

يجول بقاع الأرض شرقاً ومغرباً ... ويطوي رباها محرماً ثم محرما

ويغشى لظى الحرب العوان كأنه ... طنين ذباب عندهُ ان ترنما

نزلنا بوادي الجوف نرعى جميلهُ ... ونذكر عهداً كان فيه تقدما

فلما قضينا نحوهُ كل حاجةٍ ... وجئنا المراشي وهو كان محرما

صعدت بنا أعمال صعدة صنحاً ... تباري كأمثال الشموس تهتما(1)

ولاحت على الأقطار اعلام يوسف ... كأن شعاع الشمس منها تسنما

وصاحت طيور السعد في كل وجهة ... تبادر بالترحاب اذ كنّ وجمّا

فلا ملكٌ إلاّ وأرخى قيادهُ ... ولا قائمٌ إلاّ تولى وأحجما

ولا حيٌّ الا استيقظوا بعد هجعة ... وكانوا سكارى قبل ذاك ونوّما

ولله درّ الأريحي محمد ... شقيقك محمود الثنا مانع الحما

فوالله ما جشمتهُ للمةٍ ... على مثل حد السيف الا تجشّما

ولا قلت مهلاً يا خليلي وقد بدا ... به الشرُّ الاّ كفّ ثم تبسّما

فيا ابن الملوك الغر من آل جفنة ... غدا مجدهم فوق السماك مخيّما

لأنت صفي الود إذ أنت اهلهُ ... ولا أرتضي إلاّك ركباً ومغنما

---

(١) في العسجد تباري كمثل السراحين سهما ، وهذا أولى

ولا يقطعــنْ بينــي وبينــك قاطعٌ ... الى أن نزور جنــة الخلــد فاعلما

حلفــت برب النــاس حلفــة صادق ... مؤكدة لم اخشَ في ذاك مأثما

وبالمصطفــى جدي وبــالمرتضى ابي ... ومــن طاف بالبيت العتيق واحرما

لو انــي رأيت الــدين لله خالصاً ... وأُعـطيت ملــكاً يمــلأُ الأرض والسما

لما سمحــت نفسي بدين محمد ... ولــو لم اذق من بارد الماءِ مطعما

فلما رأيت الحــق ملقــى زمامه ... وليس سوى الــدنيا مراداً ومغنما

تنكســت عن تلك السبيل ولــم اعج ... عليهــا ولا في رفضهــا متندما

وعُــدت لشيد المجــد أرعــى سوامه ... ولــم ادَّكر نجــداً ولا أبــرق الحما

ويممــت محمــود الطرائــق يوسفا ... فللــه ملــكاً ما اعــزَّ واكرما

لقــد فخــرت غســان منــهُ بماجدٍ ... حماهــا وأعلاهــا سماكاً ومرزما

مجيبــاً الى داعــي التــكرم والندى ... وان هو لم يدع ابتــدا وتكرُّما

فدام قرير العــين في خفض عيشه ... ولا زال مأوى للوفــود ومنتمى

ولما عاد الأميران شمس الدين وأسد الدين الى صنعاء بمن معهما من الأسرى كان دخولهم صنعاء يوم الجمعة الثاني عشر من شهر ربيع الأول من السنة المذكورة . ولما دخل شهر شعبان من السنة المذكورة وصلت الخزائن السعيدة والأوامر الشريفة المظفرية بخروج الأمير أسد الدين صحبة الأمير شمس الدين الى الظاهر فتجهز الأميران وخرجا بالعساكر المنصورة المظفرية وقصدوا بلاد حاشد وهو مخلاف ابن وهاس فخربوا فيها مواضع ثم نهضوا الى مصنعة بني القديم فأخذوها ونهضوا الى البون ثم الى الظاهر فاخذوا موضعاً يسمى الأبرق . ثم قصدوا الإمام أحمد بن الحسين الى موضع من بلاد حمير يسمى الهَجر وكان قد جمع جموعاً كثيرة الى نقيل الحصباتِ وأمرهم بحفظ ذلك الموضع . ففرق الأميران عساكرهما في جوانب النقيل فقطعوا الطريق على عساكر الإمام وهزموهم هزيمة شنيعة وقتلوا منهُ مقتلة عظيمة . وكان في جملة من قتل الفقيه حميد بن أحمد المحلي وكان من علماء الزيدية

وفضلائها ولهُ من التصانيف الجامعة والرسائل المفردة الى الملوك والعلماء ما ليس لأحد وقتل معهُ من الفقهاء والشيعة كثير واسر شمس الدين أحمد بن يحيى بن حمزة وكان من حلفاء الإمام علي بن حمزة وهرب الإمام بعد أن أشرف على الهلاك ثم تحصن في حصن حلب المصانع . ثم رجع الأميران الى الظاهر وأرادا التقدم الى جوب فاختلف عليهما العسكر فقفلوا الى صنعاء في شهر رمضان من السنة المذكورة .

وفي هذه السنة أخرج الشريف حماد بن حسن من مكة اخرجه الشريف راجح وأبو نمي وإدريس فأقام بها راجح ثلاثة أشهر ثم اخرجه ولده غانم وأقام بها الى شوال فأخرجه منها أبو نمى وإدريس فأقاما بها شهر شوال

وفي شوال جهز السلطان الأمير مبارز الدين الحسين بن علي بن برطاس الى مكة المشرفة في مئة فارس فلقيه الأشراف على باب مكة فكسرهم وقتل منهم جماعة ودخل مكة وحج بالناس . وفي شوال أيضاً تجهز الأمير شمس الدين أحمد بن الإمام عبد الله بن حمزة الى الأبواب الشريفة السلطانية هو واخوه داود بن الإمام وجماعة من بني حمزة وكان السلطان يومئذٍ في محروسة زبيد . فلما وصلوا خرج السلطان في لقائهم وأكرمهم وانصفهم وكان له من المقابلة والاتحاف ما لم يسمع بمثله وضربت لهم الخيام والمطابخ على باب الشبارق من زبيد مدة إقامتهم فاجتمعوا بالسلطان ثلاثة أيام وكانت إقامتهم شهرا وأطل عيد الأضحى وهم بالباب الشريف

وقال الأمير شمس الدين يمدح السلطان الملك المظفر رحمهما الله :

لعلّ الليالي الماضيات تعودُ ... وتبدو نجوم الدهر وهي سعود
عفا منزل ما بين نعمان واللوى ... وجرَّت عليه الرامسات بُرود
وكانت به العين الغواني اوانساً ... فاضحت به العين الوحوش ترود
تجرُّ أنابيب الرماح ومنيتي ... قباب ظباءٍ ريقهن بَرود
فيا دارنا بين العُيينة والحمى ... هل الروض روض والزرود زرود
فكيف بمن أضحى ظفار محله ... ومن بات قد حالت عليه زبيد

هواي بنجدٍ والمنى بتهامةٍ ... متى تلتقي بالمتهمين نُجود
وان فتى دامت مواثيق عهده ... على مثل ما لاقيتهُ لجليد
ولما شرى البرق الشآمي هاج لي ... جوى واشتياقاً ليس فيه مزيد
فهل لجنوب الريح ان تلثم الثرى ... بنشر تحيات لهنَّ صعود
على أربع بين الصعيد وصعدة ... وبين براشٍ لي بهنَّ عهود
مشاعر حج الطالبين فلا الأذى ... قريب ولا نجح الرجاء بعيد
كرمن فلا يخشى النوائب عندها ... منيب ولا يخشى الهوان طريد
ملاعب امهار الجياد وملتقى ... مجامع لا يشقى بهنّ وفود
وأبراج أشباه المها في كناسها ... عليهنّ من نسج العفاف برود
نعمنا بها أيام لا البغيُ نافث ... بنار ولا بين الرجال حقود
ظلاليَ فيها للورى غير قالص ... وبرِّيَ حوض لست عنه اذود
وقوميَ قوم الروع جن[1] وفي الندى ... بحور وحلماً كالجبال ركود
فنحن نطول الناس عزّاً وتنتهي ... الى الأفق أيدينا ونحن قعود
الى أن دعا داعٍ الى البغي للورى ... وأعلن منهم كاشحٌ وحسود
ودلّ عليَّ الحلم قومي وأسست ... ممالك لم تنظم لهنَّ عقود
وانكر إحساني الذين جلودهم ... عليهم إذا استشهدتهن شهود
فكم مات من قوم فحيوا بحلمنا ... وكم اخلفت سحبٌ ونحن نجود
بسطنا على العرب المكارم بسطة ... لنا أبطرتهم والطلول جحود
ولما صبرنا ظنت الناس أننا ... ذللنا وأنا سادرون سمود
فما سنَّ فينا الناس إلاَّ ظلامةً ... كما سنَّ في قتل الحسين يزيد
لقد انكرتنا الناس كل فضيلةٍ ... كأنَّا نصارى ملةً ويهود
ولما قصدت الملك ذا التاج يوسفاً ... علمت بأن الهم ليس يعود
دعوت فلباني فتىً لا مزبد ... ملولٌ ولا واهي اليدين بليد

---

(١) في العقد حينٌ . وهو أصوب

ومـالي لا أرخـي الـركاب الى ذرى … به الشهـب شهـب والصـعيد صعيد
والقيت كفـي في أنامـل لم تخن … عهـوداً ولـم تخلف لهـنَّ وعود
وما ابن أبـي حفص بدون الـذي دعا … له الحمـيريُّ الملْك وهـو فريد
أعـاد اليه ملك غمـدان وابتنى … مفاخـر في الـدنيا لهـنّ خلود
مكارم سنتهـا الملـوك ويوسفٌ … لآثـار ما سنَّ الملـوك يشيد
فسوحـك مقصـود وكفـك قاهر … وجـدّك منصـورٌ وأنـتَ حميد
صبـرت على حمـل العظائـم فانتهت … اليك العلى ان الصبـور سعيد
وفي كل يوم أنـت تبـدو على العدى … بخطـب وتبـدي في النـدى وتعيد
سبيل فتـى لا الموت يطـرق همهُ … ولا الموت فيما يتقـي فيحيد
ويعلـم ان الدهـر ليس بدائم … وان خلـود المكرمـات مفيد
انخنـا بك الآمـال وهـي ركائب … لارسائهـا لطف الإلـه يقود
وقـد كنـت عرَّيت الرواحـل برهة … واطرقـت حتـى لا يقـال مريد
وداويت لابـن العـم داءً وجدتُه … على الصبـر ينمـو خطبـه ويزيد
فادنيت من أمـواج بحـرك غمرة … أصـول بهـا فيمـن بغـى فيبيد
وحفٌّ بسرجي الترك والعـرب فاغتدى … بعونـك[1] ركنـي اليوم وهـو شديد
كذا يسـتعيذُ الحـرُّ بالحـرِّ واثقاً … بربٍّ لهُ كل الملـوكِ عبيد
بمـن نصر المظلـوم في كلماته … بنصرٍ لهُ أهـلُ السماءِ جنود
فدم في ظلال الملك ما هبـت الصبا … ومـا جنَّ في جنـح الظـلام رعود

ولما عزم الأمير شمس الدين على الرجوع الى بلاده حمـل اليه السلطان من الأموال والخيول والكساوي والطرف ما لا يعلمه الا الله . واقطعه مدينة القحمة وجهز معه مئة فارس من المماليك والحلقة فتقدم الأمير شمس الـدين الى الجـوف واستباحه . وكانت له وقعات عظيمة وفي هذه السنة توفي الفقيه ابو عبد الله محمد بن

---

(١) في العسجد : بعزك

يحيى بن إسحق بن علي بن إسحق العياني ثم السكسكي . وكان فقيهاً فاضلاً تفقه بأخيه أبي بكر بن يحيى بن إسحق المقدم ذكره وأخذ عن الإمام سيف السنة . وكان جداً صالحاً يغلب عليه الاشتغال بكتب الحديث . وكانت وفاته لثلاث بقين من شعبان من السنة المذكورة . وفيها توفي الفقيه ابو السعود بن الحسن بن مسلم بن علي بن عمر المفضلي الهمداني . وكان فقيهاً ماهراً تفقه بابن مضمون وأبي عبد الله العمرانيين وأخذ عن علي بن أبي بكر التباعي . وارتحل الى عدن وأخذ بها عن القاضي ابراهيم بن أحمد القريظي . وكان زميله في القراءة حسين العديني وسفين الأبيني وولده أبو بكر والسبتي الشحري وغيرهم . وهو والد الفقيه حسين صاحب الفراوي وأحد شيوخ القاضي عبد الله العرشاني . ودرس بعكار بعض المباديء الى أن توفي في ذي القعدة من السنة المذكورة . وفيها توفي الشيخ الإمام ابو الربيع سليمان بن موسى بن سليمان بن علي بن الجون الأشعري الفقيه الحنفي . وكان فقيهاً فاضلاً عارفاً بالفقه والنحو واللغة وعلم الأدب . وله مصنفات حسان منها شرح الخمرطاشية وهو شرح جيد سماه الرياض الأدبية يروى أنه صنفهُ وهو ابن ثماني عشرة سنة . وكان آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر . ولما ظهرت السبوت في زبيد وعمل فيها المنكر هاجر الى الحبشة فأقام بها إلى أن توفي في السنة المذكورة في قرية يقال لها رون بضم الراء الأولى . ولما توفي في التاريخ المذكور كتب الفقيه ابو بكر بن دعاس الى الفقيه أبي بكر بن حنكاس يعزيه عنه بأبيات يقول فيها :

غير أنا نقولُ ما دامَ فينا نجل عيسى لم نُرْزَ في نجل موسى
ولعمري يوسى عليه ولكن ببقاءِ الإمام ذا الجرح يوسى

وفي سنة ثلاث وخمسين جمع أشراف مكة جمعاً عظيماً وقصدوا الأمير مبارز الدين الحسين بن علي بن برطاس وحاصروه في مكة حصاراً شديداً ودخلوا عليه مكة من رؤوس الجبال وقاتلهم في وسط مكة فكسروه وقتلوا جماعة من أصحابه ولزموه فاشترى نفسه منهم وعاد الى اليمن هو والجند الذين كانوا معهُ .

وفي سنة أربع وخمسين توفي الطواشي تاج الدين بدر بن عبد الله المظفري . وكان ذا همةعالية ونفس أبيةوكان خادماً للحرةبنت حوزةإلا أنه كان متظاهراًفي أيام السلطان نور الدين بحب المظفر فأمرت به سيدته فحبس في حبس زبيد فلم يزل الى أن وصل العلم بقتل السلطان نور الدين فلما علم بذلك خرج من السجن قهراً على السجان وصار الى والده السلطان الملك المظفر وكريمته . وكانوا عليهم يومئذٍ في زبيد فحرض والدة السلطان وأخته على القيام بحفظ زبيد . واستخدم الرجال وحفظ الأبواب وقبض مفاتيح أبواب المدينة وشاجر الوالي يومئذٍ . وكان الوالي الذي في زبيد اسمه قايماز وشمر تشميراً تاماً . وقاتل المماليك عن[1] منها فلما دخلها الملك المظفر احسن اليه وحمل له طبلخانة واقطعهُ اقطاعات جيدة . وكان شجاعاً فارساً عاملاً رئيساً حسن السيرة له آثار محمودة . ومن مآثره الحسنة المدرسة التي بزبيد المعروفة بالتَّاجية وهي التي تسمى في وقتنا هذا بمدرسة المبردعين وانما سميت بذلك لأن المبردعين كانوا يعملون البرادع عندها وهي مختصة بالفقه . وله أيضاً المدرسة المعروفة بمدرسة القراءات بزبيد وقفها على قراء القرآن السبعة . وفيها مدرسة للحديث النبوي . وفي كل مدرسة من هذه المدارس الثلاث مدرس وطلبة وإمام ومؤذن في أوقات الصلاة الخمسة واوقف عليهن وقفاً جيداً يقوم بكفاية الجميع منهم . وله أيضاً دار مضيف لاطعام الطعام فيه شيخ ونقيب وقيّم لاطعام الواردين وإمام ومؤذن للقيام بالصلوات الخمس في أوقاتها . وله وقف ايضاً يقوم بكفاية الجميع وجميع ذلك بزبيد . وله في الجبل مدرسة في قرية الوجيز .

وكانت وفاته في مدينة تعز في شهر ربيع الأول من السنة المذكورة تحقيقاً وقيل تقريباً . ويقال انه مات مسموماً والله اعلم .

وفيها توفي الفقيه الصالح عبد الرحمن بن علي بن اسمعيل بن ابراهيم بن

---

(١) غير ظاهرة في الأصل الخطي وعير موجودة في العسجد عبارة الجندي وشهر في الحرب عند مجيء المماليك وفخر الدين الى زبيد ولم تحفظ زبيد عنهم الا بهمته .

حديق وكانت ولادته سنة تسعين وخمسمئة . وكان فقيهاً نبيهاً عارفاً محققاً قائلاً بالحق عاملاً به .

ويروى ان السلطان نور الدين عمر بن علي بن رسول وجبت عليه كفارة جماع في شهر رمضان بالنهار . وكان يومئذٍ في الجند فأمر الوالي ان يجمع له الفقهاءُ من الجند وأعمالها فاستدعاهم الوالي فحضروا وحضر هذا الفقيه من جملتهم فقعد لهم السلطان قعوداً خاصّاً وادخلوا عليه جميعاً فلما اطمأنّ بهم المجلس سئلوا عن المسألة فأجابوا بما يجاب عليه سائر الناس . ولم يتكلم الفقيه عبد الرحمن معهم بشيء في ذلك فقيل لهُ لم لا تتحدث كما تتحدث الجماعة فقال اشتهي اعرف صاحب المسألة فقيل له هو مولانا السلطان فقال لا يجزيه الا صوم شهرين وأما الإطعام والاعتاق فلا يجزيه . فنازعه الفقهاء الحاضرون في ذلك فقال الغرض بالكفارة حسم مادة معاودة الذنب ولا تنحسم مادة معاودة الذنب في هذا الفعل من مولانا السلطان الا بذلك فاعجب به السلطان . والله أعلم .

وفيها توفي الفقيه الصالح أحمد بن محمد الشكيل بن سليمان بن أبي السعود الطوسي . وكان مولده سنة ثمان وخمسين وخمسمئة وفي سنة ولادته توفي صاحب البيان . وكان المذكور فقيهاً عارفاً صالحاً ذا دعوة مستجابة تفقّه بأحمد بن مقيل . ثم بالحسن بن راشد من العماقي . ثم بأحمد الصواري ونسخ بيده عدة كتب واشترى كذلك ووقفها على طلبة العلم ببلده من ذريته وغيرهم . وتزوج امرأة من بني أيمن من أهل العماقي وهي أم ولديه مسعود وعبد الله . وكانت وفاته في صفر من السنة المذكورة . وقبره مشهور مقصود للزيارة وطلب الحوائج يسمع ليلة الجمعة فيه من يقرأ القرآن في كثير من الأوقات . وكان ولده مسعود بن أحمد من عباد الله الصالحين عارفاً بالفقه ورعاً زاهداً عابداً لم يعرف له صبوة .

ويروى أن جماعة من أترابه تذاكروا النساءَ وهو حاضر معهم فقال أما تستحون من الله عن نظرهن فوالله ما أكاد أحقق لون أمي . ولم يزل على احسن

حال واكمل سيرة الى ان توفي قبل أبيه يوم الأحد لاحدى عشرة ليلة بقيت من ذي الحجة من سنة اثنين وأربعين وستمئة والله أعلم .

وفي سسنة خمس وخمسين وقع قحط عظيم فارتفع سعر الطعام ارتفاعاً كلياً في صنعاء وصعدة والظاهر ومات كثير من الناس جوعاً . وأقام ستة أشهر فأكل الناس الكلاب والسباع .

وفي هذه السنة اجتمع علماء الزيدية وفيهم الشيخ محمد بن أحمد بن الرصاص فعابوا على الإمام أحمد بن الحسين اشياءَ من سيرته وطعنوا عليه وانكروا أفعاله انكاراً عظيماً فأمر باخافتهم فلحقوا بالمغارب . وقيل خرجوا من جوب على وجه الغضب الى بلاد صفي الدين فأرسل الإمام اليهم الحسن بن وهاس ليسمع ما عابوا عليه فقال له خواصّه لا ترسله اليهم فانهم يستميلونه فخالفهم وأرسله . فلما وصل اليهم ناظروه فاستمالوه وصار واحداً منهم فاجتمعت كلمتهم وصار رأسهم فكاتبهم الأمير شمس الدين أحمد بن الإمام يطلب منهم الاتفاق على حرب الإمام فأجابوه الى ذلك فسرَّ سروراً عظيماً وخرج من صنعاء وطلعوا اليه من المغارب فاجتمعوا بالبون وصارت كلمتهم واحدة واجمعوا على قتاله بعد أن سألوه المناظرة فيما عابوه من سيرته . فكتب الأميرشمس الدين الى مولانا السلطان يُعلمه بميل الشيعةعن الإمام واستمدّه بمال فأرسل اليه بمئة ألف درهم مع الشريف علم الدين حمزة بن الحسن فوافاهم بالمال قبل الوقعة بساعة فكانت الكاشات[1] مطروحة بين الخيام حتى كان ما كان .

وفي هذه السنة توفي الفقيه الإمام البارع عبد الله بن محمد بن قاسم بن محمد ابن أحمد بن حسان الخزرجي الأنصاري وكان فقيهاً صالحاً تفقه بمحمد بن حسين الأصابي وأخذ عنه شرح اللمع لموسى بن أحمد بن يوسف الأصابي كما أخذه عن مصنفه . وأخذ عن الشيخ يطال بن أحمد وعنه أخذ أحمد بن محمد الوزيري المستعذب وهو أحد شيوخ الشيخ أحمد بن علي السرددي ودرس بذي هزيم في

---

(١) في العسجد بالسين المهملة

المدرسة التي أحدثها الطواشي نظام الدين مختص . وكانت وفاته ليلة الجمعة ثامن عشر رمضان من السنة المذكورة . وفيها توفي الصالح ابو عبد الله محمد بن علي بن منصور المعروف بحزب بكسر الحاء المهملة وسكون الزاي وآخره باءٌ موحدة . وكان فقيهاً صوفيّاً ناسكاً سعيداً صلى الصبح بوضوءِ العشاء ثلاثين سنة وتوفي على الطريق المرضي صبح يوم الجمعة الخامس عشر من جمادى الآخرة من السنة المذكورة . والله أعلم .

وفي سنة ست وخمسين اجتمع الأشراف والشيعة على قتال الإمام أحمد بن الحسين وكان اجتماعهم بشوابة فخرج الإمام في عسكره ومضى من حصن مدع نحوهم . وكان ظاهر الأمر من الفريقين اللقاء للمناظرة لا للحرب . فحط الإمام في موضع قريب منهم يقال له المنظر فوق قرن سِنوان فاعترضهُ طلائع الأشراف دونها ووقع الطراد وتذامرت عليه الأشراف من كل جانب وفشل عسكره ولم يثبتوا وكانوا ثلاثمئةفارس ونحواً من ألفي راجل وكان بنو حمزة يومئذٍ ثمانين فارساً وأربعمئة راجل . فلما رأى الإمام انهزام عسكره عدل الى موضع قريب منهُ فاستقام فيه وظن الناس يقاتلون عنهُ فهربوا عنه وأسلموه فريداً فعقرت فرسهُ حينئذٍ وتولى قتله رجالة ظفار ولم يباشر شمس الدين فيه ضربةً ولا طعنةً . ولما قتل رحمة الله عليه قطعوا رأسهُ وجاؤوا به الى الأمير شمس الدين والى ابن الرصاص وسائر فقهاء الشيعة . ثم حمل بعد ذلك الى ظفار وطيف به الحصون والأسواق ثم ان الأمير علي بن موسى بن عبد الله امر بتكفينه ودفنه في المشهد فصده عن ذلك أهل المشهد فقبر تحت حصن القاهرة في موضع الكنف والأزبال حتى أمر الأمير شمس الدين بانزاله الى شوابة وقبره مع جثته فقبر في موضع يسمى المشرعة[1] من غيل شوابه فأقام في ذلك الموضع ثلاث سنين . ثم نقل الى ذيبين فهو هنالك الى يومنا هذا وقبره معروف يزار ويتبرك به .

---

(١) في العسجد يقال له الشرعة

قال الجندي واخبر الثقة ان موضع قبره الأول بشوابة يوجد عنده رائحة المسك . وكان قتلهُ الأربعاء سلخ شهر صفر من السنة المذكورة ويقال انه قتل في اليوم الذي قتل فيه الخليفة المستعصم في بغداد . قالهُ الجندي . وكان الخليفة المستعصم قد كتب الى السلطان الملك المظفر يأمره بأحمد بن الحسين حين بلغه ظهوره وإقبال الناس عليه ووعده على ذلك اقطاع مصر . وكان الإمام أحمد بن الحسين رحمهُ الله امثل أئمة الزيدية المتأخرين علماً وعملاً جوداً وكرماً . وللقسم بن هتيمل فيه غرر المدائح الحسان موجودة في ديو نه

ولما قتل الإمام أحمد بن الحسين كما ذكرنا في تاريخه المذكور كتب الأمير شمس الدين أحمد بن الامام عبد الله بن حمزة الى السلطان الملك المظفر كتاباً يخبره فيه بذلك وارسل بالكتاب رسولاً على الفور معجلاً وكانت نسخة الكتاب : بسم الله الرحمن الرحيم يجدد الخدمة ويشكر النعمة لله تعالى ثم للمقام السلطاني خلد الله ملكه . وينهي صدورها من المصف بشوابة ورأس أحمد بن الحسين بين يديه . (شعر)

وأبيض ذي تاج اشاطت رماحنا ... بمعترك بين الفوارس اقتما

هوى بين أيدي الخيل اذ فتكت به ... صدورالعوالي تنضح المسك والدما

ولما كان يوم الجمعة ثالث قتل الإمام دعا الشريف ابو محمد الحسن بن بائعة من وهاس الى نفسه الامامة فبايعه الشيعة والأشراف وبعض عامة الزيدية . وتأخر الباقون . فلما بايعهُ ممن ذكرنا سار الى صعدة وسار أيضاً الأمير شمس الدين على أثر الوقعة الى الجوف ثم الى جهة صعدة في كافة اصحابه واقتسم هو والشريف حسن بن وهاس الحصون والبلاد نصفين .

ولما علم السلطان ببيعة الحسن بن وهاس خرج في عساكره المنصورة الى الموسعة . ثم أرسل الأمير أحمد بن علوان الى الأمير شمس الدين أحمد بن الإمام الى صعدة وقد ظن به الظنون فرجع الأمير أحمد بن علوان بما أرضاه من العلم فرجع الى تعز المحروس .

وفي هذه السنة جهَّز السلطان عساكره المنصورة صحبة الأمير مبارز الدين الحسن بن علي بن رطاس الى مخلاف حجة . فاستولى على بعض حصونها .

وفي هذه السنة اشتد القحط والغلاءُ بعد قتل الإمام أحمد بن الحسين ، ومات كثير من الناس ولا سيما فقهاء الزيدية والحمزيين ، وكان اول من مات منهم الأمير شمس الدين احمد بن الإمام عبد الله بن حمزة . وكان سيد الحمزيين في زمانه لا يساميه أحد منهم في رئاسته ولا سيادته . توفي في شهر ربيع الآخر من السنة المذكورة . وقيل الثالث عشر من جمادى الأولى . وكانت وفاته بصعدة فتولى رئاسة الحمزيين بعده أخوه الأمير نجم الدين موسى بن الإمام عبد الله بن حمزة فلم يلبث ان هلك بعد أخيه شمس الدين . ثم مات أخوهما الحسن بن الإمام عبد الله بن حمزة ومات طائفة من أولاد وهاس سليمان وعبد الله والمؤيد وابراهيم . فقام برئاسة الحمزيين الأمير صارم الدين داود بن الإمام واتفق هو والإمام الحسن بن وهاس مدة وخالف عليهما محمد سليمان بن موسى بن داود بن علي بن حمزة وسليمان بن حمزة . فمال الى خدمة مولانا السلطان . ولما رجع الأمير مبارز الدين بن رطاس من مخرج حجة الى الأبواب السلطانية جهز السلطان الى حجة أيضاً الأمير شمس الدين علي بن يحيى في جيش كثيف . وكان فيها الأمير أبو الحسن أحمد بن قاسم بن عم الإمام أحمد ابن الحسين . فلما وصل الأمير شمس الدين علي بن يحيى الى مفرق وهو واد بين المخلافة وحجة كتب الأمير شمس الدين علي بن يحيى الى الأمير أبي الحسن أحمد بن قاسم بيتاً واحداً وهو :

ابا حسن ما جئت مفرق طالباً لمفرق لكن غير مفرق اطلب

فأجابه الفقيه نظام الدين قاسم بن أحمد الشاكري على لسان الأمير أبي الحسن أحمد بن قاسم ببيت واحد وهو :

أبا حسن قد يجلب اليوم ما ترى وقد ربما احتكت بالافعاءِ عقرب

ولم يلبث الأمير شمس الدين علي بن يحيى ان رجع الى الأبـواب الشريفـة السلطانية وتسلم السلطان حصن اشيح في ذي الحجة من السنـة المذكورة ثم أمـر السلطان بالمحطة على حصن الكميم . فحط عليه الأمير أسد الدين محمد بن سليمان بن موسى والأمير شمس الدين علي بن يحيى في العساكر السلطانية .

وفي سنة تسع وخمسين تسلم السلطان حجة وحصونها وحصن الرَّبـعة وتسلم هَداد وفيها تسلم حصن الكميم . وكان الأمير أسد الدين محمد بن سليمان بن موسى قد مال الى خدمة السلطان كما ذكرنا . وبنى في موضع يسمى الروق في بلاد بني ضرار فضاق الأمير محمد بن الحسن بن علي بن رسول منهُ . فأخذ مملوكه الأمير جمال الدين اقوس الألفي فحط على الروق حتى كاد يأخذه ثم طلع مولانا السلطان الى مخلاف ذمار فأخذ براش[1] قهراً بالسيف فأخربهُ واستأسر ولد الأمير أسد الدين في جماعة كثيرة . ثم أخذ الروق واخربه ايضاً . ولما حالف الأمير أسد الدين محمد بن سليمان بن موسى على الإمام الحسن بن وهاس استولى على الجوف . فسار اليه الأمير صارم الدين داود بن الإمام في عسكره والأمير علم الدين علي بن وهاس في عسكر اخيه . وكان محمد بن سليمان في سوق دُعام . فلما وصله العسكر قاتلهم فكسروه ودخلوا عليه الدرب قهراً فالتجأ الى دار فيه فدخلها فدخل عليه الحسن بن محمـد الجحافي فقتلهُ وثؤر بأبيه محمد بن حجاف . وكان سليمان بـن موسى قد أسر محمد بن جحاف في جماعة من أصحابه ثم ضرب أعناقهم صبراً . فظفر ابنـه في هذا اليوم بمحمد بن سليمان فقتله بأبيه . وكانت جملة القتلى في هذه الوقعـة نحـواً من مـئة رجل . ولم يلبث الأمير صارم الدين داود بن الإمام والإمام الحسن بن وهاس ان افترقا وصار بينهما تباعد اشد التباعد .

وفي هذه السنة وقعت الزلزلة في صنعاء يوم الرابع من ذي الحجة ولم تخرب شيئاً . ثم وقعت زلزلة اخرى بالمغرب اخربت[2] جبالاً وهدمت مواضع كثـيرة .

---

(١) في العسجد : براش العرش

(٢) في العسجد أخذت حبالاً

وكانت في الثاني والعشرين من ذي الحجة ايضاً .

وفي هذه السنة تولى السلطان أمر الحرم الشريف وعمارته . وأقام منارة وخدمته وجوامك خدامه .

وفي هذه السنة توفي الفقيه الصالح أبو الحسن علي بن الحسين الأصابي وكان فقيهاً أصوليّاً نحويّاً لغويّاً كامل الفضل عارفاً بالحديث والتفسير . ولد سنة سبع وسبعين وخمسمئة . وتفقه بمحمد بن جديل من أهل سهفنة ويحيى بن فضل وغيرهما . ولما ابتنى السلطان الملك مدرسته التي في مَغربةتعزّ رتب فيها مدرساً فهو أول مدرس ترتب فيها . ثم لم يقف بها غير اشهر قلائل وتوجّع فرجع الى السحول . وكان يسكن قرية يقال لها المعيرير بعين مهملة ورائين مهملتين بينهما ياءٌ ساكنة على وزن مفيعيل وهو ناحية من نواحي المخادر . وتوفي بها في السنة المذكورة وحمل على أعناق الرجال الى المحفد ودفن قبليّ المدرسة . وقبره أشهر من ان يزار . ويجد الزائر عند قبره رائحة المسك خصوصاً ليلة الجمعة .

قال الجندي وهو أول من سن الآذان لمن يسد اللحد على الميت وقد اعتمد ذلك كثير من الناس . قال وسألت شيخنا أبا الحسن الأصبحي عن معناهُ فقال هو معناهُ عن الفقيه أبي الحسن علي بن الحسن الأصابي وكان فقيهاً عالماً ولعله أخذ من الأذان في أذن المولود ويقول أول خروجه من الدنيا وهذا أول خروجه الى الآخرة . وتفقه به خلق كثير منهم عمر السهوي وأبو بكر بن عبادي وغيرهما وله مصنفات في الأصول منها كتاب صمّنه الرد على الزيدية وكتاب ضمنه الرد على من يكفّر تارك الصلاة .

قال الجندي رحمه الله قرأته على محمد بن أبي الرجا بروايته عن مصنفه المذكور . ويروى عنه انه قال حججتسنة فبلغني ان الشيخ أبا الغيث قد تكلم بتفسير القرآن على المشكل منه فانتخبت من وسيط الواحدى عشرمسائل واستثبت حقائقها . فلما رجعت من الحج مررت ببيت عطا فدخلت على الشيخ فوجدت

الناس يتغدون والشيخ قاعد على سرير في طرف الرباط فامرني النقيب بالقعود والغداء ففعلت . ثم لما فرغ الناس وتفرقوا قلت اريد أن أسأل الشيخ ففتشت أول مسألة فلم أجد الثانية ثم الثالثة حتى أتيت على العشر فكأني لم أحط بشيءٍ منها علماً والشيخ مطرق فحين لم أجد شيئاً رفع الشيخ رأسه اليَّ ثم قال ليتأدب بعض الناس . فغلب على ظني انه عناني فقمت اليه فقبلت كفه واستأذنته في السفر فاذن لي فسافرت .

وفي سنة ثمان وخمسين طلع السلطان صنعاء في المحرم أول السنة المذكورة . وكان الأمير أسد الدين محمد بن الحسن بن علي بن رسول في ذمرمر فطلب من مولانا السلطان ان يجهزه الى حضرموت فساعده الى ذلك وزوَّده فخرج الى الجوف فلقيه حصن بن محمد بن حجاف وعبد الله بن منصور بن ضيغم فطلبوا منه النصرة على آل راشد بن منيف فأجابهم فكانوا حِلف مولانا السلطان فوقعت الحرب بينهم فقتل طوق بن حمدان في جماعة من آل راشد . فلما اتصل العلم بمولانا السلطان ضاق صدره على الأمير أسد الدين وتعذر على الأمير أسد الدين المسير الى حضرموت فتوجه نحو ظفار الأشراف فأقام فيه أياماً ثم خرج الأمير صارم الدين داود بن الإمام في عساكره والأمير أسد الدين محمد بن الحسن فيمن بقي من مماليكه وقد كان لحق أكثرهم بالسلطان وتأهبوا لحرب الإمام الحسن بن وهاس فالتقوا بعصافر فانهزم أصحاب الإمام وثبت هو ثباتاً حسناً وقاتل قتالاً شديداً . وكان فارساً شجاعاً من الشجعان المشهورين فانهزم عنهُ اصحابه ولم ينهزم . وكان لا ينهزم أبداً وكذلك أسر ثلاث مرات هذه المرة الثالثة وفي كلها يأسره الأمير أسد الدين محمد بن الحسن وهذا من عجائب الاتفاق .

فلما أُسر الإمام كما ذكرنا سجنه الأمير صارم الدين داود بن الإمام فأقام عنده في الأسر عشر سنين . ثم اخرجه بعد عشر على ما سنذكره إن شاءَ الله وأقام السلطان في صنعاء ونواحيها الى شهر ربيع الآخر من السنة المذكورة ثم بعده الى اليمن وترك

الأمير شمس الدي علي بن يحيى في صنعاء مقطعاً بها وباعها لها فلم يقم الا قليلاً حتى وصل الأمير أسد الدين محمد بن الحسن فحط في المدورة فوق الحمراء وكان يغير الى صنعاء فأغارت خيله عشية الى صنعاء فخرج العسكر لقتالهم فقتل مملوكه الأمير جمال الدين أقوس الألفي أُصيب بسهم . وكان الذي رماه الأشقر أحد مماليك أسد الدين أيضاً ولكنه قد صار من جملة العسكر السلطاني . وكان الألفي أحد الشجعان المشهورين بالشجاعة والكرم .

ولما علم السلطان بما كان من أسد الدين جهز الأمير علم الدين سنجر الشعبي مغبراً الى صنعاء فارتحل اسد الدين من محطته ولحق ببلاد الأشراف ولم تقم له راية بعد ذلك . وأعاد الأمير علم الدين المحاط على براش وبقي الأمير أسد الدين يتردد من ظفار الى طفر ثم لحقته مضرّة شديدة حتى انه باع ثيابه ثم كتب الى السلطان كتاباً يقول فيه :

فان كنت مأكولاً فكن انت آكلي والاّ فأدركني ولما أمزّق

فأمر السلطان علي بن يحيى والأمير عبد الله بن العباس الى الأمير أسد الدين فما زالا به حتى نزل معهما الى السلطان وانما أرسل اليه السلطان الأمير شمس الدين علي بن يحيى لما يعلم بينهما من المحبة والصداقة فلما وصل الأمير شمس الدين الى الأمير أسد الدين بكى عنده وتألم من القبض على أبيه واخيه فقال له لعلك في القرب انفع لهم من البعد . ولعلنا ننتظر فرصة من الدهر فنكون كذا وكذا فنقل ذلك الى السلطان . وكان السلطان يومئذ في محروسة زبيد . فلما وصلوا زبيد أمر السلطان بالقبض عليه وعلى علي بن يحيى فقيدهما وأرسلهما الى حصن تعز فقال في ذلك القاضي سراج الدين أبو بكر بن دعاس .

ما دار في فلك الأيام ذا أبداً كلاّ ولا دار للأقوام في خلد
ان الكسوف جميعاً والخسوف معاً في ساعة في نزول الشمس في الأسد

فلما دخل الأمير أسد الدين على أبيه وعمه وأخيه وابن عمه وابن اخته محمد بن خضر جعلوا يعاتبونه ويخاصمونه فقال لهم يا قوم لا نكون مثل أهل جهنم كلما دخلت أمة لعنت اختها . فلم يزالوا في السجن حتى توفوا الى رحمة الله تعالى . ولما قبض الأمير شمس الدين علي بن يحيى كما ذكرنا . وكان مقطعاً في صنعاء طلع الطواشي نظام الدين مختص عقيب ذلك فأقام في صنعاء ورجعت المحاط على فِده وبراش وظفر .

ثم طلع بعد ذلك فيروز فأقام أياماً قلائل . ثم طلع الأمير هبة بن الفضل مستخلصاً للأموال فاستخلصها على أتم ما يكون . ثم تسلم الحصن حصن حيرة في شهر رجب . وكان بناه بنو وهاس فاخرب بعد التسليم ثم تسلم حصن فدة في ذي الحجة من السنة المذكورة .

وفي هذه السنة توفي الفقيه الصالح أبو الخطاب عمر بن مسعود بن محمد بن سالم الحميري نسباً الابيني بلداً . وكان فقيهاً صالحاً متورعاً متعففاً ملازماً للسنة تفقه بمحمد بن اسمعيل الحضرمي وعلي بن قاسم الحكمي وبطال بن أحمد الركبي وعلي بن عمر الحضرمي وابراهيم بن علي بن عجيل وغيرهم . وعرف بصحبته الخضر كثيراً . وكان مدرساً بذي هزيم بالمدرسة النظامية وتفقه به جمع كثير . ويقال انهُ خرج من أصحابه اربعون مدرساً منهم محمد بن سالم البابه وابراهيم بن عيسى الجندي ومحمد بن محمود السفالي وسعيد بن انعم من مصنعة سير وغيرهم . ولم يزل على الطريق المرضي الى ان توفي رحمة الله عليه في الثامن من شوال من السنة المذكورة وقبر في مقبرة صيّنة في ناحية من نواحي مدينة تعز ولما توفي في التاريخ المذكور خلفه تلميذه سعيد بن منصور بن محمد بن أحمد الجيشي بجيم وياء مثناة من تحتها ساكنة ثم شين معجمة . وكان والده يلقب بانعم واصل بلده مصنعة سير . وكان فقيهاً محققاً درس بعد شيخه في المدرسة المذكورة الى ان توفي سنة أربع وسبعين وستمئة وقبر الى جنب قبر شيخه ثم خلفه ابن شيخه عبد الله بن الفقيه عمر بن مسعود فلم تطل

مدته فتوفي في سنة خمس وسبعين والله أعلم .

وفي سنة تسع وخمسين تسلم السلطان رحمه الله حصن عضدان في المحرم من السنة المذكورة . ثم تسلم حصن براش في رجب من الشريف أحمد بن محمد العلوي وعوضه عنه المصنعة وعزان من بلاد حمير ومالا أعطاه إياه . وفي شهر رمضان من السنة المذكورة طلع الأمير علم الدين سنجر الشعبي الى صنعاء مقطعاً لها ولأعمالها وقد تأهب الركاب العالي الى مكة المشرفة لأداءِ فريضة الحج فخرج من حصن تعز في شوال من السنة المذكورة . وكان له من الصدقات الى مكة في البحر والبر ما لا يعلمه الا الله

وكان رحمه الله يسير في البر والمراكب تسايره في البحر بالعلوفات والأطعمة فلما قارب مكة حرسها الله تعالى خرج الشريفان عنها إدريس بن قتادة وأبو نمي ابن أبي سعد بن علي بن قتادة خوفاً منهُ ثم دخل مكة في عساكره وجنوده داعياً ملبياً خاشعاً متضرعاً عاري الرأس والجسد حتى قضى حق الطواف . ثم تقدمت العساكر والجنود فحطت في الحجون ولم تزل الى أن قضى ما يجب عليه من الوقوف بعرفة فوقف في ناحية الصخرات وطلعت اعلامه الشريفة وأعلام صاحب مصر فقال له الأمير عز الدين محمد بن أحمد بن الامام هلا اطلعت أعلامك يا مولانا السلطان قبل أعلام المصريين فقال له أترابي أؤخر أعلام ملك كَسرَ التتر بالأمس وأقدم أعلامي لأجل حضوري ثم مضى في حجه حتى أتمهُ ثم قصد البيت الشريف وحلَّ لهُ ما حرّم عليه . ولم يزل مدة إقامته بمكة يصلي المغرب على قبة زمزم ثم يطوف وارداً وصادراً وخدم البيت الشريف وأخذ المِكسحة وتأبط القربة وغسلهُ ثم ضمخهُ بالغوالي الفاخرة .

مقام يحق لذي الكبريا ءِ أن يبدلهُ[1] بالخضوع
رأينا به الملك رب الفخار أبا عُمرٍ ذا النوال الهموع

(١) هكذا في الأصل الخطي وهو مختل الوزن ولم يكن موجوداً في العسجد .

خشوعــاً مروعــاً لتقــوى الإله ومــا كان من قبلــه بالمروع

ثم أقام في مكة عشرة أيام بعد الحج يفرّق الصدقات المبرورة حتى وصلت صدقاته الى كل منزل بمكة وعمت جميع الحجاج على اختلاف انواعهم وجهز حاج مصر بالانعام العام والأزواد والمراكب وكسا لبيت المعظم وأنعم على رؤساء الحرم بالتشريفات ونثر على البيت الذهب والفصة .

ولما أزمع الرحيل تقدمت الاستباق المباركة الى البئر المعروفة بالبيضاء ثم ودع البيت باكياً مستعبراً وعاد سعيداً مقبولاً ولم يزل يوالي البر وينشر العرف في كل محطة حتى وصل بلاده .

وفي هذه السنة توفي الفقيه العالم أبو عبد الله محمد بن أحمد بن مصباح بن عبد الرحيم الأحولي العنسي . وكان مولده سنة سبع وخمسمئة أخذ عن اسمعيل بن سيف السنةوعن محمد بن مضمون وأبي حديد وغيرهم. ثم لما سمع بمُعمّر ارتحل اليه فوجده قد توفي قبل قدومه بقليل . فدخل بلد يزد فاخذ عن الفقيه محمد بن ابراهيم اليزدي ثم عاد الى جبلة فأقام بها يبيع العطر وهو يشتغل بقراءة الكتب . فلما ابتنى الدار النجمي المسجد الذي تنسب اليهم في جبلة جعلوه مدرساً فيه حتى توفي . وعند أخذ جمع كبير وقُصد من الأماكن البعيدة لعلو سنده وغزر روايته . وكان رجلاً صالحاً لما أُهل له من التدريس . وممن أخذ عنهُ الفقه عمر بن سعد العقيبي . ولم تزل ذريته يتوارثون تدريس المسجد بعده لا يعسر ذلك عليهم وكانت وفاته لأربع بقين من ذي القعدة من السنة المذكورة .

وأما معمر المذكور الذي كان في الهند وقصد الفقيه زيارته كما ذكرنا فكان اسمه رتن براءٍ مفتوحة وتاءٍ مثناة من فوقها وآخره نون وهو على وزن وثن مفتوح اوله وثانيه . قيل انه توفي سنة إحدى عشرةوستمئةفي جزيرة بالهند تسمى فروزاً اخبرني من أثق به أنه وجد هكذا مكتوباً بخط الفقيه الإمام القطب أحمد بن موسى بن

عجيل . قال حكى لي من حضر موته في التاريخ المذكور قلت وأما الحفّاظ فلا يثبتونه .

وقال الحافظ الذهبي لا حقيقة لهُ في الوجود . وان صح وجوده فانه شيطان يبدو للناس ليفتنهم . لأن مثل هذا تتواتر الدواعي الى نقلِه وتتواتر الأخبار عنهُ . هذا لفظه بعينه ذكره في كتابه المغني والله أعلم .

وفي هذه السنة توفي الفقيه أبو الحسن علي بن أحمد بن الحسن الحواري . وكان مولده في مدينة زبيد وبها تفقه ثم صار الى عدن وصحب الفقيه ابراهيم السرددي وآخاه ثم لما توفي انزله قبره بعد أن اضطجع فيه قبله وكأنه فعل ذلك تأسياً بما فعله النبي صلىّ الله عليه وسلم بأم علي بن أبي طالب حين أراد دفنها . وهو ممن أخذ عن الصغاني وكانت وفاته في السنة المذكورة . وقيل في سنة ثمان وخمسين والله أعلم .

وفي سنة ستين وستمئة رجع السلطان من حجته المبرورة فدخل مدينة زبيد في أحسن زي وأكمل آلة وذلك في شهر صفر من السنة المذكورة .وكان الشريف يحيى بن محمد السراجي قد دعا الى نفسه في ناحية حضور وما والاها في آخر سنة تسع وخمسين وستمئة فأجابه أجزل اهل تلك الناحية . فخرج اليه الأمير علم الدين سنجر الشعبي مواثباً له فانهزم العسكر الى المغرب وعاد الأمير الى صنعاءَ فسار الشريف يحيى الى بلد بني فاهم فامسكوه وسلموه الى الأمير علم الدين فكحله في ذي الحجة من السنة المذكورة سنة ستين وستمئة.

وفي هذه السنة توفي الفقيه علي بن عمر بن مسعود وكان فقيهاً جيداً صالحاً ولي قضاء صنعاء برهة من الزمن وكان الفقيه عمر بن سعيد أخاه لأمه .

فاستعفى السلطان نور الدين فأعفاهُ وحج في آخر عمره . فلما رجع من الحج الى مدينة زبيد . فتوفي بها في صفر من السنة المذكورة . وفيها توفي الفقيه الصالح

سعيد بن الفقيه منصور بن علي بن عبد الله بن اسماعيل ابن أبي الخير بن مسكين . وكان في نهاية من الزهد والورع والعبادة مع الاشتغال بالقراءة .

قال الجندي اخبرني الفقيه الخبير بأحوال الناس من أهل جيله خاصة قال كان هذا سعيد بن منصور مصاحباً لابن مصباح واتفقا على ان من كان لهُ في شيءٍ من الكتب سماع اسمعهُ صاحبه وانتظم ذلك بينهما . وكان بين الفقيه سعيد وبين الفقيه عمر بن سعيد صحبة ومؤاخاة ومعاقدة ان من مات منهما قبل صاحبه حضرهُ الآخر وتولى غسلهُ والصلاة عليه . فلما مات الفقيه سعيد في بلده دلال . وكان قد أوصى ان يرسل الى الفقيه رسولاً يعلمُه بموته عندما يموت . فلما توفي بادر الوصي ارسل رسولاً الى الفقيه عمر بن سعيد يعلمهُ بموته . فلما بلغ الرسول الطريق لقي الفقيه عمر بن سعيد مقبلاً . فلما واجه الرسول قال له مات الفقيه قال نعم.

ومن كراماته ما يروى ان زريعاً الحداد . وكان زريع من الصالحين المتورعين دخل على الفقيه سعيد بن منصور يوماً عقيب عيد عرفة فقال يا سيدي رأيت ما أحلى الحج هذه السنة فنظره الفقيه نظرة بازورار ففهم زريع كراهة الفقيه لذلك فسكت مستحيياً ثم جعل الفقيه يغالط الحاضرين بكلام آخر ففهم الحاضرون المعنى فوقف حتى انصرف الحاضرون جميعاً عن مجلس الفقيه . ثم قال له يا سيدي سبحان الله نحن نحبكم وصحبنا كم ويحصل لكم هذا النصيب الوافر ولا تشركونا فيه ولا في بعضه . فأراد الفقيه مدافعته بالكلام وانكار ما أراد فلم يقبل من الفقيه ذلك الكلام وكان يأنس بالفقيه كثيراً ثم قال لهُ سألتك بالله يا سيدي إلا ما أخبرتني كيف تفعلون هل هو طيران أم خطو أم ما ذلك . فقال الفقيه هو شيءٌ لا يستطيع تكييفه وانما هو قدرة من قدرة الله تعالى يختص برحمته من يشاءُ من عباده وبالله التوفيق .

وفي هذه السنة توفي الشيخ الرئيس الماجد علوان بن عبد الله بن سعيد الجحدري ثم المذحجي المعروف بالكردي لقباً وكان قيلاً من اقيال اليمن وأوحد أعيان مشايخ الزمن . وكان كريماً شجاعاً مقداماً مطعاماً مطعاناً عفيف الأزار مجتهداً

في طلب الأجر والثناء وملك ناحية عظيمة من شرق اليمن وهي حجْر ونواحيها وتغلب على حصون كثيرة منها العروسين ووعل والتورة ونعمان شرقي الجند وحارب ملوك الغزّ ولم يظفروا منه بطائل . وكان السلطان نور الدين في مدته قد حط عليه عدة محاط بالمقطعين من أمرائه وطبخاناتهم اذا جاء وقت ما يضربون النوبة ترتج الأرض وترتعب النفوس فيقول علوان لقومه يا مدبّح لا تفزعوا فانما هي جلود بقر . وله قصيدة في التأليب على حرب السلطان نور الدين يقول فيها :

من تاب عن حرب نور الدين من جزع   فانني عنهُ ما عمرتُ لم أتبِ

وكاتب السلطان الملك الكامل الى الديار المصرية وسأل منه الاعانة في حرب نور الدين فأعانه بأموال جمة . ولم يزل السلطان نور الدين يتلطف به ويبذل فيه الرغائب حتى أُتي به اليه أسيراً فحبسه في حصن حب فلما صار في السجن أكثر التضرع الى الله تعالى والدعاء بالخلاص فيقال إنه رأى في النوم قائلاً يقول لهُ ادع الله بهذه الكلمات : اللهم اني اسألك بما الهمت به عيسى من معرفتك وما علمته من أسمائك التي صعد بها الى سماواتك وبما علمتهُ من ربوبيتك ووحدانيتك إلا فككت أسري برحمتك وكرّر ذلك حتى حفظه فلم يزل يدعو بهذا الدعاء أياماً حتى اطلقهُ الله وأعاد اليهِ حصونه .

ومن محاسن أفعاله انه كان متى بلغه ان يتيمة قد بلغت الزواج ولم تتزوج ولم يُرغب فيها خطبها هو واحضر لها مالاً له قدر فاذا خلا بها طلقها وربما يطلقها قبل ان يخلو بها فتُرغب من بعده إما للمال أو شحاً على زواجته لها بعده وكان هذا دأبه . ولما توفي السلطان نور الدين في تاريخه المذكور وطلع ولده السلطان الملك المظفر من تهامة استعان به على أخذ تعز فأقبل اليه بنحو من عشرين الف رجل من مذحج . وكان شاعراً فصيحاً حسن الشعر ومن شعره قوله :

والله لا استوطنت ارضاً تربها   مسك اذا حظي بها مقسوم[1]

(١) مهصوم كما في الجندي

وعـــلام أُوطنهـــا وعـــرضي وافرٌ   والـــرزق من أُفـــق السما مقسومُ
لا آمـــن الأيام وهـــي معارةٌ   وكذا الليالي الســـود وهـــي همومُ
واذا الليالي اخلفتنـــي بالذي   فوق التـــراب فحسبـــي القيّومُ

ومن شعره قوله ايضاً

اذا كان قول الحـــق والحـــق قولهُ   بمحكمـــه والملك في آية الملكِ
معـــزٌّ لمن شاء المذلُّ لمن يشا   فكيف اعتراضي قوله الصدق بالشك
ونفســـك فاتركهـــا عن الهـــم والأذى   فراحتـــك العظمـــى لك الله في الترك
فما الأمـــر الا للـــذي صـــيرّ الورى   وتسييرهـــم في لجـــة البحـــر بالفلك
وموجدهـــمُ من غـــير وجـــدان سابقٍ   ومفنيهـــمُ بعـــد التكاثـــرِ بالهلكِ
ولا تشـــك ما لاقيت من غـــير منصف   الى مثلـــه لكن الى منصفٍ تشكي

ولما تاب وحسنت توبته قال يعاتب نفسهُ :

وقـــد كان ظنـــي الغـــي واللهـــو إنما   يكونـــان في عصر الشبـــاب الغُرانق
فلما أتانـــي الشيب وانقـــرض الصبى   نظـــرت وذاك الغـــي غـــير مفارق
فقـــال بلى لكن رأيتـــك ربما   تكون باحـــدى الحالتـــين موافقي
فقلـــت له لا مرحبـــاً بك بعدها   وانـــك منـــي طالـــق وابـــن طالق
فقـــال سمعنـــا ما حلفـــت به لنا   وكم مثلـــه قد قلتُـــه غـــير صادق
فقلـت أمـن بعـد الطـلاق فقـال لي   وأي طلاق للنســـاء الطوالق
فقلـــت له لي منـــك جار يجيرني   فقال ومـن هو قلـت ذوالطـول خالقي
فوَلى لهُ منـــي ضجيجٌ فقلـــتُ لا   تضـــجُّ وبـــادر نحـــو كل منافق

وشعرهُ كثير وديوانه مجلد ضخم والغالـب عليه الجزالـة وهـو عزيز الوجـود وكانت وفاته في السنة المذكورة على أصح ما قيل وقبر في موضع من بلـده يعـرف بالمرخامه والله أعلم .

وفيها توفي الفقيه الصالح أبو العتيق أبو بكر عبد الله بن محمد بن عمر بن محمد بن أبي عمران الملقب بالصوفي . وكان فقيهاً زاهداً صالحاً ورعاً متفنناً متقناً درس ببلده ثم درس ببلد صهبان ولم يزل بها حتى دنت وفاته فعاد الى بلده فتوفي بها في السنة المذكورة والله أعلم .

وفي سنة إحدى وستين تسلم السلطان حصن الجاهلي اشتراه من الشريف احمد بن قاسم القاسمي في شهر ربيع الأول . ثم تسلم حصن الشوا في شهر رجب من السنة المذكورة . ثم تبارت العساكر المنصورة في شوال الى حصن ذمرمر فكانت محطة في الحصن الأبيض ومحطة في الحصن الأحمر ومحطة في أكمة ابن سنية ومحطة في الهامة . ووصل الأمير عز الدين محمد بن أحمد بن الإمام والأمير عز الدين هبة بن الفضل وبذلوا لأهل ذمرمر مئة ألف دينار وحصن بـراش وحصن فده ووادي ضهر وغير ذلك من الكسى والانعامات فلم يقبلوا فأصابهم مرض لم يسمعوا بمثله كان إذا أصاب أحداً سقطت اضراسه كلها فيقيم بعد ذلك نحواً من خمسة عشر يوماً ثم يموت . فهلك منهم طائفة في مدة يسيرة .

وفي هذه السنة أرسل السلطان بكسوة البيت وكسوة الحِجْرة الشريفة على صاحبها أفضل الصلاة والسلام . وفيها توفي الفقيه الإمام أبـو عبدالله محمـد بن إبراهيم بن علي بن عبد العزيز بن عبد الرحمن الفَشلي . وكان فقيهاً كبيراً محدثاً مولده في الرابع عشر من شعبان سنة خمس وثمانين وخمسمئة واخذ عن جماعة من الأكابر كالشريف أبي حديد وابن حروبه الموصلي وغيرهما وارتحل الى مكة والمدينة وأخذ عن أعيان المشايخ هنالك كابن أبي الصيف وعمر بن عبد المجيد القرشي وغيرهما . واخذ عنه كثير من أهل اليمن وغلب عليه علم الحديث فكان إماماً فيه وهو أحد مشايخ أبي الخير بن منصور وممن أخذ عنه أحمد بن علي السرددي وغيرهُ . وكانت له مكانةعند الملك المنصور نور الدين ثم عند ولده السلطان الملك المظفر . وسمع عليه عدة من كتب الحديث . وكانت وفاته يوم الأربعاء عاشر شهر رمضان

من السنة المذكورة . ركب دابتهُ يوماً في مدينة زبيد يريد بعض حوائجه فمرّت الدابة عند كلب فنبحها فجفلت منهُ فوقع الفقيهُ من ظهرها على الأرض ميتاً في التاريخ المذكور .

أما والده ابراهيم الفشلي فكان رجلاً صالحاً ذا عبادات وكرامات وهو شيخ الشيخ احمد الصياد والذي كان يدله على الطريق الى الله تعالى بحيث حكى صاحب سيرته عنهُ انهُ قال لما فتح الله عليَّ بما فتح لم يسلم لي الفقهاءُ والمشايخ غير هذا الشيخ ابراهيم الفشلي انه اخي وقسيمي في الدنيا والآخرة وكان يثني عليه ثناءً حسناً هكذا ذكر مؤلف سيرة الشيخ أحمد ابي الخير الصياد نفع الله بهم أجمعين .

وفيها توفي الفقيه أبو العباس أحمد بن محمد بن الفقيه ابراهيم بن أحمد الوزيري . وكانت ولادته سنة اثنتين وتسعين وخمسمئةونشأ نشوءَ البدو ولم يشتغل بشيءٍ من العلم حتى بلغ عمرهُ اربعين سنة . وكان اذا بلغ الى ابن عمه أحمد بن عبد الله بن أسعد بن ابراهيم لم يكد يصافحهُ ولا يتركهُ يدنو منهُ ويطوي عنهُ حصر الطهارة حتى جاءهُ يوماً فبالغ ابن عمه في التحرز منهُ وأظهر لهُ ذلك فقال لهُ لِمَ تفعل هذا معي فقال لهُ يغلب على ظني انك لا تتحرى من نجاسة وانك جاهل لا تعرف ما ينبغي لك اجتنابُه . فلما سمع مقالة ابن عمه هذه دخله غيظ عظيم وخرج فلحق بعبد الله بن محمد الحساني الخزرجي المقدم ذكره أولا فتفقه به ثم عاد الى ابن عمه فأكمل عليه قراءة كتب الفقه . فلما عزم ابن عمه على الحج الى بيت الله الحرام استنابه على التدريس فدرس بالوزيرية وعنهُ اخذ جماعة كثيرون منهم ابن النحوي وابن البانه من أهل تعز وحسن بن علي من أهل إب وغيرهم وكانت وفاتهُ في سلخ ذي القعدة من السنة المذكورة . حكى تاريخ وفاته صاحب العطايا السنية . ولم يذكر الجندي لهُ تاريخاً والله أعلم .

وفيها توفي الأديب سعيد وكان رجلاً صالحاً عابداً لهُ بعض اشتغال بالكتب

والقراءة ولم يزل على أحسن سيرة الى أن توفي في سلخ شهر ربيع الأول من السنة المذكورة فحضر دفنه خلق كثير لا يكادون يحصرون منهم الفقيه عمر بن سعيد العقيبي والشيخ علي صاحب المقداحة . وكان دفن الأديب سعيد في آخر النهار في قرية يقال لها الفراوي بفتح الفاء فبات أكثر الناس في القرية . وكان أهل بيته فقراء لا يملكون شيئاً فأتاهم من الجيران تورة فيها لحوح وقدرة فيها زوم . وكان الفقيه عمر بن سعيد والشيخ علي صاحب المقداحة ممن امسى هنالك تلك الليلة فتقلد أحدهما بكفاية الناس من ذلك اللحوح وتكفل الآخر بكفايتهم من ذلك الزوم . فقام أحدهما على إناءِ اللحوح والآخر على إناءِ الزوم ولم يزالا يطعمان الناس حتى صدروا كلهم عن كفايتهم والله أعلم .

وفي هذه السنة توفي القاضي أبو عبد الله محمد بن أسعد بن عبد الله بن سعيد القرى المذحجي العنسي بنون بعد العين وقبل السين . وكان فقيهاً عارفاً بالفروع والأصول ولهُ في كل منهما تصنيف مفيد . وولي قضاء عدن برهة من الدهر . وكان موصوفاً بالورع وجودة الفقه غواصاً على دقائقه عاملاً به .

قال الجندي سمعت شيخي أبا العباس أحمد بن علي الحرازي يذكر هذا الرجل ويثني عليه ثناءً بليغاً . وكان ممن أدركه وقرأ عليه وأخبرني أنه كان يعجبه الاختلاط بالفقهاءِ والمواصلة لهم . وكان مدرس عدن والمعيد بها والطلبة يصلون بكرة كل يوم الى بابه ويحضرون مجلسه فيلقاهم بالبشر والاكرام . فاذا اطمأن بهم المجلس جعل يلقي عليهم المسائل من الكتب التي يتعانون قراءتها فمن وجده ذاكراً شكره ووعده بالخير وحثه على الاجتهاد . وكان ذا مكارم أخلاق وكرم طباع قل ما قصده أحد إلاَّ أتحفهُ بما يليق بحاله . وكان كثير الصدقة متنزهاً عما يتهم به كثير من الحكام وكان كثير الصدقة على الفقراء والمساكين في كل يوم بدينار خبز . وكانت وفاته في عدن يوم الثلاثاء لاثني عشرة ليلة بقيت من صفر من السنة المذكورة وقبره في القطيع رحمه الله .

وفي سنة اثنتين وستين تسلم السلطان الحصون الحمزية . وتسلم مُدع من بني وهيب وعوضهم حصن بيت أنعم ومالاً اشترطوه . فطلع الأمير علم الدين الى مدع بعد أن دخلته العساكر المظفرية . وفيها من المقدمين الحسن بن بهرام ومحمد بن زريع وغيرهما . وقد كان الأمير صارم الدين داود بن الإمام أقام الشريف الحسين ابن محمد القطبري واستمد به رجاء منه أن يتنفس على أهل ذمرمر وعلى أهل مدع فلم يتفق له ذلك فلم يكن للإمام ما عوّده الله من النصر والظفر فلما قبض الأمير علم الدين حصّن مدع وقبض الوهبيون حصنهم والمال الذي اشترطوه . وهو ستون ألفاً سقط في أيدي الأشراف ورأوا انهم قد ضلوا . ثم وردت الأوامر الشريفة على الأمير علم الدين الشعبي بالتقدم الى براقش والزاهر واخذهما وكان تسليمهما في ذي القعدة من السنة المذكورة . ووصل العسكر المنصور صعدة في ذي الحجة منها .

وفي هذه السنة توفي الفقيه الصالح القاضي أحمد بن ثمامة . كان من أهل العبادة والصلاح وامتحن بقضاء الضحى ومرض مرضاً شديداً وكان يخرج أوقات الصلاة بين اثنين يستعين بهما في الخروج ليصلي مع الجماعة فصلى يوماً الظهر واضطجع بعد الصلاة فغلبتهُ عينهُ فنام حتى دخل وقت العصر فأيقظوه للصلاة فوجدوه قد مات . وكان يوم وفاته في السنة المذكورة .

وفيها أيضاً توفي الإمام العلامة أبو العباس أحمد بن عبد الله بن أسعد بن ابراهيم الوزيري بلداً الأنصاري نسباً وكان فقيهاً ماهراً تفقه بأبيه عبد الله بن أسعد ودرّس بالوزيرية بعد ابن مضمون وبه سميت الوزيرية لطول إقامته في تدريسها وإقامة ابن عمه ايضاً . ثم أراد الحج فسافر الى مكة المشرفة في أيام السلطان نور الدين بعد أن استخلف ابن عمه احمد بن محمد بن ابراهيم الوزيري المذكور أولاً . فلما قضى الحج وعاد احبَّ سكنى زبيد فسأل من السلطان نور الدين ان يأذن له في سكناها فاذن له في ذلك فاستوطنها وجعله مدرساً في المنصورية العليا بزبيد فاخذ عنه عدة من أهل زبيد منهم عمر بن عاصم وغيره . وممن أخذ عنهُ يحيى بن زكريا ولم

يزل مقيماً في مدينة زبيد الى ان توفي في السنة المذكورة ودفن في مقبرة باب القرتب فكان له أربعة أولاد أفقههم سليمان سكن مخلاف شرعب . وكان فقيهاً صالحاً زاهداً ورعاً تفقه في بدايته بأبيه ثم بالفقيه اسمعيل بن محمد الحضرمي وأخذ عن أبي الخير ابن منصور وعن السلطان عُلا السمكري وكان يقول شعراً حسناً .

ومن شعره ما قاله في الزهد وهو قوله :

سبيلك في الـدنيا سبيل مسافر ولا بدَّ من زاد لكل مسافر
ولا بد في الأسفـار من حمـل عدة ولا سيما ان خفـت سطـوة قاهر

وفي هذه السنة توفي الأمير بدر الدين الحسن بن علي بن رسول في السجن ودفن عند أبيه بعكار بوصية منه وكان فارساً شجاعاً مقداماً لا يوجد لهُ نظير في عصره وشهرته تغني عن وصفه وهو الذي بنى المسجد بعكار عند تربة أبيه شمس الدين علي بن رسول ووقف عليه وقفاً جيداً ورتب فيه إماماً ومؤذناً ومدرساً ودرسةً وقيماً . وكان وقفه يقوم بكفاية الجميع منهم وإطعام من وفد الى المسجد وهو باق الى الآن والله أعلم .

وفي سنة ثلاث وستين قبض محمد بن الوشاح الشهابي . وفي شهر شعبـان منها تسلم السلطان حصن ذمرمر سلمه اهله لما أصابهم من الجهد والمشقة فطلبوا الرفاقة والذمة ونزلوا الى الأبواب السلطانية فأعطاهم السلطان ستة وعشرين ألفـاً وتصدق عليهم بحصن فِدة . وفي شهر رمضان تسلم السلطان الفِصَّ الكبـير ثم تسلم براش الباقر من محمد بن مفضل الوهبي في شهر ذي الحجة وفي هذه السنة توفي الفقيه العالم أبو يحيى عثمان بن الفقيه يحيى بن الفقيه فضل وكان فقيهاً متأدباً بارعاً له محفوظات كثيرة وبديهة حسنة وكان حاضر الجواب نظماً ونثراً وكان شاعراً فصيحاً محسناً ومن شعره قولهُ :

طوبـي لمن عاش بعض يوم ونفسـهُ فيه مطمئنه

ولا لهُ في الملا عدوٌّ ولا لخلــق عليه منّه

وحضر يوماً مع جماعة من الفقهاء على طعام صنعه لهم الأمير شمس الدين علي ابن يحيى العسني وكان بين ذلك الطعام صحفة مملوءة لحوحاً وزوماً فتاقـت نفس الفقيه اليه أكثر من غيره فكان يمد يده الى الصحفة وكانت الصحفة على بعد منه فقال الأمير :

بعُـدَ اللحــوح عن الفقيه الأوحد   عثمان بل خــير البــرية عن يد

فأجابه الفقيه مرتجلاً :

ترد المراســم ان أردت بنقله   ويطـول منـك البــاع ان قصرت يدي

فقام الأمير مسرعاً من مكانه واحتمل الصحفة بما فيها ووضعها بين يدي الفقيه ثم لما انقضى الطعام قال الأمير شمس الدين للفقيه يا سيدي اني رأيتك تحب اللحوح وقد وهبت لك الجربة الفلانية تكون باسم اللحوح فاقبلها مني فقبلها وكانت تسوى ألف دينار . فرحم الله علي بن يحيى ما كان ألطف شمائله وأجزل نائله وأكثر فضله وفضائله . وكانت وفاة الفقيه عثمان المذكور يوم الأحد لثلاث بقين من رمضان من السنة المذكورة . ولما توفي الفقيه عثمان في التاريخ المذكور خلفه ابنه يحيى بن عثمان ابن يحيى بن فضل وكان مولده يوم الجمعة لخمس خلون من صفر سنة سبع عشرة وستمـئة وكان فقيهاً ورعا دئباً نقالاً للفروع عارفاً بها نزل من بلده الى ذي جبلة فدرس في المدرسة الشرفية . وكان يطلع بلده في كل سنة يقف فيها شهـرين أيام انتقال الغلة ثم يرجع الى جبلة وقد اجتمعت عليه وقف المدرسة المذكورة فيصرف له الناظر نفقته في السنة فيرد منها نفقة شهرين لاجل غيبته عن المدرسة فقيل له يوماً ان المدرسين قبلك كانوا يغيبون أكثر مما تغيب انت ويأخذون نفقة السنة كلها فقال لا تسألون عما أجرمنا ولا نسأل عما تعملون . وكان يصرف ما يقتضيه من النفقة على المحتاجين من الطلبة وفيما يطلبه منهُ أهل الديوان في خراج ارضه وتوفي رحمهُ الله في

النصف من صفر سنة ثمان وسبعين وستمئة

وفي هذه السنة توفي الشيخ الصالح علي بن أحمد الرميمة وكان شيخاً مباركاً يصحب الشيخ مدافع ولزم طريقة العزلة في جبل صبر . قال القاضي محمدبن علي اخبرني الشيخ علي بن الرميمة ان أكله في السنة اثنا عشر زبدياً يكلفه أهله على ذلك . وكان الزبدي التعزي يومئذٍ ثمانية أرطال قال وهذا القدر يأكله الواحد المنفرد في شهر واحد . وكان صاحب مكاشفات وكرامات ظاهرة .

حكى القاضي محمد بن علي رحمهُ الله قال كان الشيخ عبد الله بن عباس قد بعثه الملك المظفر رسولاً الى مصر وبعث معه الأمير المعروف بابن الداية فلما صارا في مصر وصل العلم ان عبد الله بن عباس توفي الى رحمة الله تعالى وكان يصحبني فمررت ببابه فسمعت في بيته البكاء فطلعت الى الشيخ علي بن أحمد الرميمة واخبرته بوفاة ابن عباس فغفا وغاب ساعة ثم رفع رأسه اليَّ وقال لم يمت الا ابن الداية وأما الشيخ ابن عباس ففي عافية فانزلْ وأخبر بذلك اهله فنزلت مسرعاً واخبرتهم ثم بعد أيام وصل الخبر بموت ابن الداية ولم يزل هذا الشيخ على الطريق المرضي الى أن توفي يوم الجمعة بعد صلاة الضحى وهو الخامس والعشرون من رمضان من السنة المذكورة رحمهُ الله تعالى .

وفي هذه السنة توفي الفقيه الصالح المشهور أبو الخطاب عمر بن سعيد بن أبي السعود بن أحمد الهمْداني العقيبي . وكان مولده سنة عشر وستمئة. وكان عالماً عاملاً ورعاً فاضلاً عابداً زاهداً جامعاً لطريقي العلم والعمل موفقاً في كبره وصغره . روي عنهُ أنهُ قال خرجت يوماً أريد المعلامة وأنا صغير يتيم ومعي كسرة خبز فلما صرت في الطريق من ذي عقيب وجبلة أكلت شيئاً من الكسرة التي معي فلقيني شخص حسن الهيئة فقال لي أنت فقيه وتأكل بالنهار فاستحييت من كلامه فكان غالب أيامه صائماً وكان غالب اصحابه يرون أن سبب مواظبته على الصيام من أجل ذلك وتفقه بمحمد بن عمر الخبيري المذكور أولاً وأخذ عن غيره كمحمد بن

مصباح وارتحل الى وصاب فأخذ بها شرح اللمع لموسى الاصابي عن الفقيه أبي بكر الحناجي اخذه له عن المصنف وأخذ عنه شيئاً من كتب الحديث وكان يحفظ جامع البخاري من الصحيح عن ظهر غيب وقرأ البيان على الفقيه عبد الله بدار يزيد في أيام القاضي أسعد وحج سنة فمرَّ في طريقه بالشيخ أبي الغيث بن جميل فسلم عليه وسأله ان يمسح له على صدره ولما ودعه سأله ان يبصق في فيه فبصق له ثم سافر فقيل للشيخ كيف أنت والجبلى فقال رجلاً كاملاً .

قال الجندي ولقد سمعت جماعة من العلماء وغيرهم مجمعين على زهده وورعه وكمال عبادته وحسن فقهه وصيانة عرضه وكان كثير الصيام لا يفطر غير الأيام المكروهة ثم لا يأكل من الأطعمة الا ما يعرف حلّه . وكان شديداً في الطهارة مبالغاً فيها وكان اذا أراد الاغتسال نزل في قميصه في حائرة عظيمة فينغمس فيها مرتين او ثلاثاً ثم يخرج الى صفا هنالك فلا يبرح يصلي عليه حتى تجف ثيابه وامره في الطهارة شديد . قال ولقد رأيت الصفا الذي كان يصلي عليه فرأيت في موضع سجوده اثراً ظاهراً قال واخبرني ابو بكر بن أحمد الماربي عن الفقيه عبيد بن صالح عن الفقيه عمر بن محمدبن مصباح أنهُ رأى والدهُ محمداً وقد توفي في طريق الحج بمدينة حلي بن يعقوب فقال له ما فعل الله بك فقال غفر لي وادخلني الجنة ويل للمتقشفين ويل للمتقشفين . فقلت هل رأيت فقال نعم ويل للمتقشفين ويل للمتقشفين فقلت له كيف هو قال بخير ويل للمتقشفين ويل للمتقشفين فسألته عن الفقيه عمر بن سعيد المذكور وكان قد توفي فجعل يعظم ويصف ما اعطاه الله ويقول في أثناء ذلك ويل للمتقشفين ويل للمتقشفين فقلت له هو اكثر المتقشفين فقال نعم لكنه قشف ظاهره وباطنه لكنه قشف ظاهره وباطنه وجعل يكرر ذلك مراراً . ويروى أن رجلاً وصل الى الفقيه.أحمد بن جديل وقال له يا سيدي الفقيه رأيت قبلي التعكر نوراً من الأرض صاعداً حتى خرق السماء فما ذلك يا سيدي فقال له ذلك القطب ويوم يموت ترتج الأرض لموته .

قال الجندي واخبرني جماعة من اصحابه انهم كانوا يتذاكرون ذلك ويقول بعضهم بحضرة الفقيه ربما انه أتى فيبتسم الفقيه ويقول وربما . فأخبرني جماعة لا أتهم منهم أحداً في ذلك ان الرجفة كانت وقت الظهر من يوم الجمعة والناس يتأهبون للصلاة . وكانت وفاة الفقيه ليلة السبت بين المغرب والعشاء لليلتين بقيتا من ذي الحجة آخر شهور السنة المذكورة . وقبره على مرمى بيته ومسجده وتربته أكثر الترب قصداً في الزيارة قلّ أن ينقطع الزائرون عنها ليلاً ونهاراً .

ومما يحكى أن بعض الظَلمة من المتصرفين كان كثير التردد الى الفقيه والصحبة له وربما كان سبب موته شرق بشيء من الشراب فوصل من نعاه الى الفقيه فأخبره بحاله الذي مات عليه فقال لأصحابه بسم الله سيروا بنا الى هذا الصاحب فوافقوه بظواهرهم دون بواطنهم فلما صاروا في أثناء الطريق التفت الفقيه اليهم وقال للذي يتحقق انه أكثرهم كراهة لذلك يا فلان يا فلان انما يُقام على الساقط وأما غيره فينجو برجليه . وكراماته كثيرة مشهورة رحمه الله تعالى .

وفيها توفي الفقيه الكبير زريع بن محمد بن عبد الواحد بن مسعود بن عبد الله الباجي الهمداني . وكان فقيهاً كبيراً فاضلاً وأهله من أبين وكان أبوه محدثاً تفقه زريع بمحمد بن اسمعيل الحضرمي وبعلي بن قاسم الحكمي . وكان صاحب روايات وأخبار مستحسنات . وكانت له كرامات ظاهرة وأسانيد عالية وعنه أخذ ابن الرسول في بدايته . وكانت وفاته في السنة المذكورة رحمه الله تعالى .

وفيها توفي الفقيه أبو العباس بن علي وكان فقيهاً بارعاً تفقه بتهامة على الفقيه اسمعيل بن محمد الحضرمي وبه سمى ولده وذكر ان ببركة دعائه حصل لابنه اسمعيل ما حصل وذلك انه لما أخبرهُ بولادته وانهُ سماه اسماعيل لذكائه فقال له الفقيه اسمعيل بارك الله فيه . وكانت وفاة الفقيه المذكور في مصنعة بني قيس في السنة المذكورة .

وفي سنة أربع وستين تقدم الأمير فخر الـدين بكتمـر القـلاب في العسـاكر المنصورة فحط على المصنعة وعزان فاستنجد الأمير فخر الدين بن عبد الله بن يحيى بن حمزة . والأمير شجاع الدين أحمد بن محمد بن حاتم بالشريف مطهر واستنجد به ايضاً أهـل بيت ردم لما لزم محمـد بن الوشـاح فطلـع الشريف مطهـر الى حصـن الطويلة . وخرج الأمير علم الدين الشعبي فحط في الرجـام وجهـز العسـاكر الى المغرب وجبل تيس فاستفتحها وعمـر موضعـاً فوق الطويلـة يسمـى غراب واكن وأقـامت[1] على الطويلة نحواً من سبعة أشهـر . وفي شهـر جمـادى الأولى تسلـم السلطان حصن المصنعة وحصن عزان . وأنعم على الأمير بن فخر الدين عبد الله بن يحيى بن حمزة وشجاع الدين أحمد بن محمد بن حاتم ثلاثين ألفاً فسلما الحصنين وأي حصنين هما منكبي الشوامخ اليمنية . وروقـى المصانـع الحمـيرية لم يقمـع أحدهما قامع ولا طمع فيهما من الملوك طامع . وقد كان الأمير جمال الدين فليت حط عليهما في عساكر مصر واليمن ثم لم يكد ينجو بنفسه الا بعد أن نهبت المحطة وما فيها من المنجنيقات والزردخانة والتروج[2] والحـوايج خانه بعـد أن أنفـق عليهما مـئتي ألف مثقال ذهباً . وكان تسليمهما وتسليم ردمان ايضاً في جمادى الأولى من السنة المذكورة ثم تسلـم السلطان بعدهما الفص الصغير في شهر رمضان . ثم تسلـم حصن بيت أردم[3] أيضـاً في ذي القعـدة . ثم تسلـم القفـل وشمسـان من بنـي شهاب . ثم اللجام في القعدة اشتراه من أولاد الشريف سليمان بن موسى .

وفي هذه السنة توفي الأمير الكبير شجاع الدين عباس بن عبد الجليل بن عبد الرحمن التغلبي . وكان أميراً كبيراً واصل بلده جبل ذخر بفتح الذال المعجمة أيضاً وآخره راء . وكان ذا مال جزيل وجاه عريض وكان أكثر ماله من التجارة وكان أميراً في مدينة زبيد وتأمّر في عدن وله آثار حسنة . وكان أكثر الناس صدقة ومعروفاً . وكان

---

(١) في العسجد : وأقام الحرب على الطويلة الخ . .
(٢) السروج
(٣) هو بيت ردم

اذا أقبل الحجاج من الحج وهو في بلدٍ ومرُّوا عليه كساهم ويعطيهم ما يوصلهم الى بلدهم وان كانوا من البلد التي هو فيها اعطاهم ما يزيلون به وعثاءَ السفر . وقد يتشبه ناس بالحُجاج في زيهم ويأتون اليه فيعطيهم ما يليق بحالهم . وله من الآثار الدينية مدرسة زبيد عمرها ابنه محمد بعد موت أبيه وهي الدار التي كان أبوه يسكنها . وله أيضاً في قرية السلامة مسجد يعرف بمسجد غُباس وهو غربي تربة الشيخ الصالح علي بن الغريب وله مسجد في قرية أبيات حسين ومدرسة في بلدة ذخر في موضع يعرف بالحُبيل بضم الحاء المهملة وفتح الباء الموحدة . وله في كل موضع من هذه المواضع وقف جيد يقوم بكفاية المرتبين فيه وكانت وفاته بزبيد في السنة المذكورة .

وفيها توفي الفقيه الصالح أبو الربيع سليمان الملقب بالجنيد بن محمد بن أسعد ابن همدان بن يُعفر بن أبي النهى . وكانت ولادته سنة اثنتين وستمئة وكان والده فقيهاً فاضلاً تفقه بمحمد بن الحافظ على ابن أبي بكر العرشاني واصل بلدهم ريمة المناخي . وعنه أخذ ابنه سليمان وكانت وفاة الوالد بقرية العدن من بلد صهبان في سنة خمس وعشرين وستمئة. وأما ابنه سليمان فكان فقيهاً جليلاً سيداً نبيلاً امتحن بقضاء مدينتي اليمن زبيد وعدن ثم عُوفي من الجميع وعاد الى بلده ثم انتقل الى ذي أشرف وكان عابداً زاهداً مقصوداً مشهوراً باستجابة الدعاء وكان الفقيه عمر بن سعيد العقيبي كثيراً ما يزوره ويأمر اصحابه بزيارته وكانت له كرامات يجل قدرها عن الحصر وببركته وأشارته عمل الطواشي نظام الدين مختص المظفري من مطاهر الجامع بذي اشرق . وكانت وفاته رحمة الله عليه على الحال المرضي ظهر يوم الأربعاء النصف من شهر صفر من السنة المذكورة رحمهُ الله وقبر بالعَدينة حيث قبر بنو الإمام وهي بفتح العين وكسر الدال المهملتين وسكون الياءِ المثناة من تحت وفتح النون وآخرها تاءُ تأنيث وهي مقبرة كبيرة قديمة شرقي القرية ذي اشرق قبر فيها جمع كثير من الأفاضل الأخيار رحمه الله تعالى .

وفيها مات الفقيه الصالح المشهور أبو بكر بن محمد بن رشد بضم الراء وفتح الشين وكان هو واخوه فقيهين صالحين وغلب عليهما الزهد والعبادة ويقال ان قدومهما الى زبيد كان قبل قدوم الحضارم ورغبا في صحبة الشيخ الصالح علي بن مرتضى خليفة الشيخ الصالح محمد بن أبي الباطل الصوفي نفع الله بالجميع . وتوفي اخوه عمر بن محمد بن رُشد بعده بسنة وذلك في سنة خمس وستين وستمئة وهو جد الفقيه المشهور محمد عبد الله الحضرمي أبو امه .

وفيها توفي الفقيه الامام البارع أبو العتيق أبو بكر بن عيسى بن عثمان الأشعري المعروف بابن حنكاس العلامة الحنفي المشهور وكان فقيهاً عاملاً عالماً إماماً في المذهبين وكان من صدور الفقهاء تفقه بالشريف عثمان بن عتيق الحسيني وغيره وكان أوحد اهل عصره اجتهاداً في طلب العلم ونشر المذهب حتى قيل لو لم يوجد لمات مذهب ابي حنيفة في اليمن . ويروى أنه اتى على كتاب الخلاصة ثلاثمئة شرف وانتهت اليه رئاسة اصحاب مذهب الامام أبي حنيفة رحمه الله . وكان يقرىءُ اهل المذهبين واجتمع على صلاحه المؤالف والمخالف . فمن أحسن ما ذكر من سيرته انه منذ درَّس ما رؤي نائماً قط في رمضان ليلاً ولا نهاراً واصل بلده العنبرة قرية من قرى الوادي زبيد قريبة من البحر وهي التي خرج منها علي بن مهدي.ولما ابتنى السلطان نور الدين المدرسة التي في زبيد التي خص بها أصحاب الإمام الشافعي رضي الله عنه وقف له هذا الفقيه في بعض الطرق وقال لهُ يا عمر ما فعل بك أبو حنيفة اذ لم تبن لأصحابه مدرسة كما بنيت لغيرهم فأمر ببناءالمدرسة الثانية وجعل فيها موضعاً لأصحاب الإمام أبي حنيفة وموضعاً لأصحاب الحديث النبوي وكان خطيباً مصقعاً وشاعراً مفلقاً . ومن شعره في سن الحداثة ما انشدهُ سبطه عمر بن علي حيث يقول :

زبيد ودع شرق البلاد وغربها ... ولا تتحدث عن عراق ولا مصر
أجِلْ نظراً فيها تعاني خريدة ... مليحة ما بين الترائب والنحر

بلادٌ بهـا فاح النسيم معنبراً واعقـب مسـك الليل كافـورة الفجر

وتفقه به جماعة كمحمد بن علي الصديقي وابن أبي سوادة وعلي ابـن عمـر وعمر بن علي العلوي وهو ابن بنته ومحمد بن عمر الأبـح . ولما كان يوم الاثنـين السابع عشر من شهر ربيع الآخر من السنة المذكورة احتضر بعد أن مرض أيامـاً فحضره من أصحابه جمع كثير وذلك بعد طلوع الشمس فسألهـم عن اليوم ما هو فدعا بطعام فأكله ثم قال لصهره علي بن عمر العلوي ارفع صوتك انت والجماعة بلا اله الا الله فقالوا يا فقيه اذا لم نذكرك ذكرتنا قال نعم فهللوا وجعل يتلو خواتيم سورة يس من قوله (أو ليس الذي خلقَ السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهـم الآية) وجعل يكرر ذلك ثلاث مرات رافعاً بها صوته ثم تشهّد عقيب ذلك وفاضت نفسه وصلي عليه ظهر ذلك اليوم وحضر دفنه جمع عظيم حتى قيل لم يكد يتأخر عن حضور دفنه احد من أهل زبيد .

ويروى أن بعض أهل زبيد رأى شخصاً من أهلـه كان قد توفي قبـل ذلك بسنين . فلما توفي الفقيه أبو بكر بن حنكاس ودفن كما ذكرنا رأى الرجل الذين من أهل زبيد قريبهُ في النوم فقال له ما فعل الله بك فقال حبست منذ مت مع جماعة فلما توفي الفقيه أبو بكر بن حنكاس شفع فينا فاطلقنا وغفر لجميع من في المقابر ببركة قدومه رحمهُ الله تعالى .

وفيها توفي الفقيه أبو عبد الله محمد بن عمر العلوي وكان مولده سنـة ثماني عشرة وتفقّه بابن حنكاس المذكور كما ذكرنا وكان فقيهاً فاضلاً له تفضُّـل ومـكارم أخلاق . توفي بعد شيخه بأربعة أشهر . في تاسع شهر شعبان من السنة المذكورة . وهو جد ابن الأبح وعقبهُ كثير في زبيد والله أعلم .

وفيها توفي الفقيه الصالح أبو الحسـن علي بن سيا بن اسماعيل بن الحسـن الواسطي . وكان فقيهاً فاضلاً قدم تعز أولاً واخذ عنهُ جماعة شتى من كتب الحديث منها قريب العهد المروي عن المعمّر بالهند ثم سافر الى الجند لغرض الرجبية بهـا

فاخذتهُ بطنهُ وتوجع فلما أحس بثقل المرض طلب جملاً وحمل عليه فلما صار الجمل على باب الجند برك فضربوهُ فلم يقم فقال بخ بخ لكم يا أهل الجند هذا علامة موتي وقد وعدني ربي ان يغفر لي ولمن قبر حولي . ثم أُعيد الى الموضع الذي نزل فيه أولا وهو المدرسة الشقيرية فتوفي مبطوناً غريباً لبضع وعشرين ليلة مضت من رجب من السنة المذكورة وقبره تحت جبل صُرَب مشهور مزار رحمهُ الله .

وفي سنة خمس وستين وستمئة قتل الأمير فخر الدين بكتمر القلاب وكان السلطان الملك المظفر قد أمرهُ بعمارة الزاهر وجرَّد معه مئة فارس وخمسمئة راجل فقصده الأشراف بنو حمزة فقتلوه وقتلوا معه جماعة من أصحابه الدين كانوا معهُ وكان ذلك في شعبان . ولما قتل في التاريخ المذكور انحاز أصحابهُ الباقون الى براقش فبرز أمر مولانا السلطان على الأمير علم الدين الشعبي بالتقدم الى جهة الظاهر في عساكره وطلعت عساكره المنصورة الى جهة حجَّة ووقعت هنالك حروب عظيمة وتفاقم الأمر فاقتضى الأمر الرشيد والرأي السديد طلوع الملك الأشرف عمر بن يوسف الى جهة حجة لاطفاء نار هذه الفتنة فخرج في عساكره المنصورة حتى حط في الذنائب في محطة جده الملك المنصور ثم وجه المقدمين من العساكر الى حجَّة فحصروا حصن مبين وكان فيه الشريف مُطهَّر . فلما اشتد عليه الحصار خرج مرفقاً واستولى العسكر المنصور على الحصن فأمر الملك الأشرف حينئذٍ بخرابه فخرب خراباً كلياً ثم صرف همته بعد فتح مبين الى حصن المخلافة في ذي الحجة منها وهي الموقر وقراضة والعكاد وكحلان والغرانيق الثلاثة وكان فتحاً عظيماً له في حجة والمخلافة لم يكن لاحد قبلهُ من الملوك الا لجده المنصور رحمة الله عليهما . وكان فتح حجَّة في شهر رمضان من السنة المذكورة وفتح المخلافة في ذي الحجة منها .

وفي هذه السنة المذكورة تقدم السلطان الى بلد الجحافل دثينه وما والاها وكانوا قد أفسدوا فقتل منهم جماعة واذعن الباقون ونزلوا عن الخيل ورَهنوا وظهر حسن طاعتهم ورجع السلطان من بلادهم مظفراً منصوراً .

فقال القاسم بن هتميل يمدح السلطان الملك المظفر يوسف بن عمر يهنئـةً بالظفر :

قل يا نسيم لاهـل الضـال والسمر ... ما صدً سامـركم عن ذلك السمر
واشرح حديث الغضـا والنازلـين به ... وان بخلـتَ بشرح الـكل فاختصر
وهـات عن عطـرات الحـي ما حملت ... من مسكهـن حواشي ذلك العطر
نشدتـك الله لا ورّيت عن خبر ... ممـا علمـت ولا موّهـت في خبر
فتحـت رمـرك سرٌ ما نممـت به ... الا وأنـت من الـواشي على حذر
ما كان من شرحة الوادي اهل عصرت ... اعطانهـا لتعاطـي ذلك الثمر
وهـل نشجـن قلـوب الهيم غلتها ... من ظلهـا الطلـق او من مائهـا الخصر
يا صفقـة الغبـن غرّتنـي جويريةٌ ... فبعـت قلبـيَ منهـا بيعـة الغرر
باتـت تروّعنـي بالبـين طالبةً ... قتلي فلـم تبـق في قلبـي ولـم تذر
خوطيَّة القـد لا طول ولا قصر ... في قدهـا فهـي بـين الطـول والقصر
جنيَّة في مغيب الشـمس يحجبها ... عن أمهـا وأبيهـا قوة الخفر
حوريةٌ شهـدت آيات بهجتها ... ونورهـا أنهـا ليسـت من البشر
كأنمـا هي في تركيبهـا خرطت ... من صورة الشمس أو من صورة القمر
جسـم أرق من الخمـر الشمـول على ... قلـبٍ قساوتـه اقسى من الحجر
اذا رمـى طرفهـا عن قوس حاجبها ... اصمتـك بالرمـي عن قوس بلا وتر
ما أطيب العيش لولا علـة حكمت ... فيهـا بموت الضنـى من ميتـة السحر
فجانـب النـاس وانظـر في تفاضلهم ... الى الطبـاع ولا تنظـر الى الصور
فان طمعـت برزق من يدي ملك ... فاطلب من الله واطلـب من يدي عمر
مولى الملـوك الـذي لو أنهـم وزنوا ... بظفـره نقصـوا وزنـاً عن الظفر
أغـرُّ بالشرف العلـوي زينتهُ ... كزينـة الخيل بالأوضـاح والغرر
مظفـرٌ ما أتـت من وقعـةٍ يده ... الاَّ مسوَّمـة الأظفـار بالظفر
ترى المصانـع والغيطان منه بشـمسي العـداوة ليلى السرى نهر

لا يستــريح ولا يفضي به سفرٌ	من بعــد همتــه إلا الى سفر
هديٌ كهــدي رســول الله متبعٌ	ما سار آل رســول الله في السير
وعزمــةٍ كل حدٍّ من صرامتها	امضى من الموت أو امضى من القدر
لو أن هيبتــهُ او بعض هيبته	تلقــى على الفلك الــدوار لم يدر
أحيى التبابــع والأذواء فاشتملت	بالعــدل دولــة قحطــان على مضر
وجــال في الأرض حتــى قال ساكنها	هذا خليفــة ذي القرنــين والخضر
ان الخلافــة قد آمــت وقــد فنيت	عنهــا ملــوك بنــي العبــاس والتتر
وان طلبــت مطــاراً للتــي عضلت	فقــد وجــدت جناحــاً طائــراً فطر
هذا قميصــك إمــا قدَّ من قُبلٍ	كابــن النبــي وامــا قدَّ من دبر
فانهض لعذرتهــا واعلــم بانــك ان	اهملتهــا كانــت الاحــدى من الكبر
ومــا اظــن قنــاة الدهــر ان عجمت	بطاعــن لي بهــا تخلــو عن الخور
يهنــي دثينــة ان الله عوَّضها	من الــدآدي ببيض البيض والغرر
غر الجحافــل حصناهــا ومــا علموا	ان الزجاجــة لا تقــوى على الحجر
أرسلــت صاعقــة في غيم بارقةٍ	تردي وتبــرق في رعــدٍ بلا مطر
فسلمــوا الخيل واعتاضــوا بهــا حُمُراً	فاعجــب على حُمُــرٍ منهــم على حُمُر
اعميتهــم فتمنــوا انهــم خلصُوا	عور العيون ومــن للعمــي بالعور
جاءوك يا شمس ارســالاً وقــد بذلوا	لك الحكومــة في الأنثــى وفي الذكر
اسمــع بقيت مصانــاً عن منافسة	الأغيار في الملك محروســاً من الغير
انــي امــرؤ في فمــى ماءٌ وفي كبدي	جراحــة من أمــير غــير مؤتمر
قد ذُقــت من غصص الــدنيا وفجعتها	ما كان منــهُ جميل الصبــر كالصبر
ان جرجــر العــوْد فانظــر ما بغــاربه	فانــه إن رغــا يرغــو من الدبر
وانظــر إليَّ بعــينٍ منــك راحمةٍ	لا تقصــدنْ غــير وجــه الله في النظر
والبس من الحبــر الموشى مذهبةً	ينسيك مذهبهــا موشيَّة الحبر

وفي هذه السنة المذكورة توفي الشيخ الصالح العارف بالله ابو الحسن احمد بـن

علوان الصوفي صاحب يفرس قرية من نواحي جبا . وكان مولده في قرية عقاقـه بضم العين المهملة وألف بين قافين وآخر الاسم هاءٌ وهي قرية من قرى جبل صَبر معروفة ونشأ في قرية تعرف بذي الجِنان من جبل ذخر ولم يزل على ترفة ورعونة على ما جرت عليه عادة اولاد الكتّاب لأن والـده كان كاتبـاً للملك المسعـود بن الملك الكامل . ثم شب شباباً حسناً فكان قارئاً كاتباً عارفاً بالنحو فاضلاً في اللغة والكتابة وشعره وكلامه في التصوف دليل على ذلك . وذكر بعض نقلة أخباره انهُ دعتهُ نفسه وهو شاب الى قصد باب السلطان والتعرض للخدمة وخرج من قرية ذي الجنـان وسار نحو باب السلطان فبينما هو سائر في أثناء الطريق اذ بطائر اخضر قد وقع على كتفه ومد منقاره الى فيه ففتح فمه فصبَّ فيه الطائر شيئاً فابتلعه الشيخ ثم عاد من فوره الى بلده فلزم الخلوة اربعين يوماً فلما كان يوم الحادي والأربعين خرج من المعبد وقعد على صخرة يتعبّد فانقلبت الصخرة عن كف فقيل له صافح الكف فقال ومن أنت فقال أبو بكر فصافحه فقال له قد نصبتك شيخاً والى ذلك أشار في شيءٍ من كلامه الذي يخاطب به أصحابه حيث يقول وشيخكم أبو بكر الصديق ثم القى له الحب في قلوب الناس والوجاهة وظهرت له كرامات كثيرة وتحكم لهُ جمع كثـير ثم ارتحل الى الشيخ أبي الغيث بن جميل فاخذ عنهُ اليد أيضاً والبسه الخرقة الشريفـة وكان آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر ولا يخاف في الله لومة لائم . وكان يقول شعراً حسناً ومن شعره من قصيدةٍ طويلة يحث فيها السلطان على العدل وحسن السيرة هذا :

يا ثالـث العُـمَرين إفْعـل كفعلهما ... وليتفـق فيه منـك السر والعلن
واستبـق عدلاً يقـول الناظـرون له ... نعـم المليك ونعـم البلـدة اليمن
عــار عليك قصــورات مشيدةٌ ... وللـرعية دورٌ كلهــا دمن

وصنف كتاباً في الوعظ نحى فيه منحى ابن الجوزي فلذلك يقال له جوزي اليمن وله في التصوف فصول كثيرة يتكلم فيهـا على لغـات شتـى . وقيل لبعض العارفين من اين كان الشيخ يعرف تلك اللغات وهو عربي ولم يعرف له خروج عن

بلده فقال كانت روح الشيخ أحمد مهبطاً لأولياء الله ولهم لغات كثيرة يتكلمون بها على لسان الشيخ فينطق بها كما يقولون . وكان الشيخ أشوق الى كلامه من سامعيه . وكان متى علم أن في السامعين لكلامه من لا يفهمه قال معرضاً به يا واقفاً في الماء وهو عطشان . وفي آخر الأمر تأهل بامرأة من أهل يفرس فسكن معها وترك قريته ذا الجنان ولم يزل بها حتى توفي ليلة العشرين من شهر رجب من السنة المذكورة ودفن على باب المسجد وهو القبر الملتصق بالمسجد على يسار الداخل اليه وكان له ولد يسكن ذا الجنان وكان على طريق مرضٍ الى أن توفي عشرة شهر شوال من سنة خمس وسبعمئة رحمه الله تعالى .

وفي هذه السنة أيضاً توفي الفقيه الإمام العالم البارع أبو عبد الله بن أبي بكر بن الحسين بن عبد الله الزوقري الركبي المعروف بابن الحطاب لأن أباه كان يسكن قرية النويدرة التي هي على باب سهام من مدينة زبيد وكان يبيع الحطب فيها . وكان ميلاد الفقيه في آخر المئة السادسة وتفقه بالفقيه علي بن قاسم الحكمي واطلع على علوم شتى وكان فقيهاً بارعاً أصولياً فرعيّاً فرضيّاً حسانيّاً مفسراً محدثاً مقرئاً يقرأ القراءات السبع وكان يقول أنا ابن عشرين ليس لي مناظر في شيء منها .

ويروى أن بعض الأكابر من أهل زبيد عمل وليمة وطلب أكابر الفقهاء فحضروا وحضر من جملتهم الفقيه علي بن قاسم وتأخر ابن الحطاب المذكور وطال بطؤه عن حضور الجماعة ثم وصل بعد ذلك والناس جميعهم في انتظاره فأقبل يميس عليه ثياب مرتفعة فقصد صدر المجلس غير محتفل بأحد فقال شيخه علي بن قاسم ما هذا العجب مع هذا الصبي فنقل اليه المجلس ما قاله الفقيه . فقال متمثلا بقول أبي الطيب :

ان أكن معجباً فعجب عجيب   لم يجد فوق نفسه من مزيد

ثم قال وكيف لا أعجب وأنا ابن عشرين علماً لا أجد من يناظرني في شيء منها فنقل الكلام الى الفقيه علي بن قاسم فقال شغله الله فكان من أمره ما كان . ولما تفقه ابن الحطاب وبرع على أهل عصره انتقل من قرية النويدرة الى مدينة زبيد

وتزوّج بنت شيخه علي بن قاسم الحكمي وحاز مسجد الأشاعر على أصحاب الإمام أبي حنيفة رضي الله عنه وأقام يدرّس فيه وإذا دخل وقت الصلاة يأمر المؤَذن بالأذان ثم يبادر الى أداءِ الصلاة في أول وقتها فتعب من ذلك أصحاب الإمام أبي حنيفة وكان لا يكاد يوجد إلا مدرساً لعلم أو مقبلاً على صلاة وكان غالب تدريسه في مسجد الأشاعر وتارة في المسجد الذي عند بيته وهو المسجد المعروف بمسجد الأمير فخر الدين في حافة الخبازين شرقي الموضع المعروف بالمدرك ولم يزل هذا دأبه برهة من الزمان فلما كان ذات يوم من الأيام استدعى بأخيه أبي الخير بن أبي بكر الحطاب الذي هو جد بني الحطاب الموجودين في قرية النويدرة فقال لهُ يا أخي اني رأيت البارحة ربي تعالى فقال لي يا محمد أنا أحبك فقلت يا رب من أحببته ابتليتهُ فقال لي استعد للبلاء وأنت يا أخي فكن على أهبة من امري . ثم انهُ خرج في يومه ذلك الى مسجد الأشاعر بزبيد فصلى فيه العصر مع الجماعة ثم رجع الى بيته مسرعاً فلما صار في أثناء الطريق غشي عليه فمرّ به الفقيه اسماعيل بن محمد الحضرمي وهو في تلك الحال فاكبَّ عليه وقبله بين عينيه وقال أهلاً بك يا محبوب ثم حمل الى بيته وكان ذلك وهو ابن خمس وعشرين سنة وكانت زوجته بنت شيخه الفقيه علي بن قاسم الحكمي ففسخ عليه نكاحها واشترى له من ماله جارية وخطبت زوجته فقالت لا أريد به بدلاً حيّاً ولا ميتاً فكانت الجارية تخدمه وتقوم بحاله وتحفظهُ في ساعة غفلاته ووطئها فولدت له ابنتين عاشت احداهما الى سنة احدى وعشرين **وسبعمئة** . وكان من أكثر الناس حفظاً للآثار والأخبار والأشعار وكان الطلبة من أهل عصره وأصحابه يقرؤون عليه في الأوقات التي يكون **فيها معافى** وكان يقول شعراً حسناً .

قال الجندي اخبرني والدي يوسف بن يعقوب قال كنت أحب هذا الفقيه على ما أسمع عنهُ وأكره أن أراهُ وهو على ما بلغني عنهُ من الحال فجاءني بعض الأصحاب يوماً وقال لي أريد ان تذهب معي الى الفقيه محمد بن الحطاب لاسلم عليه وكان الرجل يصحبه ايضاً فرافقتُه وسرت معه اليه فلما دخلنا عليه سلمنا فرد علينا السلام

ردّاً حسناً ثم قال للرجل يا محمد هل جئتنا بشيء فقال ما جئت الا بنفسي فقال مرتجلاً :

أتانا أخٌ من غيبة كان غابها   وكان اذا ما غاب ننشده الركبا

فقلنا لهُ هل جئتنا بهدية   فقال بنفسي قلت نطعمها الكلبا

قال الجندي ونحو ذلك ما اخبرنا الشيخ أبو الحسن علي ابن الشيخ الفاضل منصور بن حسن عن أبيه قال دخلت أنا والمقري محمد بن علي بن الفقيه محمد بن أبي بكر الحطاب فسأله المقري عن مسألة في الحيض مشكلة فأبانها له ثم انشدهُ :

لو علمنا مجيئكم لبذلنا   مهج النفس او سواد العيون

وفرشنا على الطريق خدوداً   ليكون المرور فوق الجفون

وأوصافه الحسنة جمة كثيرة لا يمكن استيعابها . وكانت وفاته بزبيد وقبر في مقبرة باب سهام وقبره معروف مشهور مزار ويتبرك به وعند قبره قبر رجل من التابعين وقيل من الصحابة والله أعلم .

وفي هذه السنة توفي الفقيه الصالح ابن إبراهيم بن صالح بن علي بن أحمد العشري وكان فقيهاً صالحاً وعاصر الخضري المعروف بالبرهان وولي قضاءَ تهامة أجمع فكان قضاؤه مرضياً وكان على يده عمارة الجامع المظفري بالمهجم في أيام الملك المظفر وكان من أهل الدين والدنيا وممن يأخذها من وجهها ويضعها في مستحقها كثير البر والمعروف وله مكارم أخلاق وكان يضرب به المثل في الكرم وكان في حلقة تدريسه أكثر من مئة طالب وكانت لهُ مروءة وشفقه على الأيتام .

ويروى أنه كان يعمل في النصف من شعبان من الحلوى شيئاً كثيراً يفرقهُ على الأيتام وعلى الضعفاءِ وعلى الخواص من أصحابه ولا يدع فقيهاً في البلد الا واساه بشيء من ذلك ومكارمهُ أكثر من ان تحصى . ولم يزل على الحال المرضي الى أن توفي في شهر جمادى الأولى من السنة المذكورة رحمهُ الله تعالى ولما توفي رحمهُ الله في التاريخ المذكور صار القضاءُ الأكبر بعده الى الفقيه اسماعيل بن محمد الحضرمي وخلفه في رئاسة البيت ابن اخيه علي بن محمد بن ابراهيم بن صالح والله أعلم .

وفيها توفي الفقيه العالم أبو محمد عمرو بن علي بن عمرو بن محمد بن عمرو بن اسعد بن أبي جعفر بن عباس السباعي. وكان يلقب بمظفر الدين وولد في بلد بني شاور سنة ثمان وثمانين وخمسمئة . وصحب الفقيه علي بن مسعود المقدم ذكره وتفقه به ثم طلع الجبال وقصد جبا فأدرك الشيخ أبا بكر بن يحيى فأخذ عنهُ غريبي الهروي ثم قصد مصنعة سير فقرأ فيها على الحسن بن راشد مسند الإمام أحمد بن حنبل وهو ممن أخذ عن ابن أبي الصيف وابن أبي حديد وغيرهما من الكبار ثم قصد مصنعة سير مرة أخرى في سنة ثمان وخمسين وستمئة فأخذ القضاة عنه بها شيئاً من مسند الإمام أحمد بن حنبل . ولما انتهى في الفقه انقطع عن شيخه علي بن مسعود وهو اذ ذاك ببيت خليفه عند الشيخ عمران بن قبيع القرابلي فاشترى موضعاً عند أبيات حسين وابتنى فيه مسكناً وازدرع ما زاد على موضع البناء وكان قد تزوَّج بابنة أخي شيخه علي بن مسعود وبورك لهُ في الذرية منها بركة ظاهرة . وكان تزويجه بها سنة ثمان وعشرين وستمئة .

ويروى ان الفقيه المصبري خرج من بلده وقد صار فقيهاً فقصد زبيد وناظر فيها فقهاءَها فلم يجد عندهم مقنعاً فتمثل بقول الأول :

لما دخلتُ اليمنا رأيت وجهي حسنا
أُفٍ لها من بلدة أفقَه منْ فيها أنا

ثم عاد من فوره وكلما مرَّ بفقيه قصده وناظره حتى أتى بيت حسين فأراد الاجتماع بالفقيه علي بن مسعود فقصد مدرسته وهو إذ ذاك مقيم مع تلميذه هذا عمرو بن علي السباعي. وكان أول من لقيه عمرو بن علي فظن أنه الفقيه علي بن مسعود ففاتحه السؤال فلم يزل عمرو يجيبه ويستزيده حتى تم سؤاله ثم ألقى عليه عمرو سؤَالات أجاب عن بعضها وتأخر عن بعض . فقال له الفقيه عمرو كيف ترى وجهك الآن اشارة الى البيت الذي بلغه أنه تمثل به إذ كان قد بلغهم تمثلهُ به . فقال يا سيدي المعذرة إلى الله ثم اليك ياأباالحسن فعلم الفقيه عمرو أنه لم يعرفه وان في ظنه أنه الفقيه علي بن مسعود . فقال إنما أنا بعض تلامذة الفقيه علي . وأما الفقيه

علي فهو ذاك في محراب المسجد فأقدم اليه فقدم اليه وقد علم أنه لا طاقة له به . وقال في نفسه إذا كان هذا درسي من درسته فكيف يكون المدرس؟ ثم دخل على الفقيه وسلم عليه . وسأل منه الدعاء . وكان عمرو كبير القدر معظماً عند أهل العصر . وكان شيخه علي بن مسعود يثني عليه ثناءً حسناً ويقول هو أكثر أصحابي أخذاً عني وهو الذي لقبه بمظفر الدين وأعطاه كتبه في آخر الأمر واستخلفه على تدريس أصحابه فدرس واشتغل بالفقه والعبادة . وتفقه به جمع كثير من أهل تهامة والجبال . وممن تفقه به ابنه محمد بن عمرو وعلي بن ابراهيم وأحمد بن علي بن هلال ولم يزل على الحال المرضي في التدريس والفتوى الى أن توفي عصر يوم الأربعاء لاثنتي عشرة ليلة خلت من جمادى الأولى من السنة المذكورة رحمه الله تعالى . وفيها توفي الشيخ الصالح أبو محمد عيسى بن حجاج العامري الغيثي نسبة الى الشيخ أبي الغيث أولا وهو احد أصحابه وأصله من عرب يقال لهم بنو عامر يسكنون جبلاً تحت حصن الشرف المذكور في بلد وصاب وهو على قرب من سوق المجمع وبلادهم تعرف ببلاد أسلم وكان الشيخ عيسى صاحب كرامات وصاحب حال ومقال وصاحب تربية وعلم من علوم الصوفية وكانت وفاته في شهر جمادى الأولى من السنة المذكورة رحمه الله تعالى .

وفي سنة ست وستين تسلم السلطان حصون علوان الجحدري وهي العرائس . وفي شهر جمادى الأخرى من السنة المذكورة وردت الأوامر الشريفة على الأمير علم الدين سنجر الشعبي بالتقدم الى صعدة فخرج اليها في خمسمئة فارس وثلاثة آلاف راجل فحط في الجوف ثم تقدم نحو صعدة وجمع الأمير صارم الدين داود بن الإمام كافة بني حمزة وعسكراً عظيماً فيهما عسكر بن مفتخر وفيهم من الرجل ما لا يحصى كثرةً وركزوا في نقيل العجلة وهو موضع وعر ما فيه إلا طريق واحدة فحفظوا تلك الطريق بالخيل والرجل فلما وصل الأمير علم الدين الى النقيل المذكور حط في أسفله ضحوة نهار وتغدى وغدى الناس جميعاً ثم وقف الى الظهيرة ورتب الأمير ابن نور في مشتي فارس وألف راجل في المحطة ثم لبست الخيل وطلعت النقيل

فلم يجد احد فيه مسلكاً لضيقه ووعارته وكثرة العساكر فيه فلما رأى الأمير علم الدين سنجر الشعبي ذلك تقدم في كتيبة عظيمة من فرسان الخيل وأجواد الرَّجل **وطلع** من موضع آخر فما شعروا حتى صار معهم مستدبراً لهم فلقيه الأمير علم الدين حمزة ابن الحسن بن حمزة . وكان يومئذ فارس بني حمزة غير مدافع **فكان** أول من صرع منهم ثم انكسر عكسر الأشراف وقتل عسكر ابن **مفتخر** . وكان فارساً شجاعاً فولوا مدبرين وأخذت طبلخاناتهم وسار العسكر المنصور في أثرهم فمال الأمير داود بن الإمام الى براش صعدة ودخل الأمير علم الدين صعدة وقدامه رأس الشريف حمزة **ابن الحسن بن حمزة ورأس عسكر بن مفتخر وأخرب في صعدة عدة مواضع وخرج** الى مخاليفها فأخربها أيضاً ونهب الناس كل من وجدوه في مخلاف صعدة ثم عاد الى صعدة فأقام فيها أياماً ثم قفل الى صنعاء ظافراً منصوراً .

وفي هذه السنة أمر السلطان بتحلية باب الكعبة بالذهب والفضة على يد ابن التعزي . ووصل رسول صاحب مصر إلى اليمن بالمكاتبات والهدايا فتوفي الرسول باليمن في آخر السنة المذكورة .

وفي هذه السنة توفي الفقيه صالح بن علي بن اسماعيل الحضرمي . وكان فقيهاً صالحاً عابداً زاهداً ورعاً تفقه به أحمد بن سليمان الحكمي ومحمد بن ابراهيم الشكر وغيرهما . وكانت وفاته رحمة الله تعالى عليه في سلخ شهر شعبان من السنة المذكورة . وفيها توفي الطواشي نظام الدين مختص المظفري . وكان مولىً لغازي بن جبريل ثم خدم مع السلطان نور الدين فجعله **أتابك** ولده المظفر فرباه أحسن تربية وأدبه أحسن أدب . ولما صار أمر السلطنة الى السلطان الملك المظفر حمل له طبلخانة وأقطعه إقطاعاً جاملاً . فكان كفؤاً لما ندب اليه . وكان شجاعاً مقداماً،عالي الهمة . وكان راغباً في طلب الأجر وبقاءِ الذكر كثير الصدقة . وابتنى عدة مدارس وآثاره باقية الى عصرنا هذا . ومن مآثره المدرسة النظامية في زبيد ثم المسجد المعروف بمسجد السابق النظامي نسبة الى عبد له . ثم مدرسة بذي هُزيم ناحية من نواحي تعز . وله مدرسة في ذي جبلة . وأخرى في موضع تعرف بالوحص بفتح الواو

وسكون الحاءِ المهملة وآخره **مهمل** أيضاً وهو موضع قريب من حصن بحرانه والله أعلم .

وفي سنة سبع وستين تسلم السلطان حصن براش صعدة من الأمير عز الدين محمد بن الأمير شمس الدين أحمد بن الإمام بعد أن رهن الأمير عز الدين ابنه وابنته . ثم ورد الأمر على الأمير علم الدين سنجر الشعبي بالمحطة على ثُلاً فحط عليه محاطً كبيرة وذلك في شهر ربيع الأول من السنة المذكورة وأخذ التعبرة قهراً بالسيف ورتب فيها من يحفظها .

وفي هذه السنة سار الأمير موسى بن الرسول والأمير مغلطاي أحد المماليك البحرية في عسكر من الباب الشريف مع الأمير عز الدين محمد بن أحمد بن الإمام للمحطة على تلمص . فلما اشتد الحصار على ثُلا وتملّص اجتمع الأشراف والعلماءُ من الزيدية على الأمير صارم الدين داود بن الإمام وسألوه ان يخرج الحسن بن وهاس للنصرة به على رفع هاتين المحطتين . فأخرجه على كره منه فخرج به الشريف علي بن عبد الله بن طيار الى حصنه الميقاع فلما اجتمعت عساكرهم قصدوا صعدة فثبتوا التي على تلمص فانهزم مغلطاي بالمماليك الى فللة . فأجارتهم خولان وساروا بهم طريق تهامة . وأما موسى بن الرسول فتخفر بقوم من العرب يريدون نجران فعلم به الأشراف فتبعوه حتى أدركوه معهم فقتلوه وعمّه تحت حصن تلمص في نصف شهر جمادى ورجع الأشراف من صعدة فجمعوا جموعاً عظيمة وقصدوا علم الدين الشعبي الى ثُلا فنزل من المحطة وكان سبب نزوله أن المكان وعر والخيل لا ينفعُ فيه فخاف على الرتب فنزل وأنزلهم فدخل الأمير جمال الدين علي بن عبد الله ثُلا في رجل كثير وانحاز الأمير علم الدين الى شيام وسار منها الى صنعاء فدخلها في شهر رمضان من السنة المذكورة . ثم خرج الأمير علم الدين الى الظاهر الأعلى والأسفل فأخربهما خرابا كليّاً وعاد الى صنعاء .

وفي هذه السنة حج صاحب مصر وهو السلطان الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقداري من الديار المصرية الى مكة المشرفة رحمه الله تعالى . وفيها توفي

الأمير نجم الدين عمر بن يوسف الزين وهو أخو الملك المظفر لأُمه . وكان أميراً كبيراً ذا همة عالية وسيرة حسنة .

ومن أثاره المدرسة المعروفة بالعمرية في مدينة تعز نسبة اليه وكانت وفاته في صفر من السنة المذكورة . والله أعلم . وفيها توفي الفقيه الإمام أبو محمد الحسن بن القاضي أبي الحسن علي بن عمر بن محمد بن علي بن قاسم الحميري . وكان شديد الاجتهاد في طلب العلم ومطالعة كتبه حتى ذكر الفقيه أنه أقام سنة يصلي الصبح بوضوءِ العشاءِ ولم يكن يسأل عن طعام ولا شراب حتى يؤتى به ولا يشتغل بأهل ولا ولد .

قال الجندي اخبرني الثقة أنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم قد جاءَه في جماعة منهم الإمام الشافعي فاستحيى وقال يا رسول الله بِمَ استحققت هذه الزيارة فقال باجتهادك في طلب العلم وتتبعك الأسانيد العالية . وكان فقيهاً مباركاً رحَّالاً في طلب العلم روى شرح ابن يونس للتنبيه عن محمد ابن عبد الله بن الحسن الأنصاري الخزرجي عن المصنف . وبلغهُ أن الفقيه محمد الهرمل لهُ رواية سندها قريب من رسول الله صلى الله عليه وسلم فارتحل اليه فلما وصل اليه أخذ الرواية عنه فقال له ابن الهرمل نحب ان نسمع عليك البيان فأجابه الى ذلك فكان وقت ان يسمع يقعد هذا الفقيه على السرير ويقعد ابن الهرمل دونه فاذا كان وقت قراءَة هذا الفقيه يقعد ابن الهرمل على السرير ويقعد هذا الفقيه دونه وكان وقت قراءة البيان قد يرفع الفقيه محمد رأسه الى السقف فيرى حنشاً مخرجاً رأسهُ من السقف وهو مثل المستمع ولا يزال هذا دأبه حتى تنقضي القراءة فاخبر الفقيه به الجماعة فقال ابن الهرمل هذا رجل من فقهاء الجن قرأ عليَّ التنبيه والمهذب وهو الذي سألني أن أسألك اسماعنا البيان ولما قدم الشيخ علي بن بشير الواسطي مدينة الجند وصار الى تعز اخذ عنهُ هذا الفقيه .

قال الجندي وذيل طبقات ابن سمرة ومن تعليقه أخذت تاريخ جماعة من الفقهاء فكانت وفاته في شهر ربيع الأول من السنة المذكورة .

وفيها توفي الفقيه الصالح أبو العباس أحمد بن محمد بن أحمد بن اسعد وكان فقيهاً صالحاً ورعاً زاهداً ولد على رأس عشر وستمئة. وكان صاحب كرامات وآثار مشهورات . وكان رصيناً في دينه وعقله لا يأخذ العلم إلاَّ عمن خبره وتفقه بابن ناصر ويعمر بن الحداد .

ويروى أنه قدم عليه البلد رجل غريب متظاهر بالعلم ومعرفته وعرض للفقيه وأصحابه ان يقرئهم فقال له الفقيه أنا لا آخذ العلم الا عن من تحققنا دينه وأمانته وأنت غريب علينا ربما اوقعتنا في محظور من حيث لا نشعر . ولم يأخذوا عنه شيئاً . وكان شديد الورع عظيم الزهد قليل الكلام الا في مذاكرة العلم وذكر الله تعالى وبه تفقه جماعة منهم محمد بن أسعد الجعيم وابو بكر بن أحمد التباعي وغيرهما .

ولما تحقق السلطان الملك المظفر صلاحه زاره الى منزله بسهفنة ودخل مدينته وسأل ان يطعمهُ شيئاً فدخل الفقيه موضعاً من بيته واخرج له وللقاضي البَها خبزاً من بر ولم يكن يُعهدمعه شيءٌ فأكل السلطان والقاضي ما اكلا ثم اخذا شيئاً ليتبركا به ويُطعماه من أحباه . ثم خرجا فخرج الفقيه لوداعهما الى الباب ولم يكن يعهده معهم . وكان اذا مشى أطرق الى الأرض ولا يلتفت يميناً ولا شمالاً . توفي ليلة الجمعة أول وقت العشاء في شهر شعبان من السنة المذكورة .

وفيها توفي الفقيه سراج الدين أبو بكر بن عمر بن إبراهيم بن دعاس الفارسي نسباً وكان أديباً فاضلاً فقيهاً في مذهب الإمام أبي حنيفة رضي الله عنه . ونال حظوة من السلطان الملك المظفر وابتنى مدرسة في مدينة زبيد خص بها أهل مذهبه لم تكد تخلو من مدرس وهي التي تعرف بالدعاسية فيما بين سوق المنجارة والسوق الكبير وكان شاعراً فصيحاً وله شعر رائق توفي في مدينة زبيد مهجوراً من السلطان لإدلال حدث منهُ على السلطان في حقه وحق وزيره البهاء فطرد من تعز الى مدينة زبيد فأقام بها إلى أن توفي في جمادى الأخرى من السنة المذكورة والله أعلم .

وفي سنة ثمان وستين تجهز الأمير علم الدين الشعبي الى صعدة فدخلها يوم

الثالث من صفر من السنة المذكورة . وفي شعبان منها وقع الصلح بين السلطان والأشراف بني حمزة .

وفيهاتوفي الفقيه الفاضل أبوزكريايحيى بن زكريابن محمد بن أسعدبن عبدالله ابن الكلالي ثم الحميري وكان فقيهاً فاضلاً تفقه في بدايته باهل الملحمة ثم تفقه بالحسن بن علي وأخذ البيان عن عبد الله الهمداني واخذ عن اسحق الطبري ومحمد ابن مختار الروادي ودرّس في المدرسة المعروفة بالغرابية في مدينة تعز إنشاء السلطان نور الدين وكان فقيهاً عارفاً بالفقه نقّالاً توفي يوم الأحد لاحدى عشرة ليلة بقيت من شهر رمضان من السنة المذكورة .

وفيها توفي الفقيه العلامة عبد الله بن يحيى بن أحمد بن عبد الله بن أحمد بن لبيب الهمداني نسباً وكان مولده سنة تسعين وخمسمئة تقريباً .قاله الجندي وأدرك احمد ابن ابراهيم الاكثيبي أحدأصحاب الشيخ الإمام يحيى ابن أبي الخير وسمع عليه البيان فانتشر عنهُ سماع البيان بالسند العالي فاستدعاه السلطان الملك المظفر فاخذ عنهُ بحضرة القاضي بهاء الدين وبعض اهله . وسألهُ يوماً فقال له يا فقيه لكم سمعت البيان فقال لخمس وعشرين سنة فقال وعلى ابن كم فقال علي ابن خمس وثمانين سنة وكان عمرهُ حين سألهُ تسعين سنة تقريباً . فقال لهُ بعض الفقهاء ومتى كانت قراءتك فقال سنة ست عشرة وستمئة .ولما ابتنى الشيخ علي بن محمد بن عبد علي الحميري مدرسة في قرية الحُجر بضم الحاءِ المهملة وسكون الجيم جعل هذا الفقيه مدرساً بها فكان الناس يأتون اليها ويأخذون عنهُ فيها .

ويروى عنهُ أنه قال مرة كنت أيام طلبي العلم كثيراً ما أرى النبي صلى الله عليه وسلم ولقدأعرف مرة أني كنت سائراً الى الشيخ الذي أنا اقرأ عليه فاشتقت الى رؤية النبي صلّى الله عليه وسلم فملت عن الطريق ونمت فرأيته صلى الله عليه وسلم ثم أنا الآن لم أجد ذلك وكان يتأسف على ذلك . وكانت وفاته في قرية مسورة بفتح الميم وسكون السين المهملة وهي تحت حصن بيت عزرحمهُ الله تعالى . وقيل عاش الى نيف وثمانين والله أعلم .

وفيها توفي الشيخ الصالح أبو الحسن علي بن عبد الله المعروف بصاحب المقداحة وكان من أعيان العباد ومشاهير الزهاد .

قال الجندي أخبرني الفقيه العارف بكثير من أحوال الناس ان هذا الشيخ كان في بدايته راعياً لغنم له في بعض نواحي المشيرق . وكانت له زوجة فبينا هما ليلة على سقف بيتهما إذ أقبل فقير إليهما فقالت المرأة لزوجها قم الى هذا الفقير واعتذر اليه فأنا قد تعشينا وليس معنا شيءٌ نطعمه منه فقام الشيخ مبادراً فامسكت رجلاه فدخل في نفسه ان ذلك حال من الفقير فغيّر نيته وعزم على تلقيه وادخاله المنزل ثم قال لأمرأته قومي اطبخي لنا شيئاً نأكله فكرهت فأخذ عوداً لها ليضربها فقامت فصنعت لهم شيئاً وأتت لهما به فأكل الشيخ والفقير وهما يتحادثان فلما فرغا مسح على رأس الشيخ وصدره ثم ودعه وسار ثم ان الشيخ عزم على الحج فأعطى زوجته بعض الغنم الذي معه وباع الباقي فتزود بثمنه وسار الى مكة . فلما قضى الحج عاد الى بلده عازماً على خدمة الفقراء في بعض الربط فقدم الجند وبها عدة من المشايخ أصحاب الأحوال والكرامات فقصد شيخاً منهم يعرف بعبد الله بن الرُّميش بضم الراء وفتح الميم وسكون المثناة من تحت وآخرهُ شين معجمة ونسب بني الرميش في بني مسكين . قاله الجندي فالتزم خدمة الرباط فذكروا انهُ امتحنهُ ولم يحكمهُ وأراد اختباره كما جرت العادة من المشايخ فظهر له منهُ أمور كثيرة وأحوال خارقة فاراد ان يحكمه فقيل لهُ إنهُ ليس من أصحابك انما هو من أصحاب الشيخ أبي الغيث فقال لهُ يوماً يا علي تقدَّم الى الشيخ ابي الغيث فاصحبهُ فهو شيخك فبادر ونزل تهامة . فذكروا ان الشيخ أبا الغيث كان يقول لأصحابه يقدم عليكم رجل كبير القدر من هذه الجهة في هذه المدة ويشير الى الطريق فجاء منها فكان الفقراء يخرجون كل يوم الى تلك الجهة يلتقونهُ فلما كان اليوم الذي وصل فيه خرجوا يلتقونهُ فوقفوا حتى احرقتهم الشمس فلما دخلوا البيت قدم الشيخ علي فدخل الرّباط فلما رآه الشيخ رحب به وحكمه من ساعته وقد كان على معلوم حصله في نظر الشيخ الرميش لهُ بالجند فازداد بنظر الشيخ ابي الغيث حسناً حتى كان من أعيان الطريق يقولون

نساجة صاحب المقداحة الرميش وقصارة الشيخ أبي الغيث . ثم عاد الى الجبل بعد مدة وقصد مسجداً خراباً في موضع يعرف بالمقداحة فاعتكف فيه ولم يكن يومئذٍ فيه ساكن انما يأتيه الرعاءُ احياناً . فلما علم به الناس اتوهُ وسكنوا عندهُ وبنوا له المسجد . ثم بنوا له رباطاً وتحكموا على يده فرباهم احسن تربية بالزام الصيام والقيام والزهد والورع واقبل الناس على الشيخ من كل ناحية بالفتوحات الكثيرة فكان يقبلها ولا يبيت عنده شيءٌ منها . واجتمع عندهُ جمع كثير ولازموا الجمعة والجماعة وساروا في طريق القوم والشريعة ولم يتجاوز الشريعة منهم احدٌ . فظهر في أصحابه جماعة اخيار وكان لا يميز نفسهُ على أصحابه فاذا وصل فتح وصل الى الصغير منهم كما يصل الى الكبير ومناقبهُ اكثر من ان تحصى . ولم يزل على الطريق المرضي الى أن توفي ليلة الثلاثاء لست بقين من جمادى الأخرى من السنة المذكورة والله أعلم رحمه الله تعالى .

وفي هذه السنة توفي الامام الصالح أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن علي الهرمل وكان من أعيان الفقهاء وفضلائهم يسكن العطفة قرية بين كدرسهام والعجمة وهي بكسرالعين المهملة وكان من كرام الفقهاء وذوي الاحسان فيهم يقوم بالمنقطع من الطلبة . ويروى انهُ لما توفي بكي عليه في أربعين بيتاً فسئلوا عن سبب ذلك فقالوا كان يقوم بكفايتنا ولا يعلم بنا أحدٌ . وكان ورعاً شديد الورع .

يروى ان الفقيه اسمعيل بن محمد الحضرمي قدم عليهِ في بعض الايام فنزل عندهُ في جماعة من اصحابه فسألهُ عن صابون ليغسل به ثيابه . فقال لهُ منذ سمعت ان الغز يطرحون الجلجلان على الناس كرهت الصابون والغسل به فلا اغسل ثيابي الا بالحطم . فقال الفقيه اسمعيل لاصحابه لقد فاق علينا هذا الرجل بورعه . وله مصنَّفٌ في الفقه سماهُ التحفة ضمنهُ زيادات الوسيط على المهذب يدخل في مجلدين يوجد مع اهل شجينه . وهو الذي قرأ البيان على الفقيه حسن بن علي الحميري . وكان بعض فقهاء الجن يسمع لقراءته وقد تقدم ذكر ذلك . وكان مشهوراً مذكوراً وامتحن بالعمى في آخر عمره وأعاد الله عليه نور بصره . وكانت وفاته ليلة الاثنين

لثمان خلون من رجب من السنة المذكورة في قريته المذكورة بعد ان تفقه به جماعة منهم علي الصريدح وعلي بن احمد الحجفي وعلي بن عبدالله العامري واسمعيل بن علي الرقاني وجماعة كثيرون والله اعلم .

وفي سنة تسع وستين قتل الشريف ادريس صاحب مكة وترتب بعده فيها ابو يحيى بن ابي سعد بن علي بن قتادة والياً فاقام بها الى أن توفي في شهر ربيع الآخر من سنة سبعمئة .

وفي هذه السنة توفي الفقيه الصالح ابو عبدالله الحسين بن ابي السعود بن الحسن بن مسلم بن علي الهمداني . وكان ميلاده سنة خمس وعشرين وستمئة فسلك طريق العبادة حتى توفي على ذلك . وكانت وفاته لليلتين مضتا من شعبان من السنة المذكورة . وحضر دفنهُ خلق كثير أحصى القراء فيهم فكانوا سبعمئة رجل . وكان لهُ من الولد ثلاثة اكبرهم محمد مولده لليلتين خلتا من ذي الحجة آخر سنة اثنتين وخمسين وستمئة. وكان صاحب قراءات ومسموعات وغلبت عليه العبادة . وكان من اكثر الناس تلاوة للقرآن مع الزهد والورع الى ان توفي على ذلك ليلة الاثنين لخمس بقين من شهر ربيع الاول احد شهور سنة تسعين وستمئة. والثاني احمد مولده يوم الاحد تاسع ذي الحجة من سنة احدى وستين وستمئة. وكان فقيهاً مجتهداً محصلاً ورعاً زاهداً تفقه بمحمد بن ابي بكر الاصبحي وكان كثير التردد الى الفقيه ابي الحسن علي بن احمد الاصبحي ويراجعهُ فيما يشكل عليه من المسائل . وكانت وفاته ليلة الثلاثاء لثلاث عشرة ليلة بقيت من ذي القعدة من سنة سبع وتسعين وستمئة. والثالث ابو القاسم مولدهُ في رجب سنة ثلاث وستين صحب الفقيه ومال الى طريقة التصوف وصحب الشيخ عمر القدسي وتحكم على يده ونصبهُ شيخاً . وكان على حال مرضٍ من سعة الاخلاق وايناس الوارد والاشتغال بمطالعة الكتب والبحث عن فوائدها الى ان توفي في شهر رمضان سنة ثلاث عشرة وسبعمئة رحمة الله عليهم اجمعين .

وفي هذه السنة ايضاً توفي الفقيه الفاضل عثمان بن محمد بن سوادة الحضرمي

الحنفي وكان فقيهاً فاضلاً وهو من اتراب الفقيه ابي بكر بن حنكاس ومعيداً معهُ وبه تفقه الفقيه يحيى بن عطية وغيره وكانت وفاته يوم الاثنين الحادي عشر من رجب من السنة المذكورة. وفي سنة سبعين وستمئة ورد الأمر العالي باعادة المحاط على ثُلا مرة ثانية فكانت المحطة على الجنات فحصروا اهل ثُلاَ وضيقوا عليهم واجهدوهم حتى ايقنوا بالهلاك . وتسلم السلطان حصون المصانع باعهُ عبد من عبيدهم يسمى محمد ابن نفيل .

وفي هذه السنة قام الامام ابراهيم بن احمد بن تاج الدين الهدوي وكان قيامهُ في ذي الحجة منها ودعا الى نفسه فاجابهُ اهل حضور وبنو الراعي وبنو شهاب وغيرهم من بلاد عنس وزبيد . ونهض الشرفاء والامام الى جبل يسمى ضيناً [1] وكان الامير علم الدين في الجنات فنهض لمحطته وحط تحت حصن كوكبان ونهض الشرفاء من محطتهم الى حارة بني شهاب .

وفيها توفي الفقيه ابو عبدالله محمد بن عمر القاضي عمر الهزاز المقدم ذكره . وكان مولده يوم الخميس ثامن عشر شوال من سنة احدى وستين وستمئة . وكان موسوماً بالفقه والدين والعبادة والزهد والورع ولوزم على ان يتولى القضاء بعد ابيه فامتنع . وكان السلطان الملك المظفر يجله ويعتقد صلاحه وربما زاره الى بيته سراً وكان يستدعي دعاءه كثيراً . وله مصنفات رحمهُ الله في الفقه وتوفي بعد صلاة الظهر من يوم الاثنين لاربع بقين من شوال من السنة المذكورة رحمهُ الله . ولما علم السلطان الملك المظفر بوفاته كتب الى اولاده يسألهم ان يدفنوهُ في التربة التي هي قبلي جامع عُدينة تعز ففعلوا ولم يكن يدفن فيها الا خواص بني رسول من القرابة والسراري والاولاد الصغار وخلف عدة من الاولاد النجباء انتهت اليهم الرئاسة في الدولة المؤيدية وسوف يأتي ذكرهم ان شاء الله .

وفيها توفي الفقيه الفاضل يحيى بن سالم بن سليمان بن الفضل بن محمد بن عبدالله الشهابي ثم الكندي انتقل به ابوهُ من بلد بني شهاب الى ذي جبلة فاستوطنها

---

(١) في العسجد يسمى ضيْناً بالخشب .

وتفقه بها ابنه يحيى المذكور واخذ عن محمد بن عبدالله المارىى وكان اول من رتب مدرساً في المدرسة الغرابية وكان فقيهاً فاضلاً لهُ مروءة وكرم نفس وكان يصحب الرشيد شاد الدواوين في صدر الدولة المظفرية . فلما توفي الرشيد نُقل الى السلطان ان مع هذا الفقيه مال الرشيد فطولب باثني عشر الف دينار وصُودر فلم تطل مدته بل توفي غيظاً في المدرسة المذكورة عشي الثلاثاء لليلتين بقيتا من شهر ربيع الآخر من السنة المذكورة رحمهُ الله تعالى .

وفيها توفي الفقيه الامام البارع ابو علي يحيى بن ابراهيم بن العمك . وكان من اعيان العلماء وكان في اول امره رئيساً على قومه يركب الخيل ولا يشتغل بشيء من طلب العلم . وكان سبب اشتغاله بطلب العلم انهُ خطب امرأة من بني خطاب هي ابنة الفقيه ابي بكر بن خطاب فامتنع الفقيه ابو بكر من تزويجه اياها وقال لهُ لست كفئا لها فانك رجل جاهل فأنف من قوله فاشتغل بطلب العلم حتى صار إماماً واشتغل بفن الادب وبرع في النحو واللغة والنسيب والعروض وغير ذلك . وكان ممن يضرب به المثل في حسن الجوار والوفاء بالذمم وله في ذلك اخبار يطول شرحها . وكان شجاعاً مقداماً كريماً جواداً شاعراً فصيحاً حسن الشعر له في السلطان الملك المظفر عدة مدائح وصنَّفَ كتباً كثيرة في النحو وغيره . ومن مصنفاته في الادب كتاب الكامل في العروض والقوافي وهو كتاب جليل والكافي ايضاً . وكتبهُ احسن ما صنَّف اهل اليمن تحقيقاً وتدقيقاً .

ومن شعره ايضاً ما قالهُ في مدح السواد وهو هذا :

اعد لي حديثك يوم الكثيب	وسلِّ بهِ عن فؤادي الكئيب
عشية سوداء قد اقبلت	تسارقني لحظها من قريب
وقد امنت رصدة الكاشحين	وسمع الوشاة وعين الرقيب
تبدت لنا من خلال البيوت	تجرر فضل الرداء القشيب
أرتنا النقا والقنا مائلاً	قوام القضيب وردف الكثيب
مولّدةٌ من بنات الموال	كمثل الغزال الغريب الربيب

فان لامني الناس في حبها فما لائمي ابداً بالمصيب
يقولون سودا ولو انصفوا وما ذاك لو أنصفوا بالمعيب
فلولا السواد وما خصهُ به الله من حسن سرٍّ عجيب
لما كان يسكن وسط العيون ولا كان يسكن وسط القلوب
ولا زيَّن الخال خد الفتى لا حسَّنَ النقش طرس الاديب
أما حجر الركن خير الحجار أما المسك اطيب من كل طيب
أما شغف الناس في دهرهم بحمد الشباب وذم المشيب
ولا تحُسن العين مرهى الجفون ولا الكف ما لم يكن بالخضيب
ولا كل عينٍ كعين المحب ولا كل قلب كقلب الحبيب

وكان جامعاً بين رئاستي الدين والدنيا معظماً عند الملوك . يروى انهُ كان في قريته رجل غريب مستجير به منتسب اليه فهمَّ الرجل بسفر الى بعض الاماكن فاكترى دابة من بعض قرابة الشيخ الى موضع غرضه وسافرا معاً فلما صارا في اثناء الطريق قتلهُ الرجل الذي اكرى عليه الدابة واخذ ما معهُ وعاد الى القرية كأنهُ لم يفعل شيئاً فبلغ خبرهُ الى الفقيه يحيى فتعب من ذلك وأقام اياماً فلما كان يوم الوعد والناس جميعاً في السوق امر بلزم القاتل فلزم وجيء به مربوطاً فامر بقتله فقتل في السوق على رؤوس الاشهاد ولما اشتغل الفقيه يحيى بطلب العلم وظهرت ثمرة اجتهاده خطب ابنة الفقيه ابي بكر بن خطاب وراجعه في زواجها فزوَّجهُ إياها وولدت لهُ عدة اولادٍ ولم تزل عندهُ الى ان فرَّق بينهما الموت . وكانت وفاة الفقيه رحمهُ الله في السنة المذكورة وقيل في التي بعدها والله اعلم .

وفي سنة احدى وسبعين أرسل الامام ابراهيم بن احمد بن تاج الدين الشريف جمال الدين محمد بن عبدالله الى حَضور وبلد بني شهاب وبلاد بني الراعي فتلقوه بالطاعة . وكان وصوله اليهم في سبعة نفرٍ فصلى بالناس أول جمعةٍ في سبعة آلاف . وفيها خالف الأشراف الى سليمان بن موسى مع الإمام وهم في أهل جهران وكان السلطان رحمهُ الله قد أقطعهم نواحي ذمار ثم تسلم منهم اللجام وقامت معهم علماءُ

الزيدية في تلك الناحية فساروا في جموع عظيمة الى ذمار فدخلوها قهراً وقتلوا جماعةً من الرتبة الذين كانوا فيها وخفروا الباقين وأخربوها خراباً كلياً . وكان ذلك في شهر جمادى الأولى من السنة المذكورة . وسار الامام ابراهيم والامير صارم الدين داود بن الإمام والامير عز الدين محمد بن شمس الدين وسائر الاشراف يريدون حَدّة وسناعا[1] فمروا على السبحة[2] ولم يكن في صنعاء الاً ابن نجاح في مئة فارس من عسكر السلطان وكان الشعبي وعسكره في محطته بالجنات خوفاً على رتب ثُلا فانصرف الأشراف من صنعاء فلما كان آخر الليل دخلها الاسدية وكانوا تسعين فارساً نقاوة عسكر صنعاء وفرسانهم فطلع الشعبي في بقية عسكره فمرّ على المحاط التي على ثلا فقواها وسار الى شبام ومن شبام الى صنعاء وحصل بينه وبين الأشراف قتال عظيم وجمع الأشراف جمعاً عظيماً وسار بهم علي بن عبدالله فارتفع عن ثلا . وسار بعسكره قاصداً الذروة وفيها الورد بن ناجي ولم يكمل عمارتها فهجم عليهم آخر الليل فاخربها وعاد الى اصحابه بسناع . فاقتضى الحال طلوع الركاب العالي الى ناحية ذمار فلما وصلها اقبل اليه اهل تلك الناحية رغبةً ورهبةً في شعبان من السنة المذكورة . فاقام في ذمار اياماً وامر بعمارة دربها . ثم سار يريد صنعاء فحط في درب عبدالله وانحاز الاشراف الى بيت خنبص فطلع عليهم الامير علم الدين الشعبي فكانت وقعة بيت الفاهم قتل الاشراف بنو صفي الدين وجماعة من عسكر الاشراف . وكان ذلك في ذي القعدة من السنة المذكورة . ثم تقدم السلطان الى صنعاء في الميدان في ذي الحجة .

وفي هذه السنة بعث السلطان بكسوة البيت المعظم على يد قاسم بن محفوظ . وفيها توفي الفقيه الفاضل ابو الحسن علي بن الحسين البجلي وكان فقيهاً محققاً غواصاً على دقائق الفقه عارفاً به كثير الاشتغال به تفقه به جماعة من اهل عصره . وكان كريماً جواداً شريف النفس عالي الهمة وكان كثير السعي في حوائج الاصحاب والقاصدين

---

(۱) حدة وسناعا .

(۲) على السبحة هو ما يقال له اليوم باب السبح .

من الطلاّب وربما قدم على اخيه الفقيه محمد بن.حسين وكان اذا عوتب في ذلك يقول :

تلك بنات المخاض راتعةٌ والعود في كورهِ وفي قَتَبِهْ
لا يستفق من مضاض رحلتهِ من راحة العالمين في تعبِهْ

وكف بصرهُ في آخر عمره . وكانت وفاتهُ في ذي الحجة من السنة المذكورة رحمهُ الله تعالى .

وفيها توفي الشيخ الصالح فيروز صاحب الشيخ ابي الغيث بن جميل . وكان كبير القدر شهير الذكر . وكانت يدهُ للشيخ محمد بن ابي بكر الحكمي صاحب عواجه . وبعد وفاة شيخه صحب الشيخ ابا الغيث صحبة مخصصة وكان من اكابر الصوفية واهل الكرامات فيهم . ولما حضرت الشيخ ابا الغيث الوفاة استخلف الشيخ فيروز في رباطهِ وعلى اصحابه فقام بذلك قياماً مرضياً الى ان توفي في السنة المذكورة .

وفي سنة اثنتين وسبعين دخل السلطان الملك المظفر صنعاء وكان دخوله يوم الثامن عشر من المحرم فاقام بها ونهض الاشراف الى حضور وأجلب معهم اهل حضور كافة وحطوا على عزان واجهدوا من فيه ووقع الخطاب على تسليم عزان وسلامة من فيه من العسكر فنزل العسكر وقبض الاشراف الحصن . ووصل عقيب ذلك احمد بن جابر وشرع صلحاً بين الاشراف وبين السلطان خاصة ثم الامام وكافة الناس عموماً . فتقدم السلطان الى اليمن في شهر ربيع الأول من السنة المذكورة ثم جرَّد عساكره المنصورة لقصد بيت حنبص فأخذهُ قهراً ووجد العسكر فيه خمراً كثيراً فكسروا اوعيته واراقوه فقال غازي بن المعمار :

ولما فتحنا بيت حنبص عنوة وجدنا به الادواج ملأى من الخمر
وعند أمير المؤمنين عصابةٌ يقولون[1] بالبيض الحسان وبالسمرِ
فان تكن الاشراف تشرب خفيةً وتُظهر للناس التنسك في الجهرِ
وتأخذ من خلع العذار نصيبها فاني أمير المؤمنين ولا ادري

(١) كذا في العسجد ولعل صوابه يقومون .

وكان فتح بيت حنبص يوم الجمعة سلخ شهر ربيع الأول من السنة المذكورة ولما دخل العسكر السلطاني بيت حنبص كما ذكرنا انهزمت الاشراف من حدّة وسناع فاخربهما السلطان خراباً شنيعاً وقطع اشجارهما وكانت فيهما اشجار قديمة لها مقدار مئتي سنة فما ترك فيهما شيئاً . ويقال ان شجرة لوز عقرت فوجد فيها لوح من رخام مكتوب فيه غُرست سنة اربعين من الهجرة . وامر السلطان بعمارة الجبل المسمى قرن عنتر وسماهُ ظفاراً وشحنهُ من اصناف الشجر ونهض بمحطته الى الصافية قافلاً الى اليمن في شهر جمادى الاخرى من السنة المذكورة وسار الامير علم الدين الشعبي صحبة ركابه العالي الى ذمار فوقف الامير علم الدين في ذمار وتقدم الركاب العالي الى اليمن .

وفي هذه السنة خالف الامير الحسام بن البدلي في براقش وتغلب عليها وكان والياً بها فجرَّد له السلطان الامير علم الدين الشعبي وامر الامير اردم بالوقوف في صنعاء وتقدم علي بن حاتم صحبة الامير علم الدين الى براقش فراسل الحسام بن البدلي وقبح عليه فعلهُ ووعدهُ بعطف مولانا السلطان عليه وما زال به حتى اخذ لهُ شيئاً من الصدقات السلطانية وحصناً من حصون بني الراعي يسمى المصنعة وتسلم الامير علم الدين براقش وعاد الى صنعاء ثم اصطلح السلطان والامام وسائر الاشراف وكان الصلح عن السلطان للامير محمد بن حاتم بن عمرو بن علي الهمداني(١) . واتفق للاشراف مخرج الى نجران عقيب الصلح فقتل فيه الامير علم الدين علي بن وهاس قتلته يام .

وفي هذه السنة توفي الشيخ عبد الوهاب بن يوسف بن عزان العريقي وكان شيخاً رئيساً من اعيان الرؤساء شجاعاً مقداماً كريماً جواداً مهيباً عند الاعداء . وكان يتولى بلد العوادر بمال معلوم يحمل الى السلطان . وكان يفعل الخير كثيراً ابتنى مدرسة في حصن الظفر ووقف عليها وقفاً جيداً ورتب فيهامدرساً ودَرسَةَوكان ممتحناً بشرب المسكر فقدم مرة زائراً من بلده للفقيه عمر بن سعيد العَقَيْبي فلما دخل عليه

(١) في العسجد ، وكان المشرف على السلطان ـ الامير محمد بن حاتم بن عمرو بن علي بن حاتم .

المسجد ربط منديلهُ في رقبته ثم الى رجل الفقيه وقال لا افتحهُ حتى تعطيني عهداً على التوبة وذمة من الشراب فراودهُ الفقيه على الترك فلم يفعل فاجابهُ الى ذلك وعاهدهُ على التوبة . وكان ذلك في شهر رمضان فكان ذلك سبب توبته .

ويروى انه لما كان يوم العيد همّ بشراب شيء من الخمر كان قد ادخرهُ لذلك اليوم فامر باحضار شيء منهُ فلما صار الكأس في يده واهوى به الى فمه احس في ظهره بضرب السياط كأنها النار فرمى بالكأس من يده وركض الاناء الذي فيه الخمر برجله فكسره وامر من حينئذٍ صائحاً يصيح في بلده بتحريم الخمر وشدَّد في شربها تشديداً عظيماً ولم يشرب بعدها مسكراً . وحج في هذه السنة المذكورة سنة اثنتين وسبعين وستمئة. فلما انقضى حجه خرج يريد زيارة قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة على ساكنها السلام . فلما دخل المدينة ووقف موقف الزائرين من التربة الشريفة سمعهُ جماعة يقول يا رسول الله انا جارك من العود الى الظلم اللهم لا تُعدني اليه . فتوفي عائداً من الزيارة على رجليه من المدينة فحمله اصحابه ورجعوا به المدينة وقبروه في البقيع بين اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في السنة المذكورة رحمهُ الله تعالى .

وفيها توفي الشيخ ابراهيم بن محمد بن حجر وكان مشتغلاً بشيءٍ من القراءة ثم غلبت عليه العبادة والتنسك فسكن مكة وأقام بها الى أن توفي في شوال من السنة المذكورة . ويروى انهُ اعتمر في السنة التي توفي فيها في رجب وشعبان ستين عمرة وفي رمضان خاصة ستين عمرة حكى ذلك الجندي في تاريخه .

وفي سنة ثلاث وسبعين حصل قحط عظيم في البلاد ومات من الناس عالم لا يحصى وأكل الناس الميتة . وفي شهر ربيع الآخر أخذ حصن كوكبان جماعة من الحوالين واستولوا عليه فارتفع رأس كل مفسدٍ وهاج الناس للخلاف .

وفي هذه السنة توفي الفقيه أبو الحسن احمد بن يحيى بن الفقيه محمد بن مضمون وكان مشاركاً في العلم ولكن اشتغاله بأمور الدنيا أكثر . وكان مشهوراً بالكرم وكثرة إطعام الطعام حتى افنى من ماله جملةً مستكثرة فبلغ علمه الى الأمير

شمس الدين علي بن يحيى العنسي فادركتهُ عليه شفقة . وكان يصحبه فدخل عليه يوماً زائراً له مع جماعة من الفقهاء وكان قد أُعلم بحاله فلما أراد الناس الخروج من مجلس الأمير استوقفه الأمير فلما خلا المكان قال له يا فقيه بلغنا عنك انك كثير التفريط لما في يديك وأنت فقيه ودخلك قليل من وجه حلال وما خَرج عنك لا يكاد يقع لك عوضه الا بمشقةٍ واظنك تريد الاقتداءَ بنا ولا ينبغي لك ذلك لأنّا نحن محصولنا كثير من غير كلفة يسهل علينا خروجه كما يسهل علينا دخوله ثم وبخه على فعله وحذره من مرارة الفقر والفقيه ساكت مطرق ثم قال لهُ احب ان تعاهدني انك لا عدت الى شيءٍ من هذا فقال له الفقيه استخير الله الليلة وآتيك غداً ان شاءَ الله بما قويت عليه عزيمتي . فلما كان تلك الليلة صلى صلاة العشاء ثم صلى صلاة الاستخارة ونـام فرأى قائلاً يقول لهُ يا فقيه أحمد انفق فانك ممن وُقي شح نفسه فلما اصبح غدا الى الأمير فاخبره بمنامه وما قيل لهُ وانه باقٍ على ذلك الأمر فبكى الأمير وقال في أي صورةٍ ما شاءَ ركّبك ولـم يزل على حالـه الى أن توفي في السنـة المذكورة تقريبـاً كما قال الجندي .

وفيها توفي القاضي الأجل الصالح عيسى بن الفقيه علي بن الفقيه محمد ابن أبي بكر من مفلّت بضم الميم وفتح الفاءِ واللام المشددة وآخرهُ تاء مثناة من فوقها . وكان فقيهاً ورعاً ديّناً عفيفاً وهو أحد من تعدهُ الفقهـاء من حفظـة المهـذب وولاه القاضي أبو بكر بن أحمد قضاء الجند فأقام بها قاضياً خمساً وأربعين سنة لم يذكر عنه ما يذكر عن غيره من نقص الحكام . ولما أراد السلطان الملك المظفر زواج الحرَّة مريم ابنة الشيخ العفيف استدعاه فلم يعقد له حتى استكمل شرائط العقد ولم يتساهل في شيءٍ من ذلك . فاعجب السلطان بذلك وقال لو كان متساهلاً في شيءٍ من حكمه لتساهل معنا . فكان عندهُ معظماً وكانت جامكيته من جزية اليهود في الجند وهي خمسة عشر ديناراً . وكان كثيراً ما يُدان ولا يدان من أهل الجند تورعاً وكان لهُ أرض قريبة من الجند وأرض ببلده ثابتة منها ما يقوم بكفايته وكان الغالب على حاله المسكنة والضعف . وتوفي مديوناً نحواً من ستمـئةدينار وكان عمرهُ أكثر من مـئة سنة لم يتغير

له عقلٌ ولا اختل له فهمٌ وكان يحضر المجالس الفقهية والمواكب الملكية يستضاءُ برأيه وينتفع بعلمه الى ان توفي ليلة الأربعاء الحادي عشر من شهر جمادى الأولى من السنة المذكورة رحمهُ الله تعالى .

وفي سنة أربع وسبعين خرج الأمير علم الدين الشعبي الى مخلاف ذمار لقبض الواجبات السلطانية وترك المماليك الأسدية جميعهم رتبة في صنعاء مع ابن العلاب وسار مع الأمير علم الدين منهم رجل واحد فوقع بين ذلك الرجل وبين الداوي أحد مماليك الأمير علم الدين خصمة على شراب فقتله الداوي في مسير الأمير علم الدين الى ذمار وهرب القاتل فلما علم المماليك الأسدية بقتل صاحبهم قاموا وقعدوا وكانوا قد اعجبتهم نفوسهم فخالفوا على السلطان واستولوا على صنعاءَ وقبضوا على موجود الشعبي وذلك في الرابع والعشرين من شهر ربيع الآخر من السنة المذكورة . وكاتبوا الإمام والاشراف بالوصول اليهم فوصلهم الشريف علي بن عبد الله يوم السابع والعشرين من الشهر في سبعة آلاف راجل وكان في جبل حَضور ثم جاءَ الإمام والأمير صارم الدين داود بن الإمام والإمام عز الدين محمد بن الأمير شمس الدين وسائر الأشراف فدخلوا صنعاءَ يوم الخامس من شهر جمادى الأولى وأقاموا في صنعاءَ وركب الامام يوم الجمعة الى جامع صنعاءَ ورَقي منبره واذَّن المؤذن في منارته حي على خير العمل وخالطهم من الجذل والعجب امر عظيم .

ولو علموا عقبى الأمور لقابلوا اوائلها بالحزم واطّرحوا العُجبا
ولكنهُ المقدور يلوي بذي الحجى فيسلبهُ ان حمَّ آراءهُ سلبا

وكانوا جميعاً على عزم الخروج من صنعاءَ الى ذمار وربما طمعوا فيما خلف ذمار ثم ان الأمير علي بن عبد الله ركب في بعض الأيام الى الأمير صارم الدين بن الإمام فتراجعوا في أمورهم فقال الأمير داود اني رأيتكم يا هؤلاء الشرفاء مذ دخلتم صنعاءَ ملتم الى الراحة والدعة وانفسكم تحدثكم بالخروج من صنعاءَ الى ذمار ثم الى اليمن ومناصبة السلطان . وهذا رأي فاسد . فلو نظرتم في أموركم أولا ثم نظرتم بعد ذلك الى الخروج من صنعاء الى ذمار كان إصوب فلا تغتروا بحديث هؤلاء الغزّ

الذين قد صاروا في جيشكم فوالله لو قد شموا ريح الملك المظفر وشاموا برقهُ لقد بانت لكم دخيلة امرهم ثم اني استفهمكم هل رأيتم احداً وصلنا من همدان وهم الجزء الوافر وهل أحد يردهم عن صنعاء بعد اخلائنا عنها ألم يأمر اليهم ان يوكبوا الينا فقالوا نحن لا نوكب حتى يجوزوا بلادنا فجزناهم وما أتانا احد منهم وكذلك سنحان هل هذا إلا تربص وترقب واستطلاع لما يأتي من ناحية اليمن والملك المظفر لا يترك بلاده ولا مدينته وما الذي شغله عن المبادرة والطلوع فانظروا في أموركم .
فقال لهُ الأميرعلي بن عبد الله النظر في أمورنا كلها اليك ونحن بين يديك فقال والله انكم لترمون عن قوس واحد الامام منكم والمأموم والعربي والغزي فقال ما الرأي الذي تأمرنا به وما هو الأصوب فقال الصواب ان قبلتموه أحد وجهين . أما الأول فنقف في صنعاء ونحن بثلاثمئة فارس نصبح كل يوم قرية من قرى همدان وسنحان حتى يدخلوا في طاعتنا اذلةً وهم صاغرون . وأما الوجه الثاني فنخرج الى حافد ونخلي صنعاء ونخربها فنحن ثلاثمئة فارس وخمسة آلاف راجل اي قبيلةٍ ملنا عليها أخذناها ونحن نعود الى معقل وحرز حريز . ومع ذلك لا يقدم علينا أحد ولا يدخل أحد الى صنعاءَ ونحن على هذه الصفة . ثم قاما وخرجا الى الإمام فلم يكن عقيب ذلك الا الخروج الى ناحية جهران وتبطيل آراءِ الأمير صارم الدين فبرز الإمام الى الميدان ثم نهض الجميع منهم الى بئر الخولاني ثم نهضوا الى العمري تحت الكميم فلما خيموا بالعمري أمر الإمام على الأمير علي بن راشد بن خالد بن عطوة ان يتقدَّم الى خدار ويستنهض خاله الشيخ الحسام بن الفضل في كافة أصحابه من سنحان فتقدم حينئذٍ الى الشيخ المذكور فلما وصل اليه وأخبروه برسالة الإمام فقال مالنا تأخر عن الوصول الى الامام فأمسى عندهُ فلما كان بعد مضي شطر من الليل وصل رسول من السلطان الملك المظفر بكتاب الى الشيخ الحسام بن الفضل واذا فيه صدورها من الحقَل ونحن على المسير الى صنعاءَ ان شاءَ الله تعالى ونحن نشعركم الوصول الينا ونحذركم الاغترار بهؤلاء الشرفاء فسقط في يد الشيخ الحسام بن الفضل ودخل على علي بن راشد فايقظهُ من منامه واوقفه على كتاب السلطان وقال له قم وتقدم الى الأمام

واخبرهُ بهذا فما بقي لنا اليه وصول . فلما وصل علي بن راشدٍ الى الإمام اخبرهُ الخبر فطلب الإمام كافة الشرفاءِ واخبرهم الخبر فاضطربوا وقالوا للأمير صارم الدين ماذا ترى فقال قد أشرت عليكم في صنعاءَ فلم تقبلوا وانا اليوم لا آمركم بالإقدام ولا آمركم بالاحجام ان أقدمتم لم تأمنوا الكسرة وان أحجمتم فهي كسرة الأحجام ولكن ارحلوا هذه الساعة قبل تشييع الخبر بطلوع السلطان فنهض الجميع منهم من العمري وانحدروا في نقيل الغابرة وشاع الخبر بوصول السلطان فاضطربوا وتحيّروا فعادت المماليك الى صنعاءَ ثم تقدم الشرفاءُ فحطوا في معبر ونهضوا الى أفْق بكرة يوم الخميس وكان غرضهم النهوض بكرة يوم الجمعة الى الجبجب فخرج الأمير عز الدين في ستين فارساً يستطلع الخبرفجاءوا وقد حطَّ الركاب العالي في ذمارفاغارت خيلهم على أطراف المحطة فأمر السلطان ان لا يخرج اليهم أحد وحرم على الناس الركوب . فعاد الأشراف الى محطتهم بأفق وقالوا وصلنا الى السلطان فما خرج الينا أحد والغالب ان المحطة ضعيفة فأمسوا في محطتهم مسرورين فلما كان صبح يوم الجمعة لم يشعروا حتى أطل عليهم فارس من الخيل فركبت الأشراف وما شكوا أنها غارة لأجل غارتهم بالأمس فركب الأمير صارم الدين في نحو من أربعين فارساً وأمر الناس بالوقوف حتى يعود فما كان أسرع من عودتهِ فاجتمعوا اليه وقالوا لهُ ما الخبر فقال هذا الملك المظفر في عساكره وكتايبه بعدي فقالوا فما ترى قال ما أرى الا الصبر والحرب فانهُ يوم عصيب . ثم طلب اهل أُفق وقال لهم اخبروني أين عورة بلدكم فقالوا لهُ اذا لزمت هذه الأكمة لم تخش حالاً فقال أنا الزم الأكمة وأمر الإمام أن يقف في الحصن فان وقع كسرة كان بعيداً عن القتال . وإما ما كان من أمر السلطان فانهُ لما حطَّ في ذمار وصل اليهِ الأمير علم الدين الشعبي وقال لهُ يا مولانا السلطان اليوم يوم الجمعة وهؤُلاء العرب لا يستجيزون الصلاة الا بعد الإمام . فإن تأخر عنهم مولانا السلطان الى بعد الجمعة اجتمع معهم من العسكر ما لا ينحصر وكانت حربهم أشد . فقال لهُ السلطان دعهم فإنا لا نريد سفك الدماءِ يوم الجمعة وفي أي حالة

---

(١) نقيل الغابرة

كانوا فانهم مهزومون فلم يقبل منهُ الشعبي ما قال بل قام من عنده وجمع عسكرهُ وأخذوا عدتهم وجعلوا طريقهم على باب خيمة السلطان . فأرسل السلطان اليه أن يقف فلم يفعل بل سار في عسكره نحوهم . فنهض حينئذٍ السلطان وأمر العسكر بالركوب وسار نحو أفق فأقبل علم الدين الشعبي فقصد الأكمة التي فيها الأمير داود بن الإمام ثم أقبلت العساكر يتلو بعضها بعضاً ثم أطل السلطان على الجبل الأسود في شرذمة من عساكرهِ وجنودهِ فكأنما اشتمل الجبل بثوبٍ أبيض غطى جوانبه كلها .

ولما قصد الأمير علم الدين الأكمة بعسكرهِ انهزمت الأشراف وحصلت العساكر على الغنيمة العظمية ونجا الأمير صارم الدين داود بن الإمام وكافة الحمزيين بعد مشقة شديدة ثم أحاطت العساكر المنصورة بالإمام في الحصن فأسروه وقتلوا طائفةً ممن كان معهُ منهم الأمير أحمد بن محمد بن حاتم ووزير الإمام القاضي ابن أبي النجم وتمزّق الشرفاءُ في تلك الأودية وتركوا محطتهم بما فيها ونزلوا عن خيولهم وتركوها قياماً تضطرب في أرسانها ووصل العسكر بالإمام وسائر الأسارى الى السلطان فلما وصل الإمام الى السلطان وهو مكشوف الرأس سلم وهنأ بالظفر فهنأه السلطان بالسلامة وأكرمهُ وآنسهُ وأمر بستر رأسه . وكان قد همَّ به جماعة من المماليك فزجرهم السلطان وشتمهم وأركبه بغلةً فكان يسير بينهُ وبين الصاحب بهاء الدين حتى دخل به حصن تعز فأودعهُ دار الأدب . فلم يزل به معزّزاً مكرّماً يحمل اليه في كل يوم عشرة دنانير ملكية والطعام بكرة وعشية والكسوة لهُ ولمن معه من حريمٍ وخدمٍ بقدر كفايتهم . فقال لقد كان لنا في سلم السلطان غنىً عن حربِه وكتب على باب مجلسه

هذي منازل سادةٍ اجواد ومحلُّ جودٍ شاملٍ واياد
قصر الخورنق والسدير مقصر عنهُ وذو الشرفات من سنداد

ولم يزل على الاعزاز والاكرام في مجلسه الى ان توفي في التاريخ الذي يأتي ذكرهُ ان شاءَ الله تعالى .

وفي هذه الواقعة يقول القسم بن علي بن هُتَيْملٍ يمدح السلطان الملك المظفر

بوّأت حزب الله دار قرار وأحلَّ حزب الله دارَ بوار

ووضعت أوزار الذنوب بوقعةٍ   ما حربها موضوعةُ الأوزار
مشبوبة الطرفين تردي الجحفل الـ   ـجرار نحو الجحفل الجرار
شنعاءَ ما حسَّ الفوارس جمرها   الاَّ رمت شرراً على الأشرار
هي كالفَجار الصعب أو كحنين أو   كالشعب أو كبغاث أو ذي قار
راوحت بين الموكبين لراحةٍ   لك في سروج الخيل والأكوار
وسريت في غسق الدجنّة طاوياً   بعد المشقة كالخيال الساري
عجِلاً الى الحرب العوان فحيّها   ركضاً على قدرٍ من الأقدار
لاقى بنو الهادي وحمزة ضعف ما   لاقت سُليم بجانب الثرثار
أنسيتهم ما سنَّ عمك فيهمُ   بالأمس في عصِرٍ بيوم ذمار
عميت قلوبهم ففضت سرابهم   بعمى قلوبهم عن الأبصار
طلبوا ذمار فرد سعدك ذالها   دالاً وأي هزيمةٍ ودمار
حقّوا بسيدهم فلما ايقنوا   بالموت طاروا عنهُ كل مطار
صبوا السياط على قوارح خيلهم   هرباً عن المهرات والأمهار
فكأنهم شُهب البزاة تبللت   بالغيث فانقضَّت الى الأوكار
نكصوا عن الإقبال من ملمومةٍ   مذ أقبلت نكصت على الأدبار
شمسية عُمرية علوية   جفنية الإيراد والإصدار
شهباءُ محكمة العفاص كأنها   تحت السنور جنة ألبقار
فنجوا وابراهيم يأمر نفسهُ   بالكر لا بالفر خوف العار
حتى إذا حمي الوطيس وأحصرت   عنهُ السوابق أيما إحصار
حملتهُ مرَّة روحهِ متحصناً   في الحصن لا متخفياً في الغار
لم يلق من يلوي عليه ولم يجد   أحداً يقاتل من وراء جدار
واذا الصفاح البيض لم تمْنع بها   لم يمتنع بصفائح الأحجار
فأسرتهُ مستبسلا وحفظتهُ   شرفاً بأفضل حوطةٍ وجوار
جدٌّ يفض شبا الصفا بزجاجه   قهراً ويقتل نازلاً بجوار

وأخو الصبابة ما عليهِ غضاضة في الصبر ان لطمتهُ ذات سوار
أحييتهُ بالعفو ثمَّ لقيتهُ ببشاشةٍ وسكينةٍ ووقار
ووهبتهُ دمهُ بجاه محمدٍ ورضى عليّ وجعفر الطيار
لو أن غيرك يا مظفّر صادهُ لكساه ثوبيْ ذلة وصغار
عانٍ طمست قيامهُ ومقامهُ وتركتهُ خبراً من الأخبار
أغرتهُ بالنقض الغواة فأهلكوا وثمود كان هلاكهم بغرار
لو شاور المختار في غزواتِهِ رجعت عليه مشورة المختار
يا فرحة البلد الحرام ويا ضيا جوّ العراق وفرحة الأمصار
جاءتهم البشرى فكاد سرورهم يقضي على بادٍ هناك وقار
وكأن من فض الصحيفة فيهمُ بالأسر فض لطيمة العطار
يا يوسف الحسن بن نور الدين يا ملك الملوك ومالك الأحرار
يا أفضل الحيّين في خيرٍ وفي شرٍّ وفي نقضٍ وفي إمرار
عشقتك أبكار العلى فنكحتها طفلاً وليس نكاحها بشغار
وإذا بنوك تكنفوك تحيّرت أبصارنا في الشمس والأقمار
صور سرى فيها الكمال فأودعت ما ليس في بشرٍ من الأبشار
فكأنها خلقت تعالى الله من فخرٍ وكل الناس من فخّار
أخليتمُ شرقيْ هداد وعزة من راشدٍ ويُمين من عمار
وخلا الرياشي بن راشد خيفةً منكم ولم يكُ حاذراً بحذار
وابن المعثور لو يغيث بعوضة لحضارةٍ ما بات في عقار
وإذا أردت تلمصاً وظفارٍ لم يعجزك ملك تلمصٍ وظفار
ماذا أقول وعبد عبدك يا أبا الـ منصور سيد يعرب ونزار

ولما أسر الإمام ابراهيم كما ذكرنا أراد الأشراف أن يقيموا ابن وهاس بعدهُ إماماً فكره فقال الحاي[1] في ذلك قصيدة يمدح بها السلطان الملك المظفر

---

(١) كذا في الأصل من غير نقط في المسجد ، الجبابي الكاتب .

أقبلــت في لجــب تســد فضاءَهم — من خلفهــم وأمامهــم يتجلجل
والى ابـن وهـاس أتــوا من فورهم — مستنهضــين قيامــهُ فاستعجلوا
فأجابهــم وإذا تكون عظيمة — ندعــى لهــا أين الامــام الأول[1]

ولما رجع السلطان من ذمار أمد علم الدين بمال جزيل فسار إلى صنعاء وكانت طريق الاشراف يوم هزيمتهم المغارب ولحقتهم مضرَّة شديدة وساروا الى حصن ردمان المعروف بالحواليين وكان في يد الشريف علي بن عبدالله فاقاموا فيه مدةً والامير صارم الدين يراسل الامام مطهر بن يحيى ويستدعيه الامامة . فلما وصل اليه ألزمهُ القيام بالامامة فدعا الى نفسه فأجابهُ كافة الزيدية . فاقام الاشراف مدَّة في بلد بني شهاب على غير قاعدة ثم حصل عقيب ذلك بين السلطان وبين الامير صارم الدين مراسلات افضت الى الصلح فيما بينهما فاخرج الامير صارم الدين والامام مطهر والشريف علي بن عبدالله وتصوَّرا[2] انهم يحفظون الحصون ويحاربون فيها فكان الامير علي بن عبدالله يختلف فيها بين الحصون فتارةً في كوكبان وتارةً في ردمان وأخرى في القاهر وعزان .

وفي هذه السنة توفي الفقيه الفاضل أبو عبدالله محمد بن علي بن اسمعيل الحضرمي . وكان كبير القدر شهير الذكر من كرام الفقهاء وخيارهم وكان جواداً كريماً . يروى انهُ ما سألهُ سائل شيئاً من الدنيا فرده وربما لقيهُ السائل فأعطاه بعض ثيابه حتى انهُ كان يأتي عليه وقت يعجز فيه عن الخروج من عدم الثياب . ويروى انهُ عاهد الله لا ردّ سائلاً قط . حكي انهُ سألهُ سائل يطلب شيئاً فدخل منزله فلم يجد الا الطعام الذي تطبخهُ الخادمة فأخذهُ بانائه وذهب به الى السائل فأعطاهُ اياه . وكان الفقيه اسماعيل يعظمهُ ويقول هو ازهدنا وأعلمنا وأورعنا وامتحن بحصر البول فكان يقل مجالسة الناس لذلك . وكانت وفاته رحمهُ الله في زبيد يوم رابع المحرم من السنة المذكورة .

---

(١) في العسجد بعد هذا البيت قال ابن الموصلي : في السجن
(٢) وتصوب رائهم كذا في العسجد .

وفيها توفي الفقيه الفاضل سعيد بن منصور بن محمد بن احمد الجيشي بالجيم والياء المثناة من تحتها والشين المعجمة وهو الذي يقال لهُ سعيد بن أنعمَ وكان أبوهُ يلقب بأنعمَ وكان فقيهاً محققاً درس بعد شيخه عمر بن مسعود في مدرسة ذي هزيم وأصل بلده مصنعة سير وكان حسن السيرة وتوفي في السنة المذكورة وقبره عند شيخه المذكور في مقبرة صينة رحمهُ الله تعالى .

وفيها توفي الفقيه ابو عبدالله محمد بن احمد بن ابي بكر بن موسى المعروف بالحرف . تفقه ابن الرسول وكان قاضياً في ناحية من نواحي أبين وتوفي بها في هذه السنة المذكورة رحمهُ الله تعالى .

وفيها توفي القاضي اسعد بن مسلم . وكان من اهل الدين والمروءة شهد له بالخير أعيان زمانه . ويروى انه اجتمع برجلي زمانه عمر بن سعيد العقيبي وسليمان الجندي رحمهم الله تعالى في بيته فباتا في صلاة وقيام وركوع وسجود . وبات القاضي نائماً قال الفقيه عبيد السهولي وكنت معهم ليلتئذ فتحيرت هل أوافقهما في الصلاة والقيام أو اوافق القاضي في النوم وبقيت متردداً فأوجز الفقيه صلاته ثم سلم وقال لي يا فلان ان صاحبك هذا من الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون فلا تعلمه بذلك وتزوّج بابنة القاضي مسعود بن علي فاتت له بابنتين وابن تزوج إحداهما القاضي بهاءُ الدّين والاخرى اخوه حسان ولم يزل القاضي اسعد على أحسن سيرة الى ان توفي يوم الاربعاء العشرين من شهر صفر من السنة المذكورة رحمه الله تعالى .

وفي سنة خمس وسبعين وستمئة تسلم السلطان حصن الريشة في ذي الحجة من السنة المذكورة . وفي هذه السنة توفي الفقيه الفاضل عبدالله ابن الفقيه عمر بن مسعود بن محمد بن سالم الحميري وكان فقيهاً عالماً عاملاً كاملاً مبرزاً في جميع انواع العلوم درس بعد ابيه بمدرسة ذي هُزَيم الى ان توفي رحمة الله عليه في السنة المذكورة .

وفي سنه سبع وسبعين حط الامير علم الدين الشعبي على الحصون الحضورية وهي القاهر وعزّان فاستمد الشريف علي بن عبدالله بالاشراف فلم يمده احد منهم إلا الإمام مظهر بن يحيى فانه جمع جمعاً عظيماً وقصد الشعبي الى محطته وكان

بالزّعلا . فوصلت عساكره القاهر . وعجزوا عن قصد علم الدين الى المحطة . فلما رأوا امورهم الى نقصان طلب الامير جمال الدين علي بن عبدالله لقاء الامير شمس الدين علي بن حاتم وتحدث معه في أمر الصلح . فقال الامير جمال الدين خذوا لي من مولانا السلطان مئة الف دينار واعطوني رهينة منكم في تسليم المال .

ولم يزل الى ان اتفقوا على تسليم الفي دينار ويخرجون من الحصون ويسلموها فانعقد الامر على ذلك . وصاحت الصوائح لهم بالذمة . وسلموا كافة الحصون الحضورية وفي شهر رمضان تسلم السلطان حصن ردمان . وخرج من فيه من الاشراف وعاد الشريف علي بن عبدالله على الظاهر والامام الى المغارب .

وفي هذه السنة توفي الشيخ والفقيه الامام العارف بالله ابو الفدا اسمعيل بن الفقيه الصالح محمد بن اسمعيل بن علي بن عبدالله بن اسمعيل بن احمد بن ميمون الحميري اليزني نسبةً الى ذي يزن الملك المشهور . وكانت ولادة الفقيه اسمعيل يوم التاسع من ذي الحجة من سنة احدىوستمئة ويروى انه لما تزوج أمةً قيل له يا محمد يأتيك ابنان محدث ومحدث الاول بفتح الدال . والثاني كسرها . وكان تفقه بابيه وعمه علي بن اسمعيل . ثم أخذ عن جماعة من الكبار كيونس بن يحيى والبربان الحصري وغيرهما . وكان نقالاً لفروع الفقه غواصاً على دقائقه . وله مصنفات مفيدة . منها شرح المهذّب وغيره . ثم ارتحل الى زبيد لغرض الزيارة في طلب العلم . فتزوج بابنة الفقيه ابي بكر بن حنكاس المقدم ذكره وبابنة الفقيه ابي الخير الذي سيأتي ذكره فيما بعدُ ان شاء الله تعالى وغلب عليه حب استيطان زبيد . واجتمع به السلطان الملك المظفر غير مرةٍ وسمع عليه البخاري . وولي القضاء الاكبر في تهامة فأقام فيه نحو سنة فاستخلف في القضاء من وثق بدينه وورعه واشترط على كل قاض الا يحكم الا بمحضر من الفقهاء . فيقال انهُ خوطب يا اسمعيل رضيت بالنزول عن التسمي بالفقه الى التسمي بالقضاء او كما قيل . وقيل بل كان كثير التردد الى تربة الشيخ الصالح احمد بن أبي الخير الصياد . وكان قد يجد عندها دليلا على صلاح حاله فنوجي هنالك بذلك فعزل نفسهُ من القضاء . ومما يروى عنهُ

انهُ دخل بيت قاضي زبيد . وكان من خواص اصحابه وزوج أُخته . فوجد في بيته ثياباً من الخَزّ . وكان لا يعرف معهُ شيئاً من ذلك . فقال لهُ من أين لك هذه الثياب فقال من بركتك يا ابا الذبيح فقال ذبحني الله ان لم اعزلك ثم عزله وعزل نفسهُ بعدَه . وكان مبارك التدريس انتفع به خلق كثير من فقهاء اليمن . ومن عجيب ذلك ما روي عن الفقيه الصالح محمد بن معطن . وكان من الفقهاء الزهاد قال كنت في بلدي فعرض لي ان اقرأ النحو فرأيت في المنام قائلاً يقول لي اذهب الى الفقيه اسمعيل الحضرمي واقرأ عليه النحو فعجبت من ذلك لانهُ لم يشتهر بمعرفةٍ تامة في النحو . ثم قلت قد حصلت الاشارة فعزمت على السفر من بلدي وهي قرية الرقبة من قرى وادي رمع . فسافرت حتى دخلت الضحى . فوجدت الفقيه في حلقة التدريس من اصحابه . فلما رآني سلمت عليه فرد عليَّ ورحب بي وقعدت بين اصحابه . فقال لي يا فقيه قد اجزتك في جميع كتب النحو فأخذت ذلك بقبولٍ وعدت بلدي فما طالعت شيئاً من كتب النحو الا عرفت مضمونه ببركة الفقيه رحمه الله تعالى ونفع به .

قال الجندي : واخبرني الثقة عن الفقيه حسن الشرعبي انهُ سمعهُ يقول رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في منامي ليلة من الليالي فقلت يا رسول الله من اولياءُ الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون . فقال هم الدرسة فلما كان الليلة المقبلة رأيته صلى الله عليه وسلم . فقلت يا رسول الله اي الدرسة هم قال هم درسة الفقه التنبيه والمهذَّب . فقلت يا رسول الله فدرسة القرآن قال اولئك اصفياءُ الله . وكانت وفاة الفقيه نفع الله به يوم التاسع من ذي الحجة من السنة المذكورة رحمه الله تعالى .

وفيها توفي الفقيه الامام البارع ابو عبدالله محمد بن الحسن الصمعي وكان فقيهاً فاضلاً عارفاً متفنناً وغلب عليه فن النحو . وله فيه مصنفات كثيرة مفيدة . وله مصنف في العروض وتفقه به جماعة . وهو الذي درس قبل السرَّاج في المدرسة المنصورية بزبيد . وله عبارات مرضية توفي في السنة المذكورة رحمه الله تعالى .

وفيها توفي الفقيه الفاضل ابو عبدالله محمد بن ابي بكر بن حزابة بضم الحاء

المهملة وفتح الزاي والباء الموحدة . وكان تفقهه بأبي شعبة المذكور آنفاً واخذ شيئاً من الاصول عن البيلقاني . وكان سبب تفقهه انهُ اشترى وعاءين من الارز من الفقيه ابي بكر بن حجر فاكل احدهما . ثم لما فتح الوعاء الآخر وجده ابو بكر بن حجر احسن من الاول . فاسترجع وقال بعتك ما لم أرهُ فلا يصح البيع . فحملته الأنفة على قراءة الفقه فقرأ على ابي شعبة . ثم ان أبا بكر بن حجر حدث معه حادث سرور استدعى شيئاً من الزعفران . وكان الزعفران يومئذ معدوماً لا يوجد الاّ عند ابن حزابة المذكور . وكان عطاراً فوصل الفقيه ابو بكر بن حجر اليه وعوّل عليه في شيءٍ منهُ فأجابه الى ذلك وباعه امناناً معلومةً من غير نظر الزعفران ثم استدعى بوعائه فلما فتحهُ قال يا فقيه بعتك ما لم أره فالبيع فاسدٌ . فتوقف ابو بكر بن حجر . وناوله الفقيه دراهمه فأخذها وهم بالرجوع بغير قضاء حاجةٍ . فذكره ابن حزابة بما فعل معه يوم الارز ثم باعه مراده من الزعفران ولم يرده خائباً . وكانت وفاة ابن حزابة قبل وفاة شيخه ابي شعبة بايام قلائل في السنة المذكورة والله اعلم .

وفيها توفي الفقيه البارع ابو عبدالله محمد بن ابي بكر بن محمد بن ابي بكر بن حسن بن علي الفارسي بلداً التيمى نسباً . وكان أصل بلده من بلاد فارس دار جرذ بكسر الجيم وسكون الراء وآخره ذال معجمة . كانت فيما تقدم دار ملك فارس . وكان اهل هذا الرجل بيت وزارة ملوك فارس قاله الجندي . قال ونسبتهم ترجع الى ابي بكر الصديق رضي الله عنه وارتحل والد هذا الفقيه المذكور من بلد فارس الى مكة المشرفة فجاور فيها ست عشرة سنة . ثم قدم عدن فتديّرها وظهر له فيها الولد المذكور . فلما أراد الولد الاشتغال قرأ على البيلقاني الفقه والمنطق والأُصول وأخذ عن الصغاني اللغة . وأخذ عن الشريف الطب والمنطق والموسيقى وعلم الفلك وبه اشتهر . وله فيه مصنفات عديدة وله في الموسيقى كتاب دائرة الطرب ورسالة فيها . وكتاب في وضع الالحان . وكتاب التبصرة في علم البيطرة وايات الانساق في خواص الأوفاق . وكتاب في معرفة السموم . وكانت وفاته في السنة المذكورة رحمه الله تعالى .

وفي سنة سبع وسبعين توفي الامير الاجل الكبير أسد الدّين محمد بن الامير الكبير بدر الدين الحسن بن الامير الاجل الكبير شمس الدين بن علي بن رسول الغساني وكان من اكمل بني رسول في الدين والشجاعة والكرم وعلو الهمة وكان أسداً قوياً شديداً وبقوته يضرب المثل . وكان يقبض على الركاب الحديد فيضم بعضه الى بعض . وهو الذي رمى الهلال الذي على منارة صنعاء بدبوس من حديد فأسقطه عن مستقرّه . وكان كريماً جواداً . قل ما قصده انسان الا وأناله مقصوده . وأجزل عطاه ورفده وله من الآثار الدينية مدرسته التي في مدينة إبٍ . ومدرسته التي بالجبابي وفيها قبره وقبور جماعة من ذريته . وبنى سداً في قرية قرفة . ووقف على الجميع اوقافاً جيدة تقوم بكفاية الجميع . ولما سجنه ابن عمه السلطان الملك المظفر اشتغل بالقراءة فكان يستدعي الفقهاء الى موضعه فيقرأ لهم ويحسن اليهم لا سيما الفقيه احمد بن علي السرددي . فانه كان رأس المحدثين يومئذ في مدينة تعزّ . فقرأ عليه عدةمن مسموعات الحديث . ونسخ عدة من الكتب والمصاحف والمقدمات ووقفها في عدة من الاماكن ولم يزل على أحسن حال الى ان توفي يوم الثالث عشر من ذي الحجة من السنة المذكورة رحمه الله تعالى . وله عقب كثير . واولاد من خيرة اولاد الامراء . وكان افضل اولاده ابو بكر . كان كاملاً عاقلاً متأدباً يقول الشعر حسناً . ومن شعره قوله :

إذا لم أُقاسمك المسرة والاسى ولم اجد الوجد الذي انت واجد
ولم اسهر الليل الطويل كآبةً فما انا مولود ولا انت والد

وهذان البيتان من قصيدة له كبيرة كتب بها الى ابيه وهو في السجن رحمة الله عليهما . وفيها توفي الفقيه الفاضل ابو بكر بن يوسف المكي الحنفي وكان فقيهاً جليل القدر مشهوراً ورعاً راضياً من الدنيا بالكفاف وكان عالي الهمة شريف النفس عالماً مشهوراً نحوياً لغوياً متأدباً مترسلاً عارفاً بالطب شيخه في ذلك ابو سواده . وكان يقري اهل المذهبين كما كان شيخه .

قال الجندي اخبرني الثقة من اصحابه انه قال له يوماً على قرب من وفاته رأيت

كأن القيامة قد قامت واحضرت الأئمة بين يدي الله تعالى . وهم ابو حنيفة ومالك والشافعي واحمد بن حنبل . فقال الباري جل جلاله . اني أرسلت اليكم رسولاً واحداً بشريعةواحدة فجعلتموها اربعاً ردودها عليهم ثلاث مرّات فلم يجبه احد. فقال له احمد بن حنبل يا رب انت قلت وقولك الحق لا يتكلمـون الا من اذن له الرحمن وقال صواباً . فقال له تكلم فقال يا رب مَن شهودك علينا قال الملائكة قال يا رب لنا فيهم القدح. وذلك انك قلت وقولك الحق. «واذ قال ربك للملائكةاني جاعل في الارض خليفةً. قالوا اتجعل فيها من يفسد فيهاويسفك الدماء» فشهدوا علينا قبل وجودنا . فقال الباري جلودكم تشهد عليكم . فقال يا رب كانت جلودنا لا تنطق في الدنيا وهي تنطق اليوم مغصوبة . وشهادة المغصـوب لا تصـح فقـال الباري جل جلاله انا اشهد عليكم . فقال يا رب حاكم وشاهد فقـال الله تعـالى اذهبوا فقد غفرت لكم . ثم لما كان في السابع عشر من شهر ربيع الآخر من السنة المذكورة . رأى بعض اخيار اهل زبيد ان منارة مسجد الأشاعر قد سارت من مكانها حتى خرجت من المقابر وتغيبت فيها فتوفي الفقيه بعد ذلك وخرج الناس لدفنه فرأى الرائي ان للفقيه قبراً في الموضع الذي غابت فيه المنارة فعلم انها عبارة عن الفقيه رحمه الله تعالى .

وفيها توفي الفقيه الفاضل أبو عبدالله محمد بن سالم بن علي العنسي بنون بين العين والسين المهملتين . وكان يُعرف بابن البانه تفقه بعمـر بن مسعـود الأبينـي وبالوزيري وأخذ عن المقدسي . واتهم في دينه ولم يزل مهاجراً للفقهاء منافراً لهم حتى أمكنهُ الدخول على البهاء وهو يومئذٍ متولي الوزارة والقضاء فحلف لهُ انهُ ما تغير عن معتقده وأوقفهُ على كتاب صنفهُ في معتقد السلف فقُبل منهُ بعض قبول . وكانت وفاتهُ ليلة الفطر من السنة المذكورة . وقيل يوم عيد الفطر قبل الصلاة من السنة المذكورة والله أعلم .

وفيها توفي الفقيه الفاضل ابو عبدالله محمد بن مسعود بن ابراهيم بن سالم بن أبي الخير بن محمد الضُجاوي وكان مولدهُ في النصف من شعبان سنة ثماني عشرة

وستمئة وتفقه في بداءته بابن يعيش وبعبدالله بن عبد الرحمن وأخذ درجة الفتوى بعدهما وارتحل الى عدة من الاماكن في طلب العلم . وكان رجلاً صالحاً فاضلاً مبارك التدريس خرج من اصحابه ثلاثة نفرٍ تفقه بهم خلق كثير وأجمع الناس على صلاحهم وعلمهم وحسن فقههم وربما قدمهم الناس عليه وهم صالح بن عمرو وعبدالله الحساني وابو بكر بن العزاف فكان يفتخر بهم ويقول ليس لاحدٍ من أهل العصر مثل هؤلاء الثلاثة . أما ابن العزاف فمتقن للفقه وأما صالح فمتقن للفرائض وأما الحساني فهو الفاضل بعدهما . وكانت وفاتهُ بذي السفال في السنة المذكورة رحمهُ الله تعالى .

وفي سنة ثمان وسبعين كان فتح مدينة ظفار الحبوضي وقتل صاحبها سالم بن ادريس وقتل معه يومئذ نحو من ثلاثمئة رجل وأسر خلق كثير . وكان السبب في ذلك حدوث مجاعة عظيمة وقحط شامل وقع في بلد حضر موت . فأقبل صاحبها الى سالم ابن ادريس وطلبوا منه ما يدفعون به كَلَب تلك السنة عنهم وسلموا اليه مصانع حضرموت وحسنوا له ذلك ورغبوا له فيه فأجابهم الى ما طلبوا وخرج معهم الى حضرموت لتمام ما قد شرعوا فيه وهو امرٌلم يسبقه اليه أحدٌمن آبائه ولم يعلم دهاهم ولا مكرهم . فلما اخذوا منه جميع ما طلبوا سلموا اليه المصانع فقبضها وعاد الى ظفار . ورأى انه قد افلح وانجح . وان حضرموت قد صارت تحت يده وفي قبضته . فلما رجع الى ظفار مال أهل حضرموت ميلةً واحدةً الى مصانعهم ؛اخذوها طوعاً وكرهاً ولم يكن دونها حائل يحول بينهم وبينها فاصبح لا مال ولا بلد وكاد يهلك اسفاً على تضييع امواله في غير مواضعها فاتفق من القضاء المبرم ان مولانا السلطان الملك المظفر رحمة الله عليه ندب سفيراً الى ملوك فارس بهدية جيدةٍ وصحبته جماعة من التجار فصرفتهم الريح عن طريقهم ورمت بهم الى ساحل ظفار فقبضهم سالم بن ادريس وقبض ما معهم من الهدية والاموال والبضائع وسوَّلت له نفسهُ ان هذا جبران ما فات عليه في حضرموت فراسلهُ السلطان بذلك وكاتبهُ وقال لهُ لم يجر بذلك عادة من اهلك ونحن نحاشيك من قطع السبيل وانت تعلم ما بيننا وبين والدك وما بيننا

وبينك والمكانة بيننا غير انا نتأدب بآداب القرآن الكريم قال الله تعالى (وما كنّا مُعذّبين حتى نَبْعَثَ رسولاً) فازداد غلظةً وجهلاً ورجع الجواب يقول فيه هذا الرسول واين العذاب وغير ذلك من الجهل ثم لم يكن بعد ذلك الا انهُ أفسد صاحب الشحر راشد بن شجيعة وحملهُ على العصيان فمال اليه هرباً من الخراج الذي عليه لصاحب اليمن وكان عليه خراج معلوم يحمله في كل سنة الى الخزانة المعمورة فكان حتفه في سوء رأيه :

والامر لله رُبّ مجتهدٍ ما خاب الاّ لأنهُ جاهدْ

ومتّقٍ والسهام مرسلةً يحيص عن حائص الى صارد

فخرج الامر عقيب ذلك الى والي عدن وهو الامير شهاب الدين غازي بن المعمار بالتقدم الى ساحل ظفار بالشواني والرجال فوصل ظفار ولم تكن حرب طائلة ثم عاد الى عدن المحروسة . فلما رجع ابن المعمار من ظفار نهض سالم بن ادريس وسوّلت له نفسهُ الغارة على ساحل عدن ولم يكره ذلك صاحب الشحر . فوصلت غارته في البحر الى الساحل ساحل عدن وكان السلطان يومئذٍ في الجند فاستنكر الناس ذلك الامر من سالم بن ادريس اذ لم يقدم على مثله صاحب الهند ولا الصين ولا ملوك فارس فاستشاط السلطان غيظاً وخرج امرهُ بعمارة الشواني والمراكب والطراريد وانواع مطايا البحر وتقدم ركابه العالي الى ثغر عدن المحروس وانفق من الذهب والفضة ما يزيد على عدد الحصى وجهز الامراء والمقدمين والعساكر المنصورة من الخيل والرجل وملأ البر والبحر خيلاً ورجلاً وازواداً وسارت العساكر ثلاث فرق فرقة في البحر وهم معظم الرجل فيهم الشيخ فارس بن ابي المعالي الجزائري والشيخ محمد بن محمد بن ناجي والشيخ الهمام بن علي بن غواص المليكي وشمس الدين بن المكبوس والشيخ بدر الدين حسن بن علي المذحجي وهو اكثرهم جيشاً . وكان المقدم على اهل البحر الامير سيف الدين سنقر الترنجلي نقيب المماليك البحرية . وسارت الفرقة الثانية مع الشيخ بدر الدين عبد الله بن عمرو بن الحيد وهم العرب وكانوا ثلاثمئة فارس ساروا على طريق حضرموت قهراً على رقاب اهلها وهي مشحونة

بقلاع بني الحبوضي واحلافهم ولم يكن في تلك الجهة من احلاف السلطان الا أبا شماخ والشيخ عمرو بن علي بن مسعود وفيهم ايضاً ميل الى بني الحبوضي .

قال صاحب العقد الثمين وبلغني ان الشيخ بدر الدين عبد الله بن عمرو بن الحيد واصحابه ما فارقوا الحرب ليلةً واحدةً حتى عبروا حضرموت وما زال أصحابهُ يتخلفون عنهُ حتى وصل الى ظفار الحبوضي في مئة فارس وثلاثة عشر رجلاً بعد خمسة اشهر من يوم خرجوا من صنعاء . وسارت الفرقة الثالثة عن طريق الساحل وهم أربعمئة فارس من المماليك البحرية وحلقة السلطان . وكان مقدم المماليك الأمير حسام الدين لؤْلؤ النويري وهو أمير العلم المنصور والمقدم على الحلقة الأمير فيروز وكان المقدم على الجميع الأمير شمس الدين ازدمر استاذ دار وقال له السلطان أنت تقتل سالماً إن شاء الله تعالى فاني رأيت فيما يرى النائم ان حيةً عظيمةً خرجت اليَّ من كوّة فقلت لك اقتلها يا ازدمر فقتلتها وعدت الى مقامك . وكانت طريق الأمير شمس الدين صعبة وعرة لأنها في شواهق الجبال وجبال من كثب الرمل فكان يسير هو ومن معه أضعف السير والمراكب في البحر تسير معارضة لهم فاذا بعُدت بهم الطريق عن الساحل تعبوا وضاقت أحوالهم حتى يدور بهم الطريق الى الساحل فيستريحوا لأنهم يتناولون من المراكب ما أرادوا من الطعام والتمر وسائر الحبوب والحوائج خانات ثم أنواع السلاح من القنا والسيوف والزرد والبيض والخفاتين والقسي والسهام والتراس والأوضاف ومن نعال الخيل واللجم وسائر أنواع العدد على اختلاف أحوالها من المنجنيقات ستة بجميع عددها وآلتها ورجالها وأحجارها . وقال بلغني أنهُ رسب عليهم في البحر الف قطعة والقطعة عبارة عن الجوالق العظيمة من أنواع الشحن فما فقدت ثم كانت الاسواق في البحر قائمة كأعظم مايكون من أسواق المدن وفيها من أصناف الطباخين والخبازين وأرباب الصناعات ولم تزل كل فرقة تسير على حسب ما يمكنهم من السير حتى جمع الله بينهم في يوم واحد على بندر ريسوت . هكذا ذكر صاحب العقد الثمين فأقبلت مطايا البحر من الشواني يقدمها الحواسك والسنابيق كأنها العقبان . ثم أقبلت الطراريد وهي المركب الأعظم

وقدامها السفن وكأنها بعض الملوك والسيوف مسلولة والأعلام منصوبة والطبلخانات راجفة . وفي هذه الطريدة الخزانة السعيدة ومبلغها اربعمئة ألف . وأما القماش من البندقي والسوسي والموصلي والزبيدي شيء لا يحيط به الحصر فلله دره من ملك ملأت البر والبحر كتائبه ووسعت العرب والعجم مواهبه ورغائبه وبالله أنهُ أحق بما قال عمرو بن كلثوم التغلبي حيثُ يقول :

ملأنـا البـر حتـى ضاق عنا وظهـر البحـر نملـؤه سفينا .

ولما اجتمعت العساكر المنصورة في بندر ريسوب كانت الخيل خمسمئة فارس والرجل سبعة آلاف راجل فقال بعضهم لبعض قد رأيتم ما نحن فيه من انفاق الأموال وركوب الأهوال والتواني حينئذ منا عجز وخور ولم يبق إلاّ الحزم والعزم فساروا حتى بلغوا عوقد وهي محلة من محال ظفار فارجف عليهم بأن خيل حضرموت وصلت الى ظفار وكذلك خيل البحرين فتذامروا فيما بينهم وقالوا انما جئنا للقتال لا لغيره واين تعزّ منا ولم يكن ظنهم ان سالم بن ادريس يبرز اليهم فبينا هم كذلك إذ أقبلت عساكر ظفار يقدمها سالم بن ادريس فلما رآهم العسكر المنصورة تأهبوا للقائه فصف لهم على بعدٍ من المدينة وصفوا له . فكان الشيخ عبد الله بن عمر بن الجنيد واصحابهُ في الميسرة وكانت الحلقة في الميمنة وكان الأمير شمس الدين ازدمر في القلب ولم يكن بأسرع من ان التقوا واصطدموا صدمةً واحدةً فجالت العساكر المظفرية جولة واحدة ابتلعت منها نحواً من خمسين فارساً . ثم كانت الهزيمة فما نجا من أهل ظفار الا من استأسر فقتل منهم نحواً من ثلاثمئة قتيل وأسر منهم نحواً من ثمانمئة أسير وأخذ من العبيد ما شاءَ الله . وقتل سالم بن ادريس فيمن قتل ولم يكن له قاتل معروف واستبقَ الناس الى باب ظفار .

وكان الأمير شهاب أحمد بن ازدمر قد تركه أبوه في المحطة فجاءَ العلم منهُ ليلاً الى أبيه والأمراء مجتمعون على باب المدينة بان رأس سالم بن ادريس قد صار عنده .

وقيل بل عرف اخوه موسى مصحفه وملوظته[1] فقال هذا مصحف اخي وما أظن اخي الا مقتولاً فطلبوه بين القتلى فوجدوه قتيلاً فحُمل وقُبر بعد ان أُخذ رأسه . وكانت الوقعة يوم السابع والعشرين من رجب من السنة المذكورة .

وطلب أهل ظفار الذمة فأذم لهم الأمير شمس الدين ازدمر ودخلت الأعلام السعيدة المظفرية مدينة ظفار يوم الأحد الثامن والعشرين من الشهر المذكور . ووقع العفو عن الناس كلهم ولا يؤخذ لأحد منهم شيءٌ واختطب الخطباء على منابر ظفار بالألقاب الشريفة المظفرية يوم الجمعة الثالث من شهر شعبان . وتسلم العسكر السلطاني مدينة شبام في حضرموت يوم الثامن من شهر رمضان وقبض كافة بني الحبوضي يوم السادس والعشرين من شهر رمضان من قصر ظفار وأرسل بهم الأمير شمس الدين ازدمر الى الأبواب الشريفة فأمر السلطان بحملهم الى زبيد فلم يزالوا تحت الصدقات السلطانية حتى انقرض آخرهم ولم يبقَ منهم احد في وقتنا هذا .

ولما فتح السلطان رحمهُ الله مدينة ظفار في التاريخ المذكور كما ذكرنا وقتل سالم بن إدريس ارتعدت الأقطار القصية هيبةً للسلطان وامتلأت من خوفه قلوب ملوك فارس وأصحاب الهند والصين لما رأوا من علوّ همتهِ وعظيم نقمته . فأرسل صاحب عمان بهديته فرسين ورمحين الى الأمير شمس الدين ازدمر وهو يومئذ في ظفار ووصلت هدايا صاحب الصين ووصل صاحب البحرين الى زبيد ورتب الأمير شمس الدين ازدمر في ظفار نائباً وهو الأمير سيف الدين سنقر الترنجلي وجعل الحسام التوريزي معه وعدّهُ من مشايخ العرب ومقدمي الرجل وعاد الى اليمن .

وقال صاحب السيرة المظفرية يمدح الملك المظفر من قصيدة طويلة منها هذا :

فاسأل به الأيام فهو عقيدها ... والعلم فهو مصنِّف ومؤلف
واسأل شبَام وحضرموت ومن بها ... أو عيد يوسف صادق أم مخلف
أم راضها بالسيف أغلب لم يزل ... للحق ينصف والأعادي ينسف
إذ أصبحت ببقاع حريم خيلهُ ... كالطير للمهج الكرائم يخطف

---

[1] في العقد الثمين وجبته

يرمـي العــدى بشــواظ كل مثقف　　فيه لمعــوجّ الطغــاة مثقّفُ
فهنــاك ما بقيت لغــيّ هامةٌ　　إلا بسيف أبــي الممهّــد تقطف
من لا يفــوت عليه نيل مرامهِ　　لو انّه خلف الـكواكب يقذف
هو في الأباعــد كالأقــارب حاضرٌ　　كالشــمس من كل المطالــع تشرف
ومــن الملــوك الصيد تحـت لوائه　　فرق وأُخــرى في حديد ترسف
ليســت ظفــار بمعظــمٍ في ملكه　　بل في مواهبــه تهــون وتضعف
كالبحــر ليس يزيد في أمواجه　　نهــرٌ وليس يضرّهُ من يغرف
اظفــار بدع من مدائــن حازها　　بالسيف لا تحصى ولا هي تحصف
أم تلك بدع من حصــون شواهق　　تبــدو فتنــكر في النجــوم وتعرف
القــت بساحتــك الرجــال ملوكها　　فبظــل بابــك شملهــم متأَلف
أدنيت قاصيهــم ففككت أسيرهم　　أَلبستهــم أمّنــت من يتخوَّف
هي عادة لك من قديم لم تزل　　للذنــب تغفــر والشدائــد تكشف
كـم من ملـوكٍ قد اضعــت دماءَهم　　لما عصــوك ولــم تُضيــع من خلفوا

قال صاحب العقد الثمين وقال اخوه كندة مهنئاً للسلطان الملك المظفر رحمة الله عليه :

« بسم الله الرحمن الرحيم (فانتقمنا من الذين اجرموا وكان حقاً علينا نصرُ المؤمنين) مطالـع صدق بالنصر نورهـا . وتباشـير صدق تضـاعف على العـالمين سرورها . وسطوات ملك دفع من البدعة باطلها . وجيوش نصر عقدت الأرض لمشارق قساطلها . وهدمت من ربوع البغي منازلها . حتى حلت الخسار . ونزلـت بوائق البوار . بمن نهض فلم يقدر . وزاحم فلم يصبر . فالحمد لله الـذي حبـا لمولانا المقام الأعظم السلطاني العالمي العاملي الجوادي الرحيمي الملكي المظفري خلـد الله ملكه في عصور الأزمان ومعاطف الملوان هذا الفتح المبين . واخمد بسيفِـه نـار المبطلين .

وليســت ببـكر لم يرَ النــاس مثلها　　ولــكن عوانٌ كان مثــلٌ لهــا قبلُ

وحين وردت البشارة وضح الحق للمرتابين . وازدادت طمأنينة قلوب المطمئنين .

وعاين الناس هاماتٍ مقطعة ... جاءَت من البحر تسري بين أمواج
تؤُمها هامةٌ كانت متوَّجةً ... أودى بها الملك الصنديد ذو التاج
ساق المظفر جيش النصر من عدَن ... يأتمّ في البحر أفواج بأفواج
وأفعمَ البرَّ حتى ضاقَ واسعهُ ... بجحفلٍ لجب الأصوات عجَّاج
من كل معاجةٍ تعدو وتسكنها ... وكل نهدٍ حموم السد معاج
كتائبٌ لأبي المنصور ما فترت ... لفرط أينٍ وتهجير وادلاج
تشق في فلوات البيد سابحة ... بحراً من الرمل الا أنه ساج
يا طول ذلك من حِلٍّ ومرتحل ... وكثر شدٍ والجام وأسراج
حتى وردت ظفاراً بعد ما نبذت ... ما في البطون من افلاءٍ وامشاج
وبعد ان عقدت في عوقد فتناً ... ما كان سالمها بالسالم الناجي
ما انعلت ثَمَّ حتى منهم انتعلت ... نصالكم من دم الأجواف ثجاج
تعساً لسالم من غاوٍ لقد سلكت ... بهِ الغواية نهجاً شرَّ منهاج
فصار مورد امرٍ غير مُصدِره ... وصار ولاَّج حربٍ غير خرَّاج
اضحت بعوقد منهُ جثة طرحت ... والرأس في كل ارض فوق معراج
رام المضاهاة جهلاً فاعتدى سفهاً ... ولا مضاهاة بين الدرّ والعاج

لا زالت الثغور معمورة . والجيوش مؤيدة منصورة . وعقود التهاني منتظمة السلوك . والجنود المظفرية قافلة بجماجم الملوك . ما همر ركام . وسجع على فروع الأيك حمام» .

ولما افتتحت ظفار كما ذكرنا انقادت حضرموت فجعل السلطان اميرها محمد ابن محمد بن ناجي فأقام فيها مدة ثم رجع الى تعز فقيل له كيف عاملت اصحاب حضرموت قال لما حللت بشبام زاحمني رجل يقال لهُ يماني أعظمهم رجلاً فجمع عسكراً عظيماً لقتالي وجمعت أيضاً عسكراً لقتاله وطاولتهُ في الحرب حتى أنفق ما كان

عندهُ من صامت وناطق ولم يبقَ عندهُ شيءٌ وكنت استمد من مولانا السلطان فلما لم يجد شيئاً ينفقه على من معه وصلني بنفسه فلما أناخ بعيره على باب داري ودخل الحاجب يستأذن لهُ فقلت لهُ يصل . فلما دخل عليَّ قال لي اعلم اني لما أردت الخروج اليك اشهدت جماعة اهل بيتي اني على ذمة ابن رسول وذمتك يا محمد قال فقلت لهُ وهما عليك ثم اكرمتهُ واحسنت اليه وجعلت لهُ موضعاً يكفيه وعاد الى أهله عل أحسن حال فجرى على ذلك النمط أربعة أقوام أحاربهم حتى يؤَدوا انفسهم اليَّ وبعد ذلك لم يرفع رأسه اليَّ أحد من أهل حضرموت .

وفي هذه السنة توفي الفقيه الفاضل أبو محمد سعيد بن أسعد بن علي الحرازي واصل بلدةقرية المشراح فيرأس وادي نخلان وكان حافظاً لكتاب الله تعالى تعلم في ذي اشرق وكان حسن الصوت والخط فاستدعته الدار النجمي الى ذي جبْلة فصار معلماً عندهم . وكان السلطان الملك المظفر يختلف اليهم في أيام امرته فحصلت بينهم وبينه معرفةفلما صارالملك اليه سأل من عمته الدار النجمي أن تؤثره به ففعلت فجعله معلماً لولده الأشرف فنال نصيباً وافراً من الدنيا وكان كثيراً ما يصدُّه عن أمور غير لائقة . فلما توفي ترحم عليه الأشرف وقال لقد كان يرُدنا عما لا يليق بنا . وهو الذي عمل الحوض الأسفل من النقيلين وجرَّ اليه الماءَ . وكان الغالب عليه الخير وصحبه الفقيه اسمعيل الحضرمي وأمثاله . وكانت محاضره عند الأشرف جيدة وتأهل بامرأة من اهل السمكر واستوطنها . ولم يزل بها الى ان توفي في شهر شوال من السنة المذكورة وكان له ثلاثة أولاد أكبرهم عمر خدم الأشرف سنتين . ثم صحب الفقيه أبا بكر التعزي الآتي ذكره وشغف به فترك الخدمة وتزهد وبعد ذلك سلك الطريق المعتادة . واشتغل بالزراعة وغيرها الى ان توفي لعشر بقين من جمادى الأولى من سنة سبع وسبعمئة . وكان أخوه اسمه علي بن سعيد وكان كثير التلاوة للقرآن . واعتزل الناس حتى توفي سنة ست عشرة وسبعمائة . وكان اسم ابنه الثالث محمد رحمهم الله . وفيها توفي الفقيه الفاضل ابو زكريا يحيى بن عثمان بن يحيى بن فضل بن أسعد بن حمير بن جعفر بن أبي سالم المليكي . وكان ميلاده آخر

نهار الجمعة الخامس من شهر صفر من سنة سبع عشرة وستمـئة. وتفقه بأبيه . وكان فقيهاً خبيراً كاملاً عارفاً ورعاً فاضلاً . واليه انتهت رئاسة التدريس بعد إيابه وكان ذا دين وورع وزهد وفضل وكرم نفس درس في المدرسة الشرقية في جبلة وكان يطلع بلده أيام الحصاد فيقف شهرين هنالك . ثم يقطع من نفقته في المدرسة نصف الشهرين بغيبته عن المدرسة . واذا قبض ما يستحقه انما يصرفه على المحتاجين من طلبة العلم . ولم يزل على أحسن سيرة الى أن توفي في النصف من صفر من السنة المذكورة . رحمه الله تعالى .

وفي سنة تسع وسبعين كانت الفرحة السعيدة فاستدعى السلطان رحمـه الله الأمير علم الدين سنجـر الشعبـي الى محروسـة زبيد . واستدعـى كافـة الأشراف الحمزيين الى أبوابه السعيدة . فلم يصل منهم الا الأمير جمال الدين علي بن عبد الله ابن الحسن بن حمزة . والأمير عز الدين محمد بن الأمير شمس الدين أحمد بن الإمام المنصور عبد الله بن حمزة . واعتذر الأمير صارم الـدين داود بن الإمـام وسائـر الشرفاء . فلم يزل الأمير عز الدين والأمير جمال الدين على الأبواب الشريفة بسبب الفرحة كما ذكرنا . فقبض الأمير صارم الدين داود بن الامـام عبـد الله بن حمـزة حصنيها . وكان لعز الدين تعز صعدة . فطلع الصاحب بهاء الدين محمد بن أسعد العمراني محاكماً للأمير صارم الدين داود فحط بالحنات بالبـون وكان الأمـير صارم الدين بالمصنعة الجبل المطل عليها . فكانا يلتقيان على الثالث والرابع . والأمير علم الدين في صنعاء فلم يتم بينهم أمر ورأى الصاحب من تعجرفهم وادلالهم بكثـرة عساكرهم وسوء فعالهم ما غاظه فكتب الى السلطـان يعلمـه بذلك . فرد جواب السلطان يقول ان لم يدخلوا فيما قد شرطوه فانبذ اليهم وأشعرهم النقض فتـوقف الصاحب عن النقض رجاء ان يعودوا ورجع الى اليمن .

وفي هذه السنة استعاد السلطان حصن كوكبان من الحواليين بحصن ردمان واثنين وعشرين ألفاً . وفيها توفي الفقيه الفاضل أبو الحسن أحمد بن اسعد الأصبحي الفقيه الخطيب وكان فقيهاً صالحاً ذا دين وصلاح وورع وكان خطيب القرية المعروفة

بـالذنبتين . وكانت وفاته ليلة الجمعة لست بقين من شهر ربيع الأول من السنة المذكورة . وهو والد الفقيه الإمام أبي الحسن علي بن أحمد الأصبحي صاحب المعين .وسأذكره في موضعه ان شاء الله تعالى .

وفي سنة ثمانين وستمئةوقع النقض بين السلطان والأشراف فنزل الأمير جمال الدين علي بن عبد الله والأمير عز الدين محمد بن أحمد بن الإمام الى الأبواب الشريفة . فلم يزالا هنالك حتى انفصل أمرهما على تسليم حصنيهما الميقاع وتعز صعدة . فقبضهما نواب السلطان في المحرم اول سنة احدى وثمانين وستمئة .

وفي هذه السنة المذكورة اعني سنة ثمانين وستمئة توفي الفقيه الإمام الحافظ ابو الخير بن منصور بن أبي الخير الشماخي السعدي نسبا الحضرمي نزيل زبيد . وكان فقيهاً إماماً حافظاً عارفاً . أدرك جماعة من الأكابر وأخذ عن أصحاب السّلفي بمكة كابن الجمِّيزي بجيم مضمومة وميم مشددة مفتوحة وياء مثناة من تحتها وبعدها زاي ثم ياء النسب . وأخذ عن أبي عبد الله محمد بن احمد بن عراف صاحب أحور عن يحيى بن أبي نصير الظفاري عن الإمام القلعي وتطلع على علوم كثيرة منها الفقه والنحو واللغة والحديث والفرائض والتفسير . وصنّف ما يدل على جودة معرفته . واخذ عن الإمام بطال بن أحمد الركبي . ولم يكن له في آخر عمره نظير في جودة العلم وضبط الكتب بحيث لا يوجد له في آخر عمره نظير في الضبط .

قال الجندي اخبرني جماعة ممن أدركه انه كان لا يوجد الا وعنده كتاب ينظر فيه ومحبرة وأقلام يصلح بها ما وجد في الكتاب من غلط أو سقط او تصحيف وكانت وفاته بزبيد في سنة ثمانين وستمئة وعمره يومئذ سبعون سنة وجمعت خزانته من الكتب مالم يجمعه أحد من نظرائه . ويقال انه كان فيها مئة امٍّ سوى المختصرات والله أعلم .

وفيها توفي الفقيه الكبير يحيى بن عبد الله بن الفقيه الكبير محمد بن يحيى . وكان فقيهاً محققاً ذا كرامات ومكاشفات وبه تفقّه جمع كثير وقصده الطلبة من نواحٍ شتى وقصده فقهاءُ تعز . وكان رأسهم يومئذ ابو بكر بن آدم الجبرتي الذي تقدم ذكره فأخذوا عنه البيان . قال الجندي وكانت وفاته على طريق التقرير سنة ثمانين

وستمئة. أخبرني بذلك فقيه جبا وحاكمها والله أعلم .

وفيها توفي الفقيه أبو الحسن علي بن محمد بن منصور الجنيد وكان فقيهاً تقياً خيّراً تفقه بحسن بن راشد وبعمر بن يحيى وغيرهما ثم امتحن بقضاءِ ذي اشرق واليه انتهى تدريسها فذكروا انه كان يوماً جالساً في مجلس التدريس فقال لأصحابه اليوم نحن فقهاء وغداً نكون صوفية . فلما كان من الغد قدم عليه رجل من أهل بعدان صوفي من أصحاب الشيخ عمر بن المسن يقال له جبريل فقال له يا علي كن معنا ومدّ يده اليه فحكّمه ثم نصبه شيخاً وأذن له في التحكيم . وكان الفقيه أبو بكر التعزي يومئذ في أول ظهوره وتعرّصه للشهرة . وتظاهر بصحبة الصوفية ومحبتهم . وكان يومئذ شاباً فوصل الى هذا الفقيه وتتلمذ له وكان من أظرف الناس في اجتلاب القلوب اليه فأحبه الفقيه علي لأنه يتواضع له ويعظمه ثم أجلبه الى تعز وتلطف له بتدريس المدرسة الأسدية في مغزبة تعز . فأجابه الى ذلك . فنزل ودرس بها مدة ولم يزل الى أن توفي في مستهل ذي الحجة من السنة المذكورة والله أعلم .

وفيها توفي الفقيه أبو بكر بن عبد الله الريمي وكان فقيهاً كبيراً تفقه بعلي بن قاسم الحكمي . وتفقه به جماعة كثيرون كأحمد بن سليمان الحكمي وعمه عيسى وغيرهما فكانت وفاته في السنة المذكورة تقريباً . قاله الجندي قال وخلّف ولدين فقيهين هما عبد الله ومحمد . فكان عبد الله معيداً فيها مدة ثم حصل عليه وله فجعل أخاه مكانه فأقام مدة ثم عزله حاكم زبيد وهو موسى بن ايمن وجعل مكانه الفقيه محمد بن ابي بكر الناشري ليستعين به في نيابة الحكم اذا خرج الى بلده والله أعلم .

وفيها توفي السلطان أبو السمو العلاء بن محمد العلاء الوليدي الحميري .

قال الجندي واصل بلده عفينة بفتح العين المهملة وكسر الفاء وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها نون وآخر الاسم هاء وهي من معشار تعز سكنها جماعة من قومه يعرفون بالأخاضر أهل رياسة متأثلة وانتقل الى السمكر وكان يختلف الى الجند وزيران وجبلة والى تعز ونواحيها وجبا . فأخذ في الجند عن ابن المبردع وغيره واخذ بزيران عن ابن رفيد وبتعز عن علي السرددي وغيره وبنواحي جبا عن أحمد بن علوان

وبجبلة عن محمد بن مصباح وكان رجلاً صالحاً بورك له في دينه ودنياه وكان الشيخ أحمد بن علوان يثني عليه ويوده وأجازه في جميع مقروءاته ومسموعاته ومنظوماته ومنثوراته .

ومن عظيم ما كان بينه وبين الشيخ أحمد بن علوان من الألفة والمحبة انه متى انقطع عن الوصول اليه والزيارة له وصله الشيخ الى السمكر وأقام عنده أياماً . قال الجندي توفي على رأس ثمانين وستمئةوهي السنة المذكورة .

وفي هذه السنة أيضاً توفي الفقيه الفاضل أبو عبد الله الحسين بن علي بن عمر ابن محمد علي بن أبي القسم وكان مولده لخمس بقين من جمادى الأولى من سنة ثمان وستمئة تفقه ثم غلبت عليه العبادة .

ويروى انه في أيام قراءته ترتب في مدرسة عومان مع الفقيه يحيى بن سالم فذكروا انه باع شيئاً من كيلته بدراهم ثم ربطها في طرف ثوبه ثم احتاج ان يأخذ شيئاً منها لبعض الأمر فلما فتح عنها وجدها عقارب فلفظها من ثوبه ولم يعد بعد ذلك الى أخذ طعام المدرسة . وكان يكثر زيارة القبور ومتى صار في طرفها خلع نعليه وحملهافي يده ولم يزل على أحسن صورة الى أن توفي يوم الخميس ثامن عشر المحرم من السنة المذكورة رحمه الله تعالى .

وفيها توفي الفقيه الصالح يعقوب بن محمد التربي نسبة الى قرية من قرى وادي زبيد يقال لها التربة بضم التاء المثناة من فوق وسكون الراء وفتح الباء الموحدة وآخر الاسم هاءً . ثم انتقل الى موزع فتفقه بها على الفقيه بكر بن علي بن يحيى وكان على طريق الورع الكامل يزار للتبرك وينتفع به . وكان يدخل على نساء العرشانيين للشهادة في النكاح وغيره ولما اقطع السلطان الملك المظفر ولده الملك الواثق موزع وكان قد نزل اليها فأقام بها مدة بلغه علم صلاح هذا الرجل فزاره الى بيته نهاراً فلم يشعر الفقيه حتى قيل له هذا الملك الواثق صاحب البلد على الباب يستأذن عليك في الزيارة فاذن له فلما وصل سلم عليه فرد عليه الفقيه السلام ورحب به فسأله الدعاء فدعا له ثم خرج فتعب الفقيه من ذلك اشد التعب . ثم سأل الله

تعالى ان ينقله فلم تطل أيامه بعد ذلك فتوفي . وكانت وفاته في السنة المذكورة تقريباً كما قال الجندي والله أعلم .

وفيها توفى الشيخ الفاضل عمر بن الشيخ الصالح مدافع بن احمد بن محمد المعيني وكان محبوباً عند ابيه ونال منه حظّاً وافراً . وكان لا يقصده احد بسوءٍ الا وبلي بلاء ظاهراً . وكان من المترفين بلبس الثياب الفاخرة . ولم يزل مجللاً محترماً عند السلطان الى ان توفي وكانت وفاته في السنة المذكورة رحمه الله تعالى . وكان والده الشيخ مدافع بن احمد ممن فتح الله عليه بالدين وأُخذ يد التصوف عن الشيخ ابـن الحداد نحو أُخذه عن الشيخ الجليل عبد القادر الجيلاني . وكان مدافع بن احمد ممن اجتمع الناس على صلاحه وكماله . ولما فقد الشيخ ابو العيث بن جميل شيئاً من احوالـه وصل الى الشيخ مدافع وأقام عنده في قرية الوجيز في مسجد قريب من بيته فاعاد الله عليه ما فقده وصحبـه جماعـة من اعيان الصـوفية كعثمان بن سادح وعلي الرميمـة وعمران الصوفي من عبلة وغيرهم . وكان الملك المسعود ابن الملك الكامل يومئذٍ صاحب اليمن من قبل أبيهِ وكان كثيراً ما ينزل من الحصن فيقف في الميدان أو في المطعم يطعم الجوارح الصيدية فرأى العسكر يروحون طريق الوجيز فسأل عن ذلك فقيل لهُ انهم يروحون لزيارة رجل من الصوفية كبير الحال فبحث عنهُ فأُخبر ان لهُ قبولاً عظيماً عند سائر الناس فأحب ان يطلع على امرهِ واظهر أن غرضهُ زيارتهُ ووصل الى بابه . وكان من عادة الشيخ مدافع انهُ لا يجتمع بهِ أحد من الناس من أذان الصبح الى قريب من الزوال فوصل الملك المسعود الى بيت الشيخ والشيخ مقبل على صلاة الضحى فوقف على الباب ينتظر الاذن والشيخ في صلاتهِ لم يعلم بوصوله فلما طال وقوفه على باب الشيخ وكلما خرج احد من الفقراء قال الشيخ مشغـول والساعـة يخرج . اغتاظ من ذلك ورجع قبل ان يعلم به الشيخ وتوهم انهُ ربما حدث منهُ ما حدث من مرغم الصوفي فأمر بقبض الشيخ مدافع فقُبض وكان قبضهُ في عشرة شهر رمضان من سنة سبع عشرة وستمئة فاقام محبوساً في حصن تعزّ الى سلخ شهر ربيع الاول من سنة ثماني عشرة وستمئة ثم سفر به الى الهند فدخل بلد الدنيول فاقام بها

شهرين وثلاثة ايام ثم خرج منها لثلاث خلون من شهر رمضان سنة ثماني عشرة وستمئة ثم دخل ظفار فاقام بها ثمانية عشر يوماً وتوفي هناك رحمه الله تعالى .

وفي سنة إحدى وثمانين طلع الامير جمال الدين علي بن عبد الله وخرج الامير علم الدين الشعبي في عسكر وساروا جميعاً الى الظاهر فحط الامير علم الدين الشعبي على الكولة وشرع في عمارتها ومعه الامير عز الدين وحط الامير جمال الدين علي بن عبد الله على حصن كحل واشيح الظاهر الاعلى فاخذهما في اقرب مدة وعاد الامير علم الدين الى محطته وقد رتب في الدحضة والحبسيين والذروة بعض النقباء في عساكر جيدة . ثم رتب الشريف علي بن عبد الله بالكولة مئة فارس والف رجّال واضاف اليه سائر الرتب ونزل هو والامير علم الدين نحو شوابة ولم ينقل الامير علم الدين محطته من الكولة الا بعد سنة حتى استقامت امور الرتب على ظفار من الناحية العليا ثم نهض الى الناحية السفلى فحط في شوابة هو والامير عز الدين فعمر درب شوابة وشحنه ورتب فيه الامير عز الدين في الناحية السفلى .

وفي هذه السنة توفي الامير الكبير شمس الدين علي بن يحيى العنسي نسبة الى عنس من مذحج بنون وهي من قبيلة كبيرة من قبائل مذحج . وكان لهُ من السلطان نور الدين مكانة عظيمةٌ وحمل طبلخانة وقطعهُ اقطاعاً جيداً وكان السلطان نور الدين ابن عمتهِ وقيل ابن اختهِ ولم يزل معززاً مكرماً الى ان توفي المنصور واشتغل الملك المظفر بالملك فمال الى اولاد عمه أسد الدين واخيه فخر الدين فلما لزم فخر الدين وحبسه المظفر كما ذكرنا اولاً كتب الى اسد الدين يحثه على القيام واستنقاذ اخيه من السجن ويقول :

لو كنت تعلم يا محمد ما جرى ... لشَنَنْتَها شعث النواصي ضُمَّرَا
جرداً تراها في الأعنَّة شُزَّباً ... تفري السباسب واليباب المقفرا
ترمي بها دربيْ تعزّ على الوجى ... لتقيم عذراً أو تشيّد مفخرا

فاجابه ابن دعاس بابيات احسن منها لا اذكر منها الا بيتاً واحداً قوله :

انظر الى عدنٍ اطاعت امرهُ ... والى تعز ومكةِ ام القرى

ولما بلغ شعر علي بن يحيى الى السلطان الملك المظفر تغافل عنهُ وابقاه على حاله الى ان مات المنصور وهو عليها وفي نفسهِ شيءٌ عظيم فلما كانت سنة ثمان وخمسين تعب اسد الدين من كثرة الخلاف على ابن عمه وخشي من العرب القتل او الاسر فأرسل الى السلطان يريد الصلح فطلب السلطان يومئذٍ الامير شمس الدين على بن يحيى وارسلهُ الى اسد الدين ليسعى في الصلح بينهُ وبين السلطان فطلع اليهِ رسولاً بسبب الصلح فنزلا معاً . وكان السلطان يومئذٍ في زبيد فلما وصلا الى زبيد اخلى لهما موضعاً من الدار فنزلا فيهِ ثم امر بالقبض عليهما في آخر يومهما ذلك فقبضا . وارسل بهما الى حصن تعز ولم يزالا في السجن الى ان توفيا رحمة الله عليهما .

وكان علي بن يحيى رجلاً كريماً جواداً شاعراً فصيحاً وكان يحب الفقهاءَ والصالحين ويحسن اليهم كثيراً وكان مع صحبتهِ لهم يتواضع لهم ويتأدب معهم ويقبل شفاعتهم وكان مهما امره به الفقيه ائتمر . وكان الفقيه يدعو له ويذكره بالخير فقيل للفقيه ان هذا رجل ظالم فقال ان دخل علي بن يحيى النار فانها صحْبة حمار ابن حمار والله لا مات الا طاهراً مطهراً فقيل له وما تطهيره قال القيد والحبس فتمّ عليه ومات مسجوناً وعلم صدق الفقيه . وكانت وفاتهُ يوم الاثنين سلخ شهر صفر من السنة المذكورة رحمه الله تعالى . وكان قد ابتنى مدرسة في بلده ووقف عليها وقفاً جيداً جاملاً لكن اولاده قلّما افتقروا عادوا اليه واستأثروا به والله اعلم .

وفيها توفي الفقيه الفاضل عبد الله بن ابي بكر بن مقْبل الدثيني وكان مولده سنة ثمان وستمائة وتفقه بجدهِ احمد وكان زميله في الدرس والقراءَة عمر بن الحداد وعرض عليهِ بنو عمران ولاية القضاء بعدَن وقد كان جدهُ بها فامتنع وكره ذلك وكانت وفاتهُ في قريتهم التي تسمى عَرَج في شهر رمضان من السنة المذكورة رحمهُ الله تعالى .

وفيها توفي الفقيه النبيه جمال الدين محمد بن حسين بن علي بن المحترم

(١) هذا وهم ، والصحيح ثمان وستمئة ، وقد وجدنا ما يؤيّد ذلك في الجندي .

الحضرمي وكان فقيهاً فاضلاً اديباً لبيباً غلب عليهِ فن الادب وكان خطّاطاً مجيداً فسأل المظفر عن رجل يصلح لتعليم ولده المؤيد فارسل اليه فاستدعى به وامره بالتعليم فعلَّمَ واجاد وكان المؤيد ببركة تعليمهِ من اعيان الملوك عقلاً ونبلاً . وكانت وفاته ليلة الاثنين مستهل الحجة من السنة المذكورة .

وفيها توفي الفقيه الصالح عبد الله بن محمد بن علي بن اسماعيل بن علي الحضرمي وكان فقيهاً صالحاً مباركاً ذا كرامات مشهورة . ومن غريبها ما ذكر انهُ مرَّ على باب السلطان بزبيد ونوبة خليل تضرب ومن العادة انهُ لا يستطيع أحد أن يمرَّ هنالك لا راكباً ولا ماشياً ما دامت تضرب فمرَّ الفقيه راكباً ولم يقل له أحد شيئاً فعجب الحاضرون من ذلك . وكان مبارك التدريس درَّس بالمدرسة الشمسية بذي عدينة من تعز وكانت وفاته في العشرين من شهر ربيع الآخر من السنة المذكورة .

وفيها توفي الإمام الكبير محمد بن نجاح وكان من امراء الدولة المظفرية ولهُ طبلخانة واقطاع جيدة وهو الذي ابتنى المدرسة المعروفة بالنجاحية بالناحية الشرقية من المغربة في مدينة تعز وأوقف بتعز[1] وأخرى بالجَند وكان كثير فعل الخير والمعروف وامتحن في آخر عمرهِ بالعمى وأقام كذلك مدة ثم توفي يوم الاثنين ثامن ذي القعدة من السنة المذكورة وخلف ابناً اسمهُ ابوبكر عاش بعدهُ سنة وستة أشهر. ثم توفي في جمادى الأُولى من سنة ثلاث وثمانين وستمائة ولم يعقب وله ذريةٌ من قبل النساءِ يعرفون ببني السلاح .

وفيها توفي الفقيه الفاضل ابو عبدالله الحسين بن محمد بن احمد بن مصباح بن عبد الرحيم الاحولي . وكان فقيهاً فاضلاً زاهداً ورعاً شريف النفس عالي الهمة حسن المقابلة . وكانت وفاتهُ في السنة المذكورة رحمهُ الله تعالى .

وفي سنة اثنتين وثمانين انهدم القصر بصنعاء على الامير علم الدين سنجر الشعبي فمات هو وجماعة ممن كان معهُ تحت الهدم .

وحكى صاحب العقد في كتابهِ قال كنت ممن حضر يومئذٍ في المجلس مع الامير

---

(١) عبارة الخندي بناحية المغربة الشرقية التي تعرف بالمعاينة وله وقف بتعز وآخر بالجند .

علم الدين دخلت اليهِ يومئذٍ ومجلسهُ يغصُ بالناس فحضر غداؤُهُ فتغدى الناس معهُ وانقضت حوائجهم وخرجوا ولم يبقَ في المجلس الا الامير علم الدين وصهرهُ محمد ابن يزيد ومملوكان للامير صغيران وابو بكر بن عمار وكاتب الامير وقاضي الشرع عمر بن سعيد وأنا وأخي علي بن جاثم . فوقفنا الى ان اذن المؤذن للعصر فقام الامير فصلى وعاد الينا ثم قال لمملوكه احمل الماءَ للجماعة يصلون فطهرنا وصلينا ثم عدنا الى ما كنا فيه من الحديث فلم نشعر الا ودخل علينا غبار من أقرب الشبابيك الى الامير فقام وسأل مملوكه ما سبب ذلك الغبار فانتشر علينا غبار وتراب من السقف فهممنا بالخروج فانحطم السقف الاسفل من تحتنا قبل الاعلى وذلك آخر عهد بعضنا ببعض وكان الهدم في أول وقت الظهر فوقفنا تحت الهدم الى المغرب وكنت اقرأ ما احفظ من القرآن وادعو بما تيسر من الدعاءِ واتضرَّع الى الله ولم يبقَ في خاطري الا الموت فما شعرت الا بالمساحي فوق رأسي فكان حسها يقرب قليلاً قليلاً حتى فتشوا عن رأسي ووجهي فذكرت الله تعالى فاستخبروني عن نفسي فقلت أنا بخيرٍ ان شاءَ الله تعالى فسألوني عن الأمير فقلت هو قريب فاخرجوني وحفروا عن الامير فوجدوهُ ميتاً قد وقعت على رأسهِ خشبة عظيمة واستمر الحفر عن الجماعة فاخرجوا القاضي عمر بن سعيد سالماً وهلك الباقون ولم يصلوا الى آخرهم الا آخر الليل . وفي هذا التاريخ كانت وفاة الامير علم الدين سنجر الشعبي . وكان أميراً شجاعاً فارساً مقداماً لهُ همة عالية ومواقعهُ مشهورة مذكورة في اليمن الاعلى . وكان متديناً متنسكاً محافظاً على الصلوات في أوقاتها سفراً وحضراً مع شدة البرد في الجبال حتى انهُ كان يقال ما يصلي أحد في المحطة الا الامير . وكانت تكة سراويله أو سراويله اذا وضعت على المعسر تضع ولدها للفور . وهو من مماليك الملك المسعود يوسف بن الملك الكامل الايوبي وانما سمي الشعبي لانه كان في بيت المماليك وهو صغير ولم يكن يعرف من فسقهم ولا من شيطنتهم شيئاً فكانوا يسمونهُ شعبياً أي انهُ عريٌّ لا يشينه شيءٌ من افعال المماليك .

ولما وقع هذا الحادث العظيم اضطرب الناس في صنعاء وأعمالها وبلغ العلم

الى الامير صارم الدين داود بن الامام فجمع عسكره والمماليك الاسدية وتوسموا قصد الامير جمال الدين علي بن عبد الله ورفع المحاط عن الظفار فخرج الامير عز الدين بلبان دويدار الامير علم الدين الشعبي من صنعاءَ في مئة فارس وخمسمئة راجل إلى البون وجاءَت عيون الامير صارم الدين اليهِ بالعلِم فخرج بعسكره الى الظاهر الاسفل وعرج عن الظاهر الاعلى ثم سار إلى حوث . ولما وصل العسكر المجرد من صنعاءَ إلى الامير جمال الدين أغار على الامير صارم الدين إلى حوث ثم عاد إلى ظفار ثم طلع محطة الامير فخر الدين بن فيروز في عسكر اليمن إلى صنعاءَ فاستقرَّت المحطة على ظفار بعد ذلك نحواً من سنة .

وفي هذهِ السنة توفي القاضي أبو عبد الله محمد بن علي بن عمر بن محمد بن علي بن أبي القاسم الرياحي وكان قاضياً مرضيّاً في غاية من الزهد والورع والاقتصاد في مطعمهِ وملبسهِ . وكان مولدهُ في سنة تسع وتسعين وخمسمئة وأصل بلدهِ إب وكان والدهُ قاضياً بها فلما دنت وفاتهُ حَذَّر والدهُ محمداً من القضاء فلما توفي والدهُ لم يتعرَّض لهُ امتثالاً لاوامر ابيه لهُ فحدثت عليهم مظالم ومشاق كثيرة فقالت له والدتهُ يا ولدي اذهب إلى سَيْرُ واعلم قاضي الاقضية بوفاة ابيك وما جرى عليك وعلى إخوتك من العنف والظلم فلعله يجعلك مكان والدك فتستتر عن الظلم فحينئذٍ تقدم الى قاضي الاقضية وأعلمهُ بوفاة أبيه وشكا عليهِ ما ناله من الظلم فترحم على والدهِ وعزَّاهُ عنهُ ونصبهُ مكان ابيه فعاد إلى البلد فاقام بها قاضياً سالكاً للطريق المرضية . وكان تفقه بمحمد بن مضمون فلما توفي قاضي تعز ابن أبي الاعز بعث اليه وولاَّه القضاء في مدينة إب . وكان القاضي محمد بن علي عالماً عاملاً ناسكاً ورعاً كثير السعي في قضاء حوائج الناس غير متكبر ولا متجبر .

قال الجندي أخبرني الثقة عن الثقة أنه رأى القاضي محمد بن علي يمشي حافياً في هاجرة النهار ونعله في يدهِ قاصداً من المغرَبة إلى ناحية المحاريب في مدينة تعز قال فقلت له يا سيدي لم فعلت هذا قال بلغني عن النبي صلى الله عليهِ وسلم انهُ قال (من مشى في حاجة أخيه المسلم حافياً كان لهُ اجر عظيم) أو نحو مما قال .

ويروى عنهُ انهُ خرج يوماً حافياً مقرعاً فلقيه بعض من يعرفه فصافحهُ وسار بسيرهِ لينظر أين يقصد فاذا هو قد قصد بيت أمير بدار الملك المظفر فلما وقف على الباب بادر الخادم الى الامير فاعلمهُ بوصوله فخرج الامير مسرعاً وقبل يديهِ ثم قال له يا سيدي لم وصلت وهلاً أرسلت إليَّ كنت أصلك فقال القاضي أنا أحقُّ بالاجر فان ساعدتني كنت شريكي فيهِ فقال لهُ الامير وما الذي تريد يا سيدي فقال وصلني أولاد فلان وذكروا انك حبست والدهم بالسوية وهم فقراء محتاجون وبلغني ان النبى صلى الله عليه وسلم قال من مشى في حاجة أخيه المسلم حافياً حاسراً أتاهُ اللهُ أجراً عظيماً فلذلك جئت فقال يا سيدي إنما حبس بامر السلطان ولا يمكن إخراجه الا بعد مراجعةٍ ثم استدعى الامير بدواة وقرطاس وكتب الى السلطان يعلمه بوصول القاضي اليهِ حافياً حاسراً وانهُ يشفع في فلان وأرسل بالكتاب رسولاً فعاد الجواب من السلطان باطلاق الرجل ولم يخرج القاضي من بيت الامير الا بالرجل معهُ وكان لهُ عند المظفر محلٌ عظيمٌ وجاهٌ جسيم من طريق الورع والصلاح .

قال الجندي وأخبرني الفقيه عثمان الشرعبي وهو الذي علقت عنهُ أخبار هذا القاضي وغيره من فقهاء تعز المتقدمين . قال كتب أهل بلدٍ غير بلدهِ يشكون قاضيهم الى السلطان الملك المظفر فكتب السلطان الى القاضي بهاء الدين انظر في أمرهم فالقضاة كلهم في النار إلا محمد بن علي وذلك لما تحقق من ورعهِ بعد البحث الشافي عنهُ على يد من يثقهُ . ومن بعض ما يروى عنهُ أن بعض التجار حضرته الوفاة فاستدعى القاضي محمد بن علي الى بيتِه فلما أتاهُ القاضي الى بيتِه خلا بهِ وقال لهُ اني بنيت هذا الموضع على يدي بمال جزيل لا أكاد احصر مبلغهُ وأولادي كما ترى صغار وقد نزل بي ما ترى ولا أستطيع إعلام أحد منهم وقد أعلمتك بهِ لتكون وديعةً عندك فقال لهُ القاضي لا بأس بذلك . ثم أمره أن يوصي الى رجل خبير باموره الظاهرة ففعل ثم توفي الرجل وكبر أولاده فاتلفوا ما ظهر لهم من التركة وأرادوا ان يبيعوا البيت من شدة حاجتهم فمنعهم القاضي فأقاموا مدةً في ذلك الحال ثم بلغهُ صلاحهم فصبر مدَّة ثم أمر من يختبرهم فوجدوهم قد رشدوا فاخبر القاضي بذلك وأتاهم

القاضي الى بيتهم ففرحوا بهِ وأدخلوهُ البيت ليتبركوا بهِ فقال للارشد منهم افتح هذا الموضع ففتحه فخرج ذلك المال فقال لهُ القاضي هذا أمانة عندي من والدك إليك لتتصرَّف بهِ على نفسك وعلى اخوتك بالمعروف فسألهُ الولد أن يأخذ منهُ شيئاً ويحتسب بهِ الولد من نصيبِه فلم يفعل .

ويروى عن الأمير غازي بن يونس التعزي قال كنت أيام شبابي قاعداً في البيت إذ بطالبٍ يطلبني الى القاضي فداخلني منهُ فزع عظيم ثم زال ذلك عني لما أعلم من عدل القاضي وحسن سيرته فسرت اليهِ فحين رآني تبسم فلما دنوت منه سلمت عليه فرد عليَّ بوجه مسفر . ثم قال هل لابيك من ولدٍ غيرك فقلت لا فقام ودخل بيته وامرني بالدخول خلفه فدخلت ولم يكن في البيت احد . فسار امامي حتى جاء المطبخ فلما توسط اشار الى موضع وقال لي افتح ها هنا ففتحت فظهر لي اناءُ فاخرجته فأمرني بفتحه فوجدته مملوءاً ذهباً فقال لي خذ هذا المال واحتفظ بنفسك فهو عندي وديعة لابيك ولم اسلمه اليك الا بعد سؤَالي عنك . واعلمت انك عاقل رشيد ولا ولد لابيك غيرك . والحمد الله الذي منَّ عليَّ ببراءة ذمتي قبل الموت . واخباره كثيرة مشهورة . وكان كثير العبادة مصاحباً للعُبّاد . وكان يصحب على الرميمة احد عباد جبل صَبر . ويكثر زيارته ويخبر عنه باشياء كثيرة . وكان يقول ما على قلبي هم الا ان اكون في بعض المساجد او الربط حتى استفرغ بقية عمري في عبادة الله تعالى .

ولم يزل على القضا المرضي ممتحناً به الى ان توفي يوم السبت الحادي عشر من شوال من السنة المذكورة رحمه الله تعالى .

وفيها توفي الفقيه ابو عبدالله محمد بن سفيان بن الفقيه ابي القبائل عبد الرحمن ابن منصور بن ابي القبائل . وكان مولده لثمانٍ خلون من جمادى الاخرى سنة سبع وستمئة. تفقه بعمر الجرادي وبالصوفي من اهل الملحمة وبابن مصباح وغيرهم . وكانت امه بنت الشيخ علي بن عجيل . وكانت امرأة صالحة قارئة لكتاب الله تعالى ذات مروءَة قدم الفقيه سفين الأبيني الى جبلة لغرض الزيارة فعزمت عليه فادخلته

البيت . وكان نزوله في مسجد السنّة . ويقال انها ولدت ابنها هذا سفين تلك المدة فلذلك لقبه به ويقال انه خطبها فقالت لا اتزوج بعد ابي القبايل احداً . ولا اغير صحبته بغيره وكان شديداً في ذات الله قائلاً بالحق آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر ثم كان بينه وبين الفقيه عمر بن سعيد العقيبي مودة حتى توفي على الحال المرضي في السنة المذكورة وقبر بمحيطان ودفن الى جنب قبر ابيه . وكانت وفاة الفقيه ابي القبائل في سنة تسع وستمئة رحمهما الله تعالى .

وفيها مات الفقيه الصالح عثمان بن محمد بن علي بن احمد الحساني ثم الحميري . وكان يعرف بابن جعام بفتح الجيم والعين المهملة وتشديدها وبعد الالف ميم وأصل بلده جبلة . وكان فقيهاً صالحاً ورعاً صادق الحديث . وكان يقارض اهل جبلة باموال جزيلة الى عدن وكان من خبره منهم لا يسمح به ان يقارض غيره محبة فيه ووثوقاً بدينه وأمانته وبركاته وكان يجمع ما يتحصل له من ذلك . فلما اجتمع له ما اجتمع اشترى ارضاً فسكنها وبورك له في ذلك رغبة في الحل . ويروى انه كان اماماً في المدرسة النجمية فظهر له في بعض بدنه جرح استنصر ولم يكد يبرأ بل لم يزل يسيل منه ماء او ما يشبه الماءَ فكره الصلاة بالناس لذلك تورعاً فقيل له استنب لك نائباً ببعض نفقتك . فقال لا حاجة لي بذلك ثم عرض عليه الطين والقرية فاشتراها وكانت القرية غير مسكونة وانما كان فيها رجل يخدم صاحب الارض ويحرث له فلما صارت ملك الفقيه انتقل اليها من جبلة وابتنى بها بيتاً وانتقل باولاده وزوجته ابنة عمران الصوفي . وكان قد تفقه على فقهاء جبلة ولازم الفقيه أبا بكر بن العزاف ان يطلع معهُ الى قريته ويسكن معه في المنزل فقال له يا فقيه تقف معي ويكون ذلك نصف هذه الارض فلم يوافقه الى ذلك . وفارقه وصار الى تعز . وأقام الفقيه مقبلاً على القراءة والعلم والعبادة منفرداً في تلك القرية الى ان توفي في سلخ شوال من السنة المذكورة رحمه الله تعالى .

وفي سنة ثلاث وثمانين طلع الملك الواثق الى صنعاء مقطعاً لها فدخلها يوم الثاني والعشرين من شهر ربيع الاول من السنة المذكورة . وتسلم حصن براش

صنعاء وقبض على الأمير سيف الدين بلبان العلمي دويدار . وكان قد ظهر منه ما يوجب ذلك . ولما تضايقت الاحوال بالامير صارم الدين داود بن الامام عرض على الامام الحسن بن وهاس القيام معه فأبى عليه فعرض على الامام مظهر بن يحيى فابى عليه ايضاً لما يعلمون من قبح سيرته مع الائمة ومخالفته لهم فعمد الى ابن اخيه وهو ابراهيم بن الامام . وكان قد قرأ شيئاً يسيراً في العلم وليس بكامل الامامة ولا لغيرَها فاقامه اماماً واخرجه الى ثـلا ولبّس به على العامة واجتمع معه عسكر كثير ثم خرج بهم الى الظاهر فانحاز منهم الشريف علي بن عبدالله الى جبل الميقاع اذ لم يكن معه من العسكر ما يقاتلهم به فقاتلوا على الكولة والحبسـين فلـم يظفـروا منهما بشيء فقصدوا المنقل والمنارة فأخذوهما قهراً ثم ساروا نحو صعدة فطلب الامـير علي بن عبدالله المادة والعسكر فجهز اليه الملك الواثق الفهد بن حاتم في سبعين فارسا من همدان والامير شمس الدين احمد بن ازدمر في ثلاثين فارساً وخمسمـئة راحل . فلما وصلوا الكولة الى الامير جمال الدين علي بن عبدالله جعل اخوتـه وعيال يحيـى بن الحسن في الكولة وسار في العسكر المنصور نحو صعدة وكان العسكر يومئذ نحـو اربعمـئةفارس والف راجل فساروا حتى دخلوا صعدة . وكانت محطـة الاشراف تحت تلمص فتراكزوا نحواً من شهرين ووقعت حروب شديدة وعقرت خيول كثيرة من الفريقين . فكان الامير جمال الدين يعرم الخيل ويطعم الجمال ويتولى الامور بنفسه ويباشر المحطة ليلاً ونهاراً . وكان السلطان رحمه الله يجهز اليه الخزائن ونفقات العساكر قبل استحقاقها . فعجز الامير صارم الدين عن مقاومته فخرج هارباً على جبل بني عوير ثم على سواد غربان ثم على شظب حتى دخل بلاد الشريف علي ابن عبدالله معارضاً له حتى حط في الجنات .

وفي هذه السنة توفي الامام الفاضل ابراهيم بن احمد بن تاج الدين الهدوي في حصن تعز اسيراً . وكان من الشجعان المشهورين والفرسـان المذكورين . وكان يقول شعراً حسناً ومن شعره قصيدة يصف فيها أسره ويعتذر فيها :

خطب ألـمّ فأنساني الخطـوب معا ... وصـيّر القلـب في احشائـه قطعا

حتى اذا جاء من خلفي ومن قبلي	عساكر حملوا الانصاف والقطعا
وامسكوا السيف من خلفي مغادرة	والرمح قد امسكوه والجواد معا
وكنت في موضع مستصعب حرج	لم أَلْق فيهِ لسعي الطِرْف متسعا
ثم انتهيت الى سوح به ملك	يحل بيتاً من العلياءِ مرتفعاً
فجاد بالعفو والاحسان شيمته	ولم يزل للعلى والجود مصطنعا

وهي اطول مما ذكرت وانما اثبت منها ما يستدل به على ما فيها . وكانت وفاتهُ في شهر ربيع الآخر من السنة المذكورة . وقبرهُ في مقبرة تعز معروف يزار ويتبرَّك بهِ وتطلب عندهُ الحوائج رحمهُ الله تعالى .

وفيها توفي الامام ايضاً ابو محمد الحسن بن وهاس الحمزي وكانت وفاتهُ في شهر ذي الحجة من السنة المذكورة .

وتوفي الفقيه الفاضل ابو الحسن علي بن عبدالله بن محمد بن احمد بن الفقيه اسعد بن الهيثم . وكان مولده يوم الخميس عشرة صفر من سنة تسع عشرة وستمئة. وتفقه بالفقيه ابي بكر بن ناصر وولي قضاء بلده . وكان يتردد بين بلده والجند وتعز . وكانت وفاته لسبع بقين من رجب من السنة المذكورة رحمهُ الله تعالى . وكان له ولدان هما يوسف وابو بكر . فاما يوسف فكان ميلاده عشرة شهر ربيع الاول من سنة خمسين وستمئة. وتفقه اولاً بابيه ثم بمحمد بن ابي بكر الاصبحي . وكان حاكم بلده كما كان ابوه وكان ينوب القاضي عمر بن سعيد على قصاء صنعاء . وكانت وفاته لتسع من شوال سنة سبع وثمانين وستمئة. وسنذكر اخاهُ في موضعهِ من الكتاب ان شاءَ الله تعالى .

وفي هذه السنة توفي المقيه الصالح ابو عفان عبدالله بن احمد بن ابي القسم بن احمد بن اسعد الخطابي نسبة الى عرب يقال لهم بنو خطاب يسكنون حازة ذوال صاحب هُدَافه بضم الهاءِ وفتح الدال المهملة وبعد الألف فاءٌ ثم هاءٌ وكان مولده سنة ثماني عشرة وستمئة . وتفقه بعلي بن أبي السعود وبعثمان الوزيري ثم غلب عليه التصوف والعبادة ويقال انهُ أُوتي اسم الله الأعظم . وكان له كرامات عظيمة وكان

صبوراً على اطعام الطعام .

قال الجندي حصلت في يدي نسخة التنبيه الذي له فوجدت فيها بخطه مكتوباً في بعض ورقات الكتاب ما مثاله . حدثني الفقيه السيد الآجل الفاضل الكامل الموفق يحيى بن احمد بن زيد بن محمد بن دهير بن خلف الهمداني وفقهُ الله تعالى انه رأى في المنام في منتصف جمادى الآخرة في نصف الليل الآخر سنة ست وستمئة انه كان في مسجد رسول الله صلى الله عليهِ وسلم فوجد القبة التي على قبره وقبر صاحبيه رضي الله عنهما منكشفة من غير تخريب وقد بقي منها ما يغطي القاعدة ومن القائم الى مقعد الإزار فدنا منها فوجد النبي صلى الله عليه وسلم وصاحبيه رضي الله عنهما قاعدين متوجهين الى القبلة قال فاستقبلتهم من وراء الجدار الباقي وجعلت القبلة الى ظهري ثم أُعطيت نوراً في قلبي وطلاقة في لساني وقلت يا رسول الله القرآن كلام الله غير مخلوق قال نعم قلت بحرف وصوت يسمع ومعنى يفهم قال نعم قال فقلت فمن قال ان القرآن مخلوق كافر قال نعم قلت وان صلى وصام وآتى الزكاة وحج البيت هل ترجى له الشفاعة قال لا قلت يا رسول الله طلاق التنافي باطل أو صحيح فقال صلى الله عليه وسلم باطل باطل وانا اشك في الثالثة . وغالب ظني انه قالها . ثم قلت يا رسول الله تارك الصلاة كافر قال نعم قلت يا رسول الله فهؤلاءِ يرعون البقر والغنم ويحيعلون وهم يشهدون ان لا اله الا الله وان محمداً رسول الله ويؤتون الزكاة متى وجدوا ويحجون البيت اذا استطاعوا ويصومون شهر رمضان ويحبون الصلاة ولكن يقولون هذه الدواب تنجسنا واذا احتعلنا ايضاً تنجسنا أهم كفار أم مسلمون . فسكت النبي صلى الله عليهِ وسلم وانقطعت عن الكلام . فقال ابو بكر وعمر نكتب لك بهذا كتاباً لا ينسى فسكت ولم أدرِ ما شغلني عن القول لهما يكتبان لي ذلك . وكانت وفاة هذا الفقيه عثمان على الطريق الكامل من الزهد والعبادة واطعام الطعام في السنة المذكورة بعد ان امتُحن بالجذام حتى سقطت رجلُه اليمنى من الكعب ويبس من يدهِ اليمنى اصبعان . وكان عظيم الحال لهُ كرامات كثيرة يطول تعدادها رحمهُ الله تعالى .

وفيها توفي الفقيه الفاضل ابو الحسن علي بن ابي بكر بن محمد بن حسين البجلي وكان تفقه بعمه اسمعيل ووُلي القضاءَ في بلده وكان فقيهاً فاضلاً ورعاً وكانت وفاتهُ في السنة المذكورة رحمهُ الله تعالى .

وفي سنة اربع وثمانين جهز مولانا الملك الواثق عسكراً الى المنقّب وخشي ان يخرج الامير صارم الدين من ثُلاَ الى البلاد الشهابية فحصروهُ في ثلاَ فتداركه الشيخ بدر الدين عبدالله بن عمر بن الحيَد وسعى في الصلح بينهُ وبين السلطان وارتفعت المحاط وعاد الكل الى صنعاءَ . وكان الصلح على خلاص رهينة الامير صارم الدين داود وهو ولده محمد بن داود وكان في حصن الدملوة وعلى تعديل حصن القُفل بظفار وانعقد الصلح على ذلك واستمرت الذمة والصلح برهة من الزمان .

وفي هذه السنة توفي الفقيه العلامة ابو الخطاب عمر بن عاصم بن عيسى اليعلي بياء مثناة من تحت وعين ساكنة مهملة وآخره لام وبعدها ياء النسب وهو بطن من كنانة . وكان فقيهاً كبيراً فاضلاً متفنناً عارفاً بالفقه والنحو واللغة والحديث . وكان يقول شعراً حسناً تفقه بعلي بن قاسم الحكمي وبه تفقه كثير من الناس . وممن تفقه به ابو الحسن الاصبحي صاحب المعين . والفقيه يوسف بن يعقوب الجندي والد البها صاحب التاريخ وغيرهما . واليه انتهت رئاسة الفتوى والفقه بزبيد وأظن المدرسة العاصمية انما تنسب اليه . وحصل بينه وبين قاضي الاقضيةعتبٌ لكلام نقل عنه وكان النائب يعانده في مدرسته ويقابله بما لا يليق وكانت له عند المظفر مكانة حسنة فكتب الى السلطان يشكو من النائب في قصيدة من شعره يقول في اولها :

خربت مدارسكم معاً يا يوسف　　وفتى وحيش لو علمت المتلف

فلما وقف السلطان على كتابهِ وكان قاضي القضاة حينئذٍ عند السلطان فقال لهُ السلطان يا قاضي بهاء الدين من الناظر على مدارس زبيد فقال ابن وحيش يا مولانا فقال لا يكون لهُ على مدرسة الفقيه ابن عاصم نظر فقال سمعاً وطاعة . ثم كتب اليه السلطان قد صرفناه عن النظر في مدرستك فاجعل عليها ناظراً من شئت . وهو

القائل في ذم المدارس .

بيعُ المدارس لو علمت بدارس يغلو واخسر صفقةٍ للمشتري
دعها ولازم للمساجد دائماً ان شئت تظفر بالثواب الاوفر

ومن تصنيفه زوائد البيان على المهذب في كتاب . ويقال ان ذلك سبب الوحشة بينهُ وبين قاضي القضاة بهاء الدين احد قرابة صاحب البيان فانهُ نقل اليهِ انهُ قصد بذلك حط البيان وان لا يلتفت اليهِ مع وجود المهذب مع ان كتابهُ لم يكد يشتهر ولا يتداول بين الناس . وكانت وفاته عند طلوع الشمس من يوم الخميس لخمس بقين من شهر ربيع من السنة المذكورة رحمهُ الله تعالى .

وفيها توفي الفقيه الفاضل ابو عبدالله محمد بن علي وكان فقيهاً ورعاً زاهداً عالماً بالفقه تفقه على مذهب الامام ابي حنيفة رضي الله عنه . وكان لا يتعلق بشيء من الدنيا ولا يتعلق باهلها وعلقهُ دين عظيم هرب بسببه الى الجبال وبلغه ان قضاة سير يفعلون المعروف فقصدهم وأقام عندهم فسألهُ بعضهم عن المعتقد فأجابهُ بما انكر عليهِ السائل فافضى ذلك الى شقاق وتكفير فخرج الفقيه هارباً وبلغ القضاة ذلك فلم يعجبهم وامروا برده اليهم فلم يوجد فشق عليهم فشكوا الى أخيهم القاضي بهاء الدين الوزير يخبرونهُ بقصتهِ ويسألونهُ ان يبحث عنهُ بتعز ففعل فلما جاءهُ بجّلهُ واكرمهُ واعتذر اليهِ من فعل ذلك المجادل ثم سألهُ عن سبب قدومهِ فاخبرهُ بدينهِ فسعى له في قضاء ديونهِ وزيادة . وتوفي في مدينة زبيد في المحرم اول السنة المذكورة رحمهُ الله تعالى .

وفيها توفي القاضي الفقيه احمد بن حمزة بن علي بن حسن الهرامي ثم السكسكي وكان فقيهاً فاضلاً متأدباً وكان يقول الشعر ودرَّس في مدرسة حصن الظفر وهي التي احدثها الشيخ عبد الوهاب بن رشيد . ثم توفي في بلدة العماقي وكانت وفاتهُ في صفر من السنة المذكورة .

وفيها توفي القاضي ابو حفص عمر بن سعيد بن محمد بن علي الربيعي . وكان فقيهاً محدثاً أخذ عن أخيهِ لابيه علي بن عمر وعن غيره وتولى قضاء صنعاءَ حين

عزل عنه . وكان من افصح الناس واحسنهم رواية للحديث والتفسير . وكان اذا حضر مجلساً لم يكن لاحد فيه ذكر دونهُ . ويروى ان محفوظهُ خمسة آلاف حديث . وكان السلطان الملك المظفر يعظمهُ ويبجلهُ ورزقهُ على القضاء جزية اليهود في جهته . وكانت دنياه متسعة اتساعاً عظيماً .

ومن عجيب ما جرى له انهُ كان قاعداً مع الامير الشعبي في دار السلطان في صنعاءَ إذ خرَّ عليهم السقف وهم جماعة منهم محمد بن حاتم الهمداني واخوه ومحمد ابن زيد صهر الشعبي فمات الجميع تحت الهدم وسلم القاضي المذكور ومحمد بن حاتم . وكان القاضي يحكي انه لما تهوَّر الدار رأى رجلاً كبير السن التقى عنهُ خشبة وسجقاً وسقفهما عليهِ فلم يصله الهدم . وكان هذا القاضي عظيم القدر شهير الذكر معظماً عند كبراءِ العصر . انتشرت فضائله شرقاً وغرباً وبعداً وقرباً ولا اعلم احداً من اهل عصره اشتهر كاشتهاره حتى رأيت مجلداً لطيفاً في مناقبه تصنيف الفقيه علي ابن ابي بكر الفراء الصنعائي وجاءَ تقليدهُ من بغداد متوَّجاً بالعلامة الشريفة العباسية المستعصمية وفيه من التعظيم لجلاله والتنويه بقدره ما يليق به . وكانت ولايته من مدينة إب الى نسة ومضت احكامهُ في هذه البلاد كلها ونفذت . واخذ عنهُ جماعة من اهل صنعاءَ وغيرهم . وكان له عدة اولاد لم يقم احد منهم مقامهُ وكان من اكثرهم زواجاً في صنعاءَ واب وغيرهما وكانت وفاته في السنة المذكورة وقيل في سنة خمس وثمانين والله اعلم .

وفي سنة خمس وثمانين وستمئة ضرب الدرهم السعيد المظفري في مدينة صعدة في شهر جمادى الأُخرى . ونزل الامير جمال الدين علي بن عبد الله الى الابواب السلطانية فتلقاه الملك المسعود والقاضي بهاء الدين الصاحب الى الحوبان وحضر المقام السلطاني للفور وأقام اياماً ثم حملت له طبلخانة خمسة احمال وخمسة اعلام وزاده مع البوانين الخشب والخارد ومَطرة وحصن ردمان فانشأ قصيدة يمدح بها السلطان ويقول :

واعلمت بالاعلام يوسف انني صفيٌّ واني عند حادثة ذخرُ

وحـركت بالكوشـات ما كان ساكناً ولـكن به عن سمـع تحريكهـا وقر

وفي هذه السنة توفي الفقيه الفاضل ابو الحسن علي بن محمد بن حجر بن احمد ابن علي بن حجر الازدي نسباً والهجري بلداً . وضبط حُـجْر بضم الحاء المهملـة وسكون الجيم وآخره راء . وكان يُعرف بابي حجر وسكن عدن وكان مولده سنة ثماني وتسعين وخمسمئة تقريباً وكان فقيهاً محدثاً له مسموعات واجازات . وكانت دنياه واسعة وكان متورّعاً من إن يخلط ماله بشيءِ من الشبه وكان لا يعامل من يتهمهُ بذلك وكان لا يحتكر الدرهم في بيعه .

قال الجندي واخبرني والدي يوسف بن يعقوب رحمه الله قال كان رجـل في مدينة الجند عطّاراً وكان اصله من مدينة إب وكان لا يتجاوز في الدرهم انما يأخذ الواحد من العشرة فاتفق له سفر الى عدن ليشتري عطراً فوصل الى هذا الفقيه وسأله عما يريده من الحوائج فقال لهُ كلها موجودة فناولهُ صرَّة دراهم فقال الفقيه لبعض عبيده خذها وانقدها فقال الابي لا تحتاج انقـاد فليس في بلدي من يحتكر الدرهـم مثلي فقال له الفقيه وانت تحتكر الدرهم قال نعم قال اعد له دراهمه فما تدخل بين دراهمي فاعادها عليه وانصرف خائباً وكان كل من قدم عدن من اهل الفضل انما ينزل في الغالب على هذا الفقيه فينزله في بيت من بيوتـه على قرب منـهُ . ويكون الناس يجتمعون اليهِ للقراءَة في مسجد السماع . ويسمى مسجد السماع لكثرة ما يسمع فيه من الكتب على وارديه . وكان مَنْ جملة قدم عليه الفقيه ابو الخير بن منصور ابن ابي الخير وربما قيل انه اخذ عنهُ . وقد اخذ عن ابي حجر جماعة من اهل عدن وغيرها منهم الفقيه احمد الحرازي واحمد القزوينـي ومحمـد بن حسـين الحضرمـي وغيرهم . وبلغ الفرض الزكوي من ماله اربعين الفاً وقيل ستين الفاً يتصدق بذلك في غالب ايامه حتى كادت لا تنقطع صدقته . ولـم يزل على ذلك ان توفي ليلـة الاربعاء الخامس من صفر من السنة المذكورة وهو ابن ثمان وثمانين سنة . وخلف ولدين هما محمد وعبدالله فاما محمد فتفقه وزوّجه والده على بنت بعض التجار يقال لهُ ادريس السراج . وكان فيه سخاءُ مفرط لا يُبقي شيئاً ولا يخيب لهُ قاصد ابـداً

فتضعضع حاله وركبه دين كثير بعد وفاة ابيه فوصله بعض مستحقي الدين وطالبهُ واغلظ لهُ في القول وسمَّعهُ كلاماً فاحشاً . وكان قاعداً على باب داره فدخل من فوره الدار وعمد الى حبل فشنق بهِ نفسه وذلك يوم الجمعة لايام مضين من ذي القعدة من السنة المذكورة . فرأى بعض الاخيار من اهل عدن تلك الايام انهُ قائم على باب المسجد الذي يقال لهُ مسجد ابان إذا بجماعة قد اقبلوا من باب عدن قاصدين المدينة وعليهم هيئة سنيَّة ولهم وجوه مضيئة فسأل الرجل عنهم فقيل له هذا رسول الله صلى الله عليهِ وسلم وجماعة من اصحابه يريدون الصلاة على رجل من اهل المدينة يموت غداً . فلما اصبح الرجل وجرى لهذا محمد بن ابي حجر ما جرى ولم يمت في ذلك اليوم احد غيره وصل الرجل الى الموضع الذي يصلي فيه على الموتي وقعد فيه ينتظر وصول الميت المذكور ليصلي عليه من جملة الجماعة قال فاخذت ونمت مجنباً وقد فكرت وقلت ما يتصوَّر لمثل هذا ان يصلي عليهِ النبي صلى الله عليهِ وسلم وقد شنق نفسهُ فسمعت قائلاً يقول لي لا تفتك هذه الجنازة فهو هذا الرجل بعينه فاستيقظت وجددت الوضوء وتقدمت الى باب بيت الميت فشيعت جنازته وحضرت الصلاة عليه ودفنه .

قال الجندي واخبرني شيخي احمد بن علي الحرازي انه كان للفقيه أبي حجر عدة بنات صالحات في الغالب فذكرت احداهن انها رأت اباها بعد موت اخيها بمدة فقالت له يا ابت ما جاءَ بك فقال منذ وصلنا اخوكِ نحن في ملازمة الله تعالى ان يغفر له جنايته على نفسه فلم يفعل ذلك الا بعد مشقة شديدة واشراف على اليأس من ذلك .

وفيها توفي الفقيه الصالح ابو بكر بن معطٍ وكان فقيهاً صالحاً اصلهُ من حازة وادي زبيد من قرية تعرف بمحل مبارك . ومن اصحابهِ المتقدمين المقارنين له في السن والرتبة محمد بن علي الصريفي . وكان فقيهاً مشهوراً من اصحاب ابي حنيفة الامام رضي الله عنه . وله تصنيف حسن يسمى الايضاح تفقه بجماعة منهم المكي وغيره وله ذرية يعرفون به . توفي في مدينة زبيد في اثناء السنة المذكورة رحمه الله .

وفي سنة ست وثمانين احتال الامير صارم الدين داود بن الامام في فكاك حصنه القفل . وخشي عليه الفوات فتقدم الى جهة صعدة واصلح اموره فيما بينه وبين أخيه الامير نجم الدين موسى بن احمد بن الامام فاستنجدوا بالامام مطهر . وحملوه على الخروج الى ناحية صعدة فخرج من دروان الى حجر وجمع جموعاً عظيمة وسار نحو صعدة وجاءته خولان فقاتل على الدرب فأخذه قهراً . وقتل الرتبة الذين كانوا فيه وهم نحو من ثمانين رجلاً وأسروا الوالي غلاب وقتل من عسكر الامام خمسة وثلاثون بالنشاب ثم سار الامام ومعه الامير نجم الدين موسى بن احمد الى الجوف فأخذوا الفجرة وشوابة وطلعوا الظاهر . وحرقوا الكولة والدحضة وحطوا على الزاهر ووثب الامير صارم الدين بن الامام على حصنه القفل فحط عليه وارسل الى مولانا السلطان الملك الواثق بالنقض فجهز الملك الواثق مئتي فارس من الغز والعرب . ومقدمهم الشريف جمال الدين علي بن عبدالله وامرهم بطلوع الظاهر فلم يهيأ لهم الطلوع ثم جهز السلطان الملك المظفر أستاذ داره الامير شمس الدين علي بن الهمام في خيل من اليمن وامره بالغارة على الزاهر . فلما وصل الى صنعاء خرج الملك الواثق بشحنة الى ذروة وجهز الامير علي بن عبد الله والامير شمس الدين استاذ داره لرفع المحطة عن الزاهر . فلما علم بهم الاشراف ارتفعوا عن الزاهر . وطلع الامام الى الظاهر واشتدت محطة الامير صارم الدين على القفل . وعاد الملك الواثق الى صنعاء . فكثرت الاراجيف والغوائر في البلاد واضطربت البلاد اضطراباً شديداً وتفاقم الأمر واشتد وخالف أهل المشرق وأهل المغرب . وفسدت البلاد من نقيل صيد الى صعدة . فلما حدثت هذه الحوادث أرسل السلطان ولده الملك الاشرف الى صنعاء مقطعاً بها . واستدعى ابنه الواثق فدخل الملك الاشرف صنعاء يوم الثامن من جمادى من السنة المذكورة . ثم خرج منها الى محطة ذيفان ثم سار نحو الظاهر ووطأ البلاد وطأة شديدة وأخرب اجزل الظاهر الاعلى واجزل الظاهر الاسفل ووصلت عساكره المنصورة عيان وخيوان ولم يمتنع شيء منه في الظاهر ولا بلغ احد حيث بلغ وقاتل عن القبة مراراً وامر بعمارة الكولة . ورتب الشريف علي بن عبدالله بها واطل عيد

رمضان الكريم وهو مخيم في الكولة . وكان احسن عيد وأبهجه . ولما أخرب الظاهر كما ذكرنا وحضر الامير صارم الدين في القبة وقوى الرتب على ظفار وعمرها ورتب الامير علي بن عبدالله في مئة فارس والف راجل في الكولة نهض من الظاهر الى بلد الامير عبدالله بن علي بن وهاس فاخربها وقطع اشجارها وكرمها . وأخرب فيها دروباً من زمان الجاهلية . ثم نقل من بلاد ابن وهاس الى صنعاء فخرجت العساكر من صنعاء في لقائه وحشدت الجنود فلم ير يوماً اعجب ولا ابهج ولا اكثر جموعاً من ذلك اليوم فدخل من باب النصر . فلما حاذى القصر السعيد فرش لحفانه[1] ، ثياب الحرير المعلمة بالذهب . ونثر على الناس من البيضاء والصفراء ما لا يحصر فاقام في صنعاء والامور منتظمة والثغور منسدة والحرب على القبة والحصار على ظفار . والامام مطهر في جبل تنعم لا يميل احد اليه من العرب والامير صارم الدين محصور في القبة .

وفي هذه السنة توفي الفقيه الفاضل علي بن اسعد بن محمد بن ابراهيم بن تبع بن علي بن منصور المنصوري نسبة الى جده المذكور في انتهاءِ النسب كان علي بن أسعد بن منصور فقيهاً فاضلاً مشهوراً تفقه باحمد بن عبدالله الوزيري . وكانت وفاته في شهر ربيع الاول سنة ست وثمانين المذكورة في قريته المعروفة بالقدمة رحمه الله تعالى .

وفي سنة سبع وثمانين جرى حديث الصلح فاصلح الامير صارم الدين بعد استيلائه على القفل . وصاحت الصوائح بذلك في محروسة صنعاء يوم السبت الثاني عشر من شهر جمادى الاولى من السنة المذكورة ثم وقع الصلح بين الامام وبين الملك الاشرف وصاحت الصوائح بذلك يوم العاشر من جمادى الاخرى من السنة المذكورة . ولم يصلحه على شيءٍ من البلاد ولا من الرعايا الا على بعض القبائل الأجيار كبني حي وبني سحام والاعروش وبني مطعم . ثم قفل الى اليمن فكان خروجه من صنعاء يوم الجمعة عشرة شهر رجب من السنة المذكورة ثم طلع الملك

---

(١) لحصانه .

المؤيد صنعاءَ مقطعاً لها فدخلها يوم الرابع عشر من ذي القعدة من السنة المذكورة . ولما وصل صنعاءَ وصله جميع الناس من العرب ووصل الامير جمال الدين علي بن عبدالله . ووصل رسل الاشراف كافة بالخيل ضيفة فأقام مدة في صنعاءَ ثم خرج الى جهات ذمار وتغير الصلح بينه وبين الامام مطهر بن يحيى .

وفي هذه السنة توفي الفقيه الفاضل محمد بن علي بن عمر الشرعبي المعروف بابن المسود الحلي . وكان فقيهاً متفنناً أخذ الفرائض عن ابن معاوية والفقه عن ابن عاصم والريمي . وهو الذي درس بعد ابن عاصم في مدرسته التي انشأها الامير سيف الدين سنقر وهي التي تعرف في مدينة زبيد بالعاصمية وكانت وفاته في اثناء السنة المذكورة رحمه الله .

وفيها توفي الفقيه النبيه ابو الحسن احمد بن محمد بن عيسى الحواري وكان فقيهاً في علم الكلام ولهُ فيهِ مصنفات على مذهب الامام ابي الحسن علي بن اسمعيل الاشعري . وكان تفقه فيهِ على البيلقاني بعدن . وكان يغلب عليه طريقة التصوف واخذها عن البيلقاني ايضاً واخذ عنهُ جماعة من اهل تعز وزبيد وكانت وفاته في السنة المذكورة رحمه الله . وقيل في سنة تسع وثمانين والله اعلم .

وفيها توفي الطواشي افتخار الدين ياقوت بن عبدالله المظفري . وكان خادماً حازماً ذكيّاً لبيباً وهو الذي ارسله الملك المظفر صحبة ولده الاشرف الى الدملؤة ليكون الاشرف رهينة عند عميه المفضل والفائز وامهما بنت حوزة فلما صارا هنالك كان الطواشي يسوس الامر ويستميل قلوب المرتبين بالقول والفعل حتى احكم الامر . ثم عرض عارض اوجب نزول الفائز والمفضل ووالدتهما بنت حوزة الى المنصورة او قيل الى الجؤة فلما صاروا خارج الحصن ثار الطواشي ياقوت بمن معهُ في الحصن وملكه لسيده المظفر ولم يزل ياقوت نائباً لسيده في الحصن الى ان توفي في سلخ ذي القعدة من السنة المذكورة. وكان صاحب عسفٍ وحروب وكان مع ذلك كثير الصدقة مجلاً للعلماءِ والصالحين وابتنى مدرسة في منصورة الدملؤة رحمه الله تعالى .

وفي سنة ثمان وثمانين رغم المرتبون بحصن براش في شهر رجب فسار اليهم

الملك المؤيد فقتل منهم طائفة وأخذه منهم قهراً .

وفي هذه السنة وثب جماعة من حُصنهم على حصن ببيت نعم وكان الامام مصلحاً عليهِ . وكان في شرط الصلح انهُ اذا رأى قبيلة بعدت من أحدى الجهتين وامتنعت بحصن او جبل فانهم غرماءُ للسلطان والامام وان الامام والسلطان يتفقان على من أحدث حدثاً ويعتضدان عليهِ فلما حدث من هؤلاء ما حدث امر السلطان بالمحطة على حصن بيت نعم وطلب من الامام خروج من يخرج من جهتهِ للمحطة عليهم فلم يفعل الامام ولا ساعد على شيء من ذلك .

وفي هذه السنة توفي الفقيه النبيه ابو محمد عبدالله بن عبد الرحمن بن محمد بن ابراهيم بن عبدالله بن محمد بن زكرياء وكان فقيهاً فاضلاً مولده سنة تسع عشرة وستمئةوتفقه بابن عمه محمد بن عمر بن يحيى بن زكرياء واخذ عن صالح بن علي ابن الحضرمي وولي قضاء الكدراء من قبل بني عمران ، وقدِم فأخذ عنه ابو بكر ابن محمد بن عمر كتاب الوجيز . وكانت وفاته في السنة المذكورة . وخلفهُ في القضاء ولده ابو بكر بن عبد الله بن عبد الرحمن وكان احد اجواد زمانه شريف النفس عالي الهمة . وامتحن في آخر عمره بفقر مدقع وعزله عن القضاء بنو محمد بن عمر بغير وجهٍ يوجب العزل والله اعلم .

وفيها توفي الشيخ الفاضل ابو الخطاب عمر بن عبد الرحمن بن حسان القدسي وكان والده من اهل دمشق وامه من عسقلان فاجتمعا بالقدس وأقاما هنالك فتزوجها فولدت له هذا الولد سنة اربع وقيل سنة ستوستمئةولحق بام عبيدة وهو ابن اثنتي عشرة سنة فادرك الشيخ نجم الدين المعروف بالاخضر وهو من ذرية اخي الشيخ الصالح احمد الرفاعي فاخذ عليهِ العهد وتربى بين يديه . فلما رأى كماله امره ان يدخل مكة ويحج ثم يدخل اليمن لينشر فيه الخرقة الرفاعية واخبره انهُ يجتمع فيهِ برجل ينتفع به في دينهِ ودنياه . ففعل ذلك ولما دخل اليمن اجتمع بالفقيه عمر بن سعيد العقيبي فاقام عندهُ بذي عقيب اياماً وذلك في سنة تسع واربعينوستمئةفشهره عمر وبجلهُ ثم اسكنهُ موضعاً على قرب منهُ يعرف بالمعر ثم انتقل منهُ الى اماكن كثيرة

بني له فيها ربط كثيرة حتى كان آخر رباط سكنه الذهوب تحت مدينة إب فلم يزل حتى توفي بعد ان انتشرت عنهُ الخرقة الرفاعية لا سيما في جهة المخلاف . وكانت وفاتهُ ليلة الجمعة لثمان بقين من شهر ربيع من السنة المذكورة رحمهُ الله .

وفيها توفي الفقيه الصالح عبد الرحمن بن الفقيه يحيى بن سالم الشهابي وكان فقيهاً خيراً سليم الصدر انتهت اليهِ رئاسة الفقه والفتيا بذي جبلة وكانت امور الفقهاء انما تنتظم برأيه . ولما بنيت المدرسة الشرفية بذي جبلة ونسبتها الى الامير شرف الدين موسى بن علي بن رسول المتوفى في مصر رحمه الله تعالى كان الفقيه عبد الرحمن المذكور اول من درس بها وكان يومئذ اكبر الفقهاء وكان الفقهاء بذي جبلة لا يطلعون من مصلى العيد يوم العيد الا الى بيتهِ يدخلون الى سماط يعمله لهم فلما توفي والده بالعومانية انتقل اليها عن الشرفية ولم يزل بها مدرساً الى ان توفي في جمادى الاولى من السنة المذكورة رحمهُ الله .

وفي هذه السنة توفي القاضي الامثل الاوحد الاكمل ابو بكر بن محمد بن الفقيه احمد الجنيد . وكان فقيهاً صالحاً ديّناً حبراً تفقه في بدايته بعمه عبيد بن احمد ثم مسعود ثم صحب الفقيه الصالح عمر بن سعيد العقيبي واخذ عنهُ ثم امتحن بقضاء جبلة فسار سيرة مرضية ثم امتحن بقضاء عدن فكان الزاهد المعروف والعادل الموصوف واجمع اهل عدن على عدالتهِ ونزاهته وصيانة عرضهِ وزهده وورعه بحيث يغلب على سامع ذكره انهُ لم يدخل عدن له نظير وأخذ بعدن الوسيط للغزالي عن الفقيه عبد الرحمن الابيني واستفاض ورعه عند الامراء في اليمن وغيرها . ولما دخل الملك المظفر عدن اثنى التجار على القاضي ثناءً حسناً بعد سؤال السلطان عنهُ . ثم حدثت قضية اوجبت حضور القاضي الى مقام السلطان فامر السلطان بطلبهِ فوصل الرسول وعليه ثياب البذلة وثيابه مع الغسال فرجع الرسول واعلم السلطان بذلك فازداد عند السلطان مكانة وقال قد (مضى) لهذا الحاكم مدة في هذه البلاد وهو لا يملك الا بذلة واحدة ان هذا لامر عظيم . ثم حضر القاضي البَها فقال له السلطان يا قاضي بهاء الدين بلغنا ان القاضي فقير ويحب ان نزيد في رزقه فكم ترى نزيده فقال

عشرة دنانير وكانت ثلاثين ديناراً فعتب التجار على القاضي بهاء الدين حيث لم يجعل الزيادة اكثر من ذلك وحملوه على الحسد اذ كان ذا سيرة محمودة .

قال الجندي : أخبرني الخبير بحاله قال كانت سيرته انهُ اذا صلى الصبح ذكر الله تعالى ساعة ثم يقوم الى زيارة ترب الصالحين فيبدأ بتربة الشيخ جوهر ثم ابن قيدر ثم بتربة ابن ابي الباطل ثم يقوم منها الى مسجد ابان فيصلي فيه الضحى ثم يأتي الى مجلس الحكم فيقعد فيه ما شاءَ الله يقضي بين الناس ثم يدخل منزله فيقيل فيه ساعة ثم هذا دأبه الى ان توفي ليلة الخميس السادس من شهر رجب من السنة المذكورة وقبر في القطيع الى جنب قبر القاضي محمد بن اسعد العنسي رحمة الله عليهما .

وفيها توفي الفقيه الصالح ابو الحسن علي بن محمد بن عثمان بن ابي الفوارس القيني نسبة الى قين من عك تفقه في الجبل على الامام بَطال بن احمد بن الركبي واخذ عن علي بن مسعود وابي حديد وغيرهما وكان الفقيه اسمعيل كثير التكرر لزيارته . توفي في السنة المذكورة تقريباً قاله الجندي والله اعلم .

وفيها ولد الفقيه الفاضل ابو عمرو عثمان بن يوسف بن شعيب بن اسماعيل . وكان فقيهاً نبيهاً تفقه بالفقيه صالح بن عمرو البريهي . وارتحل الى جبأ فأخذ عن عبدالله بن عمر ثم ارتحل الى تهامة فأخذ بها عن ابراهيم ابن علي البجلي صاحب شجينة . وأخذ عن اسمعيل الحلي ثم عاد الى بلده وولي القضاء بها . وكان ميلاده لخمس مضين من صفر من السنة المذكورة ولم اتحقق تاريخ وفاته والله اعلم .

وفي سنة تسع وثمانين توفي الامير صارم الدين داود بن الامام المنصور عبدالله بن حمزة بن سليمان بن حمزة بن علي بن حمزة وكانت وفاته في التاسع من شهر صفر وكان من وجوه الاشراف وصدورهم . وكان شاعراً فصيحاً ومن شعره قصيدة يمدح بها الملك المظفر ويسأله خلاص ولده محمد وكان رهنهُ في قلعة الدملؤة وهي التي يقول فيها :

اعاتبـــه في الهجـــر أم لا أعاتبه واصبـــر حتـــى يرعـــوي ام أُجانبه
فمـــن مبلـــغ عنـــي الى الملك يوسف ابـــي عمـــر معطـــي الجـــزيل وواهبه
ومـــا ليَ قول مسخـــط غـــير انني **أذكّره** الخـــط الـــذي هو كاتبه
فشفّـــع ابانـــا في بنيه فانه شفيعك في الذنب الـذي انـت كاسبه

فيقال ان الخليفة رحمه الله لما قرأ هذا البيت بكى . وقال اخلصه كرامة لجده صلى الله عليه وسلم . ويقال انه رأى النبي صلى الله عليه وسلم فمسح على وجهه وقال لأجازينك يوم القيامة بها .

وفي هذه السنة نزل السلطان الى زبيد بسبب الفرحة التي انشأها لتطهير اولاد اولاده ونزل بسببها الملك المؤيد من صنعاء ونزل الشريف جمال الدين علي بن عبدالله والأمير نجم الدين موسى بن احمد بن الامام فكان ذلك سبباً لقوة امارة الامير همام الدين سليمان بن القسم ابن عمه الامير صارم الدين المتوفى الى رحمة الله تعالى فملك الامير همام الدين حصون ظفار . وسار الى تلمص بصعدة . فقبضـه فلما رجع مولانا الملك المؤيد الى صنعاء وقد انتقض الصلح بين الامير والسلطان كما ذكرنـا تظاهر الامام بنقض الذمة . ولما نقض الامام الذمة جاءت كتب اهل المشرق بالطاعة لمولانا السلطان فطلع مولانا الملك بجيوشه وعساكره فلم يبق احد من قبائل المشرق الا وصل ودخل في طاعته رغباً ورهباً . ومنهم من امتنع فقاتل الملك المؤيد الممتنعين وأخرب ديارهم فدخلوا في طاعته قسراً واستولى الملك المؤيد على كافة المشرق جميعه **فأخربه** .

وفي هذه السنة توفي الامير الكبير محمد بن عباس بن عبد الجليل وكان قد نال مرتبة مع السلطان الملك المظفر وحمل له طلبخانة وجعله من جملة حرفائه . وكان امـيراً كبـيراً شهماً فارسـاً شجاعـاً مقدامـاً لكن غلـب عليه العجـب فكثـر عليه (التشكي) الى السلطان . ونقل عنه الى السلطان امور لا يحتمل الملوك بعضهـا فلزمه وأمر بكحله وكان ذلك في زبيد بسنة ثلاث وتسعين **وستمئة** . فانتقل الى بيت الفقيه ابن عجيل وسكن هنالك . ولم يزل يتردد بين زبيد وبيت الفقيه الى ان توفي

في شهر رمضان من السنة المذكورة .

وفيها توفي الفقيه الفاضل احمد بن ابي بكر بن احمد الفايشي . وكان مدرساً في الجند تفقه بيحيى بن محمد بن ملح وبغيره وأخذ عن عثمان بن رقيد من اهل زبران وكانت وفاته في السنة المذكورة .

وفيها توفي الفقيه النبيه ابو العتيق ابو بكر بن محمد بن سعيد بن علي الحفصي ثم الازدي فالحفصي نسبة الى القساري ابي عمرو حفص المعروف بالدوري احد من قرأ على الامام ابي عمرو بن العلاء البصري والازدي نسبة الى الازد وهي قبيلة مشهورة من قبائل اليمن وهو المعروف بابن العزاف . وكان فقيهاً محققاً للفقه نقالاً له عارفاً به وكان مولده ومنشأه في قرية ذي السفال . وكان تفقه على محمد بن مسعود ودرس في اول امره بذي جبلة في المدرسة الرابية ثم انتقل الى تعز بسؤال من القضاة بني عمران فدرس بالوزيرية وأشفق عليه بنو عمران وسألوه ان يكون مدرساً لابناء حسان ونائباً لهم في الحكم . فاقام على ذلك اياماً . ثم اعتذر عن الحكم فعذر عن الحكم بابن النحوي وتفقّه به جماعة منهم ابن النحوي وابن دريق وابن الصفي وعبدالله الريمي وغيرهم . وكانت وفاته يوم عرفة بعد صلاة الصبح من السنة المذكورة . وعمره يومئذ ثمان واربعون سنة رحمه الله تعالى .

وفيها توفي الفقيه الفاضل ابو بكر بن علي بن اسعد . وكان اصله من الصِّفة عزلة من جبل عنّة والصِفة بكسر الصاد المهملة وعنّة بفتح العين المهملة والنون المشددة . وهو اسم جبل من جبال اليمن المتسعة . ظهر فيها جماعة من الفقهاء والعباد . وكان مولد الفقيه ابي بكر هذا في العاشر من شوال سنة تسع وثلاثين **وستمئة** . وتفقه بابي بكر بن العراف وابن البانة واخذ النحو عن المقدسي المقدم ذكرهما . وكانت وفاته ليلة الجمعة الرابع من ذي الحجة من السنة المذكورة رحمه الله تعالى .

وفيها توفي الفقيه الصالح موسى بن عمر بن المبارك بن مسعود بن سالم بن سعيد بن عمرو بن علي بن احمد بن ميسرة الجعفي . وكان فقيهاً صوفيّاً عارفاً

سالكاً . اشتغل بالفقه مدة بسهفنة على احمد بن جـديـل ثم ارتحل الى تهامة فتفقه بها على الفقيه اسماعيل الحضرمي . ثم صحب الشيخ محمد بن الفصيح احد اكابر اصحاب الشيخ ابي الغيث فرباه تربية الصوفية حتى صار كاملاً ثم امره بالعود الى بلده . فكان فقيهاً صوفيّاً وظهرت له كرامات كثيرة وكان يقعد من الطعام السنين انما يشرب بعد العشاء لبناً بعد ان يُخلط فيهِ خبز مسحوق وكان هذا دأْبه غالب دهره . ويروى انه مرض له ولد فارادت امه ان تعمل له فرّوجاً فقال ان تعملي لكل واحد من اولاد الفقراء فروجاً فروجاً والا فلا تفعلي . وكان يُقال لهُ جُـنَـيْد اليمن وعلى الجملة فمناقبهُ كثيرة ثم كان من تأخر عن الجماعة من اصحابه ضرُب ومن طلع عليهِ الفجر وهو نائم ضرُب ولم يزل على الطريق من المجاهدة بظاهره وباطنهِ الى ان توفي في المحرم اول شهور السنة المذكورة رحمهُ الله تعالى .

وفيها توفي الفقيه الصالح عثمان بن علي بن سعيد بن ساوج وكان فقيهاً صوفيّاً تفقه ثم تصوَّف وصحب الشيخ مدافع والشيخ علي الرُّميمة واشتهرت له كرامات كثيرة مأثورة وحكايات معروفة مشهورة توفي على الطريقة المرضية يوم الاثنين مستهل ذي الحجة من السنة المذكورة رحمه الله تعالى .

وفي سنةتسعين وستمئة سار الملك المؤيد من صنعاءَ في عساكره الى جبل اللوز فقاتل الامام مطهر بن يحيى هنالك وكان الامام مطهر بن يحيى قد رتب ابن عمه الشريف اسعد بتنعم وفيه حرمه واولاده فقاتلهُ الملك المؤيد اياماً على الجبل ثم طلعه عليهِ قهراً في خامس المحرم اول سنة تسعين وستمئة .

وفي هذه السنة المذكورة اعني سنة تسعين وستمئة توفي الفقيه الامام العلامة قطب اليمن وعلامة الشام واليمن ابو العباس احمد بن موسى بن علي بن عمر بن عجيل . وكان مولده في شهر رمضان المعظم احد شهور سنة ثمان وستمئة وكان اماماً من ائمة المسلمين عالماً عاملاً صالحاً ورعاً زاهداً لم يكن في الفقهاء المتأخرين من هو ادق منه نظراً في الفقه ولا اعرف به منهُ غوَّاصاً على دقائق الفقه موضحاً لغوامضه معدوداً تاج العلماء وختام اهل الحقائق اجمع على تفضيلهِ المخالف والمؤالف ولم يتردد

في صلاحه وفقهه جاهل ولا عارف تفقه بعمه ابراهيم بن علي وبه تفقه جمع كثير من نواح شتى . وكان مبارك التدريس دقيق النظر فيهِ والى ذلك اشار الامام ابو الحسن علي بن احمد الاصبحي صاحب المعين حين سئل عن شيءٍ من معاني كلامـه على بعض مشكلات المهذب فاجاب عن ذلك وبيّنهُ ثم اثنى على الفقيه وقال ما مثلنا ومثل هذا الامام الا كما قال ابو حامد الاسفرائني في حق ابن سريج نحن نجري مع ابي العباس في ظواهر الفقه دون دقائقه . وكان صاحب كرامات مشهورة ومآثر مذكورة يظهر منها ما يظهر عن كره منهُ .

قال الجندي اخبرني والدي عن بعض ثقات اصحاب الفقيه انهُ قال حضرنا يوماً جماعة عند الفقيه فتذكرنا كرامات الصالحين وربما عنيناه على انك لم تظهر شيئاً من ذلك وضربنا له مثالاً باهل عواجه وبالفقيه اسمعيل الحضرمي ومن ماثلهم فقال **لكل ولي كرامةاما فلان وماظهر من كراماته فهونقص من الاناء واحب ان القى الله** تعالى باناءٍ ملآن . وكانت الملوك تصلهُ وتزوره وتعظم قدره وتقبل شفاعته ويريدون مسامحتهُ بما يجب عليه من الخراج السلطاني فلا يقبل ذلك ويقول احب ان اكون من جملة الرعية الدفّاعة . وكان كثير الحج الى مكة المشرفة واذا حج يحج معهُ خلق كثير من اهل اليمن تبركاً به وانساً فلا يكاد يتعرض لهم احد من العرب بسوءٍ وان تعرّض **احد له لم يفلح فكانت القافلةالتي تسير الى مكة في البر في عصرهِ وبعد عصره بدهر** طويل انما يقال لها قافلة ابن عجيل سواءٌ سار معها او سار معها غيره من الفقهاء وهذا من اعجب الاشياء وما اشبه هذا بقول الاول :

قد مات قوم ومـا ماتـت مكارمهم وعـاش قوم وهـم في النـاس اموات

وكان متى دخل مكة اشتغل الناس بالسلام عليه عن كل شيءٍ ومتى صار في المطاف او في الحرم ترك الناس اشغالهم وأقبلوا على مصافحته وتقبيل يده تبركاً فيقول انتم في بيت الله ومحل بركته ورحمته وانما أنا واحد منكم مخلوق مثلكم فلا يزدادون بذلك الا اقبالاً عليه .

قال الجندي وحكى بعض الثقات انهُ سمع رجلاً من اهل مكة من اهل الدين

والعلم والصلاح يقول لي كذا وكذا سنة فذكر مدة طويلة قلَّ من يعيشها . وفي كل سنة يدخل مكة من العلماءِ جمع كثير ففيهم من يجاور ويقيم وفيهم من يذهب الى بلده فما رأيت احداً فيهم الا ونور الكعبة وعظمتها يزيد عليهِ الا ما كان من ابن عجيل فانهُ متى دخل الحرم زاد نوره وعظمته على نور الكعبة بحيث لا يبقى للناس تعلق بغيره : ثم كان متى قدم المدينة فعل الناس معهُ كذلك فيقول لهم اتقوا الله هذا نبيكم وهؤلاء صحابته وانما انا رجل منكم فلا يزداد الناس الا اقبالاً عليهِ . وكان اذا ضجر من الناس بمكة والمدينة يغيب عنهم لقضاء مأربهِ من قراءَة او ذكر او صلاة وهذا غالب شغله . وكان اماماً في الفقه والاصولين والنحو واللغة والحديث والفرائض وهو احسن من ضبط الفنون وقرَّت بمذاكرته العيون قال الجندي واخبرني الثقة من فقهاء عصره انهُ قال ارتحلت من بلدي الى الفقيه ازورهُ وكنت قد اعددت مسائل فقهية واصولية وكلامية . فلما وصلت الى الفقيه وسلمت عليه واطمأن بي المجلس أقبلت اسألهُ عن الفقهيَّة وهو يجيبني ثم عن الاصولية وهو ايضاً يجيبني ثم عن الكلامية فقال امهلني فاضمرت في نفسي قصوره عن ذلك . ثم لما انفض المجلس وكان حافلاً دخل الفقيه منزله ثم استدعى بي اليه وقال ان العقول لا تكاد تحتمل جواب ما سألت عنهُ وربما حصل بيننا مراجعة واعتراضات تشوّش على بعض السامعين لكن هات السؤال الاول فاوردتهُ فجاوَب عليه جواباً شافياً ثم اوردت بقية الاسئلة فجاوَب عليها كذلك فحمدت الله تعالى على ذلك وعظم عندي . وله مسائل كثيرة سألهُ عنها عدة من الفقهاء الاجلاء فاجابهم باحسن جواب وأبينه . ولم يكد احد من فقهاء عصره الا افتقر الى فقهه ومعرفته ولم يسمع انه افتقر الى معرفة احد منهم في جواب ولا سؤال . ولم يزل على ما ذكرنا من التدريس ومجاهدة النفس الى ان توفي يوم الثلاثاء بين صلاتي الظهر والعصر لخمس بقين من شهر ربيع الاول من السنة المذكورة .

وكان الملك الواثق ابراهيم بن الملك المظفر يومئذ في مدينته فشال وكانت يومئذٍ إقطاعه من ابيه وهو على نصف مرحلة من بيت الفقيه تقريباً فلما علم بوفاة

الفقيه ركب في خاصته وحضر غسل الفقيه وكان من جملة الغاسلين ثم لما حمل الى تربته كان من جملة الحاملين وتولى انزاله في قبره مع من تولى ذلك فغبطه على ذلك كثير من اعيان زمانه . وكان للفقيه عدة اولاد منهم اسمعيل كان فقيهاً مرضياً توفي سنة سبع عشرة وسبعمئة . وموسى كان فقيهاً حيراً ديناً تفقه بابيه وتوفي في سادس شعبان سنة عشرين وسبعمئة . وابراهيم كان فقيهاً ديناً ورعاً يحب الاعتزال قلَّ من يجتمع به من الواصلين اليه تفقه بابيه وأخذ النحو عن الفقيه عمر بن الشيخ من اهل شريح المهجم توفي سنة سبع وعشرين وسبعمئة رحمة الله عليهم اجمعين .

وفيها توفي الفقيه ابو اسحاق ابراهيم بن عيسى بن علي بن محمد بن مُفلِت وكان فقيهاً بارعاً عارفاً بالفروع والاصول تفقه بأبيه ثم بفقهاء المصنعة ثم بالفقيه عمر بن مسعود الابيني بذي هزيم . ثم بأحد الوزيرين وربما قيل بهما . وكان فقيهاً كبيراً وهو آخر من يعدُّ فقيهاً من بني مفلّتِ . قالهُ الجندي وكانت الجند مورد العلماء ومستقر الملوك وهي مسكنه فكان يأخذ عن كل من ورد اليهِ من العلماء فاكتسب علوماً جمَّة . وكان معظماً عند اهل الدولة والبلد وكرههُ بنو عمران لانهُ لم يكن يخضع لهم ولا يلتفت اليهم فكانوا يذكرون للسلطان عنهُ اموراً قبيحة وهو منزهٌ عنها وانما كان غرضهم بذلك اسقاطه عند السلطان فوقر كلامهم في اذن السلطان الملك المظفر . وكان قد استفاض بين الناس صلاحه وعلمه فقعد السلطان يوماً في مجلس حافل باعيان دولتهِ ولم يكن الوزير فيهم فتذاكروا الجند ومن فيها من العلماء فذكروا هذا ابراهيم بن عيسى فقال السلطان انه يُذكر لنا عنهُ اشياءٌ لا تليق فذكر بعض الحاضرين للسلطان وحقق لهُ انهُ ليس في الجَنَدِ أحد أفقه منهُ ولا اصلح وانما لهُ اعداءٌ يكرهونهُ ويحسدونهُ ويكذبون عليهِ كراهة لهُ ان يتصل بكم . فوقع ذلك في قلب السلطان ثم امر ولدهُ الاشرف ان يستدعيه ويقرأ عليهِ ففعل ذلك فلما حضر وجدهُ فقيهاً كاملاً ورجلاً مباركاً فلازمهُ على ان يكون له وزيراً فلم يفعل فجعل لهُ انتقاداً جيداً في كل سنة . وتفقه به جماعة منهم ابو بكر بن فليح وابو بكر بن المغربي ويوسف بن يعقوب الجندي والد المؤرخ . وأخذ عنهُ ابو الحسن علي بن

احمد الاصبحي وجمع كثير . وكان لبسه القطن وتوفي في الجَند في عشرة شهر ربيع الاول من السنة المذكورة رحمه الله تعالى .

وفيها توفي ابو عبد الله محمد بن الحسين بن ابي السعود بن الحسن بن مسلم ابن علي لهمداني . وكان مولده لليلتين خلتا من ذي الحجة من سنة اثنتين وخمسين وستمئة وكان صاحب قراءات ومسموعات وغلبت عليه العبادة وكان من اكثر الناس تلاوة للقرآن مع الزهد والورع الى ان توفي على ذلك ليلة الاثنين لخمس بقين من شهر ربيع الاول من السنة المذكورة رحمه الله تعالى .

وفيها توفي الفقيه الصالح عبد الرحمن بن سعد بن علي بن ابراهيم بن أسعد ابن احمد يجمعه والفقيه عمر بن سعيد العقيبي أسعد بن احمد . وكان مولده سنة ست وثلاثين وستمئة تفقّه بعمه عمر بن سعيد ولزم مجلسه بعده وعكف عليهِ اصحابه . وكان كثير الحج والزيارة وهو اول من ادخل العزيز شرح الوجيز الى الجبال ومنه اخذ الشيخ ابو الحسن الاصبحي عن ابيه وصحح به معينه . وتفقه به جماعة من اهل عصره . وكانت وفاته يوم الاحد لاحدى عشرة ليلة خلت من المحرم اول شهور السنة المذكورة . وعمره يومئذ ثلاث وخمسون سنة قاله الجندي . والله اعلم .

وفيها توفي الفقيه البارع ابو العباس احمد بن الحسن بن احمد بن محمد بن يوسف ابن ابي الخل . وكان مولده ليلة الاربعاء السادس عشر من شوال سنة ثمان واربعين وستمئة. وتفقه بعمه صالح وتزوّج ابنته وغالب تفقهه بالامام اسماعيل بن محمد الحضرمي . وكان فقيه عصره فقيهاً محجاجاً غوّاصاً على دقائق الفقه عارفاً باخبار المتقدمين صاحب فنون متسعة . ولما تحقق الملك المظفر كماله ونبله وفضله وعلمه وانه يصلح لقضاء الاقضية استدعاه الى تعز فلما وصل تعز استدعاه السلطان الى مقامه واستحضره فرأى رجلاً كاملاً فسأله ان يلي قضاء الاقضية بتهامة فاعتذر وسأل من السلطان الاذن في العود الى بلاده فاذن له فسافر من فوره . وكان قد اعترضه ألم فلم يصل حيَس الا وقد اشفى فتوفي بها وقبر في مقبرة حيَس الشرقية على

يمين الخارج من حيس الى قرية السلامة . وكانت وفاته يوم الاربعاء السادس من شوال من السنة المذكورة رحمه الله تعالى ويقال انه مات مسموماً والله اعلم .

وفيها توفي الشيخ ابو الحسن علي بن عمر المعروف بالأهدل . وكان كبير القدر شهير الذكر يقال ان جده محمد قدم من العراق الى اليمن على قدم التصوف وهو شريف حسيني فسكن اجواف السوداء من وادي السهام واولد هنالك . وكان ابن عمه هذا علي بن عمر بن محمد على طريقة مرضية واختلف فيمن أخذ عنه اليد فقيل انه مجذوب . وقيل بل صحب رجلاً سائحاً من اصحاب الشيخ عبد القادر الجيلاني يقال له محمد بن سنان الاحوزي وقيل بل رأى أبا بكر الصديق فصافحه واخذ عنه يد التصوف . وقيل صحب الخضر عليه السلام .

قال الجندي وسمعت بعض اصحابه وذريته يقولون كان الشيخ يميل الى تبحيل الاحوزي . ولما توفي على قدم السياحة اذ لم يزل ذلك دأبه خرج الشيخ علي ابن عمر الى اصحابه فنعاه اليهم وامرهم بالاجتماع للصلاة عليه فاجتمعوا وصلوا عليه . وكان الشيخ صاحب تربية وكرامات واحواله اكثر من ان تحصر . وكانت وفاتهُ في اثناء السنة المذكورة تقريباً والله اعلم .

وفيها توفي الفقيه الصالح ابو القبائل عبد الرحمن بن الحسن بن علي بن عمر بن محمد بن علي ابن ابي القسم الحميري . وكان من الرجال المعدودين في اهل الفقه والدين وكان تفقه بأبيه ثم بالفقيه اسماعيل الحضرمي والقاضي عباس صاحب جبلة ثم رتب معيداً في المظفرية ثم انفصل الى مدرسة ذي هزيم ثم الى التاجية . ثم لزم بيته بمغربة تعز وحصل عليه في آخر عمره مرض شديد وتطاولت عليه ايام المرض فاراد الطلوع الى صنعاء لاعتدال هوائها فاكترى من رجل غريب وسافر معه فلما انفرد به في الطريق قتله واخذ ما معه . وكان قتله في السنة المذكورة تقريباً والله اعلم .

وفي سنة احدى وتسعين أخذ الملك المؤيد جبال اللوز فطلعها في خامس المحرم كما ذكرنا . وقتل طائفة من عسكر الامام وخرج الامام هارباً في طريق متوعرة

وشعوب لم تسلك قبل ذلك فخرج على بلاد بني وهاس ثم على الظاهر الى ان سار الى دروان . وعاد الملك المؤيد من جبال اللوز الى صنعاء ظافراً مسروراً فاقام فيها بقية عامه ذلك .

وفي هذه السنة توفي الفقيه الامام الفاضل ابو عبدالله محمد بن ابي بكر بن محمد بن منصور الاصبحي . وكان فقيهاً كبيراً عالماً عارفاً محققاً مدققاً موفقاً في الجواب مبارك التدريس تفقه به جمع كثير من نواحٍ شتى وله عدة مصنفات منها المصباح مختصر في الفقه . والفتوح في غرائب الشروح والايضاح في مذاكرة التنبيه . والوسائل . والترجيح . وفضائل الاعمال . والاشراف في تصحيح الخلاف . وكان الناس قد عكفوا عليه حتى ظهر كتاب المعين تصنيف تلميذه ابي الحسن علي بن احمد الاصبحي . فاشتغل الطلبة وغيرهم بالنظر فيه عن غيره . وكان هذا الفقيه رجلاً عابداً زاهداً متورعاً كثير التلاوة للقرآن . وكان راتبه كل يوم من الاسبوع سبعاً من القرآن . وفي شهر رمضان ستين ختمة يقرأُ في كل يوم ختمة وفي كل ليلة ختمة فلما جاءَ شهر رمضان الذي توفي عقيبه ختم خمساً وسبعين ختمة وكان شديد الورع من صغره لا يأكل الا ما تحقق حِلَّه . ولقد أقام في مصنعة سير فوق عشرين سنة لا يأكل لهم طعاماً انما يأكل من كيلته من وقف وقفهُ القاضي ابو بكر بن احمد على من يدرس في جامع المصنعة وكان كثير العبادة وزيارة الصالحين والمساجد المباركة . وممن تفقه به الامام ابو الحسن علي بن احمد الاصبحي والفقيه عبد الوهاب بن الفقيه ابي بكر بن ناصر وعبدالله بن سلم وابو بكر بن الليث ومحمد ابن ابي بكر ومحمد بن عبدالله بن اسعد العمرانيان وغيرهم . وكانت حلقته تجمع اكثر من مئة فقيه في غالب الاوقات وربما بلغوا اكثر من مئتين في كثير من الاوقات ثم ضاقت به المصنعة فانتقل عنها الى مدينة إب فتلقاه اهلها بالاجلال والاكرام واحتملوا من جاء معهُ من الطلبة وقاموا بكفاية الجميع ما داموا منقطعين . وتوفي على أحسن حال يوم الجمعة السادس من شوال من السنة المذكورة رحمه الله . وعمره يومئذ تسع وخمسون سنة . وقبر الى جنب قبر الامام سيف السُّنَّة ورآه بعض الفقهاء

بعد موتهِ في المنام فقال له ما فعل الله بك . فقال أخذ بيدي وادخلني الجنة .

وفيها توفي الفقيه الصالح محمدبن يَنَال بياءٍ مثناة من تحتها مفتوحة ونون بعدها الف ولام . وكان ابوه بليغاً سكن بذي جبلة ثم تأهل بها فظهر له هذا المذكور فنشأ نشوءاً حسناً وتفقه باهل جبلة . وكان جيداً حسن الأُلفة كثير المحفوظات فقيهاً مرضيّاً درَّس بالشرفيَّة الى ان توفي اول السنة المذكورة رحمه الله تعالى .

وفي سنة اثنتين وتسعين حصلت الوحشة بين الشريف جمال الدين على ابن عبدالله وبين الملك المؤيد فتخوَّف الشريف جمال الدين من الملك المؤيد فترك الوصول اليه واخرج حريمه من صنعاءَ ليلاً فنمي ذلك الى الخليفة فكتب الى الشريف علي بن عبدالله يسأله عن سبب تخلفه عن الوصول فكتب اليهِ الشريف جواباً يقول فيه ان ابنك ملك شاب قادر واخاف منه بادرة واكثر ما تقول أخطأ داود . فعاد جوابه معاذ الله ان يفعل ذلك وأن يفعل ابوه فلم تطب نفس الشريف وبقي على الامتناع ثم تأكدت الوحشة وتظاهر الامير جمال الدين بالخلاف ومراسلة الامام . وكان الامام في حصنه بحجة والامير في حصنه براش في المغارب فاجابه الامام وطلع اليه بعسكر عظيم وحشر الامير جمال الدين ومن معه من اهل شظب واهل الظاهر والتقى بالامام وقصد الجميع منهم الكولة وحطوا عليها اياماً فلم يتصلوا بشيء منها . وبعد ذلك اتفق كافة الاشراف واختلفوا وهدموا ما بينهم من الذحول والقتل واجتمعوا على حرب السلطان فكتب بعض الاشراف الى الملك المؤيد كتاباً يقول فيه :

تنحَّ عن الدست الذي انت صدره	وعدُّ عن الملك الذي حزته غصباً
رويدك ان الله قد شاءَ حربكم	وصيرني الرحمن في ملكه حرباً
سأجلبها شعثا اليك شوازبا	مضمرة جرداً مطهمة قبا
عليها ليوث من لؤي بن غالبٍ	بهاليل بسامون قد مارسوا الحربا
فما في جبال اللوز عارٌ لسيّد	غدت واكفات السحب من دونه دربا

فاجابه الملك المؤيد بكتاب وابيات يقول فيها :

رويدك لا تعجـل فما انـت بعلها — سيأتيك فتّـاك يعلمـك الضـربا
فان تك ذا عزم فلا تك هارباً — كعـادة من قد صرت من بعـده عقبا
وسائـل جبـال اللـوز عنـا وعنكم — فافضلـكم ولـى وخلفـكم نهبا
فعاملتـكم بالصفـح إذ هو شميتي — ومـا انتـم تعفـون عن واقـع ذنبا

ولما اتفقـت كلمـة الاشراف واجتمعـوا على حرب السلطـان جرد عسـاكره المنصورة . وطلعت خزانته المعمورة من اليمن فكانت الخيل نحواً من الف فارس والرجل نحواً من عشرة آلاف راجل وخـرج الملك المؤيد في عسـاكره من صنعـاءَ وعساكر ابيه التي طلعت من اليمن فطلع الظاهر وحط في الماجلين فحصل بينه وبين الامير جمال الدين علي بن عبدالله بن علي بن وهاس خطاب ومراسلات . ثم التقوا واصطلحوا . وقد عاد الى الملك المؤيد بعد ان حلف له على الوفاء فاقام الملك المؤيد هنالك شهراً . ثم طلع الظاهر واقام في الظاهر الأعلى اياماً ثم نهض الى الظاهـر الاسفل ثم قصدهم الى ماجل الصعدي فوقع هنـالك قتـال عظيم وولـت الخيل والرجل من عساكر الاشراف حتى صاروا بالاكمة الحمراء فخالف بنو شهاب واهل حَضور وانحازوا من عسكر السلطان الى عسكر الاشراف وردوا ردة صادقة فقتل خمسة انفار وعاد الملك المؤيد الى محطته ثم نهض الى الكولة ولم يقف غير ليلة واحدة ونهض الى البون وطلب منهُ الامير عبدالله بن علي بن وهاس عسكراً يقف معهُ فاعطاهُ خيلاً ورجلاً ورجع الى صنعاءَ .

وفي هذه السنة اقطع السلطان الملك المظفر ولده الملك الواثق ابراهيم بـن يوسف ظفار الحبوضي فسافر اليها في البحر من عدن في شهر رمضان ولم يزل بها الى ان توفي في التاريخ الآتي ذكره ان شاءَ الله تعالى .

وفيها توفي القاضي الآجل ابو محمد عبد الرحمن بن القاضي محمد بن اسعد ابن محمد بن عبدالله بن سعيد القري العَنْسي المذحجي . وكان مولده في الثامن عشر من جمادى الاخرى من سنة سبع واربعين وستمئة . وكان ذا عبادة وزهادة واجتهاد في العلم . وولي قضاء عدن مدة فكاده رجل من التجار يقال له ابن مكاس بأن كذب

عليه الى السلطان فحمل السلطان كلامه على الصدق وأمر بعزل القاضي فعزل عن قضاء عدن ولم يفلح التاجر بعد ذلك بل اخرجه الله من عدن واسكنه بين الكفار في الهند وصار غلاماً لملك منهم الى ان توفي على حالة غير مرضية . ولما انفصل القاضي من عدن كما ذكرنا ورجع الى بلاده من ذي اشرق حسده بعض اهل الوقف فكاده الى القضاة اهل سير فكرهوه وظهر له منهم ذلك فلاذ بالملك الاشرف توقياً لشرهم فجعله والياً واحسن اليه . فلم يزل معه مجللاً الى ان توفي في آخر يوم من رمضان من السنة المذكورة رحمه الله تعالى .

وفي هذه السنة توفي الفقيه الصالح ابو الحسن علي بن محمد بن احمد بن نجاح المعروف بابن ثمامة بثاء مثلثة مضمومة وميمين مفتوحتين بينهما الف وآخر الاسم هاء تأنيث . وكان مولده سنة سبع وعشرين وستمئة وتفقّه بالفقيه اسماعيل بن محمد الحضرمي وتزوّج بابنته فولدت له ولدين هما اسماعيل بن علي ومحمد بن علي واستخلف الفقيه اسماعيل على قضاء القحمة فذكر عنه حسن السيرة وكمال القضاء ولم يزل حتى جاء خصمان ادعى احدهما على الآخر شيئاً . وكان المدعى عليه قد تقدمت له هدية الى القاضي وصحبه قبل القضاء . وكان مبارك التدريس اثنى عليه بذلك الفقيه جمال الدين محمد بن عبد الله الحضرمي . قال وكان من ابرك المدرسين تدريساً . وكان عظيم الخشية سريع العبرة عند ذكر الله تعالى وكان يسمى البكّاء لذلك . وكان ممن يزار ويتبرّك به . وكانت وفاته يوم الخميس سابع عشر ذي الحجة من السنة المذكورة رحمه الله تعالى . وخلف ابنه اسماعيل فكان فقيهاً كريم الاخلاق . وتوفي في جمادى الاولى من سنة تسع وسبعمئة .

وفيها توفي الفقيه الصالح ابو الخطاب عمر بن محمد بن احمد بن مصباح العنسي بالنون وكان فقيهاً حسن السيرة كثير الحج يقال انه حج ستاً وثلاثين حجة . وكانت وفاته في السنة المذكورة رحمه الله تعالى .

وفي سنة ثلاث وتسعين تجهز الملك المؤيد للحرب والطلوع الى ناحية حضور والبلاد الشهابية . فخرج من صنعاء وحط في القبة فوقع بينه وبين الامير جمال الدين

علي بن عبدالله مراسلة وخطاب في معنى الصلح على ان الملك المؤيد يرجع الى صنعاءَ وان اتمام الصلح يكون في ظفار ولم يرد الامير جمال الدين بذلك الا الخديعة لانه كان على غير اهبة للحرب فرجع الملك المؤيد الى صنعاءَ وتجهز الامير جمال الدين للمسير الى ظفار واستصحب معه مشايخ البلاد واكابرها . وجهز الملك المؤيد وزيره الفقيه شرف الدين احمد بن علي بن الحيد في خمسين فارساً من المماليك البحرية **ومئتي** رجّال وما يحتاج اليه من الخام والمطابخ والآلة وجماعة من الجاندارية والبردارية فخرج من صنعاءَ وحط تحت ظفار في ورور ثم طلع الى ظفار في جماعة من الجند وجماعة من الرجال وتحدثوا في امر الصلح واوجدوا الوزير ان الاشياء تامة وما مرادهم الا اصلاح امرهم واستلحاق من تأخر عنهم من اصحابهم مثل الامير موسى ابن احمد بن الامام والامير جمال الدين عبدالله بن علي بن وهاس فكاتبوهما واستمالوهما فخالفا على السلطان ايضاً ودخلا ظفار موكبين فاتفقوا جميعاً وحلف الكل منهم للامير همام الدين سليمان بن القسم . فلما اتفقت كلمتهم اجتمعوا بالفقيه شرف الدين وقد كتبوا كتاباً بسبب الصلح . وتشرّطوا فيه اشياء لم تجرِ بها عادة وقالوا نحن لا نصالح الا على ما قد ضمنّاه هذا الكتاب فأرْسِل به الى مخدومك . فصدّره الوزير الى الملك المؤيد فلما وقف على مضمونه ارسله الى والده الخليفة فلما قرأه الخليفة استنكره ولم يكن له جواب الا خروج الامر العالي الى ولده الملك المؤيد يأمره بالخروج في عساكره الى البلاد الشهابية والحضورية وتجهز الامير بدر الدين حسن ابن بهرام والفهد بن حاتم الى ناحية صعدة فخرج الملك المؤيد الى البلاد الشهابية فاخرب منها عدة مواضع ثم نهض الى ناحية حضور فاخرب فيها مواضع ايضاً في حازة الجبل ووصل الامير تاج الدين محمد بن احمد بن يحيى بن حمزة بعسكر جرار نحو من الفي راجل مادة للامير جمال الدين علي بن عبدالله وخرج الامير همام الدين سليمان بن القسم من ظفار فحط في موضع يسمى قسط من بلاد ابن وهاس قريب من الرحبة . فكان الملك المؤيد يحاربهما تارة في رهقه وتارة في جبل حضور . وصبح بيت شعيب فاخذه قهراً بالسيف وقتل اهله ثم عاد الى بلد ابن وهاس فأخذ قرية بني

القديم واخرب البلاد وعاد الى صنعاء في شعبان من السنة المذكورة . فوقع عقد ذمة في باب السلطان بالصلح بينهُ وبين الاشراف . وأما جريدة صعدة فكان في مقابلتهم الامير نجم الدين موسى بن احمد بن الامام في نحو من ثلاثمئة فارس ما خلا الرجل فوقعت بينهم حروب حصل القتل في الفريقين ثم حصلت ذمة ثلاثة اشهر ثم نزل الملك المؤيد الى الابواب السلطانية ونزلت رسل الاشراف لتمام الصلح وخرج الامير علي بن عبدالله الى ناحية المشرق فابتنى مصنعة تنعم واجابه اهل المشرق قاطبة واتصل بالامير سليمان بن محمد بن سليمان بن موسى وكان في ناحية ذمار وركن الناس اليهم ووقع الفساد في البلاد فورد امر السلطان بطلوع الملك الاشرف الى البلاد العليا بسبب الصلح فتقدم الى صنعاءَ فكان دخوله صنعاءَ يوم الاثنين العاشر من ذي القعدة من السنة المذكورة . فوصل اليه إهل المشرق قاطبة وكافة اهل حضور والامراء الشهابيون وجاءَ بنو الراعي ارسالاً ثم خرج الامير علي بن عبدالله من ظفار الى ردمان فخرج امر مولانا السلطان الملك الاشرف على الامير بدر الدين محمد بن حاتم بالمضي الى ردمان والمسير مع علي بن عبدالله الى صنعاء . وقد كان الامير تاج الدين محمد بن احمد بن يحيى بن حمزة وصل الى الشريف علي بن عبدالله وأقام عنده في ردمان فنزلا معاً صحبة الامير بدر الدين محمد بن حاتم الى الملك الاشرف بصنعاء . فلما وصلوا القلعة لقيهم الامير صلاح الدين ابو بكر بن الملك الاشرف مؤنساً لهم ومشرفاً . فلما صاروا قريباً من المدينة لقيهم الملك الاشرف بنفسه في عساكره وجنوده فسلموا عليه ودخل الجميع منهم تحت ركابه حتى وصلوا القصر السعيد فاكرمهم وقابلهم بالقبول ولم يبقَ احد ممن شهر نفسه بالخلاف الا وصل اليه رغبة ورهبة . وقال في ذلك اخو كندة يمدح الاشرف في قصيدة اولها :

هو في انتقادالبيض طب صيرف ... فتنحَّ عنهُ فربما لا يعرفُ
يرتاح من كل الملاح الى التي ... في ثغرها بردٌ يرف وقرقفُ
واسأله عما شئت من ألم الهوى ... يخبرك فهو المستهام المدنفُ
ما فارق العلمين حتى علّما ... اجفانه كيف المدامع تذرفُ

ابـداً ولاعنّـت بعسفـان المها ... الا وعـنّ له هوى متعسفُ

ولطـالما سارت غرائـب نظمهِ ... وسمـت فكان له اليفـاع المشرف

مدحٌ اذا رُويت اشـاد بذكرها ... عمـر وشرّفهـا المليك الاشرفُ

عقـل به وسمـت ومـن تنكيرها ... اضحـت بطيب ثنائـه تتعرَّفُ

وبضاعـة حليت فشتـى ريحها ... فيها لديهِ مخطـبٌ ومعرَّفُ

ملك بيمـن قدومـهِ باب الرجا ... فتـح وسحـب الجـود جودٌ وكَّفُ

قرمٌ تشـذّر فالوغـا مشبوبة ... والخيل تعـدو والركائـب توجفُ

ومعـوَّدٌ للنـصر مشهـورٌ بـه ... راياتـهُ بدمِ الفـوارس ترعُفُ

وافـا وليٌّ العهـد جاد عهادَنا ... وأماننـا من كل ما يتخوَّفُ

بُرْدٌ تقمصـه المهـد خصهُ ... بلباسـهِ الملك المظفَّـر يوسفُ

قل للاولى زعمـوا بان عنادهم ... ما كان حتـى كلفـوا ما كلفوا

ليعـد الى المحبـوب كل مكلفٍ ... فلـديه ملكٌ بالـرضـا متعطـفُ

اوْ فليشـق ان لحَّ في طغيانهِ ... بعقـاب يوم ليس فيهِ منصفُ

هذا ملاذ الخـائفين وهـذهِ ... عـين الحياة فمـن احـب فيغرفُ

هذا ابـن سيّد يعـربٍ ومليكها ... هذا الجـواد السيـد المتغطرف

حرم الخلافـة ما عداهُ فخائفٌ ... من حولـه يتخـطـف المتخطـفُ

سنّ الوفـاء فما السمـوأل قبله ... في الصيت إلاّ آخـرٌ متخلّف

وتألفـت فيه قلـوبٌ لم تكن ... الا بسيرة عـدلـهِ تتألّفُ

ودعـا منـاديه الانـام فلـم يكن ... للخلـق عنـد ندائـهِ متوقفُ

يغشـون باب متـوجٍ ما انْ لهم ... عنـهُ وعـن غشيانـهِ متصـرفُ

ويروعهـم خلف الحجـاب مملّك ... يمضي وينجـز ما يقـول ويسعفُ

سهـل لمن والاه عدلٌ منصفٌ ... وعـرٌ لمن عاداهُ حلفٌ متلفُ

عمـت مراحمـهُ وعـمَّ عقابهُ ... فهـو النسيم يهـبُّ فيهِ الحرجفُ

قال صاحب العقد ثم اقبل الملك الاشرف على حديث الصلح فيما بينهُ وبين

الاشراف كافة على يد الامير جمال الدين علي بن عبدالله وتمت الامور وصاحت الصوائح واطلّ عيد النحر والخلق كلهم على بابه من الشرق والغرب والغز فخرج الى الميدان في عساكره المحشودة . ثم انقلب الى المصلى على افخم حال وأعلى شأن ووقف في صنعاءَ في الحجة والمحرم .

وفي سنة اربع وتسعين تجهز الملك الاشرف للنزول الى اليمن فكان خروجه من صنعاءَ يوم الجمعة الثاني عشر من صفر من السنة المذكورة . فلما وصل الى تعز واستقر بها اختصهُ والده بالملك العقيم ومكّنه أزمة الامر القويم وخرج التقليد الكريم . بمشهد من الملوك العظماء والجحاجح الكرماء . ناطقاً بفصل الخطاب . وانارة التحقيق والصواب . بما يربى على الروض غب السحاب . ويزري بفريد الدر في عنق الكعاب . قائلاً بعد الحمد والثناء . والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم والدعاء .

أما بعد فقد ملكنا عليكم من لا نؤثر فيه والله داعي التقريب . على باعث التجريب . ولا عاجل التخصيص على آجل التمحيص . ولا ملازمة الهوى والايثار . على مداومة البلوى والاختبار . وهو سليلنا الخطير . وشهابنا المنير . وذخيرتنا الذي وقف على المراد . ونصيرنا الذي نرجو به صلاح البلاد والعباد . ونؤمل فيه من الله الفوز والنجاة في المعاد . وقد رسمنا له من وجوه الذب والحماية . ومعالم الرفق والرعاية . ما قد التزم بوفاءِ عهده . والمسئول في اعانته من لا عون الا من عنده . ولن يعرفكم من حميد خصاله . وسديد فعاله . الا بما قد بدا للعيان . وزكا مع الامتحان . وفشا من قبلكم في كل لسان .

وشـهـدتـم بـهِ وشـاهـدتـمـوه ... وحمدتـم عقبـاهُ في كل امرِ
من حنـاديس ظلمـة شملتكـم ... كان في كشفهـا لكم ضوء فجرِ
سيفـه مغمـدٌ عليكم ومسلـو ... ل على كل من رمـاكم بنكر
لم يزل منـذ حلَّ من جيده الطو ... ق حليفـاً لكل حمـد وشكـرِ

همــه ما ترون من شيدِ ملكٍ عَدْمليّ يَبْنيه[1] أو سدّ ثغرٍ
وقد حددنا له ان يكون بكم رؤوفاً رحيماً . جواداً كريماً . ما اطعمتموه على المراد . مطاوعة الانقياد . فاما من شق العصا . وخرج عن الطاعة وعصى فهـو يقص منه ولو متّ اليه بالرحم الدنيا فكونوا له خير رعية بالسمع والطاعـة في كل حال ، يكن لكم بالبر خير ملك ووال ، فانضاف الامر والنهي والحل والعقد ، والبسط والقبض ، في البر والبحر ، والاقاليم والسواحل والامصار . والحصـون والثغور وتدبـير الحـرب والسلـم ، وتجهيز العســاكر والجنـود الى السلطـان الملك الاشرف ولم يفزع الى ابيهِ الا في جلائل الامور ، من غير وهن منهُ ولا عجز ولا خور . وكان ذلك في جمادي الاولى من سنة اربع وتسعين وستمئة المذكورة .

ولما تولى امور المملكة كما ذكرنا سكن حصن تعزّ وسكن الخليفة ثعبات . وحينئذٍ توجه الملك المؤيد رحمه الله نحو الشحر وحضر موت ونفسه غير طيبة لما خصّ بهِ اخوه الملك الاشرف من المملكة دونهُ وكانت معهُ عمتهُ الملكة الشمسية وكانت تحبهُ حبّاً كثيراً . ثم توفي السلطان الملك المظفر شمس الدين يوسف بن عمر بن علي بن رسول . وكانت وفاتهُ يوم الثلاثاء الثالث عشر من شهر رمضان من السنة المذكورة سنة اربع وتسعين وستمئة . وهو يومئذٍ على ما قيل ابن اربع وسبعين سنة وعشرة أشهر وأحد عشر يوماً وعشر ساعات . وكان ملكه ستّاً وأربعين سنة وهو الذي عناه أمير المؤمنين علي بن ابي طالب عليهِ السلام بقوله في ملحمة تخص اهل اليمن : « ثم يملك الملك المظفر فيسوسهم ثلاثين وسبعة عشر » .

وكان الخليفة ملكاً كريماً جواداً حليماً بذّالاً للأموال خاصة في الحروب وأعطي من السياسة وتدبير الملك ما لم يعط غيره من الملوك . ولما توفي قال الامام مطهر بن يحيـى حين أتاه : مات التّبع الاكبر . مات معاوية الزمان . مات من كانت أقلامهُ تكسر سيوفنا ورماحنا .

قال المصنف رحمهُ الله وكان للمظفر رحمه الله من الآثار الحسنة ما هو مشاهد

---

(١) العدملي الضخم القديم .

الى الآن . فمن ذلك المدرسة التي انشأها في مغْربة تعز المعروفة بالمظفرية جعل فيها مدرساً ومُعيداً وعشرة من الطلبة ورتَّب فيها إماماً ومؤذناً ومعلماً وعشرة أيتام يتعلمون القرآن وقيّماً ووقف عليها ما يقوم بكفاية الجميع منهم . وابتنى مسجداً في مغْربة تعز يعرف في وقتنا هذا بالمسجد الجديد ورتَّب فيهِ إماماً وخطيباً ومؤذنين وقيّمين ووقف عليهِ ما يقوم بكفايتهم الجميع . وله دار الضيف بذي عُدينة أيضاً . وابتنى الخانقة التي في مدينة حيس ورتب فيها إماماً ومؤذناً وقيماً ومعلماً وأيتاماً يتعلمون القرآن . وجعل طعاماً للواردين في كل يوم مداً من الحب بمدّ أهل اليمن يزيد على حمل الجمل الضخم الشديد خارجاً عن اللحم والتمر . ووقف[1] ويقال ان وقف الخانقة المذكورة التي في مدينة حيس في كل سنة[1] من الطعام . ومن مآثره الجامع المظفري الذي في مدينة المهجم رتب فيهِ مدرساً ودرسة وإماماً وخطيباً ومؤذناً وقيماً ومعلماً وأيتاماً ووقف عليهم وقفاً جيداً يقوم بكفايتهم . ومن مآثره أيضاً الجامع في واسط المحالب ورتب فيهِ إماماً وخطيباً ومؤذناً ومعلماً وأيتاماً ووقف عليهم ما يقوم بكفايتهم . وابتنى مدرسة في ظفار الحبوضي وأوقف عليها ما يقوم بكفاية المرتبين فيها . وابتنى خادمه بدر المظفري في مدينة زبيد مدرسة للفقه على مذهب الامام الشافعي رضي الله عنهُ ومدرسة لاصحاب الحديث ومدرسة لقراء القرآن الكريم بالقراءات السبع ودار مضيف ورتب في مدرسة الفقه ومدرسة القراء ودار المضيف في كل موضع إماماً ومؤذناً وقيماً ووقف على الجميع ما يقوم بكفايتهم .

وكانت دولة الخليفة رحمه الله تعالى أقرب الى العدل والرأفة وكان يجالس العلماء والصالحين . وكان رحمه الله مشتغلاً بالعلم أخذ من كل فن بنصيب قرأ الفقه على الفقيه محمد بن اسماعيل الحضرمي وغيره والحديث على الفقيه محمد بن ابراهيم الفشلي وعلى الفقيه محب الدين احمد بن عبدالله الطبري وقرأ النحو واللغة على الشيخ ابن يحيى ابراهيم العك وقرأ المنطق على الفقيه احمد بن عبد الحميد السرددي وجمع اربعين حديثاً من أحاديث رسول الله صلى الله عليهِ وسلم عشرين في الترغيب

---

(١) ما هنا ممحو في الاصل في العسجد . وخارجاً ايضاً عن نفقات المرتبين بها .

وعشرين في الترهيب . وحدثني الفقيه جمال الدين محمد بن عبدالله الريمي وسمعتهُ غير مرةٍ يقول : طالعت امهات كتب الحديث من كتب مولانا الخليفة المرحوم فوجدتها كلها مضبوطة بخط يده حتى ان من رآها يقول لم يكن له شغل طول عمره مع كثرة اشتغاله بالعلم في فنون شتى واشتغاله بامور المملكة . وقال معلمه الفقيه محمد بن الحضرمي : كان مولانا الملك المظفر يكتب كل يوم آية من كتاب الله تعالى وتفسيرها فيحفظها ويحفظ تفسيرها على ظهر قلبه غيباً . وكان له في علم الطب يد طولى . ولما افتتح مدينة ظفار الحبوضي ذكر في كتابه الى الملك الظاهر بيبرس صاحب مصر أنه يحتاج الى طبيب لمدينة ظفار لأنها وبيئة . وقال : ولا يظن المقام العالي انا نريد الطبيب لانفسنا فانا نعرف بحمد الله من الطب ما لا يعرفهُ غيرنا وقد اشتغلنا فيهِ من أيام الشبيبة اشتغالاً كثيراً وولدنا عمر الاشرف من العلماء بالطب وله كتاب الجامع ليس لاحد مثله . وكان المظفر رحمهُ الله متضلعاً من العلوم . ويؤيد ذلك ما رأيت بخطه في جزءٍ من تفسير فخر الدين الرازي ما نصه : نقول طالعت هذا التفسير من أوله إلى آخرهِ ومطالعة محققة ورأيت فيهِ نقصاناً كثيراً وجاءني من الديار المصرية أربع نسخ من قاضي القضاة تاج الدين بن بنت الاعز فرأيت فيها النقصان على حاله فلم اقنع بذلك بل اعتقدت انهُ من الناسخ فارسلت رسولاً قاصداً الى خراسان الى مدينة هراة فجاءني بنسخة المصنف وقد قرئت عليهِ فرأيت فيها النقصان على حاله وتبييضاً كثيراً فانظر إلى هذه الهمة العالية في تحقيق العلوم والاجتهاد فيها ومطالعة هذا التفسير الجامع للعلوم . وكان محبّاً للرعية ومحسناً اليهم لا يكلفهم فوق ما يطيقونهُ . وإذا شكا أهل جهة من عامل من العمال أو كاتب من الكتاب عزله عنهم ولا يعيدهُ إلى تلك الجهة أبداً خوفاً من غائلته عليهم . وكان اذا زادت جهة في الخراج على المعتاد او نقصت عن الخراج المعتاد سأل عن سبب الزيادة والنقصان فان كانت الزيادة من بدعة أبدعها العامل أو النقصان لخراب في الجهة أدب العامل أدباً بليغاً وصادرهُ وترك استعماله البتة . وكان يأمر الولاة والمقطعين بالعدل في الرعية وتبجيل العلماء .

ويروى انهُ كان لهُ خمسمائة فارس في مصر يجاهد الافرنج ويحمل جواتكها من اليمن مع ما كان يحمله اليهم من أصناف الهدايا والتحف .

ويروى أن ملك الصين حرم على المسلمين في بلده الختان فتعبوا من ذلك وضاقوا فكتب اليهِ السلطان الملك المظفر رحمهُ الله كتاباً يشفع اليهِ في الإذن لهم وأرسل اليهِ بهدية سنية توافق مراده فقبل شفاعته وأذن لهم في ذلك . وظهر له من الولد سبعة عشر ذكراً مات أكثرهم في سن الطفولة وعاش منهم بعد وفاتهِ خمسة رجال وهم : عمر الاشرف . وداود المؤيد . وابراهيم الواثق . وحسن المسعود . وأبو المنصور . وكلهم ولي ملكاً وخطب له على المنابر وضربت السكة على اسمهِ إلا المسعود فانه لم يتصل بشيءٍ من ذلك . وكان وزيره القاضي بهاء الدين محمد بن أسعد العِمْراني . ومْدحهُ عدَّة من الشعراء الفصحاء المشهورين منهم الشاعر المشهور محمد بن حمير وكان أوحد عصرهِ أدرك صدراً من دولتهِ ولهُ فيهِ غرر المدائح في أيام امارتهِ وأيام خلافته . وهو القائل يهنئهُ في أيام امارته وقد أقطعه والدهُ زمع وظهر له يومئذ ولده الملك الاشرف فقال يهنئهُ :

هنيت بالولد الميمون والبلدِ	ولا برحت سعيداً مدَّة الابد
في غرَّة البدرِ في عمر الشوامخ في	سعادة المشتري في جبهة الاسد
أعيذهُ بعد اسماءِ الإلهِ بقل	وقل وقل وبحمد الواحد الصمد
من العيون ومن ريب المنون ومن	رقش المنون ومن نفّاثة العقد

ومنهم القاسم بن هتميل شاعر المخلاف السليماني رحمه الله . وكان فصيحاً حسن الشعر مداحاً وله في السلطان الملك المظفر رحمة الله عليه عدة قصائد من المشهورات من ذلك قوله :

اعدّلي أحاديث الفريق وكرر	وهات لنا عن حاجر ومحجر
وكيف الـ [1] أرتاضه	ترف برقراق النضارة أخضر
تطل [2] طله	بأبيض في أحوى النبات واصفر

(١) ما هنا ممحو في الاصل .

(٢) كذا في الاصل والمعنى غير ظاهر .

كأن دهـاق ارب يمـم فوقه ... سبائـب مرّ او درانـك عبقر
اذا ما النسيم الرطب صافح تربه ... تعطّـر من حوذاتـه المتعطر
وهل من نسيم الريح والرند نفحة ... ممسّـكة في طي نشر معنبر
ويا لائمـي في نفحـة حنيت بها ... ضلوعـي على جمـر الغضـا المتسعر
ارحنـي فما صدري بهضـب عماية ... فأسلـو ولا قلبـي صفـاة المشقر
ومن لي ويوم الدجـن ليس بمشمس ... مضيء وليلُ الحـظّ ليس بمقمر
بسـاقية تسـعى الـيَّ بأزهر ... رذوم بذي لونـين احمـر احمر
اذا باشرتـه بالبنـان تعصفرت ... انامله‍ـا من صبغـة المتعصفر
تدل بخصر في النطـاق مؤنث ... لطيف وصـدر في العنـاق مذكر
ترى الليل فوق الشمس في خيزرانة ... مرنحـة في حقفهـا المتمرمر
تذلل فإن يشمـخ عليك بأنفه ... عزيز فلازم عـزة المتكبر
ولا تكترث واجـزع من الضيم آنفاً ... وان لم يكن بد من الصبـر فاصبر
فقـد قدم المقـدار غـير مقدم ... وقـد أخـر المقـدار غـير مؤخر
ودالت على الاسـلام للشرك دولة ... حنـين وأحـد فيض بدر وخيبر
ولا وأبـي لا ذقـت راحـة عيشة ... إذا أنـا لم أظفـر بعفـو المظفر
فتـى ورث الاذواءَ غـير مدافع ... وأحـرز فضـل الاسعـدين ومنذر
وزاد على سعـي الجلندا ابـن كركر ... وأعرب عن عضب الجلند ابن كركر
أعـم سماحـاً من سماحـة حاتم ... وأعظـم بأسـاً من بسالـة عنتر
تحـاط ثغـور الملك منـهُ بقادرٍ ... على كون ما لم يقض أو لم يقدر
أعـز رسـوليّ يـزرّ قميصه ... على القمـر التـم الخضـم المظفر
سماح كفيض اليم في هضب يذبل ... ووجـه كبـدر[1] يـر
هو الملك الموفى على ملك تبّع ... على علا عن ملك كسرى وقيصر
قل الحق واعجـب من مليك مملك ... رقـاب الرعـايا لا أمـير مؤمر

(١) ما هنا ممحو في الاصل .

فوالله ما تدنو اكاسر فارس ... اليه ولا تسمو تبابع حمير

ولو وزن الاملاك منهُ بخنصرٍ ... لما وزنوا منهُ قلامة خنصر

أحامل أعباء الخلافة إذ وهت ... دعائم عباس وأركان حيدر

أقلني فلم اعثر وهبني لأفرخٍ ... كزغب القطا بين الافاحص قعّر

ولا تقف بي عمرو بن هند وطرفة ... ورأي أنوشروان في بزرجمهر

وهب ليّ ذنباً قد أتيتك تائباً ... من الذنب واستغفرتك الذنب فاغفر

فلو انني في الابلق الفرد نازل ... لادركتني أو في قلال ذمرمر

وما ذا يضر البدر ان طنّ تحتهُ ... بعوضة حس أو ذبابة مجزر

وما أنا قدر لا حبيب لطيئء ... فابقى ولا كنت الوليد لبحتر

ولست وان خُوِّلت ما لست أهلهُ ... بأفصح من أهل الزمان وأشعر

ليهن سراج الدين أن قد أنلتهُ ... مكانة فتح من خلافة جعفر

لك الخير فعل الخير في غير أهله ... لعمرك فعلٌ غرسهُ غير مثمر

فهل لك من رام يفوّق ما رمت ... يداهُ وما يرمي بافوق أزعر

أخا فطنة ان يمنع النصف يحتسب ... غناءً وإن يُعْط النفاية يشكر

وانك ان أهملتني وتناسخت ... عليّ الليالي من سنين وأشهر

أتاك وان كنت الغني عن الذي ... يحيك بتفويف الصباغ المحبر

من اللاء ما غنى الوليد بن بلبل ... بهن ولم يخلع على ابن المدبر

خوالد يفنى عمرَ لقمان عمرها ... ولقمان أفنى عمر سبعة أنسر

وحاشاك ان [1] علي قصيدتي ... براقش أو تضحى كلمّة جحدر

ومدائحه فيه كثيرة مشهورة . ومنهم الفقيه سراج الدين أبو بكر ابن دعاس وكان شاعراً ماهراً فقيهاً نبيهاً نحوياً لغوياً . وكان أحد جلساء الخليفة وخصيصاً بهِ . وكان الخليفة رحمهُ الله يثني عليهِ ويفضلهُ على ابن حمير ويقول إنما ابن حمير صاحب خلاعة . وكان ابن دعاس المذكور متوسعاً في العلم . وكان من اهل زبيد

---

(١) ما هنا ممحو في الاصل .

ينسبونهُ إلى سرقة الشعر ويقولون اذا حوسب الشعراءُ يوم القيامة يؤتى بابن دعاس للحساب فيقول هذا البيت لفلان وهذا الصدر لفلان وهذا العجز لفلان فيخرج بريئاً .

ويروى أنهُ لما حج السلطان الملك المظفر ورجع إلى اليمن استأذنهُ بن دعاس من المهجم للتقدم قبل ركابهِ الى زبيد . فقال له أتريد ان تتقدم لتجمع شعراً من الدواوين وتلقانا بهِ . ثم أذن له في التقدم فلما دخل الخليفة زبيد انشده ابن دعاس يوم قدومه قصيدة باهرة وأول بيت منها لابن الحجاج البغدادي وهو :

ليس في قدرة ولا إمكان* نيل ما نلـت يا مليك الزمان

وفيها يقول : هاك شعراً منظماً لم أغر فيه لا على مُصحف ولا ديوان

فقال لهُ الخليفة نهيناك عن الدواوين فتعديت الى المصحف . ولما قدم العماد الاعمش بكتاب الدرج من مصر قال فيهم ابن دعاس المذكور :

أهـدى العماد نحونا من مصر كتّابـاً غرر

تَبَـقَّـروا بقـائراً لكنهـا على بقـر

ولم يكن كما قال وانما كانوا اهل فضل وفواضل . ويروى انهُ لما قدم ابـو الظاهر البيلقاني الانصاري الى عدن وكان عالماً متفنناً اعلم الخليفة بهِ فامر بتجهيزه الى حضرته فلما حضر المقام السامي امر السلطان من باحثهُ فوجده كاملاً فأراد الخليفة رحمه الله ان يقرأ عليه شيئاً في المنطق فاستشار ابن دعاس فقال له أما علمت يا مولانا أن النبي صلى الله عليه وسلم قال (البلاء موكل بالمنطق) فتطير الخليفة من قوله وقال لقد خليت بيننا وبين الانتفاع به . ومنهم المسحى[٢] احد شعراء الشام وهو القائل في السلطان الملك المظفر رحمهُ الله تعالى .

لكم كيمياء الملك صحّت وغيركم

يعالج في تحصيلها الماءَ والملحا

وتصبـح اقـلام الوقائـع في الوغى

سراعـاً على اعدائـكم تكتب الفتحا

(١) كذا في الاصل من عير نقط .

(٢) في العسجد ومن شعر الخليفة شاعر من اهل الشام .

الباب الرابع

في ذكر قيام الدولة الاشرفية الصغرى

قال المصنف رحمه الله : لما توفي السلطان الملك المظفر رحمه الله تعالى كما ذكرنا في تاريخه المذكور قام بامر الملك بعده ولده الملك الاشرف ممهد الدين عمر بن يوسف بن عمر بن علي بن رسول فاستولى على الحصون والمدن وسائر المخاليف والبلاد كلها . وكان ملكاً سعيداً عاقلاً فاضلاً اديباً لبيباً حسن السيرة وادعاً . وكان قد اشتغل بطلب العلم في ايام امارته حتى برع في عدة من الفنون وشارك فيا سواها وصنف مصنفات كثيرة وكان محبوباً عند الناس على اختلاف حالاتهم وتباين طبقاتهم . ولما علم اخوه الملك المؤيد بموت والده وكان في الشحر يومئذٍ كما ذكرنا خرج من الشحر يريد اليمن طالباً للملك . قال ابن عبد المجيد فلما قرب من اليمن وصل اليه كتاب من اخيه الملك المنصور يحذره وعرض عليه حصن السَّمَدَانِ وكان يومئذ في يده فشكر له هذا الصنيع وكان متردداً بين الاقدام والاحجام ، فبينا هو كذلك اذ وصله كتاب القاضي موفق الدين علي بن يحيى[1] اليحيوي يقول فيه قدشاع الخبر انك واصل الى اليمن وسمعت من محقق ان اخاك السلطان الملك الاشرف قد ارسل نفرين من الفداوية اليك فالحزم الحزم واحترز في نفسك . فلما جاءه كتاب القاضي موفق الدين بما ذكرناه اشتد عليه الامر وسار مجدّاً . فلما وصل ابين وكان فيها عسكر من جهة الملك الاشرف هرب المقدم الى اليمن في طائفة من العسكر ومالت طائفة اخرى الى الملك المؤيد فجهز اثقاله وحريمه الى حصن السمدان وجهز معه اخوه فتوجه الى عدن وتأملها فرأى في بعض نواحيها درباً ضعيفاً متشعثاً فطلب صياداً من الصيادين الذين يصطادون حول الجبل وسأله عن الجبل وعن طرقه وهل

هو سهل أو ممتنع وهل فيه طريق يفضي الى باب عدن أم لا . ففكر الصياد ان فيه طريقاً يصل الانسان منها الى باب البلد فقال له تقدر ان تأخذ معك عسكراً وتسير بهم الى الموضع الذي ذكرت قال نعم . فكتم السلطان امره واستوقفهُ عنده . فلما كان بعد صلاة المغرب ارسل معهُ من اجواد الرجال ثلاثمئة رجل واوصاهم ان لا يظهروا حتى يروا السلطان باقرب منهم فساروا صحبة الصياد . ولما أصبح الملك المؤيد جمع عسكره وتوجه نحو الباب . وكان الوالي قد جمع عسكراً من داخل البلد لحفظ الباب . فلما قرب منهم الملك المؤيد وتأهبوا لقتاله ثار عليهم اولئك الرجال وصاحوا من رأس الجبل ونزلوا الى الباب فملكوهُ وهرب الوالي وعسكره الى داخل المدينة وصاحوا الامان الامان فاذم عليهم السلطان واستدعاهم الى عنده فخرج اليه الوالي والناظر واعيان البلد وصدور التجار رغبة ورهبة فاستولى على عدن ولم ينلها من ارباب الطمع أحد ورجع الى الأحسية وهو في اشد ما يكون من الفرح وجعل يتمثل بقول الشاعر :

اذا لم يكن الا الأسنة مركباً   فلا رأي للمضطر الا ركوبها

ثم تقدم السلطان الى لحج وأبين فاستولى عليهما وامتلأ اليمن هيبة منه وقلوب الناس محبة له . فلما سمع السلطان الملك الاشرف ما كان منه في عدن ولحج وأبين وان الناس مالوا اليه كما يميل الحديد الى المغناطيس جهز ولده الناصر في ثلاثمئة فارس فساروا الى الراحة ووقف فيها . ووصل الشريف جمال الدين علي بن عبدالله من البلاد العليا فجهزه السلطان الملك الاشرف في خيل والحقه بولده الناصر . ثم طلب الجيوش من صنعاءَ وغيرها وجهز ولدي الامير شمس الدين ازدمر نجم الدين وبدر الدين . فكثرت الجموع وتألبت الخيل من كل ناحية . ولم يكن يومئذ مع الملك المؤيد الا عسكره الذي وصل بهِ من الشحر وجماعة من الجحافل مقدمهم عمر بن سهيل .

وفي هذه السنة توفي الفقيه الفاضل ابو محمد عبدالله بن عبيد بن ابي بكر بن عبدالله البلعاني وكان فقيهاً فاضلاً ولد في شهر ربيع الاول من سنة احدى **وستمئة** . وتفقه بعلي بن قاسم الحكمي صاحب زبيد وعمر بن مفلح فقيه أبين **وبأحد** الوزيرين ودرس في مغربة تعز في النجاحية . وعنهُ أخذ جماعة من اهل تعز وغيرها . واثنى عليه الفقيه عفيف الدين عثمان الشرعبي في تعليقته . وكانت وفاته نهار الخميس الرابع عشر من شعبان من السنة المذكورة رحمه الله تعالى .

وفيها توفي الفقيه الصالح عبيد بن احمد بن مسعود بن عبدالله بن مسعود بن عليان الترخمي وكان فقيهاً عارفاً . ولد يوم الثاني من شهر ربيع الآخر من سنة اثنتي عشرة وستمئة وتفقه بالفقيهابى بكر بن ناصر وبعلي بن الحسين الاصبحي وبمحمد بن يحى بن اسحاق وابن اخيه يحيى بن ابي بكر بن اسحاق وغيرهم .

ويروى عنه رحمه الله انه قال رأيت ليلة اني سائر في طريق فوردت على ثلاث طرق يمناهن متسعة ويسراهن ضيقة والتي بينهما بين بينٍ فتحيرت ايهن اسلك ثم قوي عزمي على سلوك الوسطى فلما صرت فيها لقيني رجل فقال اتدري ما الطريق قلت لا . قال اما الكبيرة فطريق ابن حنبل والوسطى طريق الشافعي والثالثة طريق مالك . ثم ارتحل الى زبيد فاخذ بها الفرائض عن سعد بن معاوية والتنبيه عن الفقيه علي بن قاسم فقيه زبيد وسمع البيان عن عبدالله بن يحيى . ولما حج اخذ في مكة عن ابن النعمان التبريزي وتفقه به جماعة من بلده . وكانت وفاته فجأة ليلة الاثنين لثمان بقين من صفر من السنة المذكورة رحمه الله تعالى .

وفيها توفي الفقيه الصالح سبأ بن عمر الدمتي . وكان فقيهاً صالحاً خيراً قرأ القرآن للسبعة القراء حتى اتقن . وكانت قراءته على رجل من **صهبان** واخذ كتب الحديث عن عبدالله بن اسعد الحديقي وتفقه . ثم قدم عدن فترتب في مسجد السوق صاحب المنارة . وكان يقرأ فيه القرآن والحديث وعنهُ اخذ ابو العباس احمد بن علي بن احمد الحرازي كتاب البخاري ومسلم وامتحن في آخر عمره بكفاف بصره . وكانت وفاته في شهر رمضان من السنة المذكورة رحمه الله تعالى .

وفي هذه السنة توفي المقريءالفاضل ابو محمد عبد الرحمن بن القاضي عبدالله ابن اسعد بن الفقيه محمد بن موسى العمراني . وكان مقرئاً مجيداً فاضلاً عارفاً بالقراءات مشهوراً بها محققاً لها . وله في اللغة معرفة حسنة . توفي في سلخ شهر رمضان من السنة المذكورة رحمه الله تعالى .

وفيها توفي الفقيه الصالح الفاضل ابو حامد محمد بن ابي بكر بن احمد بن دروب صاحب ريمة الاشابط وكان فقيهاً بارعاً صوفيّاً تفقه بالجحيفي وكانت وفاته في السنة المذكورة رحمه الله تعالى .

وفيها توفي الفقيه الصالح ابو عبدالله محمد بن اسعد بن علي بن فضل الصعبي المعروف بالجعميم بكسر الجيم وسكون العين المهملة وبعدها ميم مكسورة وياءٌ وميم . وكان فقيهاً صالحاً تقيّاً مبارك التدريس موفقاً في الفتوى تفقه بابي العباس احمد بن عبيد بن يحيى مقدم الذكر ودرس بعده وسألهُ جماعة من فقهاء سهفنة ان يسمعهم تفسير النقاش فتهيأ لذلك فقال له بعض اولاد القاضي اسعد بن مسلم احب يا فقيه ان تجعل ذلك عندي في داري يريد ان تقوم بكفاية الجميع من الجماعة فاجابهُ الى ذلك . وسار من سهفنة الى دار يزيد فاجتمع اليه خلق كثير . قال الفقيه صالح كنت القارىء لغالب الكتّاب والجماعة يسمعون . قال وكان الفقيه قد ينعس في اثناء القراءة فتغلب على الظن انهُ لا يسمع فاردت ان اكاسر عن القراءَة اذا بي أرى النبي صلى الله عليه وسلم قاعداً مع الفقيه وهو يقول لي اقرأ يا صالح فُقرأت ولم اسكت بعد ذلك . ثم رأيت الفقيه قد فتح عينيه عقيب ذلك وتبسم اليَّ خاصة . فلم ادر ما تحت تبسمه من معنى . وكانت وفاتهُ في شهر ذي الحجة من السنة المذكورة رحمهُ الله تعالى .

وفي سنة خمس وتسعين وستمئة سارت العساكر الاشرفية من الراحة الى الجؤة الى كثيب القشيب . وسار اليهم المؤيد بين ولديه الظافر والمظفر كما قال الشاعر :

تراهُ من نفسهِ في جحفل لجب

فلما اصطدم الناس هزمهم حتى اعقلهم بالكثيب فنزل الشريف علي بن

عبدالله ووجوه العسكر فملكوا بعض العرصة . واصطدموا صدمة أُخرى فاهتزمت الجحافل وولوا الادبار وهم معظم عسكره فرجع الى الدرب على حامية وقد نهبت خزانته وآلتهُ واحاطت العساكر بالدرب من كل ناحية فدخل عليه ابن اخيه محمد الناصر ووقف معهُ مليّاً ثم خرجوا جميعاً الى خيمة قد ضربت فلم يزالوا بهِ حتى تقيد هو وولداه واقاموا بقية يومهم هنالك . واصبحوا سائرين الى الجوْة . وكان السلطان الملك الاشرف واقفاً بها منتظراً لما يحدث من اخبارهم فلما اتاهُ العلم بتقييدهم بكى بكاءً شديداً وامر باكرامهم وارسل بهم الى حصن تعز فوصلوا يوم الاحد التاسع عشر من المحرم من السنة المذكورة فاسكنوا دار الادب . وامر السلطان الملك الاشرف لهم بترتيب الاطعمة والاشربة وجعل عليهم خادماً اسمهُ كافور البتولي . وكان إذ ذاك مقدماً على المماليك فكان فيما يقال عنهُ يكسر الخبز اذا دخل عليهم وربما يفتش الزبادي . ولما صار في السجن كما ذكرنا كتب اليه الفقيه ابو بكر بن محمد بن عمر اليحيوي كتاباً يقول فيه :

(بسم الله الرحمن الرحيم . والضحى والليل اذا سجى . ما ودعك ربك وما قلى . وللآخرةُ خيرٌ لك من الأُولى . ولسوف يعطيك ربك فترضى) . وهنأ الملك الاشرف جماعة من الشعراء بمسك اخيهِ وحبسه . ولقد احسن القاضي تاج الدين موسى بن الحسين بن علي بن ابي بكر بن محمد بن الحسين حيث يقول :

ولولا ان ضدك منك قلنا ... مقالاً منهُ تنفلق الصخور
ولكنا نرجي السخط منكم ... يعود رضى وتنجبر الامورُ

ولما اراد الشريف علي بن عبدالله الطلوع الى بلاده كساه السلطان الملك الاشرف وانعم عليه واعطاه العظيمة والميقاع . ولما سجن الملك المؤيد وصلت عمته الدار الشمسي الى تربة اخيها الخليفة فاقامت فيها اياماً ثم توجهت فانتقلت الى دار مولانا الملك المؤيد بالميهال فسكنت فيهِ الى ان توفيت بهِ في غرة شهر رجب من السنة المذكورة . فلما بلغ علم موتها الى الامام المطهر ابن يحيى قال ماتت بلقيس الصغرى .

وفي هذه السنة في شهر جمادى الاولى وقع في اليمن مطر عمّه وجاءَ كتاب الى الامام مطهر بن يحيى من والي راحة بني شريف يخبرهُ بهذا المطر وانه كان فيه برد عظيم قتل عدة كثيرة من الاغنام . ونزلت يومئذ بردة عظيمة كالجبل الصغير لها شناخيب تزيد كل واحدة منها على ذراع . فوقعت في مفازة بين بلد سنحان والراحة فغاب في الارض اكثرها وبقي بعضها ظاهراً على وجه الارض . فكان يدور حولها عشرون رجلاً لا يرى بعضهم بعضاً . ووقعت أُخرى مما يلي بلد خولان حاول قلبها اربعون رجلاً فما امكنهم . وهذا من عجيب ملكوت السموات والارض فسبحان من ابدع ذلك قدرته واخترعته حكمته .

وفي شهر جمادى المذكور من السنة المذكورة طلع السلطان الملك الاشرف الى محروسة الدملوة . وكان طلوعه يوم الرابع من الشهر ثم نزل الى زبيد فدخلها في شهر جمادى الأُخرى من السنة المذكورة . وكان دخوله من باب القُرتُب والفقهاءُ بين يديه يحملون المصاحف والمقدمات وكان يوماً مشهوداً .

قال علي بن الحسن الخزرجي واخبرني من أثق به من حفّاظ الاخبار قال سبت السلطان الملك الاشرف من زبيد الى النخل في ايام سلطنته سبتاً فسار معهُ الى النخل **ثلاثمئة** محمل في كل محمل سرِّية . واقام في زبيد الى شهر شعبان ثم طلع تعزّ في رمضان .

وفي شهر ذي الحجة من السنة المذكورة وثب الى ذمار على حصنْ مثوة واستقرّ فيهِ بعسكره . وكان من المماليك المظفرية مملوك يقال له الفارس[1] فالتَّفّتْ عليهِ قبائل مذحج وطلعوا عليهِ ليلاً من كل مكان يعرفونهُ فحصروه بعض يوم ثم دخلوا عليهِ فقتلوه وقتلوا من اصحابهِ سبعين رجلاً .

وفي هذه السنة توفي الصاحب القاضي بهاء الدين محمد بن اسعد بن محمد بن موسى العمراني وكان اوحد رجال عصره . وُلد سنة ثماني عشرة **وستمئة** وتفقه بحسن بن راشد وحصلت بينهُ وبين الخليفة الملك المظفر صحبة اكيدة ولم تزل

---

(١) كذا في العسجد **والعبارة** فيها قلق .

الصحبة تتأكد حتى آلت الى الوزارة مع قضاء الاقضية . وكان شاعراً فصيحاً بليغاً مترسلاً له اشعار رائقة وترسُّل جيد . واخبرني من رأى ترسله في مجلد ضخم جامعاً لخصال الكمال حائزاً لخلال الجلال الا ان خطه كان ضعيفاً . واخبرني الفقيه محمد ابن ابراهيم الصنعاني قال اخبرنا شيخنا الفقيه العلامة نفيس الدين سليمان بن ابراهيم العلوي قال حدثني جدي القاضي شرف الدين ابو القاسم بن عبد الرحمن الاشرفي انه قال وجد ورقة مكتوبة بخط القاضي بهاء الدين فاستضعف خطه جداً . ثم ارسل بها الى السلطان الملك المجاهد رحمه الله يعجبّه من ذلك فاجاب رحمه الله نعم سيد الوزراء لسيد الملوك، **هذا لفظه بعينه.** وكان ايضاً خطيباً مصقعاً لبيباً ذا دهاءٍ وسياسة وله حسن نظر في تدبير المملكة . وكان يحترم الفقهاء ويجلهم وهو اول من جمع له الوزارة والقضاء باليمن في الدولة المظفرية . وبعده القاضي موفق الدين علي بن محمد اليحيوي في الدولة المؤيدية . ثم القاضي موفق الدين عبدالله بن علي ابن محمد اليحيوي في الدولة المجاهدية ثم القاضي وجيه الدين عبد الرحمن بن علي بن عباس في الدولة الاشرفية . وهؤلاء جملة من جمع له القضاء والوزارة الى هذا التاريخ وهو سنة اثنين **وثمانمئة** . ولم يزل القاضي بهاء الدين في وظيفتي الوزارة وقضاء الاقضية كما ذكرنا الى اثناء سنة اربع وتسعين **وستمئة** . فلما كان في شهر جمادى الاخرى من السنة المذكورة . واقام السلطان المظفر رحمه الله ولده الملك الاشرف في الملك والمملكة وقلده امور البلاد والعباد . اشار القاضي بهاء الدين على السلطان الملك المظفر ان يكون اخوه القاضي حسام الدين حسان وزيراً للاشرف . فامر الخليفة بذلك وبقي القاضي بهاء الدين على قضاء الاقضية واخوه حسان يراجعه بما يرد عليه من امر التهائم الى ان توفي القاضي بهاء الدين في النصف من شهر ربيع الاول من السنة المذكورة سنة خمس وتسعين **وستمئة** رحمه الله .

وفي هذه السنة توفيت الدار الشمسي وهي ابنة السلطان الملك المنصور نور الدين عمر بن علي بن رسول . وكانت امرأة عاقلة عفيفة حازمة لبيبة . وكانت تحب اخاها المظفر حباً شديداً وبحسّن سياستها وتدبيرها حتى اتصل بالملك إذ كانت

يومئذ بزبيد حين توفي والدها . فشمرت وبذلت الاموال للرجال **وحفظت** المدينة حتى وصل اخوها من المهجم . وكانت المهجم يومئذ **اقطاعة** من ابيه . فلما وصل اخوها من المهجم الى زبيد ملّكها فهي اول **مدينة ظهرت فيها ملكة** . ثم كانت هي السبب في اخذ الدملؤة وقد تقدم ذكر ذلك . ولذلك كان يبرها ولا يخالف لها رأياً .
وكانت ذات صدقة ومعروف ومآثرها كثيرة منها المدرسة المعروفة بالشمسية بذي عدينة من مدينة تعز لها وقف جيد على إمام ومؤذن وقيم ومدرس وطلبة ومعلم وايتام يتعلمون القرآن وابتنت مدرسة في زبيد معروفة بالشمسية ايضاً في جنوبي سوق المعاصر وأوقفت عليها ايضاً وقفاً جيداً يقوم بكفاية المرتبين فيها . وهي التي تولت كفاية المؤيد ابن اخيها . وكانت تحبه حبّاً شديداً . وسافرت معهُ الى الشحر فتوفي اخوها السلطان الملك المظفر وهي هنالك فرجعت هي والمؤيد فلما اعتقل المؤيد كما ذكرنا صارت الى تعز فنزلت في مدرسة اخيها المظفر واقامت فيها اياماً فمرضت فاشتد بها المرض فانتقلت الى دار المؤيد ابن اخيها فلم تزل به حتى توفيت في شهر رجب من السنة المذكورة رحمها الله تعالى .

وفيها توفي الفقيه الفاضل يوسف بن احمد بن الفقيه حسين العديني وكان فقيهاً فاضلاً عارفاً بالفقه والفرائض وهو ممن ارتحل الى تهامة فقرأ فيها الخلاصة على الفقيه عمر بن عاصم بزبيد . وزار الامام العلامة احمد بن موسى بن عجيل . وكانت وفاتهُ في قرية الذنتين[1] لاربع بقين من شهر ربيع الآخر من السنة المذكورة رحمه الله .

وفيها توفي الفقيه ابو العباس احمد بن علي السرددي . وكان فقيهاً مجوداً وغلب عليهِ فن الحديث . وأدرك الشيوخ الأكابر من تهامة والجبال والواردين اليهما من غيرهما . من تهامة محمد بن ابراهيم الفشلي واسمعيل بن محمد الحضرمي وعمر السباعي . ومن الجبال محمد بن مصباح وغيرهُ .

وأما القادمون فجماعة منهم العماد الاسكندري والقطب العسقلاني وابن

---

(١) كذا في الأصل.

حشيش واسحاق الطبري . وعنهُ اخذ غالب فقهاء تعز كتب المسموعات كالبخاري ومسلم ، وغالب كتب الحديث . وكانت كتبه محققة مضبوطة عند الفقهاء المحققين . وكانت وفاتهُ في السنة المذكورة رحمهُ الله تعالى .

وفيها توفي الفقيه الصالح الامام ابو محمد عبدالله بن عمر بن سالم الفائشي . وكان مولده سنة تسع وخمسين وستمئة تقريباً . قالهُ الجندي وكان فقيهاً فاضلاً مقرئاً نحوياً له معرفة جيدة في الفقه والقراءات والنحو ولهُ مصنّف جيد نحا فيه نحو البابشاذية سماه اللوامع . ولهُ يدٌ في الاصول واللغة والحديث . وسافر الى أبين فاخذ بها عن محمد بن ابراهيم وعن ابن الرسول . ثم سافر الى تهامة فاخذ بها عن الفقيه احمد بن موسى بن عجيل .

قال الجندي ثم قدم علينا الجند فاخذ عنه اربعين الامام ابن بطال بروايتها لها عن التهامي عن ابن ابطال مصنفها . قال وكان أوجه أهل البلد ديناً وعلماً . فلما مرض واشتد بهِ المرض دخل عليه جماعة من الفقهاء يزورونهُ فدعوا لهُ فجعل يوصيهم بتقوى الله وكلما دعوا لهُ بالعافية أعرض عن ذلك . فقالوا لهُ انا نجدك في عافية وكلامك كلام من قد آيس من العافية وأيقن بالموت فقال اني رأيت البارحة ان سقف بيتي هذا كشف حتى رأيت السماء ونوديت منها اقدم يا فقيه من باب الترحيب ونوديت باسمي واسم أبي أقدم مرحباً بك فعلمت أن اجلي قد دنا . فتوفي وهو على تدريس النجيمة يوم الاربعاء لإحدى عشرة ليلة خلت من شعبان من السنة المذكورة رحمهُ الله تعالى .

وفيها توفي الفقيه الفاضل ابو عبدالله بن عمران الخولاني . وكان فقيهاً مقرئاً محدّثاً . ولد سنة إحدى وستمئة . وقرأ القرآن بجَبَا والفقه والحديث على عشرين شيخاً . اكثرهم أخذاً عنهُ حسن بن راشد وأبو بكر بن ناصر . وكان الغالب عليهِ المسموعات والاجازات . وحج ثلاث سنين ودرّس في مصنعة سيروفي الجند . وكان مسكنهُ في الجهة عزلة تُعرف بريد براءٍ مكسورة وياءٍ مثناة من تحتها وآخر الاسم دال مهملة . وكان فقيهاً سخيّاً عالي الهمة . توفي في العزلة المذكورة ليلة الاثنين

لسبع خلون من شهر رمضان من السنة المذكورة رحمهُ اللهُ تعالى .

وفيها توفي الفقيه الصالح ابو اسحاق ابراهيم بن محمد بن سعيد بن علي بن ابراهيم بن اسعد الهمداني يجتمع مع الفقيه عمر بن سعيد العقيبي في اسعد بن احمد . وكانت له قراءات وسماعات واجازات واشتغل عن العبادة وكان مشتغلاً بالفقه والدين من الصلاة والصيام والزكاة والحج . وارتحل الى تهامة فأخذ بها عن الفقيه اسماعيل بن محمد الحضرمي .

قال الجندي وعليه قرأت الاربعين الطائية كثير الخشوع سريع الدمعة . ومتى سئل الدعاءَ مد كفيهِ ودعا وهو يبكي واستولى رئاسة الموضع بعد ابن عمه عبد الرحمن المذكور اولاً . ولم يزل على حالٍ مرضي الى ان توفي يوم الجمعة الثالث عشر من شهر ربيع الآخر من السنة المذكورة رحمه الله . ولما بلغ خبر وفاته إلى الفقيه الامام ابي الحسن علي بن احمد الاصبحي طلع إلى ذي عُقَيْب وحضر دفنه وأقام هنالك يوماً أو يومين بسبب القراءة على تربته ثلاثة ايام . فبلغهُ خبر وفاة القاضي بهاء الدين الوزير محمد بن اسعد العمراني المذكور اولاً فسافر من هنالك الى المصنعة يعزي . وقرأ بعض أيام القراءة ثم عاد الى بلده رحمهُ الله تعالى .

وفيها توفي الفقيه الفاضل ابو عبدالله محمد بن عبدالله بن أسعد بن محمد بن موسى العمراني . وكان فقيهاً فاضلاً درس مدة في جامع المصنعة قال الجندي وعنهُ أخذت بعض كافي الصردفي والمهذب وبعض مصنفه في الرقائق وهو كتاب سماهُ : « جامع اسباب الخيرات ، ومثير عزم اهل الكسل والفترات » . وهو من احسن كتب المتعبدين . ولهُ مختصر سماهُ « البضاعة ، في فضل صلاة الجماعة » . قال وهو من المختصرات البديعة في ذلك . والتبصرة في علم الكلام . وشرح التنبيه شرحاً شافياً لائقاً اجمع الفقهاء على سماعه بعد فراغه من جميع فقهاء الجبال . وكان فيهم عدة من اكابر العصر قال وسمعت عليهِ بعضه وقرأت عليهِ جميع مصنفه الذي سماه البضاعة وإيضاح الاصبحي . وكانت وفاتهُ في شهر شوال من السنة المذكورة رحمه الله تعالى .

وفي سنة ست وتسعين توفي السلطان الملك الاشرف ممهد الدين عمر بن يوسف بن عمر بن علي بن رسول . وكانت وفاته ليلة الثلاثاء لسبع بقين من المحرم اول شهور السنة المذكورة . وكان ولده الناصر يومئذٍ في القحمة والعادل في صنعاء لامر اراده الله تعالى فاتفقت آراءُ الخدم الخاصة والعامة والستور الكريمة على ابراز بدر الجود . واصباح شمس الوجود . وأن يزأر الليث في غابه . وان يستقر الحق في نصابه . وان يسوس الدولة نعمانها . وان يتسلم الحكمة لقمانها . فلما كان السحر من تلك الليلة تقدمت الاكابر من الخدام الى مولانا السلطان الملك المؤيد وهو في مجلسه فاخبروه بانتقال أخيه الملك الاشرف الى رحمة الله تعالى فناله من الاسف ما ناله لفقد اخيه وداخل المسلمين من السرور ما كاد يذهب بنفوسهم . ومن فرح النفس ما يقتل . ولما خرج من سجنه طلب من والي الحصن سيفاً يكون في يده فاتى بثلاثة سيوف له ولولديه وسار حتى وقف على رأس اخيه وبكى بكاءً شديداً وتأسف عليه تأسفاً عظيماً ثم خرج من عنده وقد امر بتجهيزه فعقد في تخت الملك الى ان طلع الفجر فلما لاح ضوءُ الفجر امر نوابة الحصن ان يصيحوا بالترحم على الملك الاشرف وبالصباح السعيد على الملك المؤيد فسبحان من لا يزول ملكه . ولا يبيد سلطانه .

وكان الملك الاشرف ملكاً سعيداً صالحاً براً باخوتهِ وقرابته محبّاً لهم . وكان رؤوفاً بالرعية عطوفاً عليهم وحصل في مدته في اليمن جراد عظيم استولى على الزرع والثمار فاشتكت الرعية اليه فامر بمسامحتهم فتوقف الوزير عليهم وهو القاضي حسام الدين بن حسان بن اسعد العمراني ولم يمض المسامحة لهم كما امرالسلطان فاشتكوه الى السلطان ثانية فكتب اليه يا فلان اقتصر عنهم ولا تفرقهم علينا فانه يصعب علينا جمعهم .

ومن مناقبه رحمه الله تعالى ان رعية النخل بوادي زبيد كانوا قد تلفوا من الجور الشديد وغفلات الملوك عليهم فبلغ بهم الامر ان من كان له نخل لا يزوجه احد وأي امرأة كان لها نخل لا يتزوجها احد الا مغرور . وكان الرجل الذي ليس له نخل اذا تزوج امرأةً لا نخل لها يقال عند عقد النكاح بينهما ومن سعادتهما انه لا نخل لاحد

منهما . فلما ولي الملك الاشرف امر مَنْ افتقد النخل فازال عن اهله ما نزل بهم من الظلم . فهو اول من سن العديد بالفقهاء العدول وتبعه على ذلك الملوك بعده رحمهم الله اجمعين . وكان له من الولد محمد الناصر وابو بكر العادل . ووزيره القاضي بهاء الدين وزير والده فلما توفي القاضي بهاء الدين استوزر اخاه القاضي حسام الدين واستعفى القاضي بهاء الدين عن الوزارة وبقي على قضاء الاقضية وانما كان اخوه حسان يستشيره فيما يتعاظمه من الامر والله اعلم .

الباب الخامس

في ذكر اخبار الدولة المؤيدية وما كان فيها

قال علماءُ السير والاخبار لما توفي السلطان الملك الاشرف ممهد الدين عمر بن يوسف بن عمر بن علي بن رسول رحمة الله عليه واعلن الصائح بالترحّم عليه وبالصباح السعيد على السلطان الملك المؤيد كما ذكرنا،ارتجّت المدينة وانزعج الناس وماج بعضهم في بعض فامر السلطان بفتح ابواب الحصن فكان اول من طلع اليه من الناس الوزير القاضي حسام الدين حسان بن اسعد بن محمد بن موسى العمراني وزير اخيه المرحوم فاجتمع به وحلف لهُ الايمان المغلظة واستحلف له الجند والامراء واعيان الدولة فلم يختلف عليه منهم اثنان ولم يمتنع عليه سهل ولا جبل ولا بلد ولا حضر . وجرت اموره كلها على السداد والوفاق .

وكتب تاج الدين الموصلي في ذلك اليوم بمكاتيب الى بلاد التهائم باجمعها والى الجبال باجمعها والى جهة صنعاءَ والاشراف فدخل الناس في الطاعة افواجاً افواجاً وأمر بتجهيز اخيه وتنفيذ وصيته فخرجوا به من الحصن في صبيحة الليلة التي توفي فيها وامامه الظافر والمظفر يمشيان واعيان الدولة جميعاً حتى دخلوا به مدرسته التي انشأها في مغرُبة تعز فدفن بها واقام القراء عليه سبعة ايام كما جرت عادة الملوك .

وهنأه جماعة من الشعراء منهم الاديب سابق الدين يوسف بن محمد العنسي بقصيدة بديعة الاستهلال بارزة في قالب الكمال وهي :

القوس موترة في كف باريها ... فليعلم الناس قاصيها ودانيها
وليلبس الكل منهم درع مسكنة ... كي يصبحوا في امان من مراميها

وكل نعمــة قوم من ندا ملكٍ البغــى سالبهــا والــذل كاسيهـا
يهنــى المؤيد بل تهنــى خلافتُه انــي أُهنيه منهــا ما أُهنيها
خليفــة الله من بعــد الخليفــة يا ملك الملــوك جميعــاً لا احاشيها
ان الخلافــة ما قرت ولا هدأت حتى رمت نفسها في كف حاميها
اضحــت محجلــة الايام مذ وقعت في كف داوودهــا غراً لياليها

وفيها يقول :

ان الــرعية في أمــنٍ وفي دعة وفي بُلَـهْنِيَةٍ إذ انــت راعيها
وكم يد لهزبــر الــدين قد حملــت لغــير طالبهــا منهــا وراجيها
أمْـلاك غســان ما انفكت دعائمها لما اتــت من معــاليه معاليها
إنــا نرى الملك في عرسٍ لوالده سقــاه وَبْــلُ اياديه وهاميهـا

وهنأه العفيف عبدالله بن جعفر بقصيدة اولها :

املك داود ام ملك ابــن داود ما ان اقيس بكنعــان ونمرود
افي الــرواق هزبــر تحــت غابته ام الهزبــر هزبــر البــأس والجود
بين السماء وبــين الارض مزدحم من القنــا والظبــا والشزّب القود
ومــن ذوائــب رايات اذا رفعت حسبتهــا طاردات بعــد مطرود
تدافــع الــريح ان يجتــاز ساحتها طوراً وتكمــل طوراً في الاماليد
كأنّ امــواج بحــر الهنــد من زرد تفيض ما بــين موضــون ومسرود
لله من طود ملك في السماء سما وظــل أمْــنٍ على الآفــاق ممدود
ورثــت دولــة غســان كما ورثت اباؤك الغلـب من اجـدادك الصيد
نامت جفــون البـرايا في حمــاك وفي اجفــان سيفــك عنهــا أي تسهيد
فالارض مشرقــة والسحــب مغدقة والنبــت ما بــين مخضــود ومنضود
ولي مواعــد من نعماك صادقة ومنــك نعــرف انجــاز المواعيد
كم انعــمٍ لك ايام الخليفــة لي قد كان اول مسقــيٍّ بهــا عودي

ولما علم الملك الناصر جلال الدين محمد بن الملك الاشرف بوفاة ابيه واستيلاء

عمه على الملك والسلطنة وكان في اقطاعه القحمة بادر الى باب عمه ممتثلاً امره فلما وصل الى عمه اقبل عليه واحله من العز محلة عظيمةً . ثم وصل اخوه الملك العادل صلاح الدين ابو بكر بن الملك الاشرف من صنعاء وكانت اقطاعه فعاملهُ معاملة ترضيه من الكرامة والانصاف وعرض عليهما الاستمرار على اقطاعهما فاستعفيا عن الآمرية وقالا لا نحب خدمة بعد الوالد . وكان الواسطة بينهما وبين السلطان الفقيه ابو بكر بن محمد بن عمر اليحيوي واخذ لهما من السلطان عهداً وثيقاً انهُ لا يغير عليهما ولا على احدهما واخذ عليهما ان لا ينازعاه ولا ينازعه احد منهما . وكان بين السلطان الملك المؤيد وبين الفقيه ابي بكر اليحيوي المذكور صحبة اكيدة ومحبة شديدة . وكان السلطان رحمه الله يعتمد رأي الفقيه ابي بكر في جميع ما يشير به عليه . وكان الفقيه ابو بكر اوحد اهل عصره وعلماء زمانه . فلما حصل ما ذكرنا من قصة الدعيس وسجن السلطان الملك المؤيد في حصن تعز اغتم الفقيه ابو بكر على ما ناله غماً شديداً . واتصل العلم بالملك الاشرف ان الفقيه ابا بكر قصد المخالفة واثارة الفتنة فاستوحش منه الملك الاشرف . وعلم الفقيه بالمكيدة فكتب الى السلطان قصيدة يقول فيها :

تبغون قتلي ومالي فيكم غرضٌ … غير النجاة على مجموع احوالي
وتزعمون بان الجن طوع يدي … هل يقهر الجن الا بالملا العالي
مهلاً فهذي عصا موسى وحربته … وتاج منظر معها تاج عطكال
وذي الهياكل والاجراس اجمعها … وذي البشور وذا المزراق يا عال
وذي الحراب اولي الامىلاك كلهم … ما ينثني حدها عن هتك اجيال
ظننت أنى دعوت الله ذا غضب … عليك بالهلك يا حاشا لامثالي
ما كنت ادعو على شيءٍ بلا ادب … وقد تمسكت من طه باذيال
وخاتم الرسل لم يدعو على نفرٍ … آذوهُ جهلاً فلم يعبأ بجهّال
وفارق الدار والاهلين مرتحلاً … الى المدينة حسب الامر لا قال
وقام من بعده الصدّيق محتسباً … حتى قضى نحبه في سمّ مغتال

ابــو حســين قضى وابنــاه نحبهما ... سماً وقتــلاً بــاسيافٍ لضــلاَّل

كذا ابـن ادهــم لم يدعـو وقــد عبثوا ... وصــبٌ بالــرأس منـه بول بوال

وشبهــوا لحية منــهُ وقــد كرمت ... على المهيمــن علجــاً غـير ذي بال

فلــم احــول ولا حالــوا ولا عجلوا ... ما ثمَّ امــر بدا يقضى باعجال

من ذاك منهــم ترى لم يدر كيف اتى ... بعــرش بلقيس داعــي الله في حال

وكلما ترتضـوا منــي وتنتقـموا ... ما القــول قولي ولا الافعــال افعالي

فاحكم بما شئت ان صبراً وان عجلاً ... فالامــر اقــرب من فعــل على بال

هل يحــرق السجــن من مولاده ادّبه ... الا اخــو الجهــل بالآتــي وبالحال

فليس شهــران ممــا يقتضي عجلاً ... ان كنـت تسمـع فانظــر صدق اقوالي

عشرون شهــراً توالى لا تجاوزها ... وليس آخرهــا يقضي بـإكمـال

ويدخــل الــدار من لا يرتضيه لها ... فصائــح منــكمُ يدعـو باعـوال

لم تنــكروا النص والتنــزيل ويحكمُ ... ووعــد ربــي ما هــذا باجمـال

فاسمــع لما قلتــهُ وارقبــه مصطبراً ... ولا تعــرج على قيلٍ ولا قال

وخـــذهُ بالجــد لا هزلاً ولا كذباً ... فليس ذا القــول من اقــوال هزّال

وهذه الابيات من وقف عليهـا علـم بمكان الشيخ العـارف من علـم المعارف وفي ذلك كفاية لمن تأمل والله اعلم .

ثم توجه الفقيه بعد انشـاء هذه القصيدة الى ناحية وصـار هاربـاً من الملك الاشرف فأقام هنالك الى أن توفي الملك الاشرف في التـاريخ المذكور فلما استـولى السلطان الملك المؤيد على الملك والمملكة رجع الفقيه الى مدينته واجتمع بالسلطان وفرح به فرحاً شديداً . واستوزر اخاه الصاحب موفق الدين علي بن محمد بن عمر ابن اليحيوي المعروف بالصاحب وكانت وزارته في شهر جمـادى الاولى من السنـة المذكورة وصنع له ما يصنع للوزراء من رفع الدواة وعقد الطيلسان وفوّض اليه قضاء الاقضية وكان ثابتاً في اموره كلها لم يكن معهُ من الطيش والعجلة شيء ونفذ امرهُ في البلاد وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر وعاضـده السلطـان على ذلك وتقـدم عنـد

السلطان تقدماً كلياً لم يسمع بمثله وانطلق عليه اسم الصاحب انطلاقاً كلياً في اقطار اليمن حتى صار علماً في حقه كالصاحب بن عباد في العراق فجمع اولاده واخوته لا يكادون يعرفون حتى يتعرفوا بهِ اما بنبوة او اخوة .

ولما استوزره السلطان كما ذكرنا في تاريخه المذكور برز أمر السلطان على القاضي حسام الدين حسان بن اسعد العمراني ان يسكن هو واخوته سهفنة على الاعزاز والاكرام ولم يغير عليهم حال من الاحوال . ثم بلغ السلطان من الناصر ابن اخيه على جهة النصح لعمه ان عبداً للقاضي حسان طلع الى جهة عومان ووجد مُعتقة من الاشرفية كانت تحت القاضي بهاء الدين محمد بن اسعد فتحدث العبد معها بحديث اسره اليها ان معه قارورة السم من عند سيده القاضي حسان بن اسعد امره ان يتلطف الى من يتصل بالملك المؤيد ويسقيه منها وان غرض القاضي وبني ابيه هلاك بني رسول قاطبة . فلما اتصل العلم الى السلطان بهذا غضب غضباً شديداً وطلبهم بحسبة اموال الايتام وغلل الموقوفات في مدة نظرهم عليها فما اجابوه الى شيءٍ من ذلك ابداً فقبض عليهم وبنى لهم سجناً على باب دار الولاية استكفاءً لشرهم .

ومن صحب الدنيا طويلاً تقلبت على عينه حتى يرى صدقها كذبا

وقد كان في قلب السلطان من ولدي ازدمر نجم الدين وبدر الدين ومن ابن الهكاري استياء من يوم الدعيس فأمر بالحوطة عليهم فقُبضوا فارسلهم الى حصن الدملؤة ثم قبض بعدهم امير جاندار فجعل معهم في دار الادب بالدملؤة . وفي خلال ذلك قدمت رسل الاشراف على السلطان بالتهنئة بالملك ولعقد الصلح وقد كانوا عقيب موت الاشرف رحمة الله عليه استولوا على الكولة واحرقوها واخذوا حصني اللجام ونعمان وعلى مدينة صعدة واصلحوا على ذلك وكان الامام مطهر بن يحيى حاطّاً على كحلان الشرف فطلبه الاشراف للدخول معهم في الصلح ورفع المحطة فامرهم بالصلح وطيّبهم ولم يزل حاطاً على الحصن حتى اخذه .

وفي هذه السنة نزل السلطان الملك المؤيد زبيد وكان نزوله في شهر جمادى

الاخرى بعد ان اقطع ولده المظفر صنعاء والظافر الفخرية والحارتين فتوجه الملك المظفر الى صنعاء في رجب من السنة المذكورة فاستعاد حصن ود من بني الحرث في آخر شعبان بعد ان رماه بالمنجنيق . ورجع السلطان الى تعز في شعبان وصام في مدينة تعز . ونزل الملك المظفر من صنعاء في اول النصف الثاني من رمضان وكان نزوله بسبب العيد فعيَّد في تعز ثم عاد الى اقطاعه . واستعاد السلطان حصون حجَّة في ذي الحجة واخذ المخلافة من الصارم ابراهيم بن يوسف بن منصور . وكانت في يده من سنة احدى وتسعين وستمئة . واشترط الصارم شروطاً منها اقطاع موزع ونصف حيس والذمة الشاملة والعفو عما جناه .

وفي هذه السنة اظهر الملك مسعود خلافاً على اخيه السلطان وكان مقطعاً بالاعمال السرددية ومقيماً بها فاوقع باهل المُحالب ، وسار الى حرض فاستولى عليها وكان قد وصل ولد اسد الاسلام محمد بن الحسن الى عمه السلطان المؤيد وهو في مدينة تعز فاكرمه وانصفهُ وابقى اباه على إقطاعه فلما خالف الملك المسعود على اخيه وسار الى حرض جمع العساكر وجاءه الاشراف السليمانيون وسقط اليه من الجبال والجوف خيل كثيرة فاجتمع معه عسكر عظيم . فجهز السلطان لحربه أخاه الملك المنصور ايوب بن يوسف ووزيره القاضي موفق الدين الصاحب وولده الظافر عيسى ابن الملك المؤيد وارسل معهم ثلاثة افيال فساروا اليه في عسكر جيدٍ من عسكر الباب .

وفي هذه السنة توفي الفقيه الفاضل ابو الحسن علي بن عمر بن اسمعيل بن زيد بن يحيى العزيزي لقباً والشعبي نسباً . وكان فقيهاً عارفاً بالاصولين والفروع والنحو واللغة . وهو من قوم من الاشعوب يقال لهم بنو الشاعر من بطن يقال لهم بنو احمد يسكن بعضهم في سامع وبعضهم في إكنيت بكسر الهمزة وسكون الكاف وكسر النون وسكون الياء المثناة من تحتها وآخره تاءٌ مثناة من فوقها . تفقه بالفقيه منصور والشعبي . وكان شريف النفس عالي الهمة مجللاً عند اهل بلده وغيرهم . وكان شجاعاً في الحرب فتاكاً عداءً يذكر من عدوه انهُ كان اذا عدا خلف ظبي في البيداء

لزمهُ مجاورة . وكان يقول شعراً رائقاً . وكان له اعداء يغزونه في جمع كثير يريدون قتله ونهب بيتهِ فيخرج اليهم ويقاتلهم ويهزمهم وحده وربما قتل أو جرح فيهم . وكان يكرم واصليه ويحسن اليهم . وكانت وفاتُه رحمهُ الله تعالى في جمادى الاولى من السنة المذكورة . وكان له من الولد محمد بن علي ومنصور بن علي تفقه بشيخه منصور الشعبي . فاما منصور بن علي فعكف على الفقه والحديث واتقنه والنحو واللغة والفرائض والاصول والحساب . وكان مع ذلك شجاعاً وله بصيرة في الصناعات كالتجارة والخياطة وغيرهما . وكان يقول الشعر ايضاً وامتحن بقضاء الدملوَّة من قبل ابن الاديب فاقام فيه مدة يسيرة ثم توفي اول سنة ثماني عشرة وسبعمئة .

واما اخوه محمد بن علي فانهُ خدم في الدولة المؤيدية كاتب الانشاء وكان ذا دراية ثابتة وكان يقول شعراً مستحسناً . وكان كريم النفس وله مروءة طائلة . ويحب ابناء جنسه من الفقهاء والطلبة ويعتني بحوائجهم . وكانت وفاته في غرة رجب من سنة ثماني عشرة وسبعمئة رحمهم الله تعالى .

وفي هذه السنة المذكورة توفي الفقيه الصالح ابو محمد عبدالله بن محمد عرف بمكرم بن مسعود بن احمد بن سالم العدوي نسباً والمكرم لقباً . وكان فقيهاً صالحاً زاهداً ورعاً متمسكاً بالآثر . وكان عارفاً بالنحو والفقه واللغة والحديث . وكان ذا سيرة مرضية مواسياً للاصحاب كثير الذكر . ولما مرض دخل عليه اصحابه يعودونه فجعل يستحل منهم واحداً واحداً فقيل له لا تجزع فانت في خير وعافية . فقال لم يبق من عمري سوى خمسة ايام . فقيل له بم عرفت هذا . فقال رأيت الحق نهار امس فهممت ان اتعلق بهِ فقيل لي بعد ست فوقع في قلبي انها ستة ايام وقد مضى لي يوم فكان كما قال . فلما حضرته الوفاة أُغمي عليه فلما افاق قال لمن حوله اين الثوب الذي اعطاني ربي . ولازم على ذلك ملازمة شديدة فاعطوه ثوباً من ثيابهم فردَّه . فقال ان ثوب ربي لا يشبه ثياب الآدميين وما كان ربي ليرجع في هبته . ثم عاد في غشيته وكان آخر كلام سمع منه لا إله الا الله . وكانت وفاته في السنة المذكورة رحمه الله تعالى .

. وفيها توفي الفقيه الفاضل احمد بن البناء واصله من ظفار الاشراف . تفقه في بدايته في مذهب الزيدية ثم غزر علمه فصار مجتهداً لا يقلد إماماً ولا غيره . وكان كثير العزلة عظيم الورع الى ان توفي في السنة المذكورة وقيل كانت وفاته في سنة خمس وسبعين **وستمئة** .

وفي هذه السنة توفي السيد الاجل الفاضل يحيـى بن محمد بن احمد بن علي بن سراج بن الحسن السراجي نسبة الى جده سراج احد الاشراف الحسينيين وكان اماماً كبيراً في مذهب الزيدية وعليه عكفوا مدة حتى ادعى الامامة ونزل مع قوم يقال لهم بنو فاهم في حصن لهم واطبق على اجابته خلق كثير من الناس وحسـده الاشراف الحسينيون على الرئاسة . وكانت قراءته للعلم في تهامة على الامام ابي العباس احمد ابن موسى بن عجيل . ولما ادعى الامامة كما ذكرنا كان الامير في صنعاء يومئذٍ الامير علم الدين الشعبي فحبسه اياماً ثم كحله فارسل الله على الذين لزموه الجذام حتى ان الرجل اذا اصابه هذا الداء يعتزل في كهف من الكهوف لئلا يتعدى الداءُ منه الى غيره ولا يدري حتى قد انبعث الداءُ بالباقين من اهله .**ثم تغيرت روائحهم** بحيث لا يستطيع احد ان يقربهم من نتن الرائحة فهلك كثير منهم في مدة يسيرة والقى الله بينهم العداوة والبغضاء فما برح بعضهم يقتل بعضاً حتى قلّ عددهم ولم يبق منهم الا اليسير . وأقام السيد في صنعاء مكحولاً يؤخـذ عنـه العلـم ويأتيه النـذور من المسلمين الى ان توفي في صفر من السنة المذكورة في مدينة صنعاء وقبر في مسجـد الاجذم وقبره من اجلّ المزارات الصنعائية يتبرك بالدعـاء عنـده وتستنجـح عنـده الحوائج فتقضى . قال ابن عبدالحميد: زرته مراراً ورأيت منهُ آثاراً حميدة . ويوجد عنده رائحة المسك ليلة الاثنين وليلة الجمعة رحمه الله تعالى .

وفـي سنة سبع وتسعين ركب الملك المسعود فيمن معه من العسـاكر التـي جمعها من المخلاف الاسفل ومن انضم اليه من اهل الجوف وغيرهم يريد المحالب فواجهه العسكر السلطاني المؤيدي صحبة الملك الظافر عيسى ابـن الملك المؤيد . والصاحب علي بن محمد اليحيوي فيما بين المحالب وحرض فلما تراءى الجمعان وتهيأ

للحرب الفريقان رأى الملك المسعود انه مغلوب لا محالة فأذعن الى الصلح قبل اصطدام الخيل فقبض العسكر السلطاني عليه وعلى ولده أسد الاسلام . وكان ذلك في المحرم من السنة المذكورة فساروا بهما الى الحرم الشريف السلطاني فحنا عليهما واسكنهما دار الادب من حصن تعز فأقاما فيه اياماً ثم اطلقهما وأمرهما بسكنى حيس . وقدر لهما جامكية جيدة جاملة لهما ولمن معهما من حاشيتهما وخدمهما .

مكارمٌ تسع الجاني بنائلها وتُورث الصد عزّاً بعد اذلال

وفي شهر صفر من السنة المذكورة نزل الملك المظفر متبرئاً من صنعاء ولم يكن دخلها انما كان واقفاً في ذمار . وفي شهر ربيع الاول قتل الشريف سليمان بن محمد ابن سليمان بن موسى قتله عبيدة بالوادي الحار . وفي شهر ربيع الآخر طلع الامير سيف الدين طغريد للمحطة على حصن شَخَبٍ فوثب عليه . ولزم جماعة من مشائخ مذحج . ونزل في آخر ليلة من جمادى الآخرة . وهي ليلة السبت وقع مطر عظيم في قطر اليمن فعمَّ اليمن كله . وكان حدوثه على مضي النصف من الليلة المذكورة . وكان فيه رعد عظيم وريح شديدة . وكان معظم المطر في تهامة حتى قيل انها أخرجت سفناً من ساحل الشرجة والأهواب بما فيها . وطرحتها على الساحل . وهدمت حصوناً شامخة في جبال تهامة وأقلعت اشجاراً عظيمة بأصولها .

قال المصنف رحمه الله وأظنها المطرة التي تسمى مطرة السبت فانها مشهورة مذكورة . وكانت في آخر المئة السابعة وقل من يعرفها في عصرنا هذا لسنة ست وتسعين وستمئة[1] . وأدركت جماعةً ممن يعرفها وقد انقرضوا الآن لتقادم العهد . وفي شهر شعبان طلع الامير جمال الدين علي بن بهرام الى مأرب فعمر الحرمة وأعاد امورها كما كانت على أحسن قاعدة ملوكية .

وفي هذه السنة توفي الامام مُطَهر بن يحيى وكانت وفاته يوم الاثنين الثاني عشر من شهر رمضان المعظم من السنة المذكورة . وكانت بدروان حجة . وفي النصف الثاني من شهر رمضان المذكور طلع الملك المظفر الى صنعاء . وقد كان

---

(١) ما بين القوسين غير موجودة في العسجد ، ولعله وسبعمئة . .

السلطان جهز عسكره الى حجة . منهم استاذ دائرة الامير الكبير بدر الدين محمد بن عمر بن ميكائيل . والفقيه شرف الدين احمد بن علي الجنيد للمحطة على بسن الصليحي بيمين وعلى عمر بن يوسف بالظفر . فسلما الحصنين ونزلا على الذمة . ثم توجه الركاب العالي الى البلاد العليا ، وذلك عند امتناع الاشراف من الصلح فكان دخوله صنعاء لخمسة ايام بقين من ذي القعدة من السنة المذكورة ثم طلع الظاهر يوم الرابع عشر من ذي الحجة . وكان طلوعه في اليوم المسفر (صباحه) عن ليلة الكسوف القمرى[٣] ويقال :

مع السعادة ما للنجم من اثرٍ فلا يضرُّك مرّيخ ولا زحل

ولما استقر السلطان بالمعسكر يوم الاحد سار يوم الاثنين نحو الميقاع بعساكره فقاتل عليه ثم عاد الى محطته . وقد كان الامير بن وهاسٍ والشيخ قاسم بن منصور صاحب ثلا خالفاً على اصحابهما الاشراف . ووصلا إلى السلطان قبل طلوعه الظاهر . فصدر مع اولاد الشيخ قاسم ابن منصور الامير علم الدين قاسم بن حمزة والامير الصارم ابراهيم بن يوسف بن منصور في عسكره الى بلاد حمير والطرف لحرب الامير تاج الدين وأقام على العسكر ثمانية عشر يوماً في اثنائها دخلت عساكره صعدة مع الامير جمال الدين علي بن بهرام . والامير اسد الدين محمد بن احمد بن عز الدين فراكز لهم الامير نجم الدين موسى بن احمد والامير احمد بن علي والشريف محمد الهادي . ولما افترقت عساكرهم نزل الامير موسى الى حصنه عزان فخرب العسكر داره وبستانه .

وفي هذه السنة توفي الفقيه الصالح عبدالله بن ابي بكر بن عمر بن سعيد السعدي نسباً **الابيني** بلداً المعروف بابن الخطيب . وكان ابوه خطيباً في قرية من قرى أبين تعرف بالطَّرِيّة . وكان مولده بها يوم الجمعة السادس من شهر رمضان من سنة اربع وعشرين **وستمئة** . فلما شب وقرأ القرآن خرج من بلده طالباً للعلم فوصل

---

(٣) في العسجد:الخسوف القمري .

قرية الضحى من نواحي سردد فادرك الفقيه محمد بن اسماعيل الحضرمي فأخذ عنه بعض شيء ووجده مشغولاً بالعبادة قليل الفراغ لاقراءِ العلم فعزم على الانتقال الى بعض الفقهاء وخرج عن القرية لذلك . فعلم به الفقيه محمد بن اسماعيل فتبعه واعاده وجاء به الى ولده اسماعيل وقد تفقه وهو معتكف في المسجد يطالع الكتب . فقال له يا ولدي قد الزمتك اقراء هذا الفقيه وتعليمه فقال حباً وكرامة . فكان اول من لزم مجلس الفقيه اسماعيل وتفقه به ولم يزل عنده حتى كمل تفقهه . ثم حصلت له عناية من الفقيه اسماعيل فاستغرق في العبادة وظهرت له كرامات . وكان كثيراً ما يرى النبي صلى الله عليه وسلم فسأله عن أُمور مشكلة فبينها له . ولما كمل تفقهه وصار مملياً من سرالله عاد الى بلده الطرية فلم يطب له فدخل مدينة عدن وسكن مسجداً يعرف الآن به بناحية حرام الشوك . فتسامع به اهل بلده وقصدوه الى المسجد وترددوا اليه حتى شغلوه عن العبادة فتعب لذلك اشد التعب . وشكا الى بعض خواصه ذلك فقال يا فقيه سلهم قرض شيء من اموالهم فعمل ذلك مع أحدهم فاعتذر وخرج وصار كلما لقي احداً من اصحابه اخبره ان الفقيه سأله قرض شيء من ماله فاعتذر منه فعرفوا انهم متى وصلوا الشيخ سألهم كما سأل الاول فلم يعد احد بعد ذلك يأتي الفقيه وانقطع الناس عن الوصول اليه فاستراح لذلك اشد راحة .

وكان في عدن رجل مغربي له بنات وفيه خير ومحبة للعلماء والصالحين وعنده دنيا واسعة فوصل الى الفقيه وصحبه وائتلف به ائتلافاً شديداً وزوجه واحدة من بناته فولدت له عدة اولاد وصحب الفقيه جماعة من اهل عدن وانتفعوا به نفعاً عظيماً وتهذبوا وصاروا اهل عبادة وزهادة . واقام الفقيه في عدن مدة ثم خرج منها قاصداً تهامة فلما وصل موزع وقد علم بوصوله فقيهها وحاكمها يومئذ الفقيه حسن الشرعبي خرج في لقائه فلما التقاه اكرمه وانصفهُ وانزلهُ في بيتهِ وبجّلهُ وعظم حرمتهُ . فلما رآه الناس تأسوا بهِ ثم ان الفقيه اعجبتهُ موزع فتديرها وظهرت له فيها كرامات تخرج عن الحصر حتى ان كل من جنى ذنباً وهرب على ناحية الفقيه لا يقدر عليهِ احد ابداً ولا يقصدهُ احد بشرّ ما دام في جوار الفقيه . ولما مرض الفقيه مرض

موته الذي مات فيهِ دخل عليه جماعة يعودونهُ في يوم سبت فقال يكون يوم الثلاثاء جلبة عظيمة يا لها من جلبة . فكانت وفاتهُ في يوم الثلاثاء لثمان بقين من شهر ربيع الاول من السنة المذكورة . وقبره في المقبرة التي قبر فيها الفقيه يعقوب وغيره من فقهاء موزع والى جنبه قبر الكاشغري في وسطها والشرعبي في شرقيها ويعقوب في غربيها رحمة الله عليهم اجمعين .

وفيها توفي الفقيه الصالح ابو العباس احمد بن الحسين بن ابي السعود بن الحسن بن مسلم بن علي الهمداني . وكان مولدهُ يوم الاحد تاسع الحجة من سنة احدى وستين وستمئة . وكان فقيهاً مجتهداً محصلاً ورعاً زاهداً تفقه بمحمد بن ابي بكر الاصبحي وكان كثير التردد الى ابي حسن الاصبحي ويراجعهُ فيما يشكل عليه من المسائل ومن ورعه انهُ كان في قرية العراوي شيءٌ يعتادهُ وهو قدر جيد من الطعام وهو من املاك وقفها اهل الدار الشمسي براً فتورع هذا عنهُ ولم يقبله . وانقطع ذلك عن القائم بالقرية الى عصرنا . وكانت وفاتهُ ليلة الثلاثاء لثلاث عشرة بقين من ذي القعدة من السنة المذكورة رحمهُ الله تعالى .

وفيها توفي الفقيه الفاضل ابو حفص عمر بن عبدالله المعروف بابن عُقْبة نسبة الى بني عُقْبة القضاة الذين ذكرهم ابن سمرة في قضاة جبلة . وكان تفقه بالفقيه عبد الرحمن بن سعيد العقيبي وغيره من فقهاء جبلة ودرس في مدرسة الجبابي . وتوفي في صفر من السنة المذكورة رحمهُ الله تعالى .

وفي سنة ثمان وتسعين نهض السلطان الملك المؤيد اول يوم من المحرم من محطته الى اطراف الظاهر فوقف هناك ثمانية ايام ثم نهض الى الجراف فوقف فيها ثمانية ايام ايضاً . ثم نهض فحط بالظاهر الاسفل . وكان قد اخرب دار الامير همام الدين وبستاناً له . ثم سار نحو جبل ظفار فتأهب الاشراف لقتاله فاحرقت ما حولهُ من الاعشاب . ووصلهُ الامير محمد بن داود بن الامام فوقف عندهُ اياماً ومات في المحطة .

وفي هذا التاريخ وصل الشريف السيد محمد بن الهادي المعروف بالقطابري

الى الاشراف فارادوا ان يقدموهُ اماماً وكان كاملاً فامتنع من ذلك . فلما كان يوم الاثنين الثالث من صفر نهض السلطان من محطتهِ فبات بالكولة واقام يوم الثلاثاء ثم سار يوم الاربعاء فحط في القصر عند اشيح فاقام هنالك يوم الخميس وسار يوم الجمعة السابع من صفر فحط على الميقاع بعساكره وجنوده . فملأت جيوشه تلك الاماكن كلها وانتشرت في تلك الجهات .

اذا حلَّ في ارض بناها مداثناً وان سار عن ارض ثوت وهي بلقع

فلما اصبح يوم السبت الثامن من الشهر المذكور نصب المنجنيق على الحصن المذكور وحاصرهُ حصاراً شديداً وهو يومئذٍ للامير جمال الدين علي بن عبدالله ولم يكن يومئذٍ فيه وانما كان فيه ابنه الشريف ادريس بن علي فزحفت العساكر المنصورة على الحصن ثلاثة ايام متوالية فكتب الامير جمال الدين علي بن عبدالله الى سائر الأشراف كتباً متتابعةً يطلب منهم النصرة وهم يغالطونهُ ويعتذرون بالعجز . فلما اشتد عليهِ الامر كاتب في معنى الصلح وحصل خطاب ومراجعات . واستقر الحال على ان الامير جمال الدين يواجه الصاحب موفق الدين فوصل اليهِ . واتفق حضور الملك المنصور والملك المظفر فاجتمعوا جميعاً وساروا باجمعهم الى المقام الشريف السلطاني . فلما علم السلطان رحمة الله عليهِ بوصول الامير جمال الدين علي بن عبدالله ركب من مخيمه للقائه وقد صاروا بالقرب منهُ . فاكرمهُ وانصفهُ وانعقد الصلح بينهم واخذ للاشراف ذمة سبعة اشهر وسلم لاجلها حصن ذيفان لان السلطان امتنع من الذمة عليهم . فلما استقر بالمحطة طلب من السلطان دخول الاعلام الشريف الحصن **إظهاراً** للطاعة والتسليم فنصبت في أعلى الحصن وكذلك العظيمة فخفقت ذوائبها في اعالي الحصنين ولقد احسن الحسن بن هانيء[1] حيث يقول :

من كان بالسمر العوالي خاطباً جلبن لهُ بيض الحصون عرائسا

---

(١) هو محمد بن هانيء الاندلسي . بعد البحث ليس هذا البيت ولا الروى ولا القافية لا في ديوان ابي نواس الحسن بن هانيء الحكمي ولا في ديوان محمد بن هانيء الازدي الاندلسي .

ولما انتظم الصلح وتسلم السلطان الحصنين المذكورين العظيمة والميقاع قال العفيف عبدالله بن جعفر يمدح السلطان الملك المؤيد ويذكر اخذه للحصنين المذكورين فقال :

إرث الخلافة في يديك مشاعُ … وغِرارُ سيفك شاهدٌ قطاع
شمس رأت غلب الملوك شعاعها … فقلوبها منها تطير شعاعُ
تبع التبابع في عناصر حميرٍ … والى المناقب هم لهُ أتباعُ
عمرو وعمرو وذو الجناح ومنذرٌ … والأيهمانِ وفايش وكلاعُ
ماء السماء سقى منابت اصلهِ … ريّاً فأورق عرقهُ النزاعُ
فلقد أعاض بيوسف يقطان لا … نكل ولا وكلٌ ولا مجزاعُ
أسرى الى الشرق القصي بشرّب … خطواتها نحو المغار سراعُ
والشمس من لمع الحديد كليلةٌ … والجو من سمر السيراع يراعُ
وفيالق سالت هوادئُ خيلها … سيل الأتيّ تداولتهُ تلاعُ
تسري فمن زُرق الأسنة فوقها … نارٌ ومن اسل الوشيح شعاعُ
غسلت مياه سيوفها ماء الدجى … فتشابه الاصباح والاهزاعُ
ينحو بها مبدا النجوم طوالعاً … ملكٌ مطيعُ للإلهِ مطاعُ
ليس العظيمة بالعظيمة عند من … لسيوفهِ ميقاعها ميقاعُ
لم يشقّ وافدهم اليهِ وهل ترى … يشقى امرؤٌ وجليسهُ القعقاعُ
فغنمت أدعيةً بافواهٍ لهم … فيهنّ من ثدي البتول رضاعُ
وحفظت حقّاً للنبي محمدٍ … فيهم ولست بما حفظت تضاعُ
امؤيد الاسلام داود الذي … للعالمين بفضلهِ إجماعُ
ما يلتقي شرق البلاد وغربها … إلا إذا ما امتدّ منك الباعُ
أهويت بالسيف العداة كما هوى … وُد بسيف محمد وسواعُ
الله أعطاك السعادة كلها … ماذا يضرُّ وربك النفّاعُ

وهي اطول مما ذكرت وهذه عيونها ثم اقبل السلطان رحمهُ الله تعالى على

الامير جمال الدين علي بن عبد الله اقبالاً عظيماً وازال عنهُ ما في خاطره وجدد لهُ حمل الطبلخانة وحمل لهُ من الاموال والكساوي شيئاً كثيراً . ووصل ذلك كله الى الميقاع . فخرج لانشاء خلعة الرضاء مزفوفاً بالطبلخانة تحت خوافق الاعلام المزبرية . واعاد له بلاده التي كانت له . وفي اول يوم من شهر ربيع الاول ارتفع السلطان من المحطة الى صنعاء .

امـام الكتيبـة تزهـى بهِ مكان السنـان من العامل

قال الشريف ادريس:وسرت في خدمته مع والدي الى البون وعدت من هناك وقد كنت خرجت اليهِ في محطة الميقاع فانصفني واكرمني وامر لي بمال جيدٍ وكسوة نفيسة وحصان جواد ولما استقر السلطان في صنعاء وصله امراء الأشراف ومشايخ العربان . ووصل في جملتهم الامير نجم الدين احمد بن علي بن موسى بن الامام لتمام صلح الاشراف فتم على تسليم اللجام ونعمان وصعدة وقسمة بلاد مدع كما كانت ايام الخليفة . وسارت البشائر بما استولى عليهِ من الممالك .

ثم توجه السلطان طالباً قبة العز من مدينة تعز وفي صحبتهِ الامير جمال الدين علي بن عبد الله والامير نجم الدين احمد بن علي بن موسى بن الامام والامير جمال الدين عبد الله بن علي بن وهاس وامراء العرب . وقد دانت له البلاد والعباد فاقام في تعز اربعة اشهر .

وفي هذه المدة ظهر للسلطان ولده الملك السعيد من الجهة الكريمة ابنة الامير اسد الدين محمد بن الحسن بن علي بن رسول . وكانت له فرحة عظيمة ولم تطل مدته بل توفي بعد ايام قلائل فكان كما قال التهامي حيث يقول :

يا كوكباً ما كان اقصر عمره وكذاك عمـر كواكب الاسحارِ
وهـلال ايام مضى لم يستدر بدراً ولـم يمهـل لوقـت سرارِ

ثم توجه السلطان الى زبيد في شهر جمادى الاخرى من السنة المذكورة وصحبتهُ امراء الاشراف ومشايخ العرب ودخل بجيشهِ مدينة زبيد فاقام فيها

شهر شعبان الكريم فصام رمضان في مدينة تعز وعيَّد عيد الفطر بها . واستودعه الامير جمال الدين علي بن عبد الله يوم العيد وهما على السماط وتوجه الى بلاده في شوال .

وحكى الشريف ادريس في كتابه قال تذاكرنا عند والدي رحمه الله انصاف السلطان له وما اعطاه من يوم خروجه من الميقاع في سلخ صفر الى ان فارقه في مستهل شوال فحسبناه جملاً تدقيقاً فكان اكثر من سبعين الف دينار ملكية خارجاً عن الكسوات والخيول والعروض والآلات . وما اشبهها بقول القائل :

تلك المكارم لا قعبان من لبن شيبا بماءٍ فعادا بعد ابوالا

وفي شهر ذي القعدة قذم الملك المظفر حسن بن داود الى اقطاعه بصنعاء . وكان قد نزل مع ابيه يوم نزوله . فكان دخوله صنعاء يوم الاثنين ثالث عشر ذي القعدة من السنة المذكورة . فاقام بها الى سلخ ذي الحجة من السنة المذكورة .
وتقدم الركاب العالي الى عدن . وكان تقدمه في آخر شوال من السنة المذكورة فاقام هنالك الى سلخ ذي الحجة وعيَّد عيد النحر بها وكان السماط في حقات تحت المنظر السلطاني على شاطيء البحر وقام الشعراء على السماط بانواع المدائح . وتعذر وصول الاديب عبدالله بن جعفر فارسل بقصيدته صحبة الشيخ محمد بن خطاب فانشدها على السماط وهي قصيدة طنَّانة من مختارات شعره :

أعلمت من قاد الجبال خيولا وأفاض من لمع السيوف سيولا
وأماج بحراً من دلاصٍ سابغ جرَّت أُسود الغاب منهُ ذيولا
ومن القسي أهلة ما ينقضي منها الخضاب من النصول نصولا
وتزاحمت سمر القنا فتعانقت قرباً كما يلقى الخليل خليلا
فالغيث لا يلقى الطريق الى الثرى والريح منهُ لا تطيق دخولا
سحب سرت فيها السيوف بوارقاً وتجاوبت فيها الرعود صهيلا
طلعت اسنتها نجوماً في السما فتبادرت عنها النجوم أُفولا

تركت ديار الملحدين طلولا … مما يبيح بها دماً مطلولا
والارض ترجف تحتها من افكل … والجوُّ يحسب شلوهُ مأكولا
حطمت جحافلها الجحافل حطمة … تدع الحمام مع القتيل قتيلا
طلبوا الفرار فمد شيطان القنا … فأعاد معقلهم بهِ معقولا
عرفوا الذي جهلوا فكل غضنفرٍ … في الناس عاد نعامة اجفيلا
اين الفرار ولا فرار وبعدهم … من ليس يترك للفرار سبيلا
ملكٌ اذا هاجت هوائج بأسهِ … ترك العزيز من الملوك ذليلا
يقفو المظفر والشهيد مآثراً … وعليّ وفخراً في الملوك أثيلا
وافى الى عدنٍ كمقدم جدّهِ … سيف بن ذي يزن الكريم اصولا
بحرٌ الى بحر يسير بمثلهِ … والبحر احقر ان يكون مثيلا
فتطايرت امواج لجتهِ الى … عيذاب ينذر دجلة والنيلا
وتقبلت عدنٌ جبينك والتقت … في ملتقاه سعادة وقبولا
فالشمس تحسد تاجك المعقود والـ … إكليل يحسد ذلك الإكليلا
لو يستطيع الثغر كان مقبلاً … بالثغر منهُ ركابكم تقبيلا
ان جاوزت هذي الشمائل بحره … جعلت مذاق الماء منهُ شمولا
انت الذي الدنيا ميسّرة بهِ … والناس ينتظرون جيلاً جيلا
فاليوم قد وهب الإله لخلقهِ … ظلاً على الأقطار منهُ ظليلا
وأتى لهم بدر السماء بذمةٍ … مكتوبةٍ لا يظلمون فتيلا
اهزبر غسان بن قحطان الذي … يدعوهُ في النسب القبيل قبيلا
في كل يومٍ لا برحت مقابلا … فتحاً من الملك الجليل جليلا
في حيث ما رفعت بنودك نُزّلت … آيات نصرك فوقها تنزيلا
لولا العوائق والعلائق لم أغب … عن ظل بابك بكرةً وأصيلا
ومن التكرُّم والتفضل لم يزل … عذري الى صدقاتكم مقبولا
لا زال توفيق الإلهِ مقارناً … لك حيث كنت إقامة ورحيلا

وقدم التجار المقيمون بالثغر التقاديم النفيسة على عوائد الملوك فردها السلطان وامر بافاضة الخلع عليهم والتشاريف والمراكب من البغال المختارة بالعُدد الكاملة والسروج المذهبة والزنانير المنوعة . واجرى نواخيذ الهند على جاري عِادتهم . وامر باكرام النواخيذ والتجار المترددة الى الثغر المحروس وامر بابطال ضمان بيت الخل . واقام بفضله موسم العدل . وشاهد موسم الخيل من باب الطويلة . وسارت النواخيذ والتجار الكارمية ناشرين لواء عدله في امصارهم . وابتسم الثغر عن مقابلته وعاد قافلاً الى مدينة تعز .

وفي هذه السنة توفي الفقيه الصالح عبدالله بن احمد بن محمد الشكيل وكان مولده سنة سبع عشرة **وستمئة**اخذ في بدايته عن ابيه ثم عن ابن ناصر بالذنبتين . ثم عن عبدالله بن عمران الخولاني المتقدم ذكره . وكان جميل الخلق حسن القامة ذا لحية حسنة . ولقد سمع منه كثير يقول ما ذقت مسكراً قط مع كونه في بلادهم كثيراً ولا فاتتني صلاة لوقتها منذ بلغت ولا اتيت كبيرة .

ويروى عن الفقيه صالح بن عمر البريهي انه رأى في منامه قائلاً يقول اذا اردت ان تنظر شيبة ابي بكر الصديق فاخرج ضحى ليلتك هذه الى صلب ذي السفال تلق الرجل . قال فصليت الضحى لاول وقتها ثم خرجت نحو الصلب الذي اشار اليه المخبر في النوم فلم الق ذا شيبة الا عبد الله بن شكيل ماشياً ومعه صاحب له يحمل مشعله فلم اشك انه المعني فسلمت عليه وتبركت به . وكانت وفاته ليلة الجمعة بعد صلاة المغرب غرة ذي الحجة من السنة المذكورة رحمه الله .

وفيها توفي الفقيه الصالح ابراهيم بن الفقيه محمد بن ابراهيم الماربي . وكان مولده سنة خمس عشرة **وستمئة** وتفقه بعمر بن سعد وهو اكثر من تروى كراماته ودرس بعد الفقيه ابي السعود في حياة شيخه .

ومن غريب ما يروى للفقيه عمر من الكرامات انه قال حصلت عليَّ حمى حتى انقطعت بسببها اياماً في البيت فسأل الفقيه عني فاخبره اخوته بذلك فاتاني يزورني الى ذي محدان . وقال لي يا ابراهيم اتحب ان اكتب لك عزيمة تعلقها عليك . بشرط

ان لا تفتحها ولا تنظر ما فيها فقلت نعم فاستدعى بدواة وقرطاس . وكتب سطراً لم ادر ما هو ثم طوى الورقة وناولنيها وأمرني بتعليقها على عضدي بخيط ففعلت . فلم اكد أتمم تعليقها حتى انقطعت عني الحمى فعجبت من ذلك فقلت في هذه الورقة اسم عظيم وأظن الفقيه حسدني عليه . ثم فتحتها . فوجدت فيها مكتوباً بسم الله الرحمن الرحيم لا غير فعجبت من ذلك وداخلني بعض ما يداخل العارف من المعروف اذ بالحمى قد عاودتني بحالة اشد من الاولى فرحت الى الفقيه واخبرته فقال لعلك فتحت العزيمة فقلت نعم فقال اكتب لك غيرها بشرط ان لا تنظر فيها فقلت سمعاً وطاعة . فكتب مثل ذلك . وامر من عمل لها خيطاً وعلقها عليّ فلم تأتني الحمّى ، فلبثت اياماً ثم فتحتها فوجدت فيها ما وجدت اولاً . فداخلني شيء ما هو دون ما داخلني اولا فلم أقم حتى عادت الحمى فرحت الى الفقيه وسلمت عليه فقال هل نظرت في العزيمة فقلت نعم فقال الم انهك اقتصر عن ذلك وانا اكتب لك غيرها . فأجبت بالطاعة وكتب لي غيرها فلما علقتها انقطعت الحمى فحمدت الله تعالى ولم افتش العزيمة الا بعد سنين عديدة فلم اجد غير ما وجدت في الاولى والثانية فقبلت ذلك ووضعته على رأسي فلم تعد لي الحمى بعد ذلك . ولما صار القضاء الى بني محمد بن عمر جعلوا هذا ابراهيم قاضياً في جبلة فاقام مدة يسيرة ، وتوفي وكانت وفاته في شهر رمضان من السنة المذكورة .

وفيها توفي الفقيه الصالح ابو محمد عبد الرحمن بن اسعد بن محمد بن يوسف الحجاجي ثم الركبي وكان مسكنه بقرية تعرف بأروس بهمزة مفتوحة وراء ساكنة . وواو مفتوحة وآخره سين مهملة . وهي من ناحية الدملوة تفقه بعبد الله بن عبيد السحبي السحيقى ثم ارتحل الى عدن فاخذ بها عن الفقيه ابي بكر المقري واخذ عن البيلقاني وكان فقيهاً تقيّاً عارفاً درس في بلده واخذ عنه بها جماعة وانتفعوا به . وكان مبارك التدريس فممن تفقه به محمد ابن ابي بكر مسبح . وعبد الله بن عبد الرحمن حاكم الدملوة . وعلي بن محمد السحيلي . ومحمد بن عمر الخطيب وعبد الله بن ابي بكر الخطيب قاضي الجوة وابو بكر بن محمد الاشعري .

قال الجندي : ولما محنت بحسبة عدن جعلت ابحث عن احوال حكامها وفقهائها القاطنين والواردين فسمعت اهل عدن يذكرون عن هذا انه كان ذا قضاء مرضي وانه لم يصل ايام بني محمد بن عمرو بعد ابن مياس قاض مرضي السيرة في الظاهر والباطن غير هذا الفقيه . وكانت وفاته في السنة المذكورة في ناحية المفاليس رحمه الله .

وفيها توفي الفقيه الصالح ابو عمر يوسف بن عمران بن النعمان بن زيد الحرازي وكان فقيهاً صالحاً خيراً عالماً ورعاً زاهداً وولي قضا الجند . وكان متحرياً ولم تطل مدته وتوفي على النهج المرضي في اول السنة المذكورة .

وفي سنة تسع وتسعين اخذ الملك المظفر حصن عراس بالسيف قهراً وأخذ قبله حصن إرياب وهما للاسماعيلية . واقيمت لذلك في صنعاء فرحة عظيمة وكسا جامعها بانواع الملابس . وامر امير البلدان يلبس الدكاكين والاسواق واظهروا سب الاسماعيلية .

وفي هذه السنة توفي الامير الكبير جمال الدين علي بن عبدالله بن الحسن بن حمزة بن سليمان بن حمزة في حصنه الميقاع . وكان من رؤوس الاشراف ووجوههم واعيانهم وصدورهم . وكانت وفاته يوم الثامن من جمادى الآخرة من السنة المذكورة . وعمره يومئذ نيف وسبعون سنة ولما توفي في تاريخه المذكور تمثل بقول زياد الاعجم حيث يقول :

مات المغيرة بعد طول تعرض للقتل بين اسنّة وصفاح

ولما مات الشريف جمال الدين اجمع اهله على تقديم ولده الامير عماد الدين ادريس . وكان الشريف ادريس من اعيان الرجال جامعاً لخصال الكمال فارساً هماماً شجاعاً مقداماً اديباً اريباً عاقلاً لبيباً جواداً كريماً عفيفاً حليماً جامعاً لاشتات العلوم من المنثور والمنظوم وهو مصنف كتاب كنز الاخيار في التواريخ والاخبار . وله غيره من التصانيف المفيدة لا سيما في التاريخ . ولما توفي والده كما ذكرنا كتب الى السلطان الملك المؤيد يعرف خاطره الكريم انه ثمرة شجرة غرسها إنْعامُه وغصن

دوحة سقاها اكرامه وتقدم شكر بن علي القاسمي الى الباب الشريف فقرر له عند السلطان . وكتب اليه بان يصل الى الابواب الشريفة وارسل له بذمة سلطانية . فلما وصلته الذمة السلطانية تقدم الى الباب الشريف وكان وصوله آخر ذي القعدة من السنة المذكورة . وكان السلطان يومئذٍ في ثعباب فأُحضر للسلام الى دار السلام فتلقاه السلطان بالترحيب التام والاجلال والاكرام واتفق حضور عيد النحر من السنة المذكورة . فبرز الامر الشريف الى اتابك العساكر المنصورة انهُ لايستفتح الميدان أحد غيره مقدماً على كافة الامراء ووجوه الدولة فكان كذلك ولما كان بعد العيد جرى الكلام على تسليم ما تحت يديه من الحصون وكان تحت يده العظيمة والميقاع فرأى ان تسليمهما عنوان السلامة لانه عنده عدالة فخشي ان يؤخذ عليه فيهم الى المساعدة .

وفي هذه السنة توفي الفقيه الفاضل الامام ابو العباس عباس المساميري ثم الرافعي وكان مسكنه قرية القرشية من وادي رمع . وكان فقيهاً فاضلاً كبير القدر شهير الذكر من اقران الفقيه ابي الخير بن منصور المحدث بزبيد وكان كثيراً ما يقول ابو الخير اكثر كتباً مني وأنا اكثر علماً منهُ . وكان يغلب عليهِ فن الأدب ويقول شعراً جيداً :

لا يطلب العلم الا الحرُّ ذو الكرم ... أو من لهُ حسب الآباء والشيم

أو لوذعيٌّ أبيٌّ سيدٌ فطنٌ ... مقبَّلٌ يقظٌ مستقبل الفهم

اما ذوو الصدّ ممن قد ذكرتهمُ ... بالفلس عندهم من اشرف الهمم

أُفٍ لهم ولدنياهم وما جمعوا ... وحبذا الجهبذ النقاد للكلم

كل امريء راسب في العلم عنصرهُ ... فانهُ في اقتباس العلم ذو قدم

وفيها توفي الفقيه الحسن علي ابن محمد الحكمي كان فقيهاً فاضلاً عارفاً تفقه بعلي بن ابراهيم البجلي . ودرّس في حياته مدة وانتفع بهِ جماعة وتزوج بابنة اخيه الفقيه عمر بن ابراهيم وظهر له منها اولاد . ولم يزل على التدريس الى ان توفي في صفر من السنة المذكورة رحمهُ الله . وكان له ولد سلك مسلكاً غير لائق . وتوفي في الجهة هنالك والله الموفق .

وفي سنة سبعمئة تسلم السلطان الحصون التي كانت تحت يد الشريف ادريس بن علي في سادس عشر المحرم . وامر السلطان ان يجري على عادة ابيه فحملت له الطبلخانة والاعلام وامر له بسبعة آلاف دينار وتحف وملابس وخيل ومماليك . وركب الامراء والاجناد الى الخدمة الشريفة تحت خوافق الاعلام السلطانية وارداً وصادراً وانثنى الى داره فيمن معه من العسكر المنصور . ودخلوا الى سماط جليل الشأن مختلف الطعم والالوان . وقبض المنشور باقطاع مدينة القحمة . وقال في ذلك قصيدة يمدح بها السلطان يقول فيها :

عوجا على الربع من سلمى بذي قار　　واستوقفا العيس لي في ساحة الدارِ
وسائلاها عسى تنبئكما خبراً　　يشفي فؤادي ويقضي بعض اوطاري

وقال في اثنائها :

يا راكباً بلّغن عني بني حسن　　وخص حمزة منهم عصمة الدارِ
انَّ المؤيد أسماني وقرَّبني　　واختارني وهو حقّاً خير مختارِ
اعطى وامطى واسدى كل عارفةٍ　　يقصّر الشكر عنها ايَّ إقصارِ
واختصني بولاءٍ منهُ فزت بهِ　　فاصبح الزند منهُ أيما وارى
فلست اخشى لريب الدهر من حدث　　ولا أبالي باهوال واخطارِ
وكيف خوفي لدهري بعدما علقت　　كفي بملكٍ شديد البطش جبارِ
الاروع الاغلب الغلاب والاسد الـ　　ليث الهصور الهزبر الضيغم الضاري
بمن اذا خفقت راياته خضعت　　له الملوك وخافت حكمة الجاري
وقابلتهُ بمن تهواهُ باذلةً　　ما يرتضي من اقاليم وامصارِ

ثم تقدم الركاب العالي الى تهامة فكان مسيره من تعز يوم السبت الثالث من صفر . فلما دخل زبيد اقام بها الى ايام في شهر ربيع الاول . ثم نهض يريد الاعمال السرددية فدخل المهجم في الف فارس من عسكره . وهنأه عدة من شعراء دولته . منهم الفقيه العفيف عبدالله بن علي بن جعفر الشاعر المشهور فقال :

لو كان يقدر ان يكون الزائرا　　لك سردد لمشى اليك مبادرا

منع الجهاد جموده ان يعتري عتبات بابك وارداً او صادرا
وتمرّغت ارض على الارض التي فيها مقامك اوجهاً ومحاجرا
شرّفت مهجم سردد فتشرفت ورفعتها فوق النجوم مفاخرا
اوردتها رجراجة جفنيةً خضراء طامية لقبض عساكرا
بحرٌ اذا ما الريح سارت فوقه جعلت لمسلكها البنود قناطرا
شرعت صدر الخيل في حافاتهِ حتى حسبت الفلك فيه مواخرا
اذكرته مَغْدى ابيك لمكةٍ وانابةً منه فاصبح ذاكرا
وكفاهُ فخراً ان يمس قساطلاً لركابكم ومناسماً وحوافرا
حظ يكون به تراب بلاده مسكاً ويرمعه يعود جواهرا
عجباً لحلمك في الخلائق عادلاً ولحكم كفك في الخزائن خاطرا
ولحد سيفك اين غاية حدهِ اذ ليس يبرح في الرقاب مسافرا
نار بقبضة راحة فيّاضةٍ كالبرق يصطحب الغمام الماطرا
ولقد تعدى في الطلا افعاله ضرباً وكن لها الفتوح مصادرا
ثبتت اصول الملكِ بين بيوتكم فسقيتموها سؤدداً ومآثرا
فحكت اواخركم بذاك اوائلاً وحكت اوائلكم بذاك اواخرا
انجبت من جرثومة ملكيةٍ حسن المظفر ثم عيسى الظافرا
اعجزت السنة الخلائق كلها مدحاً فكيف اكون وحدي قادرا
فبقيت يا ركن الخلافة دائماً ابداً وكان لك المهيمن ناصرا

فاقام السلطان في المهجم اياماً ثم نقل الى زبيد . فتقدمت العساكر المنصورة الى بلاد المعازبة لفساد ظهر منهم فقتل منهم جمعاً كثيراً ونهب اموالهم نهباً شديداً وسلموا الرهائن فتركت رهائنهم في زبيد . وتقدم السلطان الى النخل في اوائل شهر رجب فاقام هنالك اياماً . ولما عزم على الطلوع الى تعز تقدم ولده الملك الظافر الى صنعاء مقطعاً بها فلقيه القبائل الى نقيل صيد . فلزم اهل صعدة خاصة واخذ خيلهم لموجب فعلوه . وسار الى رداع ثم الى ذمار . ثم دخل صنعاء في العشر الاواخر من

رمضان . وسار السلطان من زبيد يريد تعز في النصف من رجب . وفي اواخر هذه السنة وقع بين السلطان والاشراف مكاتبات بسبب حوادث حدثت بين الامير محمد ابن احمد بن موسى بن احمد والامير تاج الدين محمد بن احمد بن يحيى فتحرك السلطان الى الجند وطلب المناخات السعيدة من التهائم . وتقدم الامير سيف الدين طفريل الخازندار الى ذمار وعزم السلطان على طلوع البلاد العليا فوصل القاضي الذماري بما يرضي السلطان من رهائن الاشراف وتمام الصلح .

وفي هذه السنة توفي الفقيه الفاضل عثمان بن ابي بكر بن منصور الشعبي وكان من الفقهاء الناسكين مشهوراً بكثرة الصيام والقيام، قلّما يفطر من الايام الا قليلاً . وتفقه اولاً بفقهاء المصنعة وبأهل سهفنة ثم ارتحل الى تهامة فتفقه بها ايضاً على الامامين اسماعيل بن محمد الحضرمي واحمد بن موسى بن عجيل وكان كثير الحج والزيارة الى ان توفي في السنة المذكورة تقريباً . فكانت وفاتهُ في مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم . ودفن في البقيع مع الصحابة رضي الله عنهم .

وفي هذه السنة توفي الشيخ ابو بكر بن الشيخ علي الاهدل . وكان فقيهاً شيخاً فاضلاً . ويروى ان الشيخ أبا الغيث بن جميل مرَّ بهم في بعض اسفاره فاقام عندهم اياماً في رباطهم واجتمع عنده يوماً جماعة من الفقهاء وسألوهُ عن عبارة الشيخ ابي بكر واجاب السائل . فقال الشيخ ابو الغيث خذوا جوابكم منكم . وكان رجلاً مباركاً فاضلاً . وغلب عليه التصوف وطال عمره حتى قيل انه بلغ عمره مئة سنة وخمس عشرة سنة توفي في السنة المذكورة .

وفي هذه السنة توفي الشيخ الفاضل منصور بن حسن بن منصور بن ابراهيم ابن علي بن ابراهيم بن علي بن محمد الفُرسي نسباً بالفاء المضمومة والراء الساكنة والسين المهملة قبل ياء النسب . ولد في شهر رمضان من سنة سبع عشرة وستمئة . وكان احد اعيان الكتاب في الدولة المظفرية وصدر المؤيدية ولم يكن له فيهم نظير في كتب الادب ولا في كثرة المحفوظات نظماً ونثراً ومهما اشكل من ذلك في وقته انما يرجع اليه في الغالب . واخذ عن الامام الصغاني المقامات وغيرها . واخذ عن

غيره كزكريا بن يحيى الاسكندري عدة من كتب الحديث وغيرها . ويقال كان محفوظه من الشعر يزيد على عشرة آلاف بيت . وكان غالب اوقاته ناظراً إما في عدن واما في جبلة وهما من اعظم محطات اليمن وما عرف بغلط في الحساب ولا خيانة لمخدوم ولا بظلم الرعية . وتوفي وهو ناظر في جبلة في اليوم العاشر من المحرم من السنة المذكورة والله اعلم .

وفي سنة احدى وسبعمئة سار السلطان من الجند الى الدملوًة فاقام فيها عشرين يوماً . وعاد الى تعز وعزم على طلوع البلاد العليا فاستدعي الشريف عماد الدين ادريس بن علي من القحمة . فلما وصل تعز اتصل العلم ان الاشراف بني علي اصحاب المخلاف السليماني قتلوا المقدم خطلبا واخذوا من رتبته اربعين فارساً . وكان مقيماً بالراحة في مئة فارس فبرز مرسوم السلطان الى الشريف ادريس بالتقدم نحوهم . واضاف اليه عسكراً من الحلقة المنصورة ومشد زبيد احمد بن الحربتري والامير المتولي بحرض . فسار العسكر المنصور الى الراحة ودخلوها قهراً آخر شعبان من السنة المذكورة . وخرجوا هاربين فتبعهم العسكر الى نحو اللؤلؤة . وحرق العسكر قرى المفسدين ثم انهم طلبوا الذمة والصلح واعادة الخيل التي اخذوها من الراحة . وتسلم نائب السلطان الراحة وهو الشريف علي بن سليمان بن علي وانثنى العسكر المنصور قافلاً الى الحرم الشريف السلطاني .

وفي جمادى الاخرى من هذه السنة اوقع الامير سيف طغريل بالجحافل والعجالم . وكان يومئذٍ مقطع لحج فقتل منهم نحواً من اربعين رجلاً . ثم اوقع بهم وقعة ثانية في ناحية الدعيس فقتل منهم نحواً من سبعين رجلاً . وفي آخر شعبان من السنة المذكورة طلع السلطان الى البلاد العليا فاقام بالجند اياماً وبالموسعة اياماً وبصنعاء اياماً ثم خرج منها الى الظاهر وطلع من نقيل عجيب . وكان السبب الذي اوجب طلوعه ما فعله الاميران موسى وتاج الدين في الصلح من خراب تعز والقبة . ثم دعوة ابن مظهر الى نفسه بالامامة واجتماعه بالاشراف في حوث وتقدمه الى الطرف . ونزل الامير تاج الدين الى حجة المخلافة وقد خالف اليه بنو شاور

وغيرهم من قبائل العرب فاحرق العارضية وعاد .

فلما طلع السلطان من نقيل عجيب لقيه الامير موسى بن احمد الى هنالك والامير عبدالله بن وهاس وطلع السلطان جبل ظفار من جبل صبح . واستولى على القبة يوم الثلاثاء آخر يوم من رمضان فحط فيها بجميع عساكره . وسار بكرة يوم الاربعاء . واشرف ظفره على ظفار من الجهة التي تلي القاهر من غربيّها ونزل جماعة من العسكر يقاتلون في الساقية وقتل نقيب الملك المنصور وعاد السلطان الى القبة فاقام بها ثمانية ايام وشرع في عمارتها فلحق العسكر فيها مضرّة شديدة من عدم الماء والزاد فبلغت القربة عشرة دراهم والزبدي الدقيق كذلك .

ولما تحقق السلطان مضرة العسكر امر بان تنتقل المحطة الى ورور ورتب في القبة الامير نجم الدين موسى بن احمد ورتب في تعز الحسام بن مسعود ابن طاهر وهو الحصن القديم الذي اخربه سليمان بن قاسم . وامر بعمارة الموضعين ونصب في تعز منجنيق فاضرّ بهم المنجنيق غاية الضرر واستمر الرمي والحصار وقد يقع قتال بعد قتال في بعض الاوقات تحت باب النصر بين اهل المحطة واهل ظفار . ثم اصاب المحطة آفة فمات كثير من الجمال خاصة . وكان السعر تارة يرخص فيبلغ الزبدي اربعة دراهم وقد يعلو فيبلغ سبعة دراهم . واشعر على العسكر بالزحفة والقتال فدقت الكوسات الهزبرية وخفقت السناجق السلطانية فاشبهت البروق اللوامع . فرأى الامير علم الدين سليمان بن قاسم انهُ اذا دام هذا الامر ادى الى خراب بلاده فاعمل الحيلة في ذلك فاخرج بني اخيه وجماعة من الاشراف الى خارج درب ظفار عند باب جبير . وكان وزيره علي بن دحروج فصاح باعلى صوته ان الامير والاشراف يسألون من السلطان ان يشرف عليهم فخدموا لهُ باجمعهم وقالوا نحن غلمان السلطان . فطلب ابن دحروج ذمة يصل بها الى المخيم فأُجيب الى ذلك فنزل ومثّل بالمقام السلطاني . واستقرّ الامر على ان الشريف سليمان بن قاسم يبيع على السلطان حصن تلمص بخمسين الف دينار ويرهن بذلك احد ولدي اخيه محمداً وداود ووزيره علي بن محمد بن دحروج وان يخرب السلطان تعز المعمور على ظفار

والقبة وعلى ان الامير تاج الدين يسلم حصن الحدة والحقوب . ويخرب حصن شريب ويناقل بشيء من بلاده الى بلاد مدع ويرهن ولده . فقال من حول السلطان هذه مصلحةٌ عظيمة فان السلطان يملك صعدة بغير شك . وهذه الرهائن وثيقة لمن صدق . فاجاب السلطان الى ذلك وقبض الرهائن بعد ان صاح لهم بالطيب واطلع لهم المال المشروط . وجهز السلطان الفقيه شرف الدين احمد بن علي الجنيد في عسكر لقبض تلمص . وارسل الشريف سليمان بن قاسم رسولاً معهم من احد ثقاته وتقدموا جميعاً الى صعدة . وعيَّد السلطان عيد النحر في ورور . وتخلف الشعراء لبعد الشقة فلم يحضر منهم الا الاديب سابق الدين يوسف العنسي فقام يوم العيد بقصيدة بديعة . وهي :

الملك ليس ينام منه عيون ... حتى يسيل من الدماء عيون
لولا ادالتك المصون من العدى ... ما بات وجه الدهر وهو مصون
ضمنت لك الملك السيوف وكل ما ... ضمن السيوف فانه مضمون
وافيته بكتائب اعلامها ... النصر والتأييد والتمكين
من كل ارعن مكفهر اصبحت ... منه سهول الارض وهي حزون
لو شئت تورد بعضه جيحون ما ... أرواه جيحون ولا سيحون
كم نقع ليل قد دجا من ركضه ... فجلاه سرد دلاصه الموضون
ضاقت لكثرته البسيطة كلها ... فمقامها في الشرق اين يكون
فدع الحصون بلاقعاً من اهلها ... فلقد أصلتهم عليك حصون
ملوا السكون بها وظني انهم ... قد ملهم ايضاً هناك سكون
فاطحنهمُ طحن الردى بكتائب ... هي للطغاة جميعهم طاحون
فالارض ارثك كلها من تبّع ... فاعقل حديثي فالحديث شجون
غمدان قصركمُ القديم وقصركم ... صرواح كان وقصركم بينون
اظهرت بالجيش العرمرم كلما ... أخفت ظهورٌ منكم وبطون
خرّب ظفار ولا تدع كحلان تا ... ج الدين فهو لملكهم قانون

واقبض ظفــار ولا تدعــه معجّلا ··· يا ابن الملـوك ففوقـه لك دون
انـت المؤيد بالالـه فلا تخف ··· ممـن يكيدك جاهـداً ويخون
هذي الخلافـة سعدهـا بك طالع ··· في حيث كنـت ووجهها ميمون
لولاك للاســلام يا ملك الورى ··· لتنـكّـر المفروض والـمسنون
فبقيت للاسـلام ما سطـع الضحى ··· كهفـاً يلـوذ بظلك المسجون

وارسل الفقيه عفيف الدين عبدالله بن جعفر بقصيدته الى المحطة بورور وهي التي يقول فيها :

فعلـت بمهجتـه النـوى افعالها ··· لما حدت تلك الحـداة جمالها
متحمـلاً ثقـل الهـوى لما رأى ··· عيسَ الاحبـة حمّلـت اثقالها

وفيها يقول :

يا منصبي البـكرات في طلـب الغنى ··· ما ان تراقـب اينهـا وكلالها
ان لم تشـدّ رحالهـا يومـاً الى ··· سرح الحـرير فلا تشـد رحالها
ساد الملـوك فلا تكون مثاله ··· أبـد الزمـان ولا يكون مثالها
وَدَعَتْ بداود الهـداية حيث ما ··· عثـرت فقـال لهـا لعـا واقالها
وحـوى الخلافـة لم تكن الا له ··· طول الزمـان ولـم يكن الا لها
ملك اذا شن الجياد لغارة ··· جعـل الخـدود من الملـوك نعالها
وتـذكـروا بـالمنجنيق عليهـمُ ··· يوم القيامـة اذ رأوا أهوالها
فرمـوا اليهـا بالحصـون مخافـة ··· من رميهـا ومـن القسيّ تنالها
لولـم يطعـك ظفارهـا وتعزّها ··· وسـمـا[1] فسهاسـفـت احبالهـا
وغللـت منهـا في الشمال يمينها ··· وغللـت منها باليمـين شمـالها
يا ابـن المظفـر يا هزبـر الـدين يا ··· داود منتخـب الـورى مفضالهـا
لا زلـت تقسـم للمرجّى فضله ··· من راحتيـك وللعـدى آجالها

ولما كان يوم الجمعة الخامس عشر من الشهر المذكور نهض السلطان من محطة

---

(١) كذا في الاصل الخطي

ورور وسار نحو خَرفان فزحف عليه يوم الثامن عشر من الشهر المذكور فقاتل العسكر قتالاً شديداً وبلغ الشفاليت باب الحصن . ووقع عنده هنالك الطعن والضرب ونزل الشفاليت المكسورة . فاخرب اهل الحصن المحمولة . ورجع الشفاليت للقتال فوجدوها قد أُخربت . والا فما كان دون فتحه شيء . وقتل من العسكر جماعة رمياً بالنشاب فمنهم الامير محمد ابن الشعبي فامر السلطان عليهم بالمحطة ونصب المنجنيق . فاقام ثمانية ايام . ثم سار الى صنعاء وترك في المحطة على خرفان الامير شمس الدين عباس بن محمد بن عبد الجليل .

وفي هذه السنة توفي الامير الكبير الشريف ابو نمي محمد بن ابي سعد بن علي ابن قتادة الحسني صاحب مكة حرسها الله تعالى . وكان اميراً كبيراً له حظ وافر في الآمرية راغباً في الادب وسماعه . وله الاجازات للشعراء الوافدين عليه من اطلاق الخيال وإجازات القصائد .

وقد كان لما اتصل السلطان الملك المؤيد بالملك جهز تلك السنة علمه المنصور ومحمل الحج السعيد صحبة القائد بن زاكي فتلقاه الشريف ابو نمي بالاجلال والاكرام . وخفقت ذوائب العلم المنصور على جبل التعريف بعرفة . واعلن مؤذنه على قبة زمزم بمناقب السلطان على رؤوس الاشهاد فسمع تلك الاوصاف من ضمه ذلك المقام الشريف . وحلف السلطان الملك المؤيد الايمان المغلظة ولبب على قميصه على مقتضى ما جرت به العادة ووصل الى الشريف المذكور ما اقتضته المواهب السلطانية مما كان قرره الخليفة من العين والغلة والكساوي والطيب والمسك والعود والصندل والعنبر والثياب الملونة والخلع النفيسة . وكان مبلغ العين ثمانين الف درهم ومبلغ الغلة اربعمئة مد . واستمرت آمريته على مكة ونواحيها اكثر من خمسين سنة . وكان له من الولد اكثر من عشرين ولداً . فافترقت اولاده بعده . وافترقت الاشراف والقواد مع اولاده . فكان طائفة منهم مع رميثة وحميضه وطائفة اخرى مع ابي الغيث وعطيفة فاستقوى رميثه وحميضه على ابي الغيث وعطيفة فلزماهما فاقاما في محبسهما مدة ثم احتالا فخرجا وتجورا في بعض بيوت القواد والاشراف فاجاروهما .

ولما وصل الحاج المصري تلقاهم ابو الغيث فمالوا اليه فلما انفصل الموسم قبض امير الحاج المصري على الشريف بن رميثة وحميضة . وكان امير الحاج يومئذ الامير الكبير ركن الدين بيبرس فسار بهما الى مصر مقيدين وامر في مكة محمد بن ادريس وابا الغيث وحلفهما لصاحب مصر فاقاما اياماً ثم ان الشريف ابا الغيث اخرج محمد ابن ادريس واشتد الامر وجرت بينهما حروب كثيرة قتل فيها جماعة من الاشراف .

ثم ان الشريف ابا الغيث كتب الى السلطان الملك المؤيد ببذل الطاعة والخدمة والنصيحة وارسل برهينة فقبل منه السلطان ذلك .

وفي هذه السنة توفي الفقيه الفاضل محمد بن علي بن عيسى العكاري نسبة الى قوم يقال لهم الاعكور . وهم بيت من السكاسك قاله الجندي وكان فقيهاً حبراً تفقه بالفقيه علي بن احمد الاصبحي صاحب المعين وحج معه في هذه السنة فدخل مكة محرماً بعمرة فلما حل من عمرته قصد مدينة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم للزيارة فزار الضريح النبوي واقام اياماً هناك . ثم قفل نحو مكة حرسها الله تعالى فتوفي في وادي مر عائداً من الزيارة في شهر ذي القعدة من السنة المذكورة رحمه الله تعالى .

وفيها توفي الفقيه الفاضل ابو بكر بن مسعود . وكان فقيهاً فاضلاً بسكن قرية العراهد . وكان مستجاب الدعوة تفقه بالفقيه ابي القسم الزيلعي وبغيره . وكانت وفاته في السنة المذكورة رحمه الله تعالى .

وفيها توفي الفقيه الصالح ابو حفص عمر بن محمد بن عبدالله بن سلمة الحبيشي الوصابي . وكان ذا علم وعمل وزهد وله الشهرة في التعبد والصلاح وكان قد تفقه بالفقيه ابراهيم بن محمد بن عبدالله بن محمد بن اسماعيل المارىى وعلى غيره من العلماء . وتولى القضاء في ناحية وصاب . ولم يزل على الطريقة المثلى الى ان توفي يوم الاثنين الخامس عشر من جمادى الاخرى من السنة المذكورة رحمة الله تعالى .

وفيها توفي الفقيه البارع ابو عبدالله محمد بن علي بن جبير . وكان فقيهاً عارفاً

محققا ولد في شهر ربيع الآخر من سنة ثلاث وستين وستمئة وتفقه في بدايته بخاله الفقيه ابي عبدالله محمد بن ابي بكر الاصبحي ثم الامام محمد بن علي بن احمد الاصبحي ثم الفقيه صالح بن عمر ثم بفقهاء تعز ، كابن صفي وابن النحوي ثم ارتحل الى عدن فاخذ بها عن ابي العباس القزويني وعن ابي العباس بن الحواري . واخذ صحيح مسلم عن التاجر المعروف بالشهاب صقر التكريتي لعلو سنده فيه . ثم رجع الى بلده ودرّس في المدرسة الجديدة بالحُمَيرَاء في مدينة تعز . وكانت وفاته في شهر المحرم من السنة المذكورة رحمهُ الله تعالى .

وفي سنة اثنتين وسبعمئة جهز السلطان الملك المؤيد رحمه الله الشريف ادريس ابن علي فاخرب الجاهلية ورحابة وجهز الامير شمس الدين عباس بن محمد الى جبل جشم فأخرب زروعهم . وكان السلطان رحمه الله قد قبض رهائن الاشراف حين اراد النهوض من محطة ورور وهم الاميران محمد بن احمد بن القاسم واخوه الامير داود بن احمد بن القسم والشيخ علي بن دحروج وولده وولد القاضي احمد الذماري . وجهز الفقيه شرف الدين احمد بن علي الجنيد لقبض تلمص . وصدَّر معهُ الاشراف رسولاً منهم كما ذكرنا . فامتنع اهل الحصن من تسليمه وسلموه الى الشريف ابي سلطان فسار الشريف شكر الى الاشراف بظفار لتمام ما قد قيدوه من تسليم حصن تلمص فاقام عندهم اياماً . ثم وصل كتابه بطلب وصول الامير محمد بن حاتم فسيرهُ السلطان اليهم . وفي خلال ذلك وصل الامير سيف الدين طغريل من اقطاعه بلحج فاقطعه السلطان صنعاء وذلك في النصف الثاني من صفر . واقام الامير شكر والامير محمد بن حاتم اياماً بظفار . ثم عاد الى السلطان بذمة ستة اشهر على رهائن أُخر بذلها الاشراف . وطال الحديث في ذلك فغضب السلطان غضباً شديداً وجهز الامير سيف الدين طغريل والامير بن وهاس فحطوا في ورور ومعهم الشيخ محمد بن علي دحروج في الترسيم وقد اظهر الخدمة والنصيحة وتكفل للسلطان باخذ ظفار في ثمانية ايام . فلما صاروا في ورور صدروا جيشاً فلزموا القبة وشرعوا في عمارتهاواقامة المحطة بورور. ووقع في البلاد قحط شديدفبلغ الزيدي

في المحطة اربعة دنانير واكثر من ذلك . وخلا كثير من البلاد من اهلها وماتوا جوعاً وبيعت الاطيان بارخص الاثمان . وعم القحط اليمن جميعه سهلاً ووعراً واستمر الشريف ابو سلطان في تلمص وخالف الامراء الى عز الدين وعاودوا اهل صعدة من فلَلة . وجهز السلطان الامير نجم الدين موسى بن احمد الى صعدة لصلاح امرها . وجهز الامير عباس بن محمد في عسكر الى بلاد الامير تاج الدين لحربه . ولزم الاشراف القاضي محمد الذماري واخذوا ما وجدوا في بيتهِ .

وفي شهر رجب وقع في مخلاف صنعاء امطار عظيمة والسعر على حاله ودخل ظفار من هذا المطر ما ملأ مواجله . ولم تزل المحطة على تلمص وظفار وازداد الغلاء حتى بلغ الزيدي من الدقيق في المحطة ثلاثين درهماً . وفي بواقي ايام من رجب تداعى الناس الى الصلح على رد المال المسلم في تلمص فسلموا منهُ ستة عشر الفاً وحريراً وحلياً باثنى عشر الفاً وامتهلوا في الباقي الى عشرة ايام في شوال ورهنوا فيه ولدي الامير احمد بن قاسم . وحصن المدارة على يد الامير وهاس . واخرج بنو دحروج حريمهم من ظفار وسكنوا صنعاء . وسلم الامير تاج الدين الحدود ورهن ولده مع رهينة الامير سليمان بن قاسم وانعقد الصلح بين السلطان واصحاب ظفار وتاج الدين على ان السلطان يحارب تلمص ويفعل فيه ما شاء ولا عيب .

وفي هذه السنة اقطع السلطان رحمه الله الشريف عماد الدين ادريس بن علي لحجاً حين انفصل منها طغريل وذلك في شهر ربيع الاول من السنة المذكورة فسار اليها فوصلها يوم الرابع من شهر ربيع الآخر . وكانت الجحافل قد جمعت جموعاً . وحطت بالصعيد فلما وصل الشريف عماد الدين الى الدعيس ارتفعوا من محطتهم . فاغار عليهم العسكر فادركوا جماعة منهم يوسف بن مدقة فقتلوه واحتزوا رأسه واقامت الجحافل بعد ذلك بصهيب مدة وهم يعدون الى الساحل وغيره ثم قصدهم الشريف عماد الدين ولقيه الامير بدر الدين محمد بن الحسن بن نور . وكان مقطع ابين يومئذ فدخلوا عليهم موضعاً يسمى الشعبة . وبلغوا مواضع من بلادهم لم يبلغها احد من العساكر السلطانية قبل ذلك . ولما رجع الامير عماد الدين من غزوته

جهز عسكراً الى الساحل فظفروا بابراهيم ن سعد بن عبد العزيز وكان فارس الجحافل يومئذ فقتلوه واحتزوا رأسه فظفرت خيل الصعيد بخمسة من العجالم فقتلوهم .

وفي شهر شعبان من هذه السنة توجه السلطان الى اليمن فدخل حصن تعزّ المحروس آخر يوم من شعبان وقيل اول يوم من رمضان .

في هذه السنة توفي الملك العادل صلاح الدين ابو بكر بن الملك الاشرف وكانت وفاته رحمه الله في قرية ضراس وفي آخر شهر رمضان طلع الشريف عماد الدين ادريس بن علي الى تعز المحروس بسبب العيد .

وحضر جماعة من الشعراء وقام الفقيه عفيف الدين عبدالله بن جعفر بقصيدة طنانة من عيون شعره فانشدت يوم العيد وهي :

اثمار هذا القضيب الرطب الوان ... كرم وطلع وتفاح ورمانُ

اهكذا الفضة البيضاء قد نبتت ... غصنٌ وزهر بها في الخد عقيانُ

ظبيٌ مباسمه در وريقته ... خمر وأنفاسه روح وريحانُ

قد صح اقطاع منشور القلوب له ... ونور حاجبه في الخد عنوانُ

واضرم الحسن في امواج وجنته ... ناراً لها مهج الاكباد قربانُ

عجبت اذ نبت المرجان في فمه ... وقبلها لم يكن في العذب مرجان

تصوير شخصك في عينيّ ممتنع ... ان يلتقي ليّ فوق النوم اجفان

هذى دموعي بوجدي فيك شاهدة ... ينبيك بالشان ما يجري به الشان

ما اختص ناظرك الساجي لانفسنا ... بفتنة كل شيء منك فتّان

لا تمش بالصبّ في طرق الهوى مرحاً ... واقصد كما قال في فحواه لقمان

أتستبيح جهاراً قتل أنفسنا ... والارض فيها هزبر الدين سلطان

سيف من الله لولا حده عبدت ... مع المهيمن اصنام وأوثان

ملك مكارمهُ غيث ونجدتهُ ... غوث وايامهُ أمن وايمان

في سلمه لشديد الناس مدرأة ... يرضى الإله وحد السيف غضبان

مستحسنات صفات الناس قد جمعت / فيه فدعهم فأهل الارض انسان

لم لا ويوسف شمس الدين منبتهُ / ومنبت الاصل قابوس ونعمان

وتبّع الاكبر السامي وذو يزن / عمٌّ وبيتك صرواح وغمدان

اذ كان في فرع صنعاء بناؤهمُ / قد تستضيء سمرقند وحلوان

تلك المعاهد من قحطان ان عدموا / فللمؤيد عادوا مثل ما كانوا

كأنما الشهب من ظلمائه قنص / تخطّفته من الرايات عقبان

كأن رؤوس رماح فوقها رفعت / منها على الجوّ احواض وغدران

فيها القنا شهب والحلو ملتهب / والسيف محتطب والقوس مرنان

كأن حصن ظفار تحت لجتها / من الهلاك ابن نوح وهي طوفان

حتى تظنوا بأن الارض قد طويت / وان موضعها خيل وفرسان

يمدها من دواهي الارض مأثلة / تمخضت بحجاز وهي عيدان

مطاعة كلما نادت برفع يدٍ / تبادرت نحوها دور وحيطان

حتى اذا طحنتهم تحت كلكلها / شهباء منها يطيش الانس والجان

تشفعوا بكتاب الله وارتفعت / امامهُ صحف فيهنّ قرآن

فرد عنهم حياء من كرامتها / زاكي الأصول كريم الخَيم يقظان

ومنّ داود في الأسرى فأطلقهم / جوداً وان هزبر الدين منّان

وواثق القبة الشماء مشرقة / على ظفار بها جيش وبنيان

كمثل جنة نون الارض تحرسه / من أن يميل لهُ بالارض اركان

ما ضرّ داود مال ظل ينفقه / داود بحرٌ به المرجان مجّان

ما ضاع من ضيعوه في رفاقتهم / لقد وقفت لهم في حيث ما كانوا

واستحسنوا الغصب في امواله فابى / [1] بكفك تحمى وهي جيران

انت المليك الذي في عصره امنت / من عصرهن عناقيد وقنوان

وطهر الله ارضاً انت مالكها / من ان يكون لها كفر وعصيان

---

(١) الوزن مختل لعل الساقط« الا » بكفك الخ . . . اذ لم نعثر على هذه .

جددت في مشترى عنقي لكم شرفاً ... وللعبيد من المعروف اثمان
سقيت غرسي بانعام تجدده ... ومن سجاياك للاحسان احسان
هنئت يا مالك الدنيا ابن مالكها ... ثلاثة هن للأفراح صنوان
نصر وجيش قدوم جاء بعدهما ... عيد بوجهك من داود مزدان
وفي الليالي فنون من سعادتكم ... ان الليالي لما تهواه خزان
فلا برحت على مر الزمان كذا ... ولا خلت منك اوقات وأحيان

وفي هذه السنة المذكورة امر السلطان رحمه الله ببناء مدرسته المعروفة بالمؤيدية في مغربة تعز ورتب فيها اماماً ومؤذناً وقيماً ومعلماً وايتاماً يتعلمون القرآن الكريم ، ومدرساً على مذهب الامام الشافعي ومعيداً وطلبة للعلم الشريف ومقرئاً يقريء القرآن بالسبعة الاحرف ووقف عليها من الاراضي والكروم ما يقوم بكفاية الكل منهم ووقف عليها عدة من الكتب النفيسة .

وفي هذه السنة توفي الامير الكبير نجم الدين موسى بن الامير الكبير شمس الدين احمد بن الامام عبد الله بن حمزة . وكانت وفاته يوم السادس والعشرين من ذي الحجة من السنة المذكورة في نواحي صعدة رحمهُ الله تعالى .

وفيها توفي القاضي عمران بن القاضي عبدالله بن اسعد بن محمد بن موسى العمراني وكان فقيهاً فاضلاً واخذ ايضاً اخذاً حسناً واستوزره ابراهيم بن الملك المظفر فلما اقطعه والده إقليم ظفار امتنع اهله العمرانيون عليه من السفر مع مخدومه فلم يسافر معه وأقام مع اعمامه بتعز وتولى القضاء بها ثم لما صودر اهله كان من اشد الناس عداءً يوم انزل هو وعمه محمد بن حسان بن اسعد الى زبيد على صفة الرهائن فاقام في زبيد تحت الاعتقال الى ان توفي في السنة المذكورة .

وفي هذه السنة توفي الفقيه الفاضل ابو القاسم بن علي بن موسى الروائي الحربي لقبا والزيلعي بلداً . وكان فقيهاً عارفاً فاضلاً تفقه بتهامة على فقيهها الفقيه اسماعيل بن محمد الحضرمي واحمد بن موسى بن عجيل فأخذ على محمد بن علي بن عمر الامام ثم طلع الجبال فورد مدينة إب فرتب مدرساً في مدرسة لبني سنقر .

فانتفع به الناس انتفاعاً عظيماً لا سيما اهل إب وما قرب منها وكان يعرف المهذب معرفة شافية ولم يزل بإب الى ان توفي بها في هذه السنة المذكورة وله يومئذ نيف وتسعون سنة وقبر في حياط الامام سيف السنة الى قبر الفقيه محمد الاصبحي رحمة الله عليهم اجمعين .

وفيها توفي الفقيه البارع ابو حفص عمر بن عيسى محمد بن سليمان المُسَلّمي ثم العامري . وكان منزله العقلة بضم العين المهملة وسكون القاف وفتح اللام وبعد اللام هاء تأنيث . وكان فقيهاً بارعاً متأدباً راوياً للشعر ويقول شعراً حسناً وكان عارفاً حبراً اديباً اريباً مقبول الكلمة في بلده توفي في اثناء السنة المذكورة رحمه الله تعالى .

وفيها توفي الفقيه البارع ابو العباس احمد بن محمد بن علي بن عبد الحميد المنتابي نسبة الى قوم يعرفون ببنى المنتاب وشهر بابن الحميدي نسبة الى جده عبد الحميد . وكان في بدايته اسماعيلياً . ثم انتقل الى مذهب الشافعي . وتفقه بابن جبر وبالقاضي عمر بن سعد في الفقه والحديث وأخذ الاصول على رجل غريب يعرف بالاربلي وأخذ النحو عن الوشاح واليه انتهت رئاسة الفتوى في مدينة صنعاء ونواحيها على مذهب الامام الشافعي وتوفي في شوال من السنة المذكورة وله نيف وتسعون سنة والله اعلم رحمه الله تعالى .

وفيها توفي الفقيه الصالح محمد بن عمرو بن محمد بن عمرو الساعي وكان فقيهاً ورعاً صالحاً فاضلاً عارفاً بالفقه والحديث تفقه بأبيه عمرو بن علي وبسليمان بن الزين وأخذ عن ابي الخير بن منصور الشماخي . وكان له صهر يصحب عباس بن عبد الجليل . فلما توفي الامير عباس بن عبد الجليل وشا بعض الوشاة الى الملك الاشرف بصهر الفقيه . وذكر ان تحت يده مالاً للامير عباس فلزم الاشرف واراد مصادرته فتقدم الفقيه الى باب الاشرف وكان يومئذ في المهجم اذ هي اقطاعه من ابيه المظفر فلما علم الاشرف بوصول الفقيه الى بابه استدعاه فلما دخل عليه رحب به وأكرمه وأجله فلما كلمه في صهره قال له قد شفعتك فيه بشرط انك تقف تدرّس في

المسجد الذي بناه الوالد في واسط المحالب فاجاب بالقبول والطاعة . ثم تقدم ودرّس في المسجد المذكور مدة وهو قلق غير راض وكان مهما حصل له من الطعام أنفقه على الطلبة المنقطعين أو في بعض وجوه البر ولم يزل على ذلك حتى دخل عليه يوماً فقير فسلم عليه وسأله ان يكتب له شفاعةً الى صاحب الجابر بان يركبه في بعض الجلاب الى جده فكتب له الفقيه فلما فرغ قال له الفقير يا فقيه أجدك في فكر وفي نفسك شيءٌ وقد أحببت ان أسمعك أبياتاً توافق المعنى وهي :

كن عن همومك معرضاً * وكِل الامور الى القضا
وابشر بعاجل فرحة * تنسى بها ما قد مضى
فلربما اتسع المضيـ * ـيق وربما ضاق الفضا
ولرب أمر مسخط * لك في عواقبه رضا
الله يفعل ما يشا * ء فلا تكن متعرضا

فوقع في نفس الفقيه الترك للمجد والزهد في جميع العلائق ثم جعل يفكر في الابيات ثم أفاق فلم يجد الفقير . فطلبه وأمر من تبعه الطريق فلم يوجد له خبر فخرج الفقيه من فوره عن المسجد سائراً قاصداً يريد بلده فمرّ بالجبرية وهي قرية من قرى تلك الناحية . وكان فيها تلميذ لابيه فلقيه هنالك ، فاستوقفه يريد إكرامه ، فوافقه ودخل المسجد بينما يهيء له الرجل موضعاً في البيت فلما دخل المسجد أحرم بالصلاة فلما ركع رفع رأسه شاخصاً ببصره الى السماء حتى انقضى النهار وبقي مطروحاً لا يجيب ولا يتكلم . فحمل عن المسجد الى بلده فادخل بيته فأقام سنة لا يفهم منه أمر ولا أكل شيئاً من الطعام غير شربة لبن ثم فتح عليه عقيب ذلك بمكاشفات وكرامات وبكلام في الحقيقة .

فمن قوله : لذعات الغفلة في قلب المراقب أعظم من لدغات الحيّات والعقارب .

ثم أقام سنة أخرى لا يأكل شيئاً وفي السنة التي مات فيها أقام تسعة أشهر لم يذق طعاماً . ثم اكرهه اهله قبل موته تسعة أيام على طعام وكانت وفاته يوم الاثنين

ثاني عشر صفر من السنة المذكورة رحمه الله تعالى .

وفي هذه السنة ايضاً توفي الفقيه الفاضل ابو محمد الحسن الشرعبي نسبة الى شرعب بن سهل بن زيد الجَمَهْور بن عمرو بن قيس بن معاوية بن جشم العظمي ابن عبد شمس الملك بن وايل بن الغوث بن جيدان بن قطن بن عريب بن زهير بن أيمن بن الهميسع بن حمير بن سبأ أو الى الناحية التي تسمى شرعب . وهي ناحية مشهورة قبلي مدينة تعز سميت باسم شرعب بن سهل المذكور .

وكان المذكور فقيهاً فاضلاً بارعاً في الفقه مشهوراً خرج من بلده فقدم زبيد . وكان فقيهها يومئذ علي بن قاسم الحكمي ثم خرج من زبيد فقدم موزع فاقام بها مدة ثم انتقل عنها الى البرقة فاقام بها ايضاً فلم تطب له فطلع الى تعز وقصد القاضي بهاء الدين وهو يومئذ قاضي القضاة ووزير فشكا عليه حاله فولاه قضا موزع والزمه الدخول فيه الزاماً . فنزل الى موزع قاضياً فسار في القضا سيرة مرضية ووقفت عليه امرأة من الفرسانيين أرضا وبنت مسجداً وسألت من الفقيه ان يكون مدرساً في ذلك المسجد وله غلة الارض الموقوفة فاجابها الى ذلك . وتفقه به جمع كثير من موزع ونواحيها .

وفي تلك المدة ابتنت الحرة مريم بنت الشيخ العفيف زوجة السلطان الملك المظفر مدرسة في زبيد وهي المدرسة المعروفة في زبيد بمدرسة مريم . وتعرف بالسابقية ايضاً . ثم سألت من الفقيه ان يكون هو الذي يدرس فيها اذ كان اكبر فقهاء الوقت العاملين وذلك لما بلغهم من فضله فاستدعاه السلطان الى تعز وسأله ان ينتقل الى زبيد بسبب التدريس في المدرسة المذكورة فاشترط ابقاء ولده في قضاء موزع نائباً . فاجيب الى ذلك ثم انتقل الى زبيد فدرَّس في المدينة المذكورة .

قال الجندي وأدركته فيها فقرأت عليه بعض المهذب تبركاً لما ذكر انهُ من اكابر اصحاب الفقيه علي بن قاسم . وقد تفقه بهِ جماعة وقصدهُ الطلبة من نواحٍ كثيرة . وأقام في زبيد عدة سنوات حتى كبر وهرم وضعف عقله وبصره . ثم عاد الى موزع وجعل مكانهُ في تدريس المدرسة المذكورة محمد بن عبدالله الحضرمي . وكان إذ ذاك

معُيده في هذه السنة المذكورة وهي سنة المجاعة الشديدة رحمهُ الله تعالى .

وفيها توفي الفقيه الفاضل محمد بن يوسف بن شعيب بن ابراهيم . وكان فقيهاً فاضلاً عارفاً تفقه بابن النحوي وابن البويم . وكانت وفاته في المحرم من السنة المذكورة رحمهُ الله تعالى .

وفي سنة ثلاث وسبعمئة وصل الامير بدر الدين مكتوب المرقبي سفيراً من الديار المصرية الى اليمن يخبر بانتصار المسلمين على عسكر التتر بمرج الصُّفر وكانت عدة القتلى في الوقعة المذكورة يومئذٍ مئة الف قتيل فاحتفل السلطان بالرسول الوارد اليه بكتاب النصر ودقت الطبلخانة واعلن السرور والبشائر وخرج أعيان الدولة بأسرهم من الوزراء والامراء والمقدمين يتلقون السفير .

وقال الشريف ادريس بن علي في ذلك :

لم تأتك الرسل من مصرٍ وساكنها ... الاَّ مؤدِيةً حقّاً لكم يجبُ

وحين لاحت قصور الحصن لاح لهم ... من نور وجهك ما لا تستر الحجب

واستقبل العسكر المنصور فانصدعت ... قلوبهم فهي في اجوافهم تجب

كتائب مثل ضوء الشمس قسطلها ... غيم فساروا بليلٍ والقنا شهب

خفت بهم فرأوْا أسْداً ضراغمة ... عاداتهم في الورى ان غولبوا غلبوا

وكيف لا والأمين الرُّوح يقدمهم ... في كل روع وحيزوم به يثب

وعاينوا منك وجهاً طال ما سجدت ... لهُ الملوك وقامت باسمه الخطب

وامر السلطان رحمهُ الله تعالى باكرام السفير المذكور وانزاله مكاناً يناسب حاله . وأُفيض عليه الانعام التام . وكتب له جواب في معنى ما جاء به وعاد الى مخدومه قافلاً الى مصر .

ثم وصلت الاخبار بوصول عسكر جرار من الديار المصرية الى مكة المشرفة حرسها الله تعالى فاخذ السلطان بالحزم . وتوجه من تعز الى زبيد في آخر ذي القعدة وامر بعمارة البرك. وبعث بمقدم في قطعة من العسكر المنصور الى هناك . ولما انقضى الحج وصل العلم بان الامير سيف الدين سلار نائب السلطنة في الديار المصرية حج

في جيش عظيم . وانه تصدق على اهل الحرمين بصدقة عظيمة .

قال ابن عبد المجيد في كتابه « بهجة اليمن » : ان صدقته تنيف على ستمئة الف درهم . ومن الغلة الجيدة المحمولة في البحر من جهة القصير الى جدة عشرة آلاف اردب وأنه لم يترك بالحجاز في تلك السنة من عليه دين . قال بلغني أن دخل اقطاعه وضمانا ناته ومستأجراته واجرة عقاره بمصر والشام في يوم مئة الف درهم خاصة لحراسه خارجاً عن كلفته المختصة بحاشيته ، انتهى .

وفي هذه السنة وصل رجل من التجارمن بلاد الخطا على طريق الصين يقال له عبد العزيز بن منصور الحلبي بمال يعظم شأنه وكان معه من الحرير ثلاثمئة بهار البهار الواحد ثلاثمئة رطل بالبغدادي ومن المسك المفرغ في اواني الرصاص اربعمئة رطل وخمسون رطلاً ومن الفخار الصيني جملة مستكثرة ومن الاواني الشم المطعمة بالذهب من الصحون الكبار جملة جيدة . ومن الثياب المختلفة الالوان مثل ذلك . ومن المماليك والجواري شيءٌ كثير . ومن الفضة الماس خمسة ارطال زعم انها صدقة للحرمين على يديه من تجار تلك الناحية فتقرر عشور ما وصل به الى ثغر عدن المحروس ثلاثمئة الف درهم .

فلما استقر بعدن توجه الى الباب الشريف فتلقاه الكريم الهزبري بالانعام العام فقدم بين يدي نجواه هدايا عيناً وتحفاً استحسنها فبرز المرسوم بقبولها وافاض السلطان عليه خلعاً نفيسة واعطاه المراكب السنية . وكتب عوضاً عما قدمهُ باضعاف ذلك . وتقدم المرسوم الشريف الى نواب الثغر المحروس باجلاله واحترامه . وخير بين السفر والاقامة فاختار الرحلة الى صور مصر ونواحيها ليجدد عهداً باهله .

وفي هذه السنة المذكورة اوقع الشريف ادريس بن علي بالجحافل وقعة ابان فيها عن همة علوية وشهامة . وكان جملة من اجتمع فيها من الجحافل اربعين فارساً والفاً ومئتي راجل . وكان الشريف في مئتي راجل واربعين فارساً فقتل من الجحافل مقتلة عظيمة وقتل من العسكر نفر يسير منهم الشريف علي بن محمد الابرص وهو ابن عم الشريف ادريس وفي هذه الوقعة يقول الشريف عماد

الدين ادريس بن علي رحمه الله حيث يقول :

ولـو لم تخني عنـد صنـويّ كبوة — من الاحمـر الخنّـاس ما فات مطلب
ولـكن خرصـان الرمـاح تشاجرت — هنـالك حتـى كاد يُودي ويعطب
فلـو كان فيمـن ادركتـهُ رماحنا — صريع لنـا ثأر يُعَـدُّ ويحسب
فقـد صرعـت حوليه سبعـون أغلباً — تهاداهـمُ في القفـر ذئـب وثعلب

وفي هذه السنة توفي الامير ابو سلطان المستولي على تلمص وكان قد اتفق هو والامير جمال الدين على بن بهرام علي تسليم الحصن للسلطان وتراهنا على ذلك فغلب المرتبون بعد موته على تمام الامر وباعوه بعد موته على الاميرعلي بن موسى بن احمد بن الامام فسار نحوه بشحنةٍ من الطعام آخر الليل . فلما علم ابن بهرام خرج من صعدة نحوهم . فوقع بينهم قتال شديد وتلازم الاميران علي بن موسى وعلي بهرام وقتـل فارسان من الفريقين . وكان السلطـان قد ارسـل الامـير علي بن موسى لصـلاح صعـدة . وارسـل الامـير عبـاس بن محمـد بن عبـد الجليل الى بلاد تاج الـدين لمحاربته . فكان من علي بن موسى ما كان .

ولما طلعت الشحنة الى تلمص وصل الامير المؤيد بن احمد الهدوي . وكان من علماء الزيدية وفضلائها وذوي السن والرئاسة فاقام في محطة الاشراف اياماً . وكانت محطتهم تحت حصون الامير موسى .

وفي خلال ذلك وصل الامير محمد بن مطهر من ظُلَيمْة قاصداً صعدة فلقيه الامير المؤيد بن احمد الى بلد بني عوير ثم لقيهم الاشراف بجمـع جيد من الخيل وساروا جميعاً يريدون تُلمصـاً فركب الغـز من صعـدة وعارضوهـم فحصـل بـين العسكرين قتال عظيم . فانهزمت ميمنة عسكر السلطان وميسرته وثبت القلب ثباتاً حسناً فلما انهزم اصحابهم لم يمكنهم الاستقرار بعد انهزام الجيش فساروا بعدهـم . وقتل يومئذ ايبك الحجازي الاشرفي وكان من الشجعان المعدودين وقتل معهُ ثلاثة فرسان واربعة من الرجل واخذ من الخيل سبعة رؤوس وسار الاشراف من فورهم الى مدينة صعدة . وذلك في النصف الثاني من شعبان من السنة المذكورة . فاقام

الاشراف في صعدة اياماً ثم كاتبوا في الصلح فانعقدت الذمة الى سلخ الحجة على اخلاء صعدة من الفريقين . ونزل الشريف شكر الى الابواب الشريفة السلطانية لتمام الصلح وسار معه الشريف داود بن عز الدين فلم ينصف فعاد غاضباً الى اصحابه فعملوا على تمام الذمة . وجهز السلطان جيشاً للامير شمس الدين عباس بن محمد في مئتي فارس ومقدمين من مذحج في آخر القعدة وتراسلوا في الصلح على تمام الذمة الأولى .

وفي هذه السنة توفى الملك الظافر قطب الدين عيسى بن الملك المؤيد . وكانت وفاته في حصن تعز يوم الرابع والعشرين من المحرم . وحضر دفنه اخوه الملك المظفر وعمه الملك المنصور . وكافة أعيان الدولة وقبر في مدرسة والده التي انشأها في ناحية المغربية من مدينة تعز ورثاه العفيف عبدالله بن جعفر بقصيدة بديعة الاستهلال فأولها

يحق لكل قلب أن يذوبا   من الحزن الذي صدع القلوبا
على قطب رسوليٍّ جوادٍ   أُصيب بهِ الورى لما أُصيبا

وكان ملكاً ذا همة بارعة ، وعزمة لابكار المعالي فارعة . وامر والده السلطان يومئذٍ بذبح خيله الخواص حين حملوه على الرقاب . وما كان احقه بقول الاول :

فتى كالسحاب الجون يخشى ويرتجى   ترجى الحيا منهُ وتخشى الصواعقا

وفيها توفي الفقيه الامام العلامة ابو الحسن علي بن احمد بن اسعد بن ابي بكر ابن محمد بن عمر بن ابي الفتوح بن علي بن ابي الفتوح بن علي بن صبح الاصبحي . وكان مولده لخمس بقين من ذي الحجة سنة اربع واربعين وستمئة . وتفقه بالفقيه عبد الوهاب بن الفقيه ابي بكر بن ناصر . ثم بابن خاله محمد بن ابي بكر وعليهِ اتقن الفقه وحققه فكان غالب قراءته عليه بالمصنعة يختلف اليهِ من الذنبتين كل يوم اثنين وكل خميس وقد يقف في المصنعة الايام ذوات العدد . ثم لما اكمل الفقه اخذ عنهُ كتب الحديث ايضاً وكان من المحققين للفقه العارفين به لم يكن له نظير في عصره وتصانيفه الموجودة تشهد بذلك . ومن تصانيفه المعين وغرائب الشرحين واسرار المهذب وكفى بالمعين شاهداً . وله فتاوٍ كثيرة مشهورة . وكان

فقهاء عصره جميعاً يرجعون الى قوله ويسألونه ويعتمدون جوابه وكان جميل الخلق دائم البشر حسن الالفة محب الاصحاب ويتألفهم ويعجبه اجتماعهم . ولهِ كرامات كثيرة ومكاشفات . واجمع اهل عصره على ورعه وزهده ونزاهة عرضه وانه يقول الحق ولو على نفسه . وتفقه به عدة من اهل عصره من نواح شتى منهم سعيد بن ابي بكر وسعيد بن العودري وعمر الحبيشي ومحمد بن جبير واسماعيل بن احمد الحلي ومحمد بن علي وعمه حسن وهما من العماكر . وعبدالله بن عمر بن ايمن وابو بكر ابن المقري من اهل تعز . وابو بكر بن حاتم السلماني وابو بكر المغربي من الجند ويوسف بن النعمان . هؤلاء شهروا وقد اخذ عنه جمع كثير من غيرهم . ودرس في المدرسة المظفرية اياماً قلائل ثم امتنع من التدريس بها .

ومن غريب ما يروى عنه انه خرج يباشر ارضاً له للزراعة وفيها انسان يحرث على ثورين له فنظرها ملياً ثم سأل الغلام الذي يحرث له هل عندهُ شيءٌ من الماء ليشرب منه . فاشار الحارث له الى موضع فقصد الفقيه ذلك الموضع فوجد هنالك حنشاً عظيماً فقتله الفقيه . واذا بالفقيه يجد نفسه في ارض لا يعرفها بين اقوام لا يعرفهم لهم خلق غريب . وفيهم من يقول للفقيه قتلت اخي . وبعضهم يقول قتلت ابي . وبعضهم يقول قتلت ابني . ففزع الفقيه منهم فزعاً شديداً . فدنا منهُ شخص وقال له قل أنا بالله وبالشرع فقال انا بالله وبالشرع فمضى هو وهم حتى اتوا داراً فخرج اليهم منها شيخ على هيئة الرخمة البيضاء فقعد على شيءٍ مرتفع فادعى عليه بعض اولئك فدنا منه صاحبهُ الاول وقال له قل ما قتلت الا حنشاً فقال ما قتلت الا حنشاً . قال قاضيهم سمعت باذني هاتين من رسول الله صلى الله عليهِ وسلم وهو يقول من تشبه من الهوام فلا قود عليه ولا دية . قال فسقط في ايدي القوم وتأخروا عنهُ وتركوه واذا بالفقيه في موضعه عند الماء الذي يريد ان يشرب منهُ . قال فلما رجع الى الغلام الذي يحرث قال له اني رأيتك واقفاً عند الماء ثم لم أرك بعد ذلك . ثم ما عتمت حتى رأيتك الساعة في موضعك فاين كنت . قال ما كان شيء

مما ذكرت وما كان الا خيراً ان شاء الله تعالى[1]. وكان الفقيه مسدد الجواب موفقاً للصواب . وانتفع الناس بكتبهِ التي صنعها نفعاً عظيماً وطارت في البلاد وارتحل بها الى الاماكن البعيدة . وكان الملوك يجلونهُ كثيراً . وسامحهُ السلطان الملك المظفر في ارضهِ . ثم سامحه الملك الاشرف باكثر مما سامحهُ ابوه . وكان وجيهاً عند الخاص والعام واليهِ انتهت الرئاسة في اليمن اجمع . وكانت وفاتهُ في ليلة الاربعاء الرابع عشر من المحرم من السنة المذكورة رحمهُ الله تعالى .

وفيها توفي الفقيه الفاضل ابو الخطاب عمر بن ابي بكر بن عمر بن الشيخ الحافظ علي بن ابي بكر العرشاني كان فقيهاً نبيهاً كريماً سخي النفس يطعم الطعام ويكرم من قصده . وكان صاحب اجازات وسماعات ولم يزل على ذلك الى ان توفي يوم السابع عشر من شعبان من السنة المذكورة رحمه الله تعالى .

وفيها توفي الفقيه البارع ابو العباس احمد بن سليمان الحكمي . وكان مولده سنة خمس واربعين وستمئة . وتفقه بصالح بن علي الحضرمي والريمي . وكان مشهوراً بالذكاء والفقه التام . واليه انتهت رئاسة الفتوى في مدينة زبيد واعمالها وبه تفقه جمع كثير . وكان مدرس المنصورية بزبيد ثم عزل عنها في اول سنة سبع وتسعين وستمئة . وذلك في اول الدولة المؤيدية فلزم بيته واقبل على نشر العلم تارة في بيتهِ وتارة في الجامع الى ان توفي سحر ليلة الاثنين الثامن من شهر شعبان من السنة المذكورة رحمه الله تعالى .

وفيها توفي الفقيه الفاضل ابو الخطاب عمر بن علي اللحي الزيادي . وكان فقيهاً فاضلاً تفقه بالريمي واستمر مدرساً في الهكارية بزبيد واعاد بالنظامية . وكان مذكوراً بالخير الى ان توفي ليلة الجمعة الثالث من شهر رمضان من السنة المذكورة رحمه الله تعالى .

وفيها توفي الفقيه الفاضل عثمان بن عبدالله بن ابي بكر بن علي الوهبي ثم

---

(١) قصف على هذه الحكاية . فيها ان الفقيه علي بن احمد الاصبحي رأى الجني الذي سمع عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وذلك قبل موته ومات سنة ٧٠٣ .

الكندي . وكان فقيهاً فاضلاً تفقه بالفقيه اسماعيل بن محمد الحضرمي وابن عمه محمد وكان معاصراً لاحمد بن عبدالله الوزيري توفي في مدينة زبيد لأربع خلون من صفر من السنة المذكورة رحمه الله . وخلفه ابن له اسمهُ محمد توفي بعد ابيه في رجب من السنة المذكورة بعد ان بلغ عمره سبعاً وخمسين سنة والله اعلم .

وفيها توفي الفقيه الصالح ابو العتيق ابو بكر بن عيسى بن عمر وكان يعرف بالسراج . وكان فقيهاً كبيراً مشهوراً من اصحاب الامام ابي حنيفة رضي الله عنه . ولد سنة ثلاث وثلاثين وستمئة . وكان صالحاً سليم الصدر تغلب عليه البداوة لكونه من اهل البادية من قرية من وادي زبيد تعرف بالهرمة . وكان قائلاً بالحق آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر لا يحاشم في ذلك صغيراً ولا كبيراً . وكان مدرساً في المنصورية الحنفية بزبيد بعد الصمعي . وكانت وفاته في زبيد يوم السابع من شهر جمادى الآخرة من السنة المذكورة رحمه الله تعالى .

وفيها توفي الفقيه البارع ابو الخطاب عمر بن علي العلوي الحنفي وكان فقيهاً ماهراً ورعاً كريماً جواداً . ولد سنة اربع وستين وستمئة وتفقه بجده لأمه الفقيه الامام ابي بكر بن عمر بن حنكاس وابتنى مدرسة في مدينة زبيد خص بها اهل مذهبه من اصحاب ابي حنيفة رحمه الله . وله تصنيف حسن جيد يدخل في سبعة مجلدات يسمى منتخب الفنون . وكان شاعراً فصيحاً مفوهاً . وقد اودع المذكور كثيراً من شعره وهو كتاب نفيس حسن ممتع يدل على اطلاع كثير وعلم غزير وكان له خزانة كتب ليس لاحد مثلها يقال انه كان فيها خمسمئة ديوان من الشعر . وكان له عدة اولاد وهم محمد وابو بكر وعلي وعثمان وابراهيم واسماعيل ويوسف وداود وغيرهم . وقد انتهت رئاسة العلم الى ولده ابراهيم وانتهت رئاسة الدنيا الى ولده يوسف وهما اكثر اولاده ذريةوامتحن الفقيه عمر المذكور في آخر عمره بخدمة الملوك فصادره السلطان الملك المؤيد مصادرة شاقة توفي عقيبها . وكانت وفاته يوم السابع من رجب من السنة المذكورة رحمه الله تعالى .

وفيها توفي الفقيه الصالح ابو بكر بن عبدالله بن محمد بن سليمان وكان يعرف

بابن زريق واصله من جبلة . وكان فقيهاً خبيراً لهُ مروءة تفقه بابن العزّاف وابن الصفي وابن عباس . وكان مؤالفاً للاصحاب واستمر مدرساً في الوزيرية . وكان القضاة بنو محمد بن عمر يشفقون عليه الى ان توفي على ذلك غرة جمادى الآخرة من السنة المذكورة رحمه الله تعالى .

وفيها توفي الفقيه الفاضل ابو القاسم بن علي بن عامر بن حسين بن علي بن احمد الهمداني . وكان فقيهاً فاضلاً تفقه بحجّة . وكان قد قدمها في جملة عسكر علي ابن‌عبد الشغدري . ثم ولي قضاء عدن من قبل بني محمد بن عمر فاقام في القضاء هنالك سنين الى ان توفي على ذلك ليلة الخميس الثاني عشر من القعدة من السنة المذكورة رحمه الله تعالى .

وفيها توفي الفقيه المشهور ابو بكر بن قيصر . وكان فقيهاً ماهراً تفقه بابي الحسن الاصبحي وغيره . توفي في شهر ربيع الاول من السنة المذكورة رحمه الله تعالى .

وفيها توفي الفقيه الصالح عثمان بن الفقيه هاشم الحجري . وكان فقيهاً ماهراً تفقه بالفقيه عمر بن علي الساعي ثم صحب الشيخ عيسى بن حجاج الغيثي والشيخ علي السنيني . ففتح الله عليه في الحكمة فكان يقول اقوالاً كثيرة . وفسر اقوال المحققين تفسيراً نافعاً . وكان يتكلم بحضرة الشيخين فيقبلان منهُ ولا ينكران عليهِ . توفي في السنة المذكورة رحمه الله تعالى .

وفيها توفي الفقيه الفاضل محمد بن عيسى بن عمر بن عثمان الهرمي الملقب بالصفي وهو اخو الفقيه ابي بكر بن عيسى المعروف بالسراج الحنفي المذكور اولاً . وكان الصفي فقيهاً ويغلب عليه الأدب وله شعر رائق ويتعانى الزراعة توفي في السنة المذكورة . وكان له ولد اسمهُ يوسف كان من اعيان الرعية خيّراً جيداً له مروءة قلَّ ان تلد النساءُ مثله . توفي سنة ثلاث وعشرين وسبعمئة رحمهُ الله تعالى .

وفيها توفي الفقيه الفاضل ابو الخير احمد بن ابراهيم بن سالم بن مقبل كان فقيهاً خيراً محبّاً لابناء الجنس توفي في السنة المذكورة رحمهُ الله تعالى .

وفيها توفي الفقيه الصالح ابو محمد الحسن بن محمد بن علي بن شبيل تصغير شبل . قال الجندي نسبهُ همدان وكان يسكن ريمة الاشابط . وكان فقيهاً صالحاً عارفاً بالفقه توفي في السنة المذكورة رحمه الله تعالى .

وفيها توفي الفقيه الصالح أبو الحسن محمد بن علي بن أبي بكر بن علي بن محمد الحكمي . وكان فقيهاً صالحاً عالماً درَّس بالعاصمية في زبيد الى أن توفي في المحرم أول شهور السنة المذكورة رحمه الله تعالى .

وفيها توفي الفقيه الصالح أبو الحسن علي بن صالح الحسيني نسبة الى جدّ له اسمهُ حسين . وكان فقيهاً فاضلاً تفقه بتهامة على عمرو بن علي الساعي وعلى عبدالله بن محمد الدياني . وكان فقيهاً نقالاً لفروع المذهب . وكان الفقيه احمد بن موسى بن عجيل يراجعهُ ويثني عليه . وله أجوبة فقهية تدل على تجويده . وكانت وفاته في السنة المذكورة تقريباً والله اعلم .

وفي سنة اربع وسبعمئة توجه الامير جمال الدين نور بن حسن من حرض الى صعدة مدداً لعباس بن محمد بن عباس وعلي بن بهرام . فأخرب الامير عباس بن محمد زرع الاشراف بصعدة ومخاليفها . ودخل علاف ومجز ثم مع نيف وثلاثين فارساً في تعز صعدة وثلاثمئة رجال ونزل الجوف . ثم وصل صنعاء ثم توجه نحو اليمن . فلما خلت صعدة من العسكر جمع آل شمس الدين عسكرهم ونزلوا الجوف فاقاموا بسوق آل دعام ثلاثة أيام وقد جمعت المخاليف السلطانية في الزاهر وكانت لهم عمولة في نعمان .

وفي صفر لزم السلطان الامير أسد الدين محمد بن احمد بن عز الدين وولدهُ والشريف شكر بن علي القاسمي وأمر بلزم اولاده حيث كانوا . وذلك لما وقع في خاطر السلطان من فعلهم في صعدة وتلمص فأدبهم بآداب مثلهم .

وفي هذا التاريخ برز الامر العالي بتجهيز الامير اسد الدين محمد بن نور سفيراً الى الديار المصرية فاتصل العلم ان الامراء بمصر عبثوا بالسلطان وان البلاد على غير وضع فأخر السلطان ذلك العزم وحمل لابن نور اربعة أحمال طبلخانة وار بعة

اعلام وعاد الى اقطاعه .

وفي جمادى الاولى من السنة المذكورة زالت الشدة وارتفع الغلاء ورخصت الاسعار في جميع نواحي اليمن ورجع المقدم الذي تقدم لعمارة البرك وهو موسى بن ابي بكر بن علاء الدين وكان الشريف طاهر ابن أبي نُمي قد وصله الى البرك من مكة حرسها الله تعالى قاصداً للباب الشريف السلطاني فسارا معاً فلما بلغا قريباً من اللؤلؤة لقيتهم جهينة فانهزم العسكر وتأخر الشريف طاهر على الناس فقتل وأخذت اثقالهم ودوابهم .

وفي شهر رجب من السنة المذكورة تقدم الركاب العالي من زبيد الى محروسة تعز فاقام شعبان وحصل عليه توعك عقيب طلوعه فأرجف الناس بذلك وامتلأ اليمن خوفاً فمنّ الله تعالى بعافيته في النصف الأخير من شعبان ولم يزل في ثعبات الى يوم العاشر من شهر رمضان ثم طلع الحصن وكان يوم طلوعه يوماً مشهوداً .

وفي شهر شوال أقطع السلطان ابن بهرام مدينة أبين واعمالها . وتجهز ابن نور نحو الديار المصرية في أول شوال وقد اقطعهُ السلطان القحمة فسار في اوائل الشهر المذكور بانواع التحف السنية من الفضيات على اختلاف انواعها كالطشوت والاباريق والصلاحيات والمجامر والاكر والقرابات وسواري العود والصندل والقطع الكبار من العنبر ونوافج المسك وما عظم شأنهُ من فخار الصيني واليشم من الصحون والزبادي ما لم يمكن شرحه من الحسن . ومن الخدام الحبش والقنا الهندي والمراقد الصينية ومن المراكب المذهبة والشاشات الرفاع والسلقانيات . ومن الثياب المذهبة الصينية ما عظم شأنها . ومن الاواني والاطباق والصناديق مملوءة بالمسك المفرغ والشاه صيني والكافور التيار جملةً اخرى . وما يتعلق بالحوائج خاناة كالفلفل والقرنفل والزنجبيل واللك والبقم أبهَرَهُ . ومن الوحوش كالفيل وحمار الوحش والزرافة كلها مكسوة بالحرير والاطلس الملمع بالذهب ومن الخيل المسومة العربية الاصائل اللائقة بحال المرسل إليه . نقل ذلك مركبان عظيمان . ومثل هذه الهدية لا

تكاد تتأخر بين عامين او ثلاثة طلباً للمودة والمحبة واستمرار على ما يعهد من الصحبة .

وفي هذه السنة توجه الامير سيف الدين طغريل نحو الباب الشريف متبرئاً من صنعاء بسبب معارضة حصلت بينه وبين الطواشي ياقوت متولي الاملاك السلطانية فأبرأهُ السلطان منها وأقطعها ولدهُ المظفر وسار نائبهُ لقبضها في ثاني عشر ذي القعدة .

ثم ان الامير شمس الدين عاد الى عيان مرة أخرى وجاءهم الامام محمد ابن المطهر الى هنالك فجهز السلطان لحربهم الامير سيف الدين طغريل فقصدهم الى عيان فنزلوا الجوف فقصدهم إليه فطلعوا صعدة فسار بعدهم وأغار الى فللة وأخرب ما قدر عليه من مخلافهم . ووقعت ذمة الى آخر القعدة . وعاد إلى صنعاء فدخلها خامس خروجه من صعدة .

وفي شهر ذي الحجة كانت الوقفة بالجمعة وحج خلق كثير من مصر وكان الامير الحاج الامير الكبير ركن الدين بيبرس الحاسكي وحج معه عدة من الامراء المصريين . ووصل معهم الشريفان رميثة وحُمَيضة ولدا أبي نمي . وكانا بمصر معتقلين كما ذكرنا أولاً . فلما انقضى الحج أحضر الامير ركن الدين بيبرس الشريفين اخويهما أبا الغيث وعطيفة وعلمهما ان صاحب مصر قد ولّى أخويهما رميثة وحُمَيضة فلم يقابلا بالسمع والطاعة . فحصلت بينهما منافرة . وكان في مكة والمدينة غلاءٌ عظيم حتى بلغ المد الحنطة عشرين درهماً والذرة ستة عشر درهماً . واستمر رميثة وحُمَيضة في البلد وأظهرا حسن السيرة وأبطلا شيئاً من المكوس .

وفي هذه السنة وصل عبد الباقي بن عبد المجيد من ثغر عدن إلى الابواب الشريفة السلطانية يريد ان يكون كاتب الانشاء فحصلت معارضات أوقعت عدم الاستمرار وكان عمرهُ يومئذٍ ثلاثاً وعشرين سنة . فلما لم يتفق له ذلك توجه نحو الديار المصرية وهو ينشد قول الشاعر :

أيا ماء العذيب وأنت عذبٌ تعرَّض دونك الماءُ الوخيم

وفي هذه السنة توفيت الحجة المصونة بنت الامير الأجل الكبير اسد الدين محمد بن الحسن بن علي بن رسول زوج مولانا السلطان الملك المؤيد وكانت عندهُ عزيزة كريمة لانها بنت عمه ابن عم ابيه . وكانت كثيرة المروءة حسنة الشفاعة . فعز عليه فقدها وامر بالقراءة عليها في سائر جوامع مملكته . وحملت من رأس حصن تعز تحت الشخانات الحرير وامامها ملوك بني رسول . ودفنت في مدرسته التي انشأها . وكان دفنها يوماً مشهوداً رحمة الله عليها .

وفي هذه السنة توفي الفقيه الصالح ابو اسحاق ابراهيم بن عثمان بن آدم المعروف بالجبرتي نسبة الى ناحية من بلاد الجبش يقال لها جَبَرّت . وكان فقيهاً ورعاً زاهداً صاحب مسموعات واجازات اخذها عن الامام ابي الخير بن منصور الشماخي وغيره . وهو الذي يعرف به مسجد الجبرتي الذي في مدينة زبيد عند الخان الجديد المجاهدي . وكان غالب دهره لا يفارق المسجد الى ان توفي على ذلك ليلة الاحد الثالث من شعبان من السنة المذكورة رحمه الله تعالى .

وفيها توفي الفقيه الصالح ابو بكر بن ابي القسم الشعبي واصله من اشعوب ذبحان . وكان رجلاً صالحاً كثير العبادة له قدر عظيم عند الناس . توفي في السنة المذكورة وخلفهُ ولدهُ ابو الخطاب عمر بن ابي بكر . وكان من خيار اولاد الفقهاء شريف النفس عالي الهمة له دين رصين . وكان صبوراً على اطعام الطعام للخاص والعام فلذلك لحقه دين كثير . وتوفي على الحال المرضي سلخ صفر من سنة تسع عشرة وسبعمئة رحمه الله تعالى .

وفيها توفي الفقيه الفاضل ابو الحسن علي بن احمد العسيل . وكان مولده لاربع عشرة ليلة بقيت من رمضان سنة ست واربعين وستمئة واهله يعرفون ببني عسيل من فقهاء قائمة بني حبيش وخطبائها . قدم هذا الى جبلة طالباً للعلم ثم تقدم الى رباط المقداحة على حياة الشيخ علي بن عبدالله فجعله اماماً له وللجماعة .

ويروى انهُ رآهُ يوماً وفي يده خاتم فضة فابعدها منه ثم لما عاد الى جبلة اقبل على قراءة الفقه . فلما كان في بعض الاعياد التي يتحارب فيها اهل جبلة واهل

البادية دخل الفقيه سفين الجامع فلم يجد فيه احداً الا هذا الفقيه مكبّاً على مطالعة البيان فاعجبهُ ذلك منه وعزمه على القعود معه ثم زوجه بابنته . ولما توفي استخلفه على مسجده فلم يزل به مدة . ثم ارتحل الى مصنعة سير فتفقه بها . ومن شيوخه الذين تفقه بهم ابو بكر العراف وعباس البريهي وصهره سفين . ولما ولي بنو محمد بن عمر الوزارة والقضاء صحبهم . فلما كان سنة اربع وسبعمئة عزم على الحج فسافر بامرأتهِ وولدين له . وكانا قد تفقها فلما وصلوا جازان توفيت الزوجة رحمها الله في منتصف شعبان من السنة المذكورة ثم لما صاروا في مكة توفي ولده الاصغر وكان اسمه احمد وكان جيداً تقياً شريف النفس عالي الهمة . ثم حج الفقيه وابنهُ الآخر فلما انقضى الحج عزما على الرجوع الى اليمن فتوفي الفقيه في جدة سلخ ذي الحجة من السنة المذكورة رحمهم الله تعالى .

وفيها توفي الفقيه الصالح احمد بن عمر الزيلعي الجبرتي وهو الذي يعرف بصاحب المحمول نسبة الى مسجد على ساحل المحالب . وكان فقيهاً كبير القدر مشهور الذكر معروفاً بالعلم والعمل صاحب كرامات ومكاشفات .

قال الجندي: اخبرني الفقيه ابو بكر بن احمد بن عبدالله بن محمد الخلي وكان قدم علينا الجنَد قال قدمت عليه زائراً فبينا انا عنده إذ قدم عليه جماعة يزورونه ومعهم دراهم قد جاءوا بها فوضعوها بين يديه فجعل يقلبهابمسواك في يده درهماً درهماً فاخرج منها ثلاثة دراهم فردها على شخص وستة عشر درهماً ردها على شخص ثم امر الخادم بقبض الباقي فداخلني من ذلك تعجب كثير . فخلوت ببعضهم فسألت عن سبب رد الفقيه الدراهم التي ردها . فقال انا الذي جئت بالثلاثة الدراهم وليست مني بل اعطيتنيهاعجوز تحت يدها ايتام ولم يمنعهامن الوصول إلا خشيةان يعرفها الفقيه فيردها عليها وقد جعلتها بين دراهم مني فانتقاها الفقيه فاخرجها باعيانها كأنه قد عرفها واما الستة عشر درهماً فاسأل عنها صاحبها فهوذاك الرحل . فاتيت الرجل الذي اشار اليه وسألته عن قصة رد الدراهم فقال هي من شيخ الصميين كان مرض له فرس فنذرها للفقيه ان شفي فرسه . فلما شفي وعلم اني

واصل الى الفقيه امر بها معي لعلمه ان الفقيه لا يأخذها منه لو وصل بها ولا يقبلها منه . فلما اجتمعت جماعة معهم دراهم فتح ناولهم اياها فجعلوها بين دراهمهم فاخرجها الفقيه باعيانها واعادها اليَّ كما رأيت .

قال الجندي : وسألت هذا الذي اخبرني عنه بقصة الدراهم عن سيرته فقال انه كان لا يكتسب بحراثة ولا زراعة ولا دَرْوزَة ومتى علم باحد من اصحابه انه يدروز طرده وكرهه . وتوفي في قرية اللُّحية تصغير لحية الرجل وكانت وفاته في السنة المذكورة رحمه الله تعالى .

وفيها توفي الفقيه الصالح حسين بن ابي بكر بن حسين السودي بفتح السين المهملة نسبة الى بني سود . وكان فقيهاً صالحاً فاضلاً مشهوراً بالفقه والصلاح وشهرت له كرامات كثيرة وكان معظماً عند الناس . تفقه على سليمان بن الزبير ثم غلبت عليه العبادة والورع.وسلوك طريق فقهاء الناحية لكن بلغ الملوك عنه انه يتصل بامام الزيدية في عصره وهو محمد بن مطهر فكرهوه وهموا بأذيته فكان لا يستقر في موضع ينالونه فيه . وكان ينكر على القراء الرقص والسماع فلذلك اجمع الفقراء والفقهاء عليه ولم يزل حذراً من السلطان حتى توفي في السنة المذكورة بعد الفقيه احمد الزيلعي بشهرين اعني المذكور قبله .

وفيها توفي الفقيه الفاضل ابو سعيد محمد بن الفقيه عبيد بن احمد بن مسعود . وكان فقيهاً ماهراً ولد في شوال من سنة احدى وخمسين وستمئة تفقه بأبيه . وكان ذا دين وورع وصلاح توفي في السنة المذكورة والله اعلم .

وفي سنة خمس وسبعمئة اقطع السلطان الامير سيف الدين طغريل ابين فنزل اليها في النصف الاخير من المحرم وانفصل عنها ابن بهرام . فلما وصل الابواب الشريفة منفصلاً من أبين امر السلطان اربعة احمال طبلخانة واربعة اعلام واقطع الاعمال الرحبانية . وكانت الاشراف آل شمس قد غزوا حرض قبل وصول ابن بهرام اليها وافسدوا في نواحيها . وكان فيها مقدم ورتبة من عسكر السلطاني فخرجوا لقتال الاشراف وقاتلوهم عند المدينة فانهزموا الى الدرب ودخل الاشراف

المدينة فنهبوا ما امكنهم ورجعوا من فورهم . وخالف الأشراف بنو حمزة وانضم اليهم ابن وهاس فجهز السلطان حينئذٍ الأمير بدر الدين محمد بن عمر بن ميكائل استاذ داره في جيش اجش الى جهة صنعاء فوقف هنالك الى آخر شهر رمضان . ونزل بعد تمام الصلح بين السلطان وبين الاشراف على ان للسلطان ثلث مخلاف تلمص وقبضت رهائنهم على ذلك . ورجع اهل مدينة صعدة الى صعدة فسكنوها .

وفي آخر شعبان من السنة المذكورة تبرأ الملك المظفر من صنعاء وتوجه الى حرم ابيه فاقطعها السلطان الامير سيف الدين طغريل فسار اليها فلما وصل ذمار اقام بها الى شهر ذي القعدة . وقبض في مدة وقوفه حصناً من حصون بني عبيدة . وفي الرابع والعشرين من رمضان اقطع السلطان الامير عماد الدين ادريس بن علي أبين وما ينضاف اليها . وفي النصف من شوال أمر السلطان باعادة الجحافل على جوامكهم وكان قد قطعها منهم منذ سنتين على سبيل الادب .

وفي هذه السنة المذكورة رجع الامير اسد الدين نور من الديار المصرية بعد ان عومل بما يجب من الاكرام . ووصل معه سفير من هنالك يقال له مبارز الدين الطوري فاقام في تعز اياماً . وحضر المقام السلطاني فقوبل بالاكرام والانعام . ثم سار الى زبيد فاقام الى ان تهيأ له السفر الى مخدومه فسافر .

وفي هذه السنة المذكورة حج من مصر ونواحي المغرب وبلاد العراق والعجم ومن اليمن خلق كثير لا يحصيهم الا الله تعالى . واجتمع في عرفة ثلاثة الوية لصاحب اليمن ولصاحب مصر ولصاحب العراق حذا بذه وهو الشجاع باللغة التركية . وحصل الحرب بمنى بين المصريين والحجازيين . وكان امير الركب المصري الامير سيف الدين انغه وكان فظّاً غليظاً سفاكاً مقدماً على الجرائم . فقتل جماعة من السرو وسطهم ولم تدخله شفقة عليهم ولا رحمة .

وفي هذه السنة توفي الفقيه العالم ابو عبدالله محمد بن محمد بن علي الكاشغري نسبة الى بلد في اقصى بلاد الترك . وكان حنفي المذهب . وقدم مكة

حاجاً فاقام فيها اربع عشرة سنة صنف فيها كتاباً سماه مجمع الغرائب ومنبع العجائب يدخل في اربعة مجلدات . ثم انتقل الى مذهب الشافعي هنالك فسئل عن ذلك فقال رأيت القيامة قد قامت والناس يدخلون زمرة بعد زمرة فسرت مع زمرة منهم اريد الدخول فحدثني شخص وقال الشافعية يدخلون قبل اصحاب ابي حنيفة فلأجل هذا اردت ان اكون مع المتقدمين وتظاهر بمذهب الصوفية . وابتنى رُبُطاً كثيرة في اماكن متفرقة . وحكّم جماعة ايضاً ولما دخل اليمن ورأى ان الغالب في اليمن مذهب الشافعي تظاهر به وقرأ كتبه فقرأ المهذب في إب على الفقيه يحيى بن ابراهيم واما النحو واللغة فوصل من بلده وهو عارف بهما ماهر فيهما وفي كتب التفسير والوعظ وغالب مصنفات ابن الجوزي ورتبه القاضي بهاء الدين في المدرسة المظفرية بتعز . وكان ابتنى رباطاً في ساحل موزع وغرس هنالك نخلاً كثيراً وكان يختلف اليه في ايام ثمرته ويعود الى مدينة تعز عند فراغه فلما كان في سنة خمس وسبعمئة نزل الى موزع في ايام ثمرة النخل فادركتهُ الوفاة هنالك . فلما توفي قبر عند قبر الشيخ الصالح الخطيب المقدم ذكره رحمة الله عليهما .

وفيها توفي الفقيه الفاضل عيسى بن ابي بكر الحكمي . وكان فقيهاً حيراً ديّناً تفقه بالفقيه ابي بكر بن عبدالله الريمي . وامتحن في آخر عمره بكفاف البصر الى ان توفي في السنة المذكورة رحمه الله تعالى .

وفيها توفي الفقيه الصالح محمد بن ابي بكر بن رُشَيد بضم الراء وفتح الشين . وكان فقيهاً صالحاً ورعاً عابداً زاهداً درس في المنصورية بزبيد بعد الفقيه احمد بن سليمان الحكمي لما عزل عنها . ولم يزل على التدريس الى ان توفي وقت الاذان بالظهر من يوم الاربعاء ثاني عشر شوال من السنة المذكورة رحمه الله تعالى .

وفيها توفي الفقيه الفاضل ابو الطيب طاهر بن عبدالله بن محمد بن احمد بن عيسى المهدي اصله من قرية الملكحي ولي قضاء بعدان مدة وكان تفقه بجبلة بعبدالله ابن علي العرشاني ولم يزل حاكماً حتى توفي في شهر رمضان من السنة المذكورة رحمهُ الله تعالى .

وفي سنة ست وسبعمئة ملك السلطان حصن القرانع وهو مصاقب الطويلة بحيث يختلف بينهما النشاب والحجر . فحط الشريف تاج الدين على الفزائع ولزم حصن شريب . فخرج الامير سيف الدين من صنعاء في شهر ربيع الآخر والامير عباس بن محمد فكسروه وشحن الامير سيف الدين الحصنين بانواع الشحن بعد ان عمرهما ورجع ظافراً منصوراً . وكان رجوعه في شهر شعبان .

وفي يوم الثالث عشر من شهر جمادى الاخرى كان ميلاد السلطان الملك المجاهد في مدينة زبيد . وقيل كان ميلاده في العاشر من شهر رمضان من السنة المذكورة في مجلس في الدار المعروفة بدار السلطنة بزبيد ويعرف المجلس بمجلس الولادة لكونه ولد فيه والله اعلم .

وفي النصف الاخير من جمادى الاخرى المذكور اخذ ابن صهيب حصن السانة بوصاب وهو حصن عظيم يناطح النجوم ويلتبس بالغيوم من احرز الحصون وامنعها واضرها وانفعها وهو من آحر معاقل اليمن والذي يحط عليه لا يراه لانه في رأس جبل عال وليس له الا طريق واحدة فأهمَّ السلطان اخذه فجهز الوزير موفق الدين الى جبلة فجمع منها الرجل وسار السلطان الى زبيد مبادراً كما قال الشاعر ابو الطيب المتنبي حيث يقول :

أشد من الرياح الهوج بطشاً   واسرع في الندى منها هبوبا

ثم خرج السلطان فحط على السانة اياماً فاذعن ابن صهيب بالطاعة ووقف على قدم الاستطاعة ونزل على الذمة الشريفة وتسلم السلطان الحصن المذكور وتسلم حصوناً أُخرى وانثنى راجعاً . فلما استقر في مدينة زبيد عملت الافراح وضربت البشائر وهناه بذلك شعراءُ دولته . وهنأه الفقيه عفيف الدين عبدالله بن جعفر فقال :

ترك الجبال الشمَّ قاعاً صفصفا   من وعده ووعيده ما اخلفا
متقاضياً ميراثه مستشهداً   سمر العوالي والصفيح المرهفا
تغفو عيون الصابرين نفوسهم   عن نيل ما طلبوا وكلاً ما غفا

جمع الجيوش الى المغار ولو أتى ... للحرب قبل جيوشه فرداً كفى
لا يستقر الدارعون نفوسهم ... حسب الرماد بعاصف ان ينسفا
دأب المؤيد ان يسل على العدى ... سيفاً ودأب رقابها ان تقطفا
يرضى ملوك الارض ايسر حقها ... منهُ وتفرح من وفاهُ باللفا
لا تقدم الايام ترفو خرقهُ ... ابداً ولا الايامُ تخرق ما رفا
العاقد الرايات لم يك زاجراً ... طيراً بمسرحها ولا متعيّفا
بخنائس للحرب ليس خنائس ... تمسي وتصبح في المراكز عكّفا
قامت عُقاب المنجنيق وراءها ... فأشار مولانا بأن تتخلّفا
جمعت جناحيها ومدت عنقها ... للسير في أثر الخميس وتزحفا
نوءٌ بجلجل من زبيد رعده الـ ... ساري فصاب وصاب غيثاً وكّفا
حتى اذا ما السيف بالغ خطوة ... فيها وحثحثه السباق فاوجفا
وجرت سيول من دم لو انها ... ماءٌ لكان ربيعهم والصيّفا
ورأوا من النيران حول قلاعهم ... عدد الكواكب في السماء ونيفا
فتوجسوا ان الطبول زلازل ... كادت بهم وبطودهم ان تخسفا
طرحوا نفوسهمُ على ابوابهِ ... فعفا ومثل ابي المظفر من عفا
هربوا اليه منه فاعتصموا بهِ ... ولكم أجار الهارب المتخوّفا
مستشفعين بآل بيت محمدٍ ... أهل الشفاعة للمسيءِ اذا هفا
فأقال عثرتهم وعاد بهم الى ... ما أورثته بنو الرسول من الوفا
واتت عقائل في الحجال فجاورت ... منهُ الكريمَ الطاهر المتعففا
من لم يمدَّ الى الخنا طرفاً ولم ... يسحب الى طرق الفواحش مطرفا
يدعون يا سلطان عفواً بالرضا ... فأجابهم وأثابهم وتعطفا
نظر البوارق من بلاد ربيعةٍ ... وفدت وخاف بلمعها ان تخطفا

وهي قصيدة طويلة هذا عيوانها .

وفي شهر شوال من السنة المذكورة نقض الجحافل الصلح واغاروا على لحج

فقتل بينهم عباس بن ابي سقرة وكان من وجوههم وفرسانهم . وكان في ثامن الشهر اغاروا على **الأجمة** فقتل ايضاً احمد بن ابي سقرة وكان اعظم من اخيه محلاً فيهم . وفي يوم العشرين من القعدة تجمعوا جموعاً كثيرة وقصدوا **الأجمة** ايضاً ولم يستقروا عندها فرجعوا طريق الرحاح فتبعهم العسكر وادركوهم بعد العصر وقد اصابهم سموم وتفرقوا فقتل العسكر منهم نحواً من اربعين رجلاً فانكفّ شرهم وفسادهم .

وفي سنة سبع وسبعمئة جاءت النجوع الى ناحية حرض فجرد السلطان لهم الى تلك الناحية نحواً من ثلاثمئة فارس من حلقته المنصورة فاغاروا عليهم وشتتوا شملهم .

وفي هذه السنة المذكورة هرب الشريف محمد بن خالد من زبيد وكان السلطان يومئذٍ بها وترك رهينة امه واخته .

وفي جمادى الاولى خالف والي سبعان[1] على الامير تاج الدين وباع الحصن على السلطان فصدّهُ الامير تاج الدين وقتل من اصحابه مقتلة عظيمة فجرد السلطان لحرب الامير تاج الدين الامير سيف الدين طغريل وسار معه بالمنجنيق لرمي عزان فلما صار بالضلع التقى بالامير تاج الدين واخيه الامير علم الدين حمزة او كان ملتقاهم اسفل عقبة بكر فاتفقوا على الصلح وعلى خدمة السلطان وحلّفهما على ذلك وخلع عليهما ورجع الى محطته ومعه الامير علم الدين حمزة فلما اصبحوا من النهار الثاني طلعت الاعلام السعيدة المنصورة السلطانية حصن بكر وخفقت ذوائبها هنالك طاعة للسلطان . ثم نزل الامير تاج الدين الى المحطة **فأنصفه** الامير سيف الدين وخلع عليه واعطاهُ جنداً وكسا غلمانه واصحابه . وانعقد الصلح بينهم وبين السلطان خمس سنين وتوجه الامير سيف الدين الى الباب الشريف وصحبته الامير علم الدين حمزة بن احمد صهر الامير تاج الدين محمد بن احمد ولم يكن وصل ابواب السلطان قبل ذلك . وكان معه ابن اخيه عبدالله بن تاج الدين وجماعة من العرب .

وفي هذه السنة عزم الامير سيف الدين سلار نائب السلطنة في الديار المصرية

---

(١) في العسجد : والي سعاره ، ولم اتحقق كلا اللفظتين ،

على ان يجهز الامير بيبرس في جيش كثيف الى اليمن . وأمر على الامير عز الدين الاشقر شاد الدواوين ان يتقدم الى جهة قوص لعمارة المراكب فعمَّر نيفاً وخمسين مركباً . وقدَّر الله موته وموت اولاده وعائلته وجميع اهل داره في ايام قلائل ولم يبق منهم احد . فرجع الامير سيف الدين سلار عن ذلك الرأي واشار بان يحضر الفقهاء والقضاة ومشائخ الخوانق واصحاب الزوايا وارباب الخير والصلاح الى مقام السلطان الملك الناصر ليعلموه ان هذا الامر لا يحل الاقدام عليه لان اليمن بلاد الايمان وهي بلاد العلم والعلماء والفقهاء والصلحاء وارباب الخير وملكها ثابت الولاية مستمر الحكم قد انعقد الاجماع عليه فلا يجوز البغي عليه . فرجع السلطان عن ذلك الرأي وجعل هذا سبباً لتأخير المسير .

ولما علم السلطان الملك المؤيد بذلك منع الكارم تلك السنة حتى وصَلَ الرسول بالعلم بذلك واستقرت الامور على تسفير رسول من الديار المصرية الى اليمن ومتعمم فكان الرسول رجلاً يسمى السعدي من مماليك الملك الظاهر . والمتعمم القاضي شمس الدين محمد بن عدلان احد القضاة . وكان مضمون الرسالة تقرير الحال وان السلطان قد رجع عما قد عزم عليه . وفي خلال ذلك الرغبة الى الصلح والموادعة . ثم توجه الرسولان الى بلاد اليمن فحضرا مقام السلطان وكان السلطان يومئذ مريضاً لا يستطيع الكلام واتفق ان حدث بالاسير الواصل مرض افضى به الى الموت فتوفي في الثالث والعشرين من جمادى الاولى من سنة ثمان وسبعمئة . وكانت وفاته بزبيد في ظاهر المدينة . ورجع القاضي شمس الدين الى الديار المصرية وصحبته جواب ما جاء بسببه .

وفي هذه السنة توفي الفقيه الفاضل محمد بن عيسى بن علي بن محمد ابن ابي بَلَّر بفتح اللام . وكان فقيهاً حافظاً لكتاب الله تعالى ومن احسن الناس لهجة به من سمعه يقرأ استغرب قراءته وطرب له . رتبهُ بنو عمران اماماً في الجامع بعد ابيه ولم يكن لديه فقه شاف . فلما انفصل بنو عمران اقام اماماً بعدهم نحو سنة ثم فصله بنو محمد بن عمر فاقام منفصلاً عدة سنين الى ان توفي في الجند . وكانت وفاته في السنة

المذكورة رحمه الله تعالى .

وفيها توفي الفقيه الفاضل احمد بن عبدالله الجبرتي واصله من جبرت وهي ناحية من نواحي بلاد **الصومال**. وكان فقيهاً فاضلاً قدم طالباً للعلم فاقام بالمصنعة اياماً فقرأ على الفقيه محمد بن ابي بكر الاصبحي فتفقه به ثم بتلميذه الامام ابي الحسن علي بن احمد الاصبحي صاحب المعين ثم رتبه القاضي اماماً في قبة هنالك جعلوها مسجداً . ثم لما خرجوا عن سير خرج هذا الفقيه الى الذبيتين فأقام بها الى ان توفي في السنة المذكورة . وقبره قريب من تربة شيخه الامام ابي الحسن علي بن احمد المذكور رحمة الله تعالى عليهما .

وفيها توفي الفقيه الصالح ابو العباس احمد بن عبد الدائم بن علي المعروف ووالده بالصفي الميموني . وكان فقيهاً فاضلاً جيداً تفقه في بدايته بفقهاء تعز كابن البابة وابن العزّاف وغيرهما . وارتحل الى تهامة فاخذ عن الفقيه اسماعيل بن محمد الحضرمي وغيره . ثم لما عاد الى الجبل درس بذي جبلة . ثم انتقل الى تعز فدرّس بالرشيدية . ثم لما ابتنى الملك الاشرف مدرسته بالمغربة جعله مدرساً بها . فلم يزل بها الى ان توفي الملك الاشرف في تاريخه المذكور اولاً وكان وقف الملك على مدرسته قليلاً وانما كان يفتقد الفقيه في سائر اوقاته فلما توفي الملك الاشرف كما ذكرنا اولاً قيل للفقيه هل لا انتقلت الى بعض هذه المدارس فان وقف هذه المدرسة لا يحملك . فقال لا أُغير صحبة الاشرف حيّاً ولا ميتاً . وكان اخذه لكتب الحديث عن الفقيه ابي العباس احمد بن علي السرددي وعن اسحق الطبري وعن ابراهيم بن عجلان . واليه انتهت رئاسة الفتوى في مدينة تعز ونال من الاشرف مكانة جيدة . وكان موته فجأة ليلة الخميس لثمان بقين من صفر من السنة المذكورة رحمه الله تعالى .

وفيها توفي الفقيه الصالح ابو الحسن علي بن عثمان الاشبهي وكان فقيهاً عارفاً قدم اليمن غريباً من ناحية الحجاز فلما وصل تعز اقام في السيفيَّة اياماً فأخذ عنهُ جماعة من الفقهاء فبلغ العلم به الى قاضي القضاة يومئذ وهو الصاحب موفق الدين فرتبهُ مدرساً في المدرسة المظفرية . وكان يدرس كتاب الحاوي الصغير ولم يكن يعرف

كتب الشيخ ابي اسحاق الشيرازي ولا كتب الشيخ ابي حامد الغزالي فاخذ الناس عنه الحاوي الصغير وغيره . ويقال انه كان مدرساً ببغداد ومعيداً ولما وقف على كتاب المعين تصنيف الفقيه علي بن احمد الاصبحي اعجب به واستنسخه وقال ما كنت اظن ان مثل هذا يوجد في زماننا ثم لم تطب له الاقامة في اليمن فاستأذن في السفر الى عدن وسافر الى عدن هذه السنة المذكورة سنة سبع وسبعمئة فذكروا ان المركب الذي سافر فيه غرق والله اعلم .

وفيها توفي الفقيه الفاضل الخضر بن عبدالله بن محمد بن مسعود الحي نسبة الى قبيلة من خولان يعرفون ببني جبي وكان فقيهاً مرضيّاً تفقه باحمد بن سليمان الحكمي واخذ عن محمد بن عمر بن علي الساعي وكانت وفاته في السنة المذكورة رحمه الله تعالى .

وفيها توفي الفقيه الصالح صالح بن احمد بن محمد بن يوسف بن ابي الخل وكان فقيهاً كبيراً عالماً عاملاً ورعاً كثير الصيام والقيام وكان يقول لدرسته لا تأتوني الا في وقت كراهة الصلاة لانه كان لا يمل الصلاة ليلاً ولا نهاراً تفقه بعمر بن علي الساعي . وكان غالب ايامه صائماً لا يفطر غير الايام المكروهة للصوم وكان راتبه في كل يوم وليلة الف ركعة - وامتحن في آخر عمره بالعمى فكان يعرف الرجل الداخل عليه قبل ان يتكلم . وكانت وفاته في السنة المذكورة بعد ان جاوز عمره سبعين سنة رحمه الله تعالى .

وفي هذه السنة توفي الفقيه البارع ابو عبدالله محمد عمر بن علي بن محمد الاحمر الخزرجي الانصاري الساعدي نسبة الى ساعدة بن كعب بن الخزرجي . وكان مولده سنة تسع وثلاثين وستمئة . وتفقه بعلي بن بن ابراهيم البجلي . وكان اول من لزم مجلسه. وكان الفقيه عمر بن ابراهيم زميله في القراءةوهو من اتراب محمد بن حسين من اهل عواجه . ودرس هذا محمد بن عمر في جامع المنسكية . وهو جامع احدثهُ السلطان الملك المظفر يوسف بن عمرو جعل فيه مدرساً ودرسة . ولم يزل هذا محمد بن عمر على التدريس به الى ان توفي الى رحمة الله تعالى يوم التاسع

من المحرم وقيل يوم العاشر منه من السنة المذكورة رحمه الله تعالى .

وفي سنة ثمان وسبعمئة اتفق عمارة القصر السلطاني المسمى بالمعقلي في ثعبات . وكان فراغه في النصف من صفر من السنة المذكورة . وهو قصر قصرت المحاسن في نواحيه . واطلعت الاجادة في أُفق معاليه .

اجمع ارباب اختراق الآفاق أنه لا مثل له في شآم ولا عراق . وانهم لم يشاهدوا مثله ابداً وهو مجلس طوله خمسة وعشرون ذراعاً في عرض عشرين ذراعاً بسقفين مذهبين بغير اعمدة له اربع مناظر باربعة رواشن ليس فيه الا رخام وذهب وامامه بركة طولها مئة ذراع في عرض خمسين ذراعاً على حافاتها صفة طيور ووحوش من صِفْر اصفر ترمي الماء من افواهها . وفي وسط البركة فوارة ترمي الماء الى السماء فيبلغ مدى بعيداً . وقباله شاذروان بعيد المدى يصب ماؤُه الى البركة المذكورة كأنه لوح من بلور لا يمكن التعبير عنه بغير هذا وفي المجلس شبابيك تفضي الى بستان عجيب المنظر حسن المختبر والمخبر .

وكانت اقامة الصناع في عمله مدة سبع سنين قال المصنف ايده الله وسمعت من يحكي ممن ادرك ايام عمارته انه كان يطلع اليه في كل يوم نحو من سبعين بغلة من الصناع الغرباء ما بين نجار ودهان ونحاس وصانع ومكندج ومرخم ومزخرف ومصور خارجاً عمن يركب الحمير ومن لا يركب من اتباعهم . وهذا ما عدا صناع البلاد وهم اضعاف اضعافهم . ولما فرغت عمارته على الصفة المذكورة امر السلطان رحمه الله تعالى بعمل فرحة عظيمة جامعة حضرها اعيان الناس بل عامتهم على اختلاف حالاتهم وتنوع طبقاتهم . وكان السلطان رحمة الله عليه ينظر اليهم من الطبقة الثانية وامر باضافة الخلع على اعيان الناس واجرى للجميع من كرمه نوالاً وبلغهم من جوده آمالاً . وهنأه الشعراءُ بذلك . وفي ذلك يقول عبد الله بن جعفر :

هنئت قصراً على كلِّ القصور سما ... يا حبذا برج سعدٍ فيه بدر سما

بنيتهُ مستجداً تستجدُّ به ... نصراً من الله قد اجرى بهِ القلما

ويلتقـي الأمـن واليُمـن المقيم به — والخلـد والعـز والافـراح والنعما
هل في الخلافـة آياتٌ تشاهدها — وقـوف سقف ولا شيءٌ به دعما
وأبصر التبـر مبـذولاً لطالبه — فنـال من دونـه ذوبـاً به رقما
بـين الحدائـق والاعنـاب قد نشرت — منهـا ثياب تلف الوهـد والاكما
كأنمـا عاد غُـمْـدان كمبدئـه — واظهـر الله من أستـاره إرما
كأن اربعـة الجـوزا رواشنه — والجركتـان كأن الفرقـدين هما
بـين الشبيهـين شاذروان قِيلته — هما الجناحـان وهـو القصر بينهما
تظـل منـه صفـوفُ الماء ساجدة — مؤدبـاتٍ لسلطـان الـورى خدما
الى سواقـي رخـام فوق فسقية — فاعجـب لجامـد ماءٍ فيه ذائـب ما
وللخورنـق حـين المعقليّ بدا — كمثـل خـدٍّ اذا قابلتـهُ انهزما
لم يستطـع لوقـوفٍ في مناظرة — أمامـهُ فتـولى عنـهُ محتشمـا
كأنـه رب جيشٍ قد طلعـت لهُ — ففـرَّ عنـك بروحٍ منـهُ مغتنما
فحلّـهُ في سعـود في علو يدٍ — في رفعـة في بقـاءٍ ليس منصرما
في حقـن كل دم او كشف كل غما — أو ري كل ظمـا او منـع كل حما
أحييت من يوسف السامـي مآثره — فمـذ وُجِـدتَ بحمـد الله ما عدما

وقال عبد الباقي بن عبد المجيد في ذلك ويمدح السلطان الملك المؤيد رحمه الله تعالى :

دع رامـة الـوادي ودع سمراتها — واتـرك بيوت الشعـر في ابياتها
والحـظ منـازل آل جفنـة في العلى — من ارض صهلتهـا الى ثعباتها
تجـد القصـور الشامخـات على السها — شرفـاً تريك العـز في شرفاتها
تلك الجنـان امـا ترى انهارها — قد اعربـت بالـطيب عن ثمراتها
تجلى زواهرهـا ويشرق زهرها — فكأنهـا الاقمار فـي هالاتها
مثـل المجـرة في انتظـام قصورها — أين المجـرة من نمـا زهراتها
برزت بهـا الاغصـان شبـه عرائس — نظمـت عقـود الـدر في آياتها

في كل عود من سواجع طيرها عود يريك اللحن من نغماتها
فخرت بها ثعبات امصار الورى بجميل منظرها وجل صفاتها
وسمت بعينيها وحسن نباتها وتسلسل الانهار في بحراتها
فلذا بها الطاووس فرّق ريشهُ فشياته في العين مثل شياتها
ما شعب بوّان وغوطة جلّق يوماً **بأزهى** من بها غوطاتها
بنيانها من عسجد ومياهها من فضة تجري على حافاتها
وبها مشيد المعقليّ فكم به من صنعةٍ فخرت بحسن ثباتها
قصرٌ يقصرٌ عن لحاق كماله باهي النجوم اذا سمت بسماتها
هذي المنازل لا منازل غيرها في حسنها الباهي وفي حسناتها
فلكٌ به الملك المؤيد طالعٌ كالشمس كاشفة دجى ظلماتها
فلك به الافلاك جامدة على مجرى بما يختار من حركاتها
متعوّد بذل النوال لقاصد والنفس جارية على عاداتها
ايامهُ للقاصدين مواسمٌ وبواسم عن فضلها وهباتها
ملكٌ لهُ في العلم اوفى غايةٍ أرْبت على الاملاك في غاياتها
بذّ الملوك ابو المظفر في العلى لما علت هماته هماتها
حازت مناقبهُ شتات فضائلٍ فلذاك اضحى جامعاً لشتاتها
يلقى اعاديه كتائب جيشهِ والنصر معقود على راياتها
لم تلقَ ان شاهدت ضوء جبينه خططاً من الايام في نكباتها
ايامهُ مخلوقة لهباته مقصورة أبداً على لذاتها

وهذه قصيدة طويلة هذا عيوانها :

ولما فرغ بناء المعقلي في التاريخ المذكور امر السلطان ببناء قصرٍ ثان في بستان صالة وتوجه الى محروسة زبيد يوم الرابع من جمادى الاولى فاقام بها نصف شهر وتوجه نحو مدينة المهجم فاقام بها الى يوم الثلاثاء التاسع عشر من شهر رجب وسار الى حجة في جيش اجش :

يخف أغـرٌ لا قَودٌ عليه ولا دية تسـاق ولا اعتذار
تريق سيوفُـهُ مهـج الاعادي فكـل دمٍ أراقتـهُ جبار

وذلك حين طال الحصار على الظهرين ولم يتصل المقدمون الى غرض فوصل السلطان الى الجاهلي يوم الثالث والعشرين من رجب وتسلم الظهرين يوم الرابع والعشرين من رجب . ونقل المحطة والمنجنيق الى شمسان وتواتر القتال عليه ورماه بالمنجنيق فعمل فيه المنجنيق عملاً عظيماً .

وكان الملك المظفر والصاحب موفق الدين ينـزلان لحضـور الزحفـة عليه وتطاول عليه القتال الى النصف من شعبان . ثم سلمهُ صاحبه وبعد تسليمه وصل الامير تاج الدين الى المحطة . وقد كان وصل قبله الامير ابن وهاس وصاحب ثَلاَ وعساكر اليمن الاعلى حتى امتلأت حجة بالعساكر . وتوسط ابن وهاس في الصلح لصاحب جراف . فعاد الى الخدم السلطانية ورهن ولده وتوسط ايضاً في صلح الامام محمد بن مطهر على تسليم عزان وبراش ثم رجع السلطان من حجة . وكان انفصاله عنها يوم السبت التاسع عشر من شعبان . فدخل المهجم يوم الثالث والعشرين منه . وخرج من المهجم يوم الخامس والعشرين منه متوجهاً الى زبيد . فاقام بها وصام شهر رمضان وعيَّد العيد بها .

وفي اليوم السادس عشر من شوال وصل الامير تاج الدين محمد بن احمد بن يحيى بن حمزة الى الابواب السلطانية بزبيد بعد الامتناع الشديد والمرام البعيد . فاكرمهُ واتحفهُ وعظمهُ وانصفهُ . ولم يكن قبل ذلك وصل الى السلطان . وكان من اعيان الشرفاء ورؤسائها . وهو صاحب الحصون الغربية كحلان والطويلة . وعدة حصون كثيرة من الحصون الصغار . فعامله السلطان بانعامه . وافاض عليه صيّب اكرامه . وتوجه الركاب العالي الى بحر الاهواب على ساحل زبيد . فركب الفيل عند دخوله الفاذة . واردف الامير تاج الدين خلفه . فارتـاع قلـب الشريف من ركوب الفيل .

وفي ركوب الفيل يقول عبد الباقي بن عبد المجيد :

الله أولاك يا داود مكرمة ومعجـزا ما أتاهـا قط سلطان
ركبـت فيلاً فظـل الفيل في رهج مسـبتشراً وهـو بالسلطـان فرحان
لك الالـه أذل الـوحش اجمعه **هل انـت داود فيهـا أم سليمان**

وأقام السلطان في البحر أياماً . ثم عاد الى زبيد فأقام فيها اياماً ثم توجه الى تعز فدخلها يوم السابع والعشرين من ذي القعدة وأحضر الامير تاج الدين للنزهة والفرحة في قصور ثعبات وقراضة وصهلة وصالة فرأى ملكاً كبيراً وجنة وحريراً . ولما وصل السلطان الى ثعبات كما ذكرنا هنأه الامير عماد الدين ادريس بن علي بقدومه اليها في أول العشر من ذي الحجة فقال :

تهنـى بك العشر الكريمـة والشهر وتزهـو بك الايام والملك والدهر
وباليُمـن والاقبـال حلـت ركابكم بحيث استقـر الملك والنهـي **والأمر**
سمـت ثعبـات فوق كيوان رتبة وطالـت على الآفـاق وابتهـج القصر
وأشرق نـور المعقلي كأنما تَبَـدَّى لنـا من بـين أركانـه الفجر
وقـد كان ظن الهجـر لما رحلتمُ ورام اصطبـاراً وهـو ليس له صبر
فلما أتـت منـكم بشائـر حجةٍ ومـا فعلـت فيهـا صوارمـك البتر
تسلى عن البعـد الملـمّ وسره لك العـز والاقبـال والفتـح والنصر
وحـين بدا فيه جبينـك مشرقاً ولاح ضياءٌ منـه يحسـده البدر
زهـا حـين ما حل ابـن جفنةصدره **ولا غرو أن** يزهو بك الدست والصدر
لعمـري لقـد آنستمـو غرضـاً به ومـا رضيت بعـداً تهامـة والبحر
ولا يئسـت منـكم اباطـح مكة ومـا زال مشتاقـاً لك البيت والحجر
وفي كل ارض من سطـاك مخافة وفي كل قلـب من مخافتـكم ذعر
وفـوق محـل الشـمس قدراً ورفعة ضربتـم رواق المجـد فاتضـح الفخر
وقلدتـم كـل الأنام صنائعاً فما احـد من رق **إحسانـكم** حرُّ
فلا زلـت للـدنيا وللـدين بهجة لياليكـمُ زهـو وأيامـكم غرُّ
تجـدد فـي الايام كـل مسرة تدوم وتبقـى ما لآخرهـا حصر

وفي شهر شوال من هذه السنة أخذ محمد بن عامش وولده من مشائخ حجة حصن مأذن وقتلا صاحبه علي بن صعصعة وأخاه اسحق .

وفي شهر ذي القعدة وصل العلم من مكة المشرفة ان اهل مصر سلطنوا ركن الدين بيبرس الجاشنكير وتسمى بالملك المظفر وكان السبب في ذلك ان بيبرس وسلار استوليا على الملك وتصرفا على الاموال والخزائن ولم يكن للسلطان منهما الا اسم السلطنة فراجعهم في الحج وجهز اولاده في الركب المصري وسار هو نحو دمشق ليسير مع الركب الشامي . فلما خرج من مصر وملك نفسه صار نحو الكرك وصدر مماليكه بعد اولاده فاستعادوهم ولزم نفسه عن مصر وأهلها فسلطنوا بيبرس كما ذكرنا .

وفي هذه السنة المذكورة ظهر من الشريفين رميثة وحميضة في مكة المشرفة من الجور والعنف والطمع في اموال الناس ما لم يعهد منهما قبل ذلك .

وفيها توفي الفقيه الصالح ابو عبدالله محمد بن عبدالله بن بكر بن زاكي اليعلوي نسبة الى عرب يعرفون ببني يعلي وكان رجلاً مباركاً صالحاً . وكان من اعرف الناس بفن القرآن وانتفع الناس به وقصدوه من نواحٍ شتى . وأخذوا عنه مصنفات في علم القرآن . وشهر عنه انه كان يقريء الجن ايضاً ومسكنه قرية أسخن بهمزة وسين مهملة وخاء معجمة ونون على وزن احمد . وكانت وفاته في السنة المذكورة رحمه الله تعالى .

وفي سنة تسع **وسبعمئة** توجه الشريف عماد الدين لافتتاح الشرفين وصحبته العساكر المنصورة واتفق ان ولد علي بن صعصعة تمت له عمولة في حصن **مأذن** فدخلته العساكر السلطانية وتمكنوا منه ولزموا ابن عامش وولده وتسلم نواب السلطان الحصن . وكذلك حصن الحربوش في بلد الجبر ايضاً تسلمه العسكر ايضاً . ووصل امر السلطان بتسليم ابن عامش وولده الى ولد علي بن صعصعة وابن عمه وولد اسحق بن صعصعة **فقتلاهما** بأبويهما عند باب الجاهلي وتقدم الشريف بالعساكر من الظهيرة نحو الشرف الاعلى فاستولى على بلد سعد ببلد الجبر وحصن

القاهرة ببلد المحاشبة وأخذ رهائن اهل الشرفين وتوجه نحو الشرف الاسفل يوم الحادي عشر من شهر ربيع الاول فحط بقلحاح وتسلم في يومه ذلك حصن القفل وكان في يد ابن مقرعه مولى الشريف ابراهيم بن قاسم واجتمعت عساكر الشرفين مع العساكر السلطانية فكان الجميع خمسة آلاف فقصد بهم الامير عماد الدين جبل الشاهل وهو من احرز الجبال وامنعها . وكان عند الشريف يحيى بن احمد القاسمي يقاتل منه فجعل الشريف عماد الدين بني عمه في عسكر العرب اول الناس . وسار في العسكر السلطاني آخر الناس فلم يلقهم دون حصن اقتاب احد من الناس فحط عليه وأخذه واستولى على حصن الناصرة وسار نحو جبل المسهلة فدخل الشريف يحيى بن احمد القاسمي رعب عظيم . وطلب الصلح على تسليم حصن العروس وهو مستقر الشريف حيث امواله وطعامه وحصن شمسان وحصن **السموأل** ولم يبق في يده الا المنصورة فانتقل اليها وسلم ولده رهينة في نزوله الى الباب الشريف السلطاني . فلما صفا الشرف الاسفل ولم يبق فيه الا حصن الشوكة للأشراف اهل جبل الحرام . ومنهم بالباب محمد بن علي واخوه يطلبان بيعها على السلطان . فحط عليه الامير عماد الدين في العسكر المنصور ثلاثة ايام فسلمه اصحابه بالفي دينار وطلوع الشريفين من الباب . وجاءت البشارة الى السلطان وقد اشتراه الصاحب من الشريفين بخمسة آلاف وافراس وكساوي فَسُرَّ السلطان بأخذه وابطل ما شرع فيه الصاحب . وسار الشريف عماد الدين الى الشرف الاعلى .

وفي يوم الاثنين السادس عشر قتل الامير سيف الدين طغريل قتله الاكراد في ذمار وكان على باب المدينة في قصر السلطان . وكان قد طلب جريدة من الباب فطلعت اليه جريدة جيدة بسبب تسليم القطع التي في البلاد فتوهموا انه يريد القبض عليهم فقصدوه آخر الليل **فأتاه** النذير في تلك الليلة مراراً فضيع الحزم . وكان امر الله قدراً مقدوراً . فلما عزموا على قتله اجمعوا وخرجوا من المدينة فقصدوا محطة عسكر صنعاء فعقروا خيلهم وساروا نحو القصر فأخذوا الاصطبل فجاءهم عسكر السلطان من المماليك البحرية وغيرهم فكسروهم وطردوهم عن القصر الى

باب المدينة . ورجعت المماليك الى الامير سيف الدين وهو في القصر فسألوه الخروج اليهم فامتنع ولم يحفل بهم فتفرق العسكر عنه ثم قصده الاكراد فحاصروه الى بعد طلوع الشمس فخرج اليهم على ذمة فقتلوه وقتلوا معه صهره وهو استاذ داره وكاتبه ووالي ذمار واربعة من مماليكه . فكان جملة من قتل معه ثمانية نفر وهو تاسعهم ونهبوا المحطة وما فيها من خيل وعدد وهرب من هرب سالماً . ولما وصل العسكر الى السلطان وقد اخذت خيولهم وعددهم واثاثهم عوضهم السلطان عما فات .

وجهز العسكر مع الامير شجاع الدين عمر بن القاضي العماد وهو يومئذ امير جاندار وسير الامير عباس بن محمد نحو صنعاء على طريق تهامة وحجة ومعه مال جيد استخدم به عسكراً فتأنى ابن العماد في مسيره حتى خرج عباس من صنعاء وفيه الامير علم الدين حمزة بن احمد والامير بن وهاس وصاحب ثلا وهمدان وعيال سريح وغيرهم فكان دخولهم هم وابن العماد ذمار في يوم الاحد وقد انحازت الاكراد الى الوادي الحار واستولوا على حصن هِرّان وشحنوه ورتبوا فيه جماعة فقصدتهم العساكر الى الوادي الحار فقاتلوهم ثلاثة ايام فقتل في يوم منها ثلاثة من الاكراد وأُخذت خيلهم . ثم تفرقت الاكراد في كل ناحية وخرب العسكر المنصور اموال الفضل بن منصور وعاد العسكر الى ذمار فتوجه الاشراف نحو بلادهم وأقام الاميران بذمار . وحصلت المكاتبة والمراسلة بين الاكراد والامام بن مطهر فأجابهم وسار الى بلد بني شهاب وطلب الاكراد الى هنالك فاجابوه وسار عباس بعسكر صنعاء الى صنعاء وسار الاكراد والامام وغيرهم الى قرن عنتر فأخذوه قهراً وقاتل من كان فيه وكان فيه نحو من مئة رجل . واخذت العرب بيت برام وبيت ردم . وقاهر حضور وردمان بني حوال وزحف الامام على صنعاء آخر شهر رمضان . وكان الامير عباس قائماً في افراس في السائلة خلف الباب وقاتل اهل صنعاء على الدوائر ودخل بعض العسكر من بستان السلطان ورجعوا ورجع الامام الى حدة وسناع فاقام بها هنالك وكان معه من الاكراد وغيرهم نحو من مئة فارس وتابعت الامداد نحو صنعاء ثم طلع السلطان بنفسه النفيسة فلما وصل ذمار جعل رحيله من ذمار صبحاً فامسى على باب

صنعاء فلم يطمع الامام في معاودة القتال عليها .

وفي شهر شوال خالف الشرفاء الى شمس الدين في صعدة واخرجوا اليها الكردي وسيروه على طريق حرض فغضب السلطان وجهز ولده الملك المظفر الى قاع بيت الفاهم . فحط هنالك يوم السادس من ذي القعدةولوقته سارالى بيت حَنْبَصَ فاستولى وظهرت عساكره على الامام ابن مطهر بحدة فانهزم هو ومن معه من الاكراد طريق الحازة الى حافد ثم طلعوا الى سبا وكان الميعاد بين السلطان وولده الملك المظفر الى يوم الثلاثاء بان يركب العسكر السلطاني من صنعاء الى حدة فاستعجل الملك المظفر آخر نهار الاثنين فكانت عجلته سبباً لسلامة ابن مطهر والاكراد ولكل اجل كتاب .

وفي اول ذي القعدة نقض الامير همام الدين الصلح الذي بينه وبين السلطان وكاتب آل شمس الدين باللقاء والاتفاق واقام الامام محمد بن مطهر بجبل رهقة والاكراد في الروبة والملك المظفر في محطته في قاع بيت الفاهم مدة نصف شهر وعامل محمد بن الذئب الشهابي في الامام والاكراد فطلع العسكر الجبل فانهزم الامام والاكراد ثم نزلوا طريق مفحق وافترقوا من هنالك فسار الامام نحو دروان . ثم سار نحو ظليمة فعيّد بها عيد الاضحى وسار الاكراد نحو طوران ثم وصل الامير علي ابن موسى الى الامام محمد بن مطهر ووصل معه آل الامام فقصدوا الشريف لما بلغهم من تأخر الفقيه على العسكر وافتراقهم من أجل ذلك . فطلعوا من طريق كحلان فركز لهم الامير عماد الدين فعادوا خائبين نحو الظاهر وقصدوا القبة ولقيهم الامير همام الدين الى هنالك فحطوا عليها ثلاثة ايام ثم افترقوا ورجع الامير همام الدين ظفار وسار الامام محمد بن مطهر والشريف علي بن موسى الى صعدة .

وفي غرة ذي الحجة امر السلطان بالقبض على الشريف جمال الدين عبدالله بن علي بن وهاس وولديه داود والمؤيد بصنعاء . واحتج عليه بأمور اوجبت ذلك وسيّر العساكر مع عباس بن محمد للمحطة على حصنه عزان وسيّر معه المنجنيق وعيّد السلطان عيد الاضحى في صنعاء .

وفي هذه السنة توفي الامير تاج الدين محمد بن احمد بن يحيى بن حمزة بن سليمان بن حمزة بن علي بن حمزة وكانت وفاته يوم العشرين من جمادى الآخرة من السنة المذكورة وكان مع السلطان من يوم نزل اليه الى زبيد في شوال من السنة الماضية الى يوم وفاته رحمه الله تعالى .

وفيها توفي الفقيه الامام الفاضل رضي الدين ابو بكر بن محمد بن عمر اليحيوي وكانت وفاته في مدينة زبيد وكان مولده في شهر رجب من سنة ست واربعين وستمئة وكان تفقه بأبيه غالباً وبغيره كابن البانه . وربما أخذ عن المقدسي ثم تصوف وصحب الاكابر من الصوفية كأبي السرور وغيره وحج مكة فلقي فيها جمعاً من الاكابر وانتسخ كتباً من كلام ابن العربي الصوفي فعكف عليها واعتقد ما فيها ثم لما عاد الى اليمن اقبل عليه أعيان الامراء والملوك والخواتين وصار لهم معتقد عظيم . ونقل اصحابه عنه أموراً تدل على صلاحه وجلالة قدره . وحصل بينه وبين الملك المؤيد ائتلاف وصحبة قبل مصير الملك اليه واعتقد صلاحه اعتقاداً جاوز الحد وكان مظهراً لاقامة المعروف والنهي عن المنكر وابطال الخمر وما شابهه . ولم يكن السلطان مغيّراً ما فعله اعتقاداً ان ما فعله هو الصواب . وله اشعار معجبة ويقال ان باشارته انتقلت الاوقاف من حكام الشرع الى ارباب الدواوين . ولم تكن قبل الا الى حكام الشرع الشريف . وكان نزوله الى زبيد في سنة ثمان وسبعمئة فاقام بها الى ان توفي في ليلة الخميس لعشر بقين من شهر ربيع الآخر من سنة تسع المذكورة .

وحضر دفنه اخوه القاضي موفق الدين علي بن محمد بن عمر الصاحب نزل مزعجاً عليه من تعز فادركه منزولاً به وقبر الى جنب قبر الشيخ الصالح علي بن افلح في مقابر باب سهام رحمه الله تعالى .

وفي هذه السنة توفي الفقيه الصالح عثمان بن الفقيه يحيى بن الفقيه فضل وكان فقيهاً خيراً وله قريحة في الشعر ، ومن قوله بيتان يجمع فيهما أولو العزم وهما :

اولو العزم فاحفظهم لعلك ترشد ... فنوح وابراهيم هود محمد

قال المصنف ايده الله انما هذا بيت واحد ولكنه مقفى الا ان يكون سقط البيت

الثاني من الاصل فيمكن ذلك ولانه لم يستوعب اهل العزم في البيت المذكور . فدل على سقوط بيت آخر والله اعلم . وهو الذي خمس مديح ابن حمير الذي اوله :

يا من لعين قد أضرَّ بها السهر　　واضالع حُدُبٍ طوين على الشرر

فقال :

قلبي المعنّى صَار حلفاً للفكر　　وكذاك سمعي خانني ثم البصر

ودموع عيني في المحاجر كالمطر　　يا من لعين قد أضرّ بها السهر

واضالع حُدْب طوين على الشرر

وكانت وفاته مبروقاً يوم الحادي عشر من ذي الحجة من السنة المذكورة والله اعلم .

وتوفي الفقيه الفاضل ابو الخطاب عمر بن محمد بن عبدالله بن عمران المتوجي بضم الميم وفتح التاء والواو مع التشديد وجيم قبل ياء النسب . وكان مولده سنة ست واربعين وستمئة بمخلاف شيبّة . ثم سار الى تعز فدرس فيها في المدرسة العمرية . وكان يغلب عليه العزلة والانفراد والعبادة وكلفه دين عظيم . فارتحل الى عدن بسبب قضاء دينه . فادركته منيته هنالك فتوفي بها يوم الخميس الحادي والعشرين من ذي الحجة من السنة المذكورة رحمهُ الله تعالى .

وفيها توفي الشيخ الرئيس محمد بن بطال بن محمد بن بطال بن احمد بن محمد ابن سليمان بن بطال الركبي نسبة الى قبيلة كبيرة يقال لهم الركب من ولد انعم بن الاشعر يسكنون مواضع كثيرة في عدة نواح من اليمن كان جده محمد بن بطال يخدم السلطنة . وتولى ناحية المفاليس مدة فلما هلك تولى بعده ولده بطال بن محمد فاقام مدة في ولايته ثم قتله بعض بني عمه وكان ولده هذا محمد بن بطال رهينة في الدملوة عند خادم يقال له ياقوت فاقامه مقام ابيه وولاه الجهة فقوي أمره به واكتسب أموالاً وصحب اعيان الدولة فقوي بذلك أمره واستمر على ذلك دهراً طويلاً فهرب منه الذين قتلوا أباه وكان يحب الرئاسة ويتقرب الى الرؤساء من اهل الدين والدنيا الى ان توفي وكانت وفاته في السنة المذكورة رحمه الله تعالى .

وفي هذه السنة توفي الفقيه الفاضل ابو الحسن علي بن مفلح الكوفي وكان فاضلاً أخذ عن ابن الحرازي القراءات والفقه وكان خيّراً من اكثر الناس احساناً الى ابن الحرازي وكان ابوه مفلح صاحب دنيا واسعة وكان ولده هذا علي يتحمل الغالب من **مؤونة** ابن الحرازي من طعام وكسوة له ولعياله. فكان ابن الحرازي يجتهد في اقترابه فوق ما يجب ويبالغ في اكرامه . ويؤثره على سائر الطلبة لذلك فكان يحسن الى **سائر الطلبة ايضاً ويواسيهم.** ثم حج في آخر عمره . وامتحن بالفقر . وكانت وفاته في ذي الحجة من السنة المذكورة رحمه الله تعالى .

وفيها توفي الفقيه الفاضل اسمعيل بن علي بن محمد بن احمد بن نجاح المعروف بابن ثمامة . وأمه بنت الفقيه اسماعيل بن محمد الحضرمي . وكان فقيهاً عارفاً حسن الاخلاق وكريم النفس توفي الى رحمة الله تعالى في جمادى الاولى من السنة المذكورة .

وفيها توفي الفقيه المقريء ابو عبدالله محمد بن عمر بن بن سعيد وكان ميلاده في شهر المحرم اول سنة اربعين وستمائة وقرأ القرآن وصحب الاستاذ أبا المسك عنبر وبسبب صحبته اتصل بالملك الواثق وسافر معه الى ظفار وغلب على امره ولم يزل وزيراً له الى ان توفي هنالك وكانت وفاته في شهر رمضان من السنة المذكورة رحمه الله تعالى .

وفي سنة عشر **وسبعمئة** تسلم الامير شمس الدين عباس بن محمد بن عباس حصن ظفار ونقل محطته نحو ظفار وحط بالطفة عند حصن تعز ونصب المنجنيق عليه فرغب الاشراف في الصلح واذعنوا للخدمة الشريفة على يد الشيخ نجم الدين محمد بن عبدالله بن عمر بن الحيد بصعدة ورهن الاشراف على تمامه . وسار معدا نحو السلطان الى صنعاء فأتم السلطان ما فعله وصاح الصائح بالصلح ليلاً على كره من الامير عباس مقدم الحرب يومئذ . وكان ذلك خديعة من الشيخ ابن الحند لما علم مضرة اهل ظفار ان اقام عليهم الحصار فاستغاثوا به فبادر مسرعاً لرفع المحطة عنهم فعدها السلطان له من جملة الذنوب واتم السلطان ما تقرر من الصلح .

وتوجه السلطان من صنعاء الى محروسة تعز يوم الخامس والعشرين من صفر وترك في البلاد الصنعائية الامير اسد الدين محمد بن حسن بن نور مقطعاً بها .

وفي هذه السنة المذكورة تسلم الامير عماد الدين ادريس بن علي حصن المفتاح مضافاً الى ما تسلم من حصون الشرفين وسلم الجميع الى نائب السلطان . وهو حسن بن الطماح بن ناجي وقد ولاه السلطان جهات الشرق .

وفي السابع عشر من جمادى الآخرة تقدم الركاب العالي من محروسة تعز الى محروسة زبيد .

وفي هذا التاريخ اصلح الاكراد ودخلوا في الطاعة بعد ان ضاقت عليهم الارض بما رحبت وبذلوا الطاعة من انفسهم ولجؤوا الى الحرم الشريف متفيئين ظلاله مستمطرين نواله فعادت الشنشنة الرسولية عليهم بالاقبال واستقر الحال على بقاء هران بايديهم واستخدم من اراد الخدمة منهم وتسلم خمس رهائن .

وفي هذه السنة اقطع السلطان الامير جمال الدين نور بن حسن بن نور الاعمال الصعدية والجوفية والجثة بتهامة وعوض الامير عماد الدين عن الجثة بالقحمة .

وفي جمادى الآخرة سار الامام محمد بن مطهر يريد لقاء الاكراد وقد طلبوه فوصل برأش **الباقر وأقام** ينتظرهم فبدأ لهم في الصلح فاصلحوا السلطان على انفسهم فرجع الامام الى ورور وطلع السلطان من زبيد الى تعز في آخر ذي القعدة من السنة المذكورة .

وفي هذه السنة حج من مصر عدة من الامراء في عسكر كثيف وكان قصدهم لزم الشريفين رميثة وحَميضة . فلما علما بذلك نفرا من مكة ولم يحصل العسكر على قبضهما . فلما انقضى الحج ورجعت العساكر المصرية الى مصر عادا الى مكة .

وفي هذه السنة توفي الفقيه الفاضل ابو الخطاب عمر بن عثمان بن يحيى بن اسحاق وكان مولده سنة ثمان وعشرين وستمئة . وكان فقيهاً مجوداً غلب عليه الاشتغال بالحديث . وكانت وفاتهُ في صفر من السنة المذكورة رحمه الله تعالى .

وفي هذه السنة توفي الفقيه الصالح عبد الرزاق بن محمد الجبرتي الزيلعي ويقال انه شريف النسب . وكان فقيهاً فاضلاً من اهل المروءة والدين محبّاً في السعي في قضاء حوائج الاصحاب راغباً في ذلك . ودرس بالتاجية في مدينة تعز وتفقه بمحمد بن عباس وعلي بن احمد الجنيد . وكانت وفاته في صفر من السنة المذكورة . ويروى انه لما حُمِل نعشه وساروا به نحو المقبرة جاء طائر من الهواء فدخل في أكفانه ولم يُرَ بعد ذلك والله اعلم .

وفي هذه السنة توفي الفقيه الفاضل ابو عبدالله محمد بن الفقيه عبد الرحمن بن الفقيه يحيى بن سالم وكان فقيهاً عارفاً بالفقه والاصول ذكيّاً درس بعد ابيه وصحب الفقيه ابا بكر بن محمد بن عمر بن اليحيوي مدة طويلة فنال مالاً جيداً وبسببه جعل امر المدرسة اليه والى اهله وبعثهُ الملك المؤيد سفيراً الى مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم ليقوم حمات على ابي نمى صاحب مكة لامر كان بينهما فلزمه ابو نمي وصادره هو وصاحبه بمال فاقترضوا من حجاج اليمن وعادوا . قال الجندي واظن ذلك كان في سنة ثمان وتسعين وستمئة . وكانت وفاته في سنة عشر وسبعمئة بعد ان اتسعت دنياه اتساعاً كبيراً والله اعلم .

وفيها توفي الفقيه ابو الحسن[1] علي بن عبدالله بن احمد بن عبدالله بن احمد ابن ابي القاسم بن احمد بن اسعد الخطابي[2] نسبة الى عرب يسكنون حارة يقال لهم بنو خطاب . وكان مولده سنة ست عشرة وستمئة وتفقه بابن ناصر المذكور اولاً . وكان فقيهاً محققاً مدققاً سكن قرية من مخلاف جعفر يقال لها منزل جديد بفتح الجيم وكسر الدال المهملة . وامتحن في آخر عمره بالعمى وتوفي على ذلك في السنة المذكورة رحمه الله تعالى .

وفيها توفي الفقيه الفاضل ابو عبدالله محمد بن علي بن عبدالله ولد صاحب المقداحة . وكان خرج في حياة ابيه قاصداً السياحة والتعبد فبلغ مدينة ظفار

---

(٢)في الجندي : وكان صاحبه رجلاً يعرف بمحمد الدمشقي .
(٢) الذي في الجندي : ابو محمد عبد الله بن احمد الح .

الحبوضي واقام هنالك مدة . فلما توفي والده وخلا الموضع من قائم يقوم فيه ارسلوا له رسولاً قاصداً او سألوهُ الوصول اليهم فوصل وابتنى رباطاً على صفة رباط ظفار وقام بالموضع قياماً مرضياً الى ان توفي في سلخ جمادى الاولى من السنة المذكورة رحمه الله تعالى .

وفيها توفي الفقيه الفاضل عبدالله بن عمر بن ابي بكر بن عمر بن الشيخ الحافظ علي بن ابي بكر العرشاني . وكان فقيهاً حبراً ذكيّاً حافظاً اخذ طريقة ابيه في حسن الخلق وكرم النفس وإطعام الطعام .وكانت وفاته في السنة المذكورة رحمه الله تعالى .

وفيها توفي الفقيه الصالح ابو عبد محمد بن احمد الخلي نسبة الى قرية بحجرْ يقال لها الخلة بفتح الخاء . وكان فقيهاً عارفاً صالحاً ورعاً عابداً زاهداً تفقه باحمد بن جديل بسهفنة والفقيه اسماعيل الحضرمي وعاد الى بلده فاخذ عنه ابن اخيه اسماعيل بن احمد بن علي ثم عرض لهذا الفقيه ان سلك طريقة الزهد والعبادة فابتنى رباطاً وانفق ماله على الواردين والقاصدين ولم يزل به حتى توفي في السنة المذكورة رحمه الله تعالى .

وفي سنة احدى عشرة وسبعمئة حصل من الامام محمد بن مطهر عزم عظيم وتوجه الى الشرق في جمع من العساكر . وكان قد اصاب، قبائل الشرف من ولاة السلطان بعض ما يكرهونه فسار بهم الامام نحو جبل الشاهل فلم يظفر منه بشيء . وطلع بلد المحابشة فقاتل على القاهرة واستولى عليها وأخذ حصن هبيب وجبل سعد والشجعة والمفتاح واجابه اهل الشرف الاعلى كافة فنزل السلطان الى تهامة وجرد الجرائد الى تلك الجهة وامر الشريف عماد الدين ادريس بالتوجه اليها على عادته فسار الى جبل اقتاب وجمع العساكر وكاتب القبائل فما اجابوا وسار الى عكاش في اليوم السابع من شعبان فقاتلهم ثمانية ايام وكان عسكرهم يومئذٍ الفا وخمسمئة وكان كل يوم ينقص من عسكره جماعة واستمد الامام بقبائل حجة وشظب والاهنوم وقبائل الشام فاقبلوا اليه فقصدوا المحطة يوم الخامس عشر من شعبان في ستة آلاف راجل

فانهزم العسكر السلطاني قبل وصول الامام ولم يبق الا الشريف عماد الدين في اربعة افراس فأسر الشريف عماد الدين وقتل ابن عمه قاسم بن الابريس وأسر خاله وسلم الرابع بعد ان عقر حصانه وقتل في الوقعة الامير جمال الدين غازي بن ابي بكر بن خضر . وكان يومئذ والي الموقر والمخلافة والسرددية وقتل سبعة من الرجل . وأقام الشريف عماد الدين مأسوراً نحواً من نصف شهر . ثم افلت فلحق بحصن عزان الذي لابني شرحبيل فجمع الامام جموعه وزحف عليه فلم يظفر بشيء . وتسلم الامير حصن المفتاح يوم الخامس عشر من شهر رمضان بعد ان افرغ ابن الطماح جميع ما فيه من شحنة وصبر هو ومن معه على اهون القوت . وانتقل الشريف عماد الدين الى الظفر حصن الامراء بني صفي الدين في نصف شهر رمضان . وقد كان السلطان جهز ولده الملك المظفر والصاحب موفق الدين الى الشرف قبل الوقعة فلقيهما الخبر وهما بالمهجم فسارا وحطا في قلحاح . ثم ساروا الى موضع محطة الشريف عماد الدين فهزموا عسكر الامام وقتل الشيخ الرّياحي صاحب جبل تيس . ثم انتقل الشريف من الحصن المذكور الى محطة الملك المظفر بقلحاح فاقام عنده على احسن حال الى الرابع عشر من شوال وامره بالاقامة في جبل الشاهل وترك عنده من العسكر الف راجل . ونزل المظفر والصاحب موفق الدين الى تهامة . وتجهز الامير شمس الدين عباس بن محمد بن عباس الى حجة لحرب ابراهيم بن مطهر بدروان فحط عباس في سهل شمسان . ولما تطاولت الفتنة بين السلطان والامام استقرّ الحال على ذمة من السلطان مدة سنة كاملة يستريح الناس من الفتنة وتضع الحرب اوزارها ورجع الملك المظفر والصاحب والامير شمس الدين الى الابواب السلطانية بزبيد .

وفي هذه السنة توفي السلطان الملك الواثق ابراهيم بن السلطان الملك المظفر شمس الدين يوسف بن عمر بن علي بن رسول في ظفار الحبوضي وكان فريداً في محاسنه له معرفة في الادب ومشاركة في فنون العلم وكان يقول الشعر ويجيز عليهِ الجوائز السنية .

ومــن يك داود بن يوسف صنوه فليس غريبــاً ان يرى بكريم

ويروى ان ولد احمد الرفاعي وصل الى ظفار يريد الحج فتلقـاه السلطـان بالاجلال والاكرام فاقام عنده ثلاثة ايام في الضيافات النفيسة وكان يرسل له كل يوم في مدة الضيافة بالف دينار ملكية وتشريف فتلك شِنْشِنَة مظفرية واخوة هزبرية . فلما وصل العلم بوفاته امر السلطان بالقراءة عليه سبعة ايام وحضر القراءة ملوك بني رسول واعيان الدولة ووجوه الناس في كل يوم ينصرفون بعد القراءة الى سماط نفيس حتى انقضت السبعة الايام رحمه الله تعالى .

وفيها توفي القاضي منتخب الدين اسماعيل بن عبدالله بن علي الحلبي بلـداً المعروف بالنقاش الملقب بالمنتخب وكان رجلاً فاضلاً عاقلاً كامـلاً له جاه عريض وثناءٌ مستفيض سافر من بلده الى مكة المشرفة فاقام بها مدة ثم ارتحل الى اليمن وقد تكرر ذكره فيها . فلما قدم زبيد وواليها يومئذٍ نجم الدين ابن الخِرْتَبْرتي كتب الى الملك يعلمه بوصوله فامر السلطان ان يبجل ويعظم ويعزَّز ويكرَّم . وكان متورعاً متزهداً له يد في الفقه والاصول وصحب الفقيه عمر بن عاصم مقدم الذكر ثم بعد ذلك حصل مجلس ذكروا فيه الصحابة رضي الله عنهم والمفاضلة بينهم فسمع منه تقديم علي عليه السلام على غيره من الصحابة فاتهموه بالرفض واشاعوا ذلك عنه فلزم بيته وهجرهم وتعانى الزراعة وكان محترماً فيها لاجل ما كان المظفر يجله ويحترمه ويوصي به الولاة ثم تزوج السلطان الملك المؤيد ابنته فولدت له المجاهد رحمة الله عليهم اجمعين وكانت وفاة المنتخب المذكور في مدينة زبيد في السنة المذكورة وامـر السلطان بالقراءة عليه في جامع المغربة ثلاثة ايام رحمه الله تعالى .

وفيها توفي الفقيه الفاضل ابو محمد عبدالله بـن محمد بن جابر بن اسعد ابن ابي الخير العودري ثم السكسكي وكان يعرف بالرباعي لانه كان له اربع اصابـع وكان تفقه بفقهاء الجند كابراهيم بن عيسى وغيره . واخذ النحو عن احمد ابن ابي بكر وغيره وجمع كتب الحديث على عبدالله بن عمران الخولاني وحصل بينهُ وبـين اهل قريته وحشة فنفر بسببها الى البلد العليا فعلم للشريف علي بن عبدالله ولديه

داود وادريس وحصلت له شفقة كلية من الشريف واقام معه مدة سنين فانتفع اولاده به وقرأوا القرآن واستخلص الشريف له خراج ارضه من السلطان فلم تزل مسموحة الى ان توفي . وجمع كتباً كثيرة في الادب وغيره . وكانت وفاته في النصف من شهر صفر من السنة المذكورة رحمه الله تعالى .

وفيها توفي الفقيه الفاضل ابو عبدالله محمد بن علي بن احمد بن مياس الواقدي . وكان فقيهاً جيداً تفقه باهل عدن وكان ينوب ابن الجنيد على القضاء بعدن فلما توفي ابن الجنيد جعل مكانه فسار سيرة الغالب عليها الخير وكان يتعانى التجارة مع المسافرين في البحر والزراعة في بلدة لحج وكان مسكنه مسكن اخواله القريظيين (بنابه العليا) واستمر على قضاء عدن مدة سنين حتى ولي القضاء الاكبر بنو محمد بن عمر فعزلوه من عدن وجعلوه حاكماً في بلده واستمر بعده في القضاء الجحافي واستمر هو على القضاء في بلده الى ان توفي وكانت وفاته في شهر رجب من السنة المذكورة رحمه الله تعالى .

وفيها توفي الفقيه الفاضل أبو [2] بن الحسين بن محمد بن احمد بن مصباح وكان مولده سنة اثنتين وستين وستمئة . وكان فقيهاً عالماً بارعاً عارفاً بالفقه توفي في السنة المذكورة رحمه الله تعالى .

وفي سنة اثنتي عشرة وسبعمئة طلع السلطان الملك المؤيد من زبيد الى تعز وكان خروجه من زبيد اول يوم من المحرم من السنة المذكورة . وفي اليوم الرابع عشر من شهر ربيع الاول قتل الشريف عماد الدين يحيى ابن تاج الدين . وكان سبب قتلة ان بعض القبائل من اهل ملحان جرّأوه على آخرين غيرهم وعذلوا فيه وفي عسكره فلما أراد الخروج رد حصون اهل العدالة قبل انفصاله من الجبل فدعموا فيه فقتل وقتل معه نيف واربعون رجلاً من اصحابه .

وفي هذا التاريخ وصلت رسل الامام الى الشريف عماد الدين ادريس بن علي للسعي في الصلح بينه وبين السلطان قبل انقضاء الذمة فسيرهم الشريف الى الباب

---

(١) كذا بياض في الاصل .

الشريف فتلقاهم الشيخ محمد بن عبدالله بن عمر بن الجيد وكان الصاحب موفق الدين يومئذٍ مريضاً . فاستقر الامر على صلح عشر سنين اولها جمادى الآخرة من السنة المذكورة . على ان الشرف الأعلى وحصونه والجبر بحجة وصاحب بيت ردم وشركاءه واموال آل الوشاح حيث كانت وظفر بن وهاس وسائر ما هو معروف للامام بحجة وظليمة وغيرهما اليه وثلاثة آلاف دينار في كل سنة . وصاح الصائح في تعز بالصلح عشر سنين فلما تمَّ صلح الامام وانفصل عنه الاكراد جرد السلطان من عسكر الباب مئتي فارس ورجل مذحج للمحطة على هرّان . وامر الامير اسد الدين محمد بن نور ان يسير بعسكره من صنعاء اليهم فتوجه الشيخ الى الجند حينئذٍ وعقد صلحاً للاكراد على ترك دخول ذمار ورداع وترك الاقطاع وان تستمر رهائنهم بالعروس . وامر السلطان الامير اسد الدين بسكنى ذمار واستيطانها فامتثل الامر .

وفي الثالث من جمادى الاخرى سار السلطان الى الجند بسبب الصيد فاقام هنالك الى الحادي عشر منه وعاد الى تعز ثم سار الى زبيد يوم الرابع والعشرين منه فدخل زبيد يوم الرابع من رجب . وفي ليلة الجمعة السابع عشر من شهر رجب احترقت دار المرتبة بتعز لاسباب اختلف الناس فيها فتلف فيها شيءٌ كثير من الاثاث والفروش والكتب النفيسة وغير ذلك مما لا ينحصر . وكان في جملة ما احترق بشخانتان كبيرتان كاملتان من الزركش احداهما صفراء والاخرى حمراء وكان السلطان يومئذٍ في زبيد وفي يوم السبت الثامن والعشرين من رجب خرج السلطان الى فشال بسبب الصيد فاقام هنالك الى آخر الشهر المذكور ورجع الى زبيد .

وفي هذه السنة امر السلطان بانشاء قصر بزبيد على ظاهر باب الشبارق في البستان الذي امر بانشائه المعروف بحائط لبيق . وكان صورة بناء القصر يومئذٍ ايوان طوله خمسة واربعون ذراعاً وفي صدره مقعدة ستة اذرع وله دهليز متسع وفوق الدهليز قصر باربعة اواوين يشرف على البستان المذكور من جميع نواحيه .

وفي هذه السنة حج الملك الناصر صاحب مصر في مئة فارس من مماليكه وستة آلاف مملوك على الهجن وسلاحهم القسي فوصل مكة المشرفة في اثنين وعشرين يوماً

من يوم خروجه من دمشق محرماً مقرعاً فطاف بمرأى من الناس وكان اعـرج قبيح العرجة فقضى مناسكه كلها فلما حل حلق رأسه وأحسن الى الناس وتصدق وعاد ومعه الشريف ابو الغيث ابن ابي نمي . وقد هرب رميثة وحميضة لما احسا بوصوله خشيا ان يقبض عليهما فخرجا من مكة ونهبا التجار الواصلين الى مكة نهباً شديداً ولم يتركا لاحد شيئاً وفعلا من الافعال القبيحة ما لا يفعله احد . واقاما غائبين عن مكة حتى فرغت ايام الحج وعادا الى مكة .

وفي شهر شعبان من هذه السنة حصل على الملك المظفر حسن بن السلطان المؤيد توعُّك في جسمه وذلك بعد وصوله من الشرف . وكان من قبل طلوعه غير طيب وكانت الحمى لا تفارقه مع سعال . فلما اشتد عليه الأمر أمره والده بالطلوع فطلع فاشتد به الأمر في رمضان فهمَّ السلطان بالطلـوع ثم توقف . فلما كان يوم العيد اتاه خبر ازعجه فأمر الصاحب موفق الدين بالطلوع لفوره فطلـع يوم العيد وقت الظهر وهو يوم الاثنين فوصل تعز يوم الثلاثاء عند طلوع الشـمس وخـرج السلطان من زبيد ظهر يوم الثلاثاء فدخل تعز يوم الخميس وأرسل لابنه الى ثعبات وأرسل الأطباء لمعالجته فلم يزدد الا ضعفاً ونحفاً . ولم يزل كذلك الى أن توفي في يوم الأحد السادس من ذي القعدة بعد أن أوصى وتثبت في وصيته .

وفي جملة وصيته ان لا يُصاح عليه ولا يُشقّ عليهِ ثوب ولا يُغطى نعشه الا بثوب قطن وان لا يُعقر على قبره شيءٌ من خيله وان يُدفن في مقابر المسلمين . فنفذ والده وصيته في جميع ما اوصى به الا في الدفن فانه امر ان يدفن عند اخيه الظافر في المدرسة المؤيدية في مغربة تعز . وكان من اجل الملوك قدراً واوصى في جملة وصيته ان يُبتنى له مدرسة في قرية المحارب وان يجرى لها الماء وان يجري الماءُ منها الى حوض تحتها . ففعل والده جميع ذلك وكان يوم دفنه يوماً مشهوداً . وحضر دفنه ملوك بني رسول باجمعهم وشهدوا القراءة سبعة ايام وامر والده بالقراءة عليه في سائر مملكته .

وكتب العفيف ابن جعفر الى السلطان يعزيه بهذه الابيات :

امـولى الملـوك وسلطانها ويا من له طاعـة تفترض

فلا ملكٌ ناقضٌ عقدهُ ولا ملكٌ عاقـدٌ ما نقض
ولا عوض منـك في ذا الورى وكل الـورى انـت منهـم عوض

وفي يوم العاشر من ذي القعدة توفي القاضي جمال الدين محمد بن احمد بـن محمد بن عمر اليحيوي وهو الذي كان ينوب عن القاضي موفق الدين الصاحب في قضاء الاقضية فكان يباشر الاحكام ويفصل القضايا ولا يعارضه احد وكان الغالب عليه سلوك طريق الزهد بحيث ان اكثر اهله واصحابه يقولون عنه انهُ لم يكتسب شيئاً من الدنيا . وكان عمه ابو بكر هو الذي يربيه ولم يصر اليهم امر القضاء والوزارة الا بعد ان تفقَّه وتعبَّد وحج وجاور في مكة والمدينة وعرف الناس يمناً وشاماً وحجازاً ولم يكتسب شيئاً من الدنيا كما اكتسب اهله اجمعون ولا تزوَّج امرأة قط وكانت اشارته من اشارة عميه أبي بكر وعلي ولم يخالفاه وفي اصحاب عمه أبي بكر جماعة يعترفون له بالصلاح وربما يفضلونه على عمه ابي بكر . وقال الجندي كانت وفاته يوم الخميس تاسع عشر ذي القعدة من السنة المذكورة والله اعلم .

وفيها توفي القاضي موفق الدين الصاحب علي بن محمـد بن عمـر اليحيوي المعروف بالصاحب . وكان رجلاً كاملاً رئيساً فاضلاً فقيهاً نبيهاً فصيحاً شهماً ولي الوزارة والقضاء في الدولة المؤيدية الى يوم وفاته . وكانت وفاته يوم الثالث من ذي الحجة من السنة المذكورة رحمه الله .

وفيها توفي الفقيه الصالح ابو عبدالله محمد بن احمد بن محمد السبتي . وكان فقيهاً فاضلاً محققاً حسن الاخلاق مرضي الفتوى وردت منه اسئلة الى الفقيه الامام ابي الحسن الاصبحي صاحب المعين تدلُّ على تحقيقه وتدقيقه . وكان ممـن يذكر بالكرم وعلوّ الهمة وشرف النفس وحسن القيام بمن قصده من ابناء الجنس وغيرهم . نقل ذلك عنه جميع المسافرين ولا يمكن تواطؤهم على كذب . وكان خطيباً فصيحاً مصقعاً . توفي على الطريق المرضي في السنة المذكورة رحمه الله تعالى .

وفي سنة ثلاث عشرة وسبعمئة توجه السلطان من تعز الى الجند فاقام فيهـا مدة . وفي شهر ربيع الآخر برز مرسوم السلطان الى الامير اسد الدين محمد بن حسن

بن نور بان يخرج من ذمار ويحط على حصن هرّان وينصب عليه المنجنيق ففعل ما امر بهِ ونصب المنجنيق عليه ووصل الامير شمس الدين عباس بن وهاس معزولاً من حرض .

وفي شهر ربيع الآخر قتلت الاكراد حسن بن اياس والي صنعاء في ستة نفر من الغز منهم ابن الغلاب والتاج بن العز وابن منقار وجماعة من الرجالة فجرَّد السلطان عباس بن محمد في خمسين فارساً غير عسكره فخرجوا من تعز يوم الخامس من جمادى الاولى فاقاموا مع ابن نور في محطته ولم يزل المنجنيق يصك هرّان حتى اتلفه اتلافاً كلياً لم يعلم قط ان كسفاً عمل في حصن ما عمل المنجنيق في هرّان . فلما ضاق الامر على الاكراد واشتد عليهم ورأوا الموت عياناً لجأوا الى السلطان فكاتب لهم الشيخ محمد بن عبد الله بن عمر بن الحيد واستعطف خاطر السلطان عليهم وراجع في ذمة وبرز امر السلطان بالذمة عليهم للامير ابراهيم بن شكر والجلال بن الاسد فحضروا مقام السلطان بالجند ودخلا تحت الطاعة واستعطفا خاطره الشريف فرجع الى شنشنته الكريمة وعفا عنهم بشرط ان لا يبدو منهم ما يوجب الغيار عليهم وسلموا هرّان وعادوا الى ذمار على عادتهم في الخدمة . وامر السلطان برفع المحاط عنهم فارتفعت المحاط عنهم في مستهل رجب من السنة المذكورة . وتوجه الامير اسد الدين محمد بن حسن بن نور الى صنعاء والامير عباس بن محمد الى بلاد همدان لخراب زروعهم وبلادهم والمحطة على بيت انعم لانهم بدا منهم ما لا يحسن . فامر السلطان بخراب زروعهم في مقابلة ما فعلوه .

وفي هذا التاريخ تقدم الركاب العالي الى زبيد فدخلها يوم الثاني عشر من رجب المذكور ووصل الى السلطان وهو مقيم بزبيد الامير الكبير الهادي ابن عماد الدين وداود بن موسى مخاطبين في الامير اسد الدين محمد بن احمد بن عز الدين فلم يجابا الى خروجه من السجن . وبرز امر السلطان بتوجه الامير عماد الدين ادريس ابن علي الى صوب صهيب في جمع كثير من الخيل والرجل فاقام في بلاد الاساودة حتى رهنوا رهائن اكيدة ثم سار الى مقمح فاخرب العسكر بلدهم واتلفوا عليهم طعاماً

كثيراً واتلف الشريف للجحافل زرعاً كثيراً وغيره .

وفي اول يوم من ذي الحجة اخرج السلطان الامير جمال الدين عبد الله بن علي ابن وهاس من سجن تعز . وكان السلطان يومئذ في زبيد فنزل الامير جمال الدين وصحبته والي تعز الى الباب الشريف مخاطباً في رجوعه الى الخدم الشريفة . ويسلم حصن ظفر فأُجيب الى ذلك . وكانت اقامته في السجن اربع سنين لا تزيد يوماً ولا تنقص يوماً فاقام في زبيد اياماً وقد نزل اليهِ جماعة من اصحابهِ وبني عمه فاعلموه بامتناع ولده على الحصن المذكور . فسأل من السلطان ان يقبل اولاده وبني عمه رهينة مع اربع حلل من حريمه قد صرن في صنعاء ويتركه يطلع على حسب حاله ليتوصل الى دخول الحصن ويسلمهُ الى نواب مولانا السلطان فاذن له في ذلك فسار الى ولده . ولما طلع الحصن وتمكن منه أخرج ولده وامره بالمسير الى الباب السلطاني . ويسلم الحصن الى نواب السلطان .

وفي هذه السنة وصل الشريف ابو الغيث بن ابي نمي من مصر في عسكر جرار الى مكة فيهم من المماليك الاتراك ثلاثمئةوعشرون فارساًوخمسمئة فارس من اشراف المدينة خارجاً عما يلحقهم من المتخطفة والحرامية فلما علم بهم رميثة وحميضة هربا الى صوب حلي بن يعقوب واستولى الشريف ابو الغيث على مكة وكان المقدم الامير سيف الدين طقصنا . فلما وصل المحمل السعيد والعلم المنصور المؤيدي برز الامير سيف الدين طقصناوالشريف ابو الغيث للقائه وطلعا به جبال عرفات على عادته .

وفي هذه السنة توفي الفقيه الفاضل عثمان بن عبدالله بن الفقيه محمد بن يحيى بن اسحاق بن علي بن اسحاق العياني ثم السكسكي . وكان فقيهاً صالحاً عارفاً محققاً تفقه بتهامة على الفقيه عبدالله بن علي بن ابراهيم بن عجيل واخذ عن اخيه يحيى . وكان كثير العزلة في بيته ويدرس فيه وقلّ ان يخرج عنه الا يوم الجمعة . وكان زاهداً ورعاً متعبداً لزوماً للسنة .

قال الجندي اخبرني ابن اخيه الفقيه علي بن ابي بكر . وكان احد فقهائهم انه أسرَّ اليه أنه قال : (رأيت رؤيا ان عشت لا اخبرت بها احداً وان مت فانت بالخيرة

رأيت لثمان بقين من رجب جماعة فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فدنا وقبّل بين عينيّ فقلت : اللهم اجعلها عندك وديعة وذخراً فاغفر لي يا خير الغافرين) وما اظنني اعيش بعدها . فقلت ولم ذلك قال ان ابن نباتة الخطيب رأى النبي صلى الله عليه وسلم فقبّله فلم يعش بعد ذلك الا اثنى عشر يوماً . ثم انه لم يعش بعد ذلك الا عشرين يوماً بل توفي يوم السبت الخامس من شعبان من السنة المذكورة وهو ابن ثلاث وستين سنة رحمه الله تعالى .

وفي هذه السنة توفيت الحرة المصونة مريم ابنة الشيخ الشمس بن العفيف زوج السلطان الملك المظفر . وكانت من عقائل النساء طاهرة عاقلة لبيبة لها عدة مآثر جيدة منها المدرسة التي في زبيد وهي التي تسمى السابقية وكثير من الناس يقولون مدرسة مريم وهي من احسن المدارس وضعاً رتبت فيها إماماً ومؤذناً وقيماً ومعلماً وايتاماً يتعلمون القرآن ومدرساً للفقه على مذهب الامام الشافعي رضي الله عنه ومُعيداً وطلبة واوقفت على الجميع وقفاً جيداً يقوم بكفايتهم وابتنت في تعز مدرسة في المغربية في الناحية التي تسمى الحميرا ووقفت عليها وقفاً جيداً ولها مدرسة في ذي عقيب وهي التي دفنت فيها . ودار مضيف . وكانت وفاتها بجبلة في جمادى الاولى من السنة المذكورة رحمها الله تعالى .

وفيها توفي الفقيه الفاضل عمر بن محمد بن مسعود بن يحيىٰ بن محمد بن المبارك . وكان فقيهاً عارفاً مجتهداً تفقه بالامام ابي الحسن علي بن احمد الاصبحي وقبله بشيخه محمد بن ابي بكر الاصبحي وابن الرسول واصل بلاده قائمة بني حبيش . وكان مدرساً في مدرسة شنين في بلد السحول . وكان يختلف بين بلده والسحول الى ان توفي مقتولاً من بعض قطاع الطريق وكان قتله في اثناء السنة المذكورة رحمه الله تعالى .

ثم ان ان شيخ البلاد بحث عن قاتله حتى عرفه فأخذه برقبته وأتى به الى قبر الفقيه يوم ثالث القراءة عليه واستدعى الشيخ بولد الفقيه وكان له ولد صغير فأعطاه الشيخ فأساً وقال اضربه به فهو قاتل ابيك فقربه حتى قتله بعد ساعة لصغره .

وفي هذه السنة توفي الاديب الفاضل ابو محمد عبدالله بن علي بن جعفر اديب اليمنين وشاعر الدولتين وكان شاعراً فصيحاً بارعاً فاضلاً ظريفاً بليغاً وقد اوردنا في كتابنا هذا من شعره ما فيه دليل على فضله . وكان ذا دين رصين لم يحك عنه شيءٌ يشين دينه ولا عرضه . وكان وصولاً لرحمه قائماً ناصحاً باذلاً لهم جاهه وقد خالطته ولم احك عنه ما حكيته الا عن نظر لا عن خبر . وكان كثير العبادة محافظاً على الصلوات المفروضة والمسنونة نظيف الادب صائن العرض واستمر كاتب انشاءٍ في الدولة المؤيدية . وكان مداحاً للملوك والامراء في عصره وله مدائح كثيرة في رسول الله صلى الله عليه وسلم وله مدائح ربانية . وكان اهله الذين يقوم بهم نحواً من اربعين بيتاً . وتوفي في النصف من جمادى الاولى من السنة المذكورة وقيل في السابع منه والله اعلم رحمه الله تعالى .

وفي هذه السنة توفي الفقيه الصالح ابو القاسم بن الحسين بن ابي السعود الهَمْداني نسباً الفراوي بلداً . وكان ميلاده في شهر رجب من سنة ثلاث وستين وستمئة. وكان المشار اليه في الفقه والزهد والورع والدين والقيام بأمن الموضع ومال الى الطريقة الصوفية وصحب الشيخ عمر المقدسي وتحكم على يده فنصبه شيخاً . وكان على حال مرضي من سعة الاخلاق وايناس الواردين اليه والقيام بحالهم . والاشتغال بمطالعة الكتب . وحج مراراً وكانت وفاته في شهر رمضان من السنة المذكورة رحمه الله تعالى .

وفي سنة اربع عشرة وسبعمئة سار الشريف ابو الغيث بن ابي نمي والامير سيف الدين طقصنا الى صوب حلي بن يعقوب يريدان رميثة وحميضة فلم يجدا لهما خبراً وكانا قد لحقا ببلاد السراة . فلما وصل الامير سيف الدين طقصنا الى حلي لم يدخلها بل قال هذه اوائل بلاد صاحب اليمن ولا ندخلها الا بمرسوم من السلطان الملك الناصر وعاد على عقبه .

وفي صفر من السنة المذكورة سلم الامير عبدالله بن علي بن وهاس حصن ظفر عدالة الى الامير سليمان بن محمد صاحب العروس . وسلم اليه حصن اللجام فانتقل

اليه ونقل ما كان معه في ظفر من اهل وخيرات وسلم ظفر وخرج منه . واخرجت رهائنه من صنعاء ووصلت كتب الامير سليمان بقبضه ليلة الخميس الرابع من شهر ربيع الاول فضربت البشائر وكسي المبشرون وجهز السلطان اصحابه واولاده الرهائن وسيرهم اليه . ونزل الامير عبدالله الى الباب الشريف السلطاني فرفعت له الطبلخانة والاعلام واقطع مدينة القحمة .

وفي ليلة العشرين من شهر ربيع الآخر توفي الشريف عماد الدين ادريس بن علي بن عبدالله بن الحسن بن حمزة بن سليمان بن حمزة بن علي بن حمزة وكان شريفاً ظريفاً شجاعاً كريماً جواداً متلافاً . وكان عالماً لبيباً عاقلاً أريباً متصفاً بصفات الامامة . وكان شاعراً فصيحاً بليغاً . وقد تقدم من شعره ما شهد بفضله . وهو مُصَنّف كتاب«كنز الاخيار في معرفة السير والأخبار». وهو كتاب حسن ممتع . وله عدة تصانيف في فنون كثيرة . ومدحه عدة من الشعراء فكان يجيزهم الجوائز السنية . وكان غاية في الجود والكرم والشجاعة رحمه الله تعالى .

وفي هذه السنة توفي الفقيه الفاضل ابو الحسن علي بن عبدالله الزيلعي الفرضي شهر بذلك لاحكامه علم الفرائض والحساب مع انه كان مشاركاً في العلوم الدينية . مشاركة مرضية لا سيما الفقه والحديث والتفسير والنحو . وكان تفقهه بالفقيه ابي العباس احمد بن موسى بن عجيل . واخذ الحديث على الامام ابي الخير ابن منصور وانتفع به جمع كثير من زبيد وغيرها . وكان من خيار الفقهاء واستمر مدرساً في المدرسة التاجية بزبيد من قبل بني محمد بن عمر وتوفي على ذلك . وكانت وفاتهُ في اثناء السنة المذكورة رحمهُ الله تعالى .

وفيها توفي الفقيه الفاضل الكبير ابو بكر بن احمد بن عبد الرحمن المعروف بابن الصائغ وكان مولده سنة ثلاث وثلاثين وستمئة. وكان فقيهاً عارفاً محققاً متفنناً تفقه بابن حنكاس . وتأدب بابن دعاس . وكان فاضلاً في النحو والفقه والادب . توفي في مدينة زبيد في اثناء السنة المذكورة رحمه الله تعالى .

وفيها توفي الفقيه الفاضل مفضل بن ابي بكر بن يحيى الخياري الهمداني

والخياري منسوب الى خيار وهم قوم من همدان يسكنون جبل عنة تفقه بفقهاء تعز كمحمد بن عباس الشعبي وغيره . واستمر مدرساً في المدرسة المنصورية بالجند . فقرأ عليه جماعة من اهل الجند كابن الصارم وغيره .

قال الجندي وعنه اخذت الوجيز والمستعذب ومنسك مكي وغيرها . ثم استمر قاضياً في الجند مع التدريس الى ان توفي في صفر من السنة المذكورة رحمه الله تعالى .

وفيها توفي الفقيه الفاضل ابو العتيق ابو بكر بن عمر بن سعد المعروف بابن النحوي . وكان ميلاده في شهر ربيع الآخر من سنة ست واربعين وستمائة . وكان فقيهاً عارفاً محققاً تفقه بابن آدم وابن الغُزاف والوزيري المتأخر وبعبدالله بن محمد الحضرمي . وكان مبارك التدريس قلّ ما قرأ عليه احد الا انتفع . وكان يذكر بشرف النفس وعلو الهمة استنابه بنو عمران في القضاء فأقام كذلك الى ان انقرضوا فعزله بنو محمد بن عمر في اول قيامهم وبقي على تدريس المدرسة الغرابية الى ان توفي بعد ان تفقه به جماعة منهم عمر بن ابي بكر العراف وغيره . وكانت وفاته في منتصف شوال من السنة المذكورة رحمه تعالى .

وفيها توفي الفقيه البارع ابو بكر بن احمد بن عمر بن مسلم بن موسى الشعبي المعروف بابن المقري . وكان مولده ليلة الخميس في رجب من سنة خمس وسبعين وستمئة وكان فقيهاً بارعاً متفنناً بجماعة من اهل تعز اولاً ثم ارتحل الى الذنبتين فاكمل تفقهه على الامام ابي الحسن علي بن احمد الاصبحي ثم عاد بلده . وكان فاضلاً في الفقه والنحو والفرائض والعروض والحساب . ودرس في المدرسة الاشرفية في مدينة تعز بعد ابن الصفي . وتوفي على ذلك ليلة الثلاثاء العاشر من شهر ربيع الآخر من السنة المذكورة رحمه الله تعالى .

وفيها توفي الفقيه الامام البارع ابو محمد صالح بن عمر بن ابي بكر بن اسماعيل البريهي . وكان مولده سنة خمس وثلاثين وستمائة . وكان فقيهاً بارعاً فاضلاً عالما عاملاً محققاً مدققاً متقنا تفقه بمحمد بن مسعود المذكور اولاً واليه انتهت

رئاسة الفنون بعده في ذي السفال وارتحل هو والامام ابو الحسن علي بن احمد الاصبحي الى ابين فأخذ عن ابن الرسول . وكان هذا صالحاً فقيهاً فرضيّاً حسابيّاً نحويّاً لغويّاً عارفاً بالحساب والجبر والمقابلة . وله تصنيف جيد في الفرائض قصد به شرح الكافي الذي للصردفي . وعنه أخذ الامام ابو الحسن الاصبحي نظام الغريب في اللغة وغيره . وبه تفقه جماعة منهم محمد بن احمد بن سالم وابو بكر بن علي وابن اخيه واحمدالشوافي وجماعةكثيرون. وممن أخذ عنه ابن اخيه محمدبن عبد الرحمن وابراهيم الاصبحي وحسن العماكري . وكان يقول لاصحابه كما كان يقول الصعبي ان بلغت ثمانين سنة عملت لكم سكراته فتوفي قبل ذلك اليوم . وكانت وفاته ليلة الجمعة الثالث عشر من شوال من السنة المذكورة رحمه الله تعالى .

قال الجندي وفي كل ليلة يرى على قبره نور صاعد الى السماء حتى يظن الجاهل ان ثم ناراً توقد أخبر بذلك من شاهده مراراً .

وفي هذه السنة توفي الفقيه الفاضل ابو بكر بن محمد بن علي بن محمد بن سعيد الرعيني المعروف بابن المقري . وكان مولده سنة اثنتين واربعينوستمئةوكان ترباً لابن الحرازي وزميلاً له قل ما قرأ كتاباً إلا وسمعه معه . وكان محققاً في علم الفرائض والحساب والجبر والمقابلة . ولما صار تدريس المدرسة بعدن الى ابن الحرازي جعل هذا معيداً فاقام مدة طويلة في الاعادة .

قال الجندي واخبرني بعض من قرأ عليه الفرائض قال كنت اغلط في ضرب المسألة واستمر ثم استدرك فاريد تغيير ما قد صوَّرته على البحث فيقول لا تطمس إلا من موضع كذا فاعمل بما قال فأجده صواباً . قال وكان ذا حمية على الاصحاب وصولاً لرحمه . وكانت دنياه متسعة بخلاف ابن الحرازي فانه كان الغالب عليه الفقر . وكانت وفاته في شهر رمضان من السنة المذكورة رحمه الله تعالى .

وفيها توفي الفقيه الصالح صالح بن جبارة بن سليمان الطرابلسي المغربي وكان رجلاً مباركاً فقيهاً محدثاً صالحاً خشوعاً . اخذ في بلده عن محمد بن ابراهيم

الانصاري التلمساني وانتفع به جماعة من اهل عدن وغيرها واخذوا عنه . وكان كثير الخشوع .

قال الجندي اخبرني عبدالله بن ابي حجر انه اقام سبع سنين يصلي خلف هذا الفقيه قال فكان يصلي الصبح بطوال سور المفصَّل وقد يصلي بالزخرف والاحقاف . وكان خاشعاً تتحدر دموعه على خديه . وادركته الوفاة وهو بعدن في السنة المذكورة وقبر الى جنب قبر ابي شعبة رحمة الله تعالى عليهما .

وفيها توفي الفقيه الفاضل ابو اسحاق ابراهيم بن احمد بن سالم بن عمران الشهابي المنبهي . وكان ميلاده سنة ثلاث وسبعين وستمئة تفقه باخيه وأبيه وكان احد اعيان زمانه في الزهد والورع والعلم اخذ بطرفي الامرين واشتهر بفضل الذكرين .

ويروى انه نسخ المهذب وهو يدرس القرآن يدرس على كل جزء منه عشر ختمات مع نسخة فدرس اربعين ختمة على اربعة مجلدات وهذا أمر غريب لان الناسخ لا يستطيع عمل شيء آخر مع النساخة وهذا دليل على الكرامة الواضحة توفي في اثناء السنة المذكورة رحمه الله تعالى .

وفي سنة خمس عشرة وسبعمئة وصل الامير علاء الدين كشدغدي ومعه جماعة من المطلوبين من الديار المصرية والشامية . وكان الامير علاء الدين المذكور استاذ دار الملك المظفر صاحب حماة . وكان فاضلاً في ابناء جنسه جمع بين شهامة السنان وفصاحة اللسان . وكان على ذهنه جملة من اشعار الجاهلية والمخضرمين وغيرهم من المحدثين والمولدين وكان يعرف شيئاً من أنواع البزدرة . ويقال انه كان يعرف شيئاً من ضرب الملاهي وتقدم عند السلطان تقدماً كليّاً لم يعهد مثله فقابله السلطان رحمة الله عليه بالاقطاع المتسع ورفع له الطبلخانة وعقد له الالوية وجعله من جملة ندمائه .

وفي هذه السنة رجع الشريف حميضة ابن ابي نمي الى مكة وقتل اخاه ابا الغيث واستولى على مكة فغضب من ذلك السلطان الملك الناصر وجهز جيشاً كثيفاً صحبة الشريف سيف الدين عطيفة . فلما علم حميضة بوصولهم هرب من مكة فاستولى

عطيفة على مكة ولحق حميضة بالشرق .

وفي هذه السنة تولى القاضي جمال الدين محمد بن الفقيه رضي الدين ابي بكر ابن محمد بن عمر اليحيوي قضاء الأقضية . وكان السلطان يعظمه إكراماً لابيه . وكان عمره يومئذ عشرين سنة .

وفي هذه السنة توفي الفقيه الامام العلامة ابو الحسن علي بن الفقيه ابراهيم ابن محمد بن حسين البجلي . وكان مولده سنة ثلاث وقيل سنة اربع وثلاثين وستمئة. وكان رجلاً مباركاً مشهوراً بجودة الفقه وكرم النفس وحسن الاخلاق . تفقه في بدايته بعمه اسماعيل ثم ارتحل الى بيت حسين فأكمل تفقهه بالفقيه عمر بن علي التباعي فأخذ عنه المهذب اخذاً مرضيّاً والزمه ان يتغيبه فتغيبه تغيباً ميّز فيه بين الفاء والواو وأخذ عنه البيان وغيره وتهذّب به تهذُّباً معجباً ثم سار الى الفقيه احمد بن موسى بن عجيل ، فأخذ عنه ايضاً ثم عاد الى بلده فسكن قرية شجينة ولزم طريق الورع لزوماً تاماً . وأقام يدرس فأتاه الناس من القرب والبعد واشتهر بالعلم والصلاح . وكان من اشرف اهل عصره نفساً وادراهم بالعلم حسّاً واكثرهم للكتاب والسنة درساً .

قال الجندي واخبرني عبدالله بن محمد الاحمر احد المدرسين بزبيد قال صحبت الفقيه علي بن ابراهيم ولزمت مجلسه عشرين سنة ما علمت سائلاً سأله فاعتذر بل يعطيه ما سأل . وكان مستعملاً لجميع الطاعات الواجبة والمستحبة استعمال مداومة . وكان من ابرك الفقهاء تدريساً . قال واخبرني محمد بن عبدالله الحضرمي فقيه زبيد ومفتيها في عصره قال لما جئت الى الفقيه علي بن ابراهيم أُريد ان اقرأ عليه وانا على حال متبلبل أُريد أن اجمع قلبي على تحصيل العلم فاول درس قرأته عليه قمت وانا بخلاف ما انا عليه من الرغبة . فكان في نفسي عدة مسائل قد اشتبهت عليّ فحين بدأت وقرأت عليه اول يوم عرضت انا على خاطري جميع المسائل فما عرضت مسألة في خاطري الا زال إشكالها وتبين لي خطؤها من صوابها . وما زلت اجد الزيادة الى وقتي هذا وما اشك ان ذلك من بركته . قال وكان لديه دنيا واسعة

ان وقف في بيته اطعم الواردين والزائرين والطلبة المنقطعين . وكان كثيراً ما يحج فيصرف في الطريق وفي مكة ما يجاوز الحد . واحصوا حجاته فكانت نيفاً وثلاثين حجة . وكان من اكثر الناس تعقلاً للفقه واحسنهم تغيُّباً للمهذب خرج من بين يديه نحو من مئة مدرس ولم يكن في مدرسي تهامة ولا الجبال المتأخرين اكثر اصحاباً منه . وكانت وفاتهُ يوم الثاني عشر من المحرم من السنة المذكورة رحمه الله تعالى .

وفيها توفي الفقيه الفاضل ابو عبدالله محمد بن احمد بن يحيى بن مضمون وكان فقيهاً عارفاً نحويّاً بارعاً ولي قضاء صنعاء من قِبَل بني محمد بن عمر وكان شديد الاحكام مبالغاً في إقامة الحق واقامة مذهب السنة واماتة البدعة . وكان يحلف الاسماعيلية بايمان تشق عليهم . ثم بلغه ان بعضهم لما مات ودفن دفن معه مصحف فامر من ينبش القبر عنه واخرج المصحف فشق ذلك عليهم وكادوه وبذلوا في عزله الاموال الجزيلة فعزل بغير وجه يوجب العزل فعاد الى بلاده واقام مدة ثم رتبه بعض اولاد اسد الدين مدرساً في مدرسة جده بإب نلم يزل بها حتى توفي وكانت وفاته في السنة المذكورة رحمه الله تعالى .

وفيها توفي الفقيه ابو حفص عمر بن ابي الربيع سليمان الملقب بالجنيد بن محمد بن اسعد بن ابي النهى . وكان اماماً فاضلاً صالحاً له كرامات كثيرة تفقه بسعد الغولي . وتوفي يوم الثامن من المحرم اول شهور السنة المذكورة رحمه الله تعالى .

وفيها توفي الفقيه الاجل الفاضل ابو العباس احمد بن ابي بكر بن اسعد بن زريع بن اسعد تفقه بالفقيه صالح بن عمر البريهي تفقهاً جيداً وكان عارفاً مجتهداً ذا صيانة وعفة وعبادة ودرَّس بسهفنة على حياة شيخه وتوفي لسبع بقين من ربيع الآخر من السنة المذكورة رحمه الله تعالى .

وفي سنة ست عشرة حصل على السلطان مرض شديد حتى خيف عليه منه التلف واشرف منه على الهلاك وارجف بموته . فيروى ان القاضي جمال الدين محمد ابن ابي بكر بن محمد اليحيوي راسل الملك الناصر جلال الدين محمد ابن الملك

الاشرف بالامور الباطنة وامر ان ينشر دعوة انابته من عمه وكتب الكتب الى المدائن . فلما انتشر ذلك العلم خرج السلطان الملك المؤيد مسارعاً من تعز الى الجند وهو في اثر الوعك فخشي ابن اخيه من ذلك فالتجأ الى جبل سورق وهو جبل حصين مطل على مدينة الجند فجهز السلطان له العساكر وكان مقدمها الامير جمال الدين نور ابن حسن بن نور فحط عليه واحاط بالجبل من كل ناحية فطلب الملك الناصر الذمة من السلطان فاذم عليه فنزل اليه على الذمة وحصل بينهما اتفاق وصلح . ويقال انه عرف السلطان سبب ذلك وان الذي حمله على ذلك الفعل انما هو القاضي جمال الدين محمد بن ابي بكر اليحيوي فلما تحقق السلطان الامر عزل القاضي جمال الدين عن القضاء واعتقله في حصن تعز وفوّض امر القضاء الى القاضي رضي الدين ابي بكر ابن احمد بن عمر بن الاديب احد الفقهاء الشافعية . وكان ذلك بمحضر من السلطان وجماعة كثيرة من فقهاء الجبال والتهائم فحصل الاجماع عليه . وكان فقيهاً فاضلاً له سلطة في العلم يعرف جانباً كبيراً من المعقولات والمنقولات مع حنكة وتجربة قد حلب الدهر أشطره .

وفي هذه السنة المذكورة توفي الفقيه الفاضل ابو حفص عمر بن علي **الظفاري** من اهل عدن . وكان يصحبه ابن الخطيب المقدم ذكره ولكن غلبت عليه الزهادة والعبادة وخلف شيخه في مسجده المعروف به في عدن فلا يكاد المسجد يخلو من درسة ومتعبدين . وكانت وفاته ليلة الجمعة الثاني والعشرين من جمادى الاولى من السنة المذكورة رحمهُ الله تعالى .

وفيها توفي الفقيه الصالح علي بن اسعد بن علي الحرازي . وكان فقيهاً زاهداً عابداً معتزلاً عن الناس كثير التلاوة ولم يزل على ما ذكرناه من حسن السيرة الى ان توفي رحمهُ الله تعالى وكانت وفاته في السنة المذكورة .

وفي سنة سبع عشرة وصل القاضي ابو المحاسن عبد الباقي بن عبد المجيد من دمشق على طريق مكة بطلب من السلطان الملك المؤيد فناله من احسانه ما صغر عنده احسان من مضى من الاجواد الكرماء . وولي كتابة الانشاء في المملكة اليمنية .

وكان اوحد عصره وفريد دهره فصاحة وفضلاً وسؤدداً ونبلاً . ومن شعره قوله يمدح السلطان الملك المؤيد رحمة الله عليه وهو يومئذ في الايوان بقصر الحائط المعروف بحائط لبيق .

يا ناظم الشعر في نعم ونعمان   وذاكر العهد في لبنا ولبنان

ومعمل الفكر في ليلى وليلتها   بالسفح من عقدات الضال والبان

قصرٌ فبالواد من وادي زبيد علا   عالي المنار عظيم القدر والشان

به التغزُّل احلى ما يرى لهجاً   فدع حديث لييلات بعسفان

هذا الخورنق بل هذا السدير اتى   في قصر داود لا في قصر غمدان

قصر بناه هزبر الدين مفتخراً   فشاد ذلك بانٍ أيّما بان

فقف بساحته تنظر بها عجباً   كم راحة هطلت فيها باحسان

انسى بايوانه كسرى فلا خبر   من بعد ذلك من كسرى بايوان

سامي النجوم عُلاً فهي راجعة   عن السموّ (لايوان) ابن غسان

تود فيه الثريا لو بدت سُرُجاً   مثل الثريا به في بعض اركان

تحفه دوح زهر كله عجب   كم فيه من فننٍ زاهٍ بافنان

من ابيض يقق حال باحمره   يميس في حلتي درٍّ ومرجان

تجمعت فيه الوان محيرة   للعقل في سرها الزاهي باعلان

اذا حللت به ابصرت معجزة   الشام اصبح في وادٍ بسيلان

فالسنبل الغض والورد الطري معاً   من اخضر ناصع او احمر قان

صنوان خصت به من كل فاكهة   وكم رأى مختليه غير صنوان

ظل ظليل وماءٌ سلسل غدق   تخاله من صفاءٍ بطن ثعبان

هذا وكم فيه من ورقاء صادحة   يغنيك عود لها عن ضرب عيدان

كأنهنَّ قيان والقصور لها   في ذلك الدست اوراق لأغصان

تهوى الغزالة لو اضحت مقبّلةً   منه مراشف أنهار لنيسان

وكيف يمكنها والدوح منعقدٌ   فحالة الشمس عنه حال ظمآن

فأرضه كسماءٍ منه مشرقة ... وهما هما في بديع الوصف شبهان

توافق الناس في أوصافه فلذا ... لم يختلف قط في اوصافه اثنان

كأن بنيان داود وبهجته ... صرح القوارير من آرا سليمان

اخفت مآثرهُ البادي نضارتها ... ما شاده تبَّعٌ في رأس غمدان

كم شاد من قصره العالي مراتبه ... في الفخر فاجتمعا في الجو فخران

لله موكبه الزاهي برَوْنقه ... لما استقلَّ بفرسان وشجعان

مثل البحور ولكن في أكفهم ... قواضب تتلالا مثل نيران

على المهمة القت[1] التي ... قيد الاوابد من آل وسرحان

من كل اشهب صافي الجسم تنظره ... في الحرب نجماً هوى في اثر شيطان

بكل احمر زاهٍ في ملابسهِ ... يختال من لونها في نسج عقيان

وكل ادهم مثل الليل قد طلعت ... كالصبح غرته الغراً باتقان

أما الكميت[2] اشربهُ ... سميه فبدا في حال نشوان

اذا مشوا في صباح عاد من رهج ... ليلاً كواكبه اطراف خرصان

على الاكف شواهين لمالكهم ... وهمها صيد نسر فوق كيوان

كالصبح في أُخريات الليل هبتها ... والنرجس الغض منها وسط اجفان

مشفوعة بفهودٍ جلّ منظرها ... سليطة لا تُرى الا لسلطان

قد البست حدق الغزلان فانبعثت ... مثل الجديدين في افناء غزلان

ما سار مالك هذا الجمع مقتنصاً ... الا انثنى ظافراً في ثوب جذلان

وهذه القصيدة طويلة اقتصرنا منها على هذا الذي ذكرناه .

وفي هذه السنة المذكورة دخل العسكر المنصور فللة وملكوها وضربت البشائر في سائر البلاد .

---

(١) كدا في الاصل .

(٢) كذا في الاصل ولم يورد منها في العسحد غير ثلاثة ابيات وفي ذيل بهحة الزمن در بن عبد المحيد اخراج الاستاد حجازي ص ١٦٦ . ناقلاً عن هذه العقود اللؤلؤية سقط البيتين اللذين فيهما « البياض » .

وفيها وصل رسول صاحب هرموز بالهدايا والتحف فقابله السلطان بما يجب واكرمه وانصفه .

وفي هذه السنة توفي الفقيه الصالح المقريء عبد الكريم بن اسمعيل وكان يسكن قرية الوجي بفتح الواو وكسر الجيم كسراً مشبعاً وهي على قرب من مدينة جبَا وكان هذا عبد الكريم عارفاً بالقراءات السبع أخذ عن الحذاء وكان من صالحي زمانهم واخيارهم ما قرأ عليه احد إلا انتفع ولا حقق عليه احد شيئاً فنسيه . وكان في اول الامر نساجاً ينسج الثياب . وكان القاريء يقرأ عليه وهو يشتغل فلا يفوته من غلطه شيء . ثم ترك النساجة في آخر عمره واشتغل بالخياطة ولم يزل كذلك الى ان توفي . وكان قوته من صنعته وربما جاءه ضعيف فلم يرده خائباً . وكانت وفاته في السنة المذكورة رحمه الله تعالى .

وفيها توفي الفقيه الصالح النجيب اسمعيل بن الفقيه الصالح ابي العباس احمد بن الفقيه الصالح المشهور موسى بن الفقيه علي بن عمر بن عجيل . وكان فقيهاً محققاً عارفاً فرضيّاً ماهراً . وكانت وفاته في السنة المذكورة رحمه الله تعالى .

وفيها توفي الفقيه الصالح ابو عبدالله محمد بن الفقيه الامام ابي الحسن علي بن الفقيه احمد بن اسعد الاصبحي . وكان مولده يوم السابع عشر من رجب سنة خمس وسبعين وستمئة . وكان تفقهه بأبيه وكان رحمه الله عارفاً وهو الذي خلف والده في التدريس وعكف عليه اصحابه وحج بعد أبيه . ثم لما عاد من الحج أقام مدَّة . وكان للوزراء في بني محمد صيت في القرية فجعل علماؤهم يشوّشون عليه ويؤذونه وربما دخل بعض علمائهم بيته وأخذ منه شيئاً فاشتكى بهم فلم ينصف منهم فخرج من القرية مهاجراً الى ناحية حَجْر فاقام في قرية الظاهر هنالك عند الفقيه عبد الرحمن فاقبل اهل تلك الناحية على الفقيه اقبالاً حسناً فاقام هنالك عدة سنين الى ان توفي القاضي موفق الدين الوزير وابنا اخيه علي بن محمد ومحمد بن احمد . واستمر ابن الاديب في القضاء الاكبر كما ذكرنا فأمره في المدرسة المنصورية بتعز وهي التي تعرف بالغرابية . فاقام فيها مدة ثم فصله فعاد الى بلاده فتوفي بها في شهر جمادى

الآخرة من السنة المذكورة .

وفي هذه السنة توفي الفقيه الصالح العابد ابو عبدالله الحسين بن محمد بن أُسيدٍ بضم الهمزة وفتح السين وسكون الياء وآخره دال مهملة بن اسحم بفتح الهمزة وسكون السين وفتح الحاء المهملة وآخره ميم . كان فقيهاً عابداً صالحاً حيراً توفي في السنة المذكورة رحمه الله .

وفيها توفي الفقيه البارع احمد بن ابي بكر المعروف بابن الاحنف . وكان ميلاده سنة إحدى واربعين وستمئة سمي ابوه بذلك لحنف كان به تفقه بعباس بن منصور وغيره من فقهاء جبلة وله مصنفات مفيدة في التفسير واللغة والحديث . وكان عارفاً حافظاً نقالاً للمذهب درس في المدرسة الشرفية ثم انتقل الى المؤيدية بتعز فدرس بها وانتفع به جماعة ثم عاد الى بلده جبلة فتوفي بها لعشر بقين من جمادى الآخرة سنة سبع عشرة من السنة المذكورة رحمه الله تعالى .

وفي هذه السنة توفي الفقيه الفاضل ابراهيم بن عمر بن ابراهيم المذحجي الجُبيري نسبة الى جدٍّ له اسمه جبير تصغير جبر بالجيم والباء الموحدة . وكان فقيهاً فاضلاً تفقه في ابتدائه ببعض فقهاء حَجْر ثم بعثمان بن عبدالله وابن عمه عبدالله بن عمر الاسحاقيين . وكان يسكن معشار حصن يُمين في قرية يقال لها نابه . وتوفي في قريته المذكورة في شهر ربيع الاول من السنة المذكورة رحمه الله تعالى .

وفيها توفي الفقيه البارع ابو بكر محمد بن الفارسي الملقب بالفخر . وكان مولده في المحرم سنة ست وخمسين وستمئة . وكان فقيهاً فاضلاً متفنناً لكن يعلم الحساب كأبيه وأخذ هذا العلم عنه . وكان رجلاً عاقلاً لبيباً قلما قصده قاصد أمر إلا وأعانه عليه بما يليق من الأمور . وحصل بينه وبين الوزراء في الدولة المؤيدية ألفة ومحبة فاجتلبوه الى خدمة السلطان الملك المؤيد والوقوف على بابه . فلم يزل كذلك الى سنة ست عشرة وسبعمئة ثم حصل على القاضي جمال الدين محمد بن ابي بكر ما ذكرنا من العزل والاعتقال وتعدى الامر الى اصحاب اهله . وكان هذا المذكور في عدن فاستدعاه السلطان الى تعز واحضر من تكلم عليه بأنه تكلم في

الدولة . ووافق ذلك كراهة من السلطان له فبعث به الى نائب لحج وأمره بمصادرته فصادره مصادرة شاقة وعذبه عذاباً شديداً . ثم حصل من استعطف له قلب السلطان فأمر باطلاعه الى تعز . فطلع وهو اليم من شدة الضرب فتوفي بالهشمة في شهر رمضان من السنة المذكورة رحمه الله تعالى .

وفي هذه السنة توفي الفقيه شرف الدين احمد بن الفقيه علي الجنيد بن الفقيه احمد بن الفقيه محمد بن منصور بن الجنيد وكان مولده في صفر من سنة تسع وخمسين وستمئة. وكان فقيهاً حافظاً حاذقاً عارفاً تولى اعادة الاسدية في مدينة تعز بعد ان كان أبوه فقيهاً . وكان الفقيه ابو بكر بن محمد بن عمر اليحيوي يحسن النظر في حاله وحال اخوته مراعاة لصحبة ابيهم ثم ان السلطان الملك المؤيد دعته نفسه الى القراءة في ايام ابيه الملك المظفر فسأل عن فقيه صالح فارشد الى الفقيه محمد بن عباس الشعبي . فسأله ان يقرئهُ فاعتذر واشار الى هذا ابن الجنيد . فاستدعاه المؤيد وعرّفه بغرضه فقال له اشتور والدي يعني الفقيه ابا بكر بن محمد بن عمر اليحيوي فقال له الم تذكر لنا ان والدك قد توفي فأخبره بمن يعني فاستشار الفقيه . فاشار عليه فقرأ عليه المؤيد فحصل بينهما من الالفة والمحبة والانس ما حصل بحيث صار يركب بركوب السلطان . وطلع معه الى صنعاء على بغلة بزنار كما يركب الوزراء وكان الناس في صنعاء يقبلون بابه ويصيحون عليه . ولم يزل معه حتى سافر الى الشحر سنة أربع وتسعين وستمئة. فلما توفي المظفر وحصل من الاشرف والمؤيد ما حصل من النزاع واسر الملك المؤيد تفرق اصحابه فلحق هذا بشيخه فاقام عند الفقهاء بني البجلي . فلما صار الملك الى الملك المؤيد وصل اليه الفقيه ورجع على حالته الاولى . ولم يزل على شفقة المؤيد وكان فقيهاً اصولياً نحويا لغوياً . وله في الشعر يد حسنة وله في التصوف كلام مرضي ولاهل السمكر فيه اعتقاد حسن . وتوفي يوم الاربعاء ثاني عشر جمادى الاولى من السنة المذكورة رحمه الله تعالى .

وفي هذه السنة توفي الفقيه الفاضل ابو عيسى محمد بن خليفة وكان فقيهاً كبيراً متورعاً ما قرأ عليه أحد الا انتفع وربما بلغ طريقة الاجتهاد او قريباً منها وكان يلبس

الملابس الفقهية قاصداً بذلك تعظيم العلم وكانت وفاته في السنة المذكورة رحمه الله تعالىٰ .

وفيها توفي الفقيه الفاضل هرون بن عثمان بن محمد بن علي الحساني ثم الحميري وكان فقيهاً ورعاً زاهداً له مسموعات ومقروءات وكان ذا دين وامانة وورع وزهد وكان كثير الحج وكان فيه من المعروف ومحبة العلم وكان حريصاً على اكتساب الحل فبورك له في ذلك . وتوفي على الطريق المرضي وهو عائد من الحج في قرية تعرف بقنونا في اول المحرم اول السنة المذكورة رحمه الله تعالى .

وفي سنة ثماني عشرة وسبعمئة وصل القاضي صفي الدين عبدالله بن عبد الرزاق الواسطي بطلب حثيث من السلطان وصرف السلطان عليه الى حال وصوله من الذهب العين نحواً من الفي مثقال . فلما وصل كما ذكرنا صرف السلطان اليه شد الاسْتيفاء وحظي عند السلطان حظوة عظيمة وانبسطت يده في الدواوين وكان زوجاً لابنة الامير علاء الدين كشدغدي وهو الذي عينه السلطان فسار بالناس سيرة عفيفة ثم توجه الى عدن فحمل منها الى السيد الخزانة المعمورة بثلاثمئةالف دينار ملكية . فلما وصل بها لقي السلطان في الجند فاكرمه وانصفه وعظم قدره .

وفي هذه السنة توجهت الرسل الى مصر وهم الامير بدر الدين حسن ابن الاسد ومن جرت العادة بمسيره في خدمته فقابلهم السلطان الملك الناصر احسن مقابلة .

وفي هذه السنة رتب الامير علاءُ الدين كشدغدي عساكر السلطان المنصورة على ترتيب العساكر المصرية . وجعل لها جناحاً للميمنة وجناحاً للميسرة . وجعل خلف السلطان عصائب كثيرة . وركب المماليك بالنفخ وجعل منهم طائفة طبردارية وركب السلطان بهذا الزي .

وفي هذه السنة توفي الفقيه الفاضل ابو محمد الحسن بن علي بن الفقيه يحيى ابن الفقيه فضل وكان يسكن قرية النظارى ويدرس في مدرسة بنتها امرأة ووقفت عليها وقفاً جيداً . وكان صاحب دنيا واسعة فلما خشي من الظلمة على نفسه وعلى

المدرسة لاذ بالفقيه ابي بكر بن محمد بن عمر اليحيوي . وتزوج ابنة اخيه عمر . وكان مستقيم الحال بذلك حتى هلك الوزير واخوته وانحطت حالهم . فحصل عليه بعض تعسف فلما جعل والد الفقيه ابي بكر قاضي القضاة . واقام ما اقام في القضاء ثم فصل بابن الاديب صودر هذا الفقيه وحبس وعزّر وجرى عليه شيءٌ كثير . فلم تطل مدته بعد ذلك بل توفي وكانت وفاته في السنة المذكورة رحمه الله تعالى .

وفيها توفي الفقيه الصالح ابو اسحق ابراهيم بن احمد بن اسعد الاصبحي اخو الامام علي بن احمد الاصبحي صاحب كتاب المعين . وكان مولده في شهر ربيع الاول من سنة احدى وتسعين وستمئة تفقه في بدايته بأخيه . ثم ارتحل الى ابين فقرأ على الفقيه ابي بكر بن الاديب وتفقه في ابين وعدن ولحج وكان يتردد من هذه القرى للقراءة عليه . وانتفع بالقراءة عليه انتفاعاً كليّاً . اخذ عنه المهذب والتنبيه والوسيط واللمع ثم عاد بلده واقام في المسجد بالذنبتين فقرأ مدة ثم اشتد به الفقر فعاد الى تعز فدرس بها في عدة من مدارسها . وفي آخر الامر درس في مدرسة الحميرا . وكان متنسكاً تقياً له دين متين ولم تعرف له صبوة . وكان من اهل المروءات . وتوفي يوم السابع عشر من شهر رمضان من السنة المذكورة رحمه الله تعالى .

وفي هذه السنة توفي القاضي يعقوب بن احمد بن الفاضل تفقه بابن الصريدح ثم يعبد الله بن ابراهيم بن علي بن عجيل واخذالفرائض عن الفقيه علي بن احمد الحميري . ثم ولاه القاضي علي بن محمد بن عمر قضاء المحالب وهو شاب فكان يحكي عنه سيرة المعجبين . ولما صار القضاء الى محمد ابن ابي بكر عزله وصادره مصادرة شديدة فاقام متريضاً في القحمة عقيب المصادرة الى ان توفي وكانت وفاته في السنة المذكورة رحمه الله تعالى .

وفيها توفي الفقيه البارع المحقق منصور بن علي بن عمر بن اسماعيل بن زيد ابن يحيى العزيزي لقباً الشعبي نسباً . وكان فقيهاً عارفاً مجوداً شجاعاً له بصيرة في الصناعات كالخياطة والنجارة وغيرهما . وكان يقول الشعر ايضاً وله قصيدة حسنة

في المعتقد يتبرأ فيها من كل معتقد يخالف الكتاب والسنة وعرضها على الفقيه صالح ابن عمر البريهي فارتضاها واخذها عنه بان ترك بعض اصحابه يقرؤها بحضرته وحضرة جماعة من اصحابه حينئذ واستخازوها منه . وكان قد اتقن النحو واللغة والفرائض والاصول والحساب . وامتحن في آخر عمره بقضاء الدملوة من قِبل ابن الاديب وأقام عليه مدة مقتربة ثم توفي في مستهل المحرم اول السنة المذكورة رحمه الله تعالى .

وفيها توفي اخوه محمد بن علي بن عمر وكان ممن يخدم الدولة المؤيدية كاتب انشاء وكانت له درية ثاقبة ويقول شعراً حسناً . وكان محب ابناء جنسه من الفقهاء والطلبة ويعتني بحوائجهم توفي في مستهل رجب من السنة المذكورة رحمه الله تعالى .

وفيها توفي الفقيه الفاضل ابو عفان عثمان بن محمد المعروف بالشرعبي وكان فقيهاً ظريفاً تفقه بمحمد بن علي القاضي وبابن عباس الشعبي . قال الجندي وعنه اخذت غالب فقهاء تعز . وكان قد الف في ذلك كتاباً مختصراً قلما اخبرته بما جمعت اعجبه ذلك واعطاني ما قد جمعه فوجدته قد ذكر منهم جمعاً كثيراً لكنه لم يذكر ميلاداً ولا وفاة . وكان من خيار الفقهاء واعيانهم وممن يرجى بركة دعائه . وكان جميل الخلق كثير البشاشة درّس في المدرسة الاسدية التي في تعز مدة طويلة . وكانت فاته ليلة الاحد السابع من صفر من السنة المذكورة رحمه الله تعالى .

وفيها توفيت الجهة الكريمة جهة دار الدملوة ابنة مولانا السلطان الملك المظفر شمس الدين يوسف بن عمر بن علي بن رسول وهي التي تسمى نبيلة . وكانت امرأة صالحة تقية بارة بأهلها محسنة الى من لاذ بها وابتنت مدرسة في مدينة تعز ومسجداً في جبل صبر وابتنت مدرسة في مدينة زبيد وهي التي تسمى الاشرفية في جنوبي مسجد الميلين ووقفت على الجميع اوقافاً تقوم بكفاية الكل . وكانت مقيمة في حصن تعز حتى حصل بين المؤيد اخيها وبين ابن اخيه الناصر ابن الاشرف ما حصل فاستوحش السلطان منها وامرها بسكنى المدينة فنزلت من الحصن وسكنت في

ناحية المغربة من مدينة تعز الى ان توفيت وكانت وفاتها في منتصف المحرم من السنة المذكورة رحمها الله تعالى .

وفيها توفي الفقيه الفاضل يوسف بن محمد بن مضمون . وكان قد ولي قضاء عدن من قبل بني محمد بن عمر فاقام على ذلك سنين ثم فصلوه واقاموا عوضه الفقيه ابا بكر بن الاديب بن مضمون على حساب مال المستودع ومعرفة ما قبض منه وما صرف فقال له القاضي محمد بن علي بن مياس هذا امر ليس اليك وهذا يروح الى من ولاه يفتصل معه فخرج من عدن على كرهٍ منه فاقام مدة ثم امره قاضي الاقضية قاضياً في صنعاء فلم يزل بها الى ان ولي ابن الاديب القضاء الاكبر فعزله عن صنعاء فرجع الى بلاده متولياً بعض جهاتها فاقام بها الى ان توفي في مستهل جمادى الاولى من السنة المذكورة رحمه الله تعالى .

وفيها توفي الفقيه الفاضل ابو عبدالله يحيى بن محمد بن يحيى بن ابي الرجا ابن الحنان بن ابي القسم الحميري . وكان مولده سنة اربع وستين وستمئة. وكان فقيهاً عارفاً تفقه بابيه غالباً ودرّس في اماكن كثيرة منها مصنعة سير ثم درّس في مدرسة الحرة حلل بنخلان ثم انتقل الى مدرسة ضراس فلم يزل بها الى ان توفي غريقاً في البحر قاصداً للحج في شهر رمضان من السنة المذكورة رحمه الله تعالى .

وفيها توفي الفقيه الفاضل عبد الرحمن بن احمد بن عبدالله بن محمد بن يوسف ابن ابي الخل . وكان فقيهاً عارفاً بالتفسير والحديث وعلم الحقيقة طلع الى تعز مع جماعة من اهله يشكون من بعض عمال المهجم الى السلطان الملك المؤيد فاشكاهم بعض الاشكاء ثم رجعوا قاصدين بلدهم فمرض في الطريق فوصلوا به حيس وقد توفي في اثناء الطريق فقبر عند ابن عمه احمد بن الحسن وكانت وفاتهُ في السنة المذكورة رحمه الله تعالى .

وفيها توفي الفقيه البارع ابو الخطاب عمر بن احمد بن عبدالله بن جعمان . وكان فقيهاً بارعاً وغلب عليه علم الفرائض وكان فيه محموداً توفي عائداً من الحج في مدينة حَلْي ابن يعقوب . وكانت وفاته في السنة المذكورة رحمهُ الله تعالى .

وفيها توفي الفقيه الامام ابو العباس احمد بن الفقيه علي بن احمد الحرازي وكان مولده سنة ثلاث واربعين وستمئة تفقه بالفقيه عبد الرحمن الابيني وبابي شعبة واخذ عن ابي حجر وغيره . ولما قدم المقريء عبدالله البكراوي اخذ علم القراءات وقرأ عليه الحروف السبعة وكان بها عارفاً واخذ ايضاً عن المقريء شيئاً . وكان عارفاً بالفقه واللغة والنحو والحديث وبظاهر الاصول . وكان من ابرك الناس تدريساً قلّما قرأ عليه احد الا انتفع به لبركته وحسن تدريسه وانتفع به خلق كثير من عدن وغيرها . وامتحن بالقضاء لما ولي ابن الاديب القضاء الاكبر وكان من خيار اهل زمانه . ومن غريب ما يذكر عنه انه لم يعلم له صبوة وحج . وكانت وفاته سحر ليلة الثلاثاء لسبع بقين من رجب من السنة المذكورة رحمه الله .

وفي هذه السنة توفي الفقيه الصالح محمد بن ابراهيم بن سالم بن مقبل وكان فقيهاً فاضلاً مباركاً تفقه بالفقيه اسماعيل الخلي .وكان من أهل المروءات والحميات على ابناء الجنس والدين قدم سهفنة فاخذ عن فقيهها واخذ عن ابي الخير بن منصور وسيط الواحدي وعن صالح بن علي الحضرمي . وكان يروي عنه واليه هاجر ولد الامام ابي الحسن علي بن احمد الاصبحي فآنسهُ وبش له وتوسع له ولأهله عدة سنين حتى رجع ولد الفقيه الى بلده ولم يزل الفقيه على السيرة المرضية الى ان توفي بذي حيران ودفن مع اهلها . وكانت وفاته في السنة المذكورة رحمه الله تعالى .

وفي سنة تسع عشرة وسبعمئة توجه السلطان الملك المؤيد الى الاعمال الشامية فوقف في الكدراء وعزل بعض النواب وامر آخرين . وكان القاضي صفي الدين مستمر الحكم في الدواوين . وفيها فوض السلطان الملك المؤيد الى الامير علاء الدين كشدغدي نيابة السلطنة والاتابكية على العساكر المنصورة وتقدم في هذه الوظيفة تقدماً لم يسمع بمثله وحصل بينه وبين القاضي صفي الدين صهره منافسة في الظاهر والباطن .

وفي هذه السنة ايضاً حصل من السلطان تغير على الامير شجاع الدين عمر ابن علاء الدين الشهابي فعزله عن وظيفته وقبض عليه واودعه السجن ونسب اليه

حديث من جهة الملك الناصر فأقام اسبوعاً في السجن ثم تحقق للسلطان براءته فاطلقه وحصل بين الامير شجاع الدين وبين القاضي جمال الدين منازعات طويلة وأحضر القاضي جمال الدين الى مقام السلطان جماعة يشهدون على الامير شجاع الدين بكلام كثير متعلق بالملك الناصر وحضر الملك الناصر يومئذ مقام السلطان ونفى عن الامير شجاع الدين جميع ما ذكر عنه وحقق للسلطان ما كان من القاضي جمال الدين فغضب السلطان غضباً شديداً على القاضي جمال الدين وسلمه الى القاضي صفي الدين ليستخلص منه مالاً كثيراً فصادره مصادرة قبيحة .

وفي هذه السنة توفي الفقيه الصالح محمد بن ابي الحسن بن احمد بن محمد بن عبدالله بن يوسف بن ابراهيم بن حسين بن حماد بن ابي الخل . وكان ابوه احمد بن محمد اول من درس منهم فلما هلك خلفه ابنه هذا محمد المذكور . وكان فقيهاً فرضيّاً زاهداً متورعاً . وكان تربّا لابن عمه احمد بن الحسن المذكور اولاً وبلغ عمره ثمانين سنة . ولم يتزوج .وكانت وفاته في السنة المذكورة رحمه الله تعالى .

وفيها توفي ابن عمه وهو الفقيه الفاضل ابو عبدالله محمد بن علي بن عبدالله بن محمد بن يوسف وكان فقيهاً فرضيّاً نحوياً لغوياً تفقه بأبيه وتوفي في السنة المذكورة رحمه الله تعالى .

وفيها توفي الفقيه الفاضل محمد بن عبدالله بن ابي السرور وكان فقيهاً صالحاً تقياً خيراً وكانت وفاته رحمه الله تعالى في السنة المذكورة .

وفيها توفي الفقيه الفاضل ابو الخطاب احمد بن عمر الحميري وكان فقيهاً فاضلاً زاهداً ورعاً ذا عبادة وامتحن في آخر عمره بالعمى . وكان تفقه على ابيه وتوفي رحمه الله تعالى في السنة المذكورة .

وفيها توفي الفقيه الفاضل ابو محمد عبدالله بن الحسن بن عطية بن علي بن عطية الشغدري وكان ميلاده سنة احدى وخمسين وستمئة تفقه بعم ابيه احمد بن علي ابن عطية . وولي قضاء المهجم وانفصل عنه وكان قد ولي المخلافة قبل المهجم . ولما فصل من المهجم ولي قضاء بلده الى ان توفي في رجب من شهور سنة تسع عشرة

وسبعمئة رحمه الله تعالى .

وفي سنة عشرين وسبعمئة مرض الامير علاء الدين كشدغدي مرضاً شديداً افضى به الى الموت وحصلت مرافعات كثيرة على القاضي صفي الدين عبدالله بن عبد الرزاق . وحقق كتاب الدواوين في المقام السلطاني انه اخذ جملة من المال فعزله السلطان عن يد الاستيفاء وفوض الامر في ذلك الى الامير جمال الدين يوسف بن يعقوب بن الجواد . وكان اميراً كبيراً عالي الهمة حسن التأني وسأل من السلطان رحمه الله تعالى ان لا يجعل عقوبة احدٍ على يديه . وان مهما تعين من المال للدواوين أمر السلطان امير خاندار باستخراجه وهذا اكبر دليل على خيره .

وفي هذه السنة المذكورة وصل القاضي الاجل محيى الدين يحيى بن عبد اللطيف التكريتي من الديار المصرية على طريق مكة المشرفة وأحضر الى مقام السلطان جوهراً كثيراً من الزمرد واللآلىء . وتقدم عند السلطان تقدماً حسناً . وأحل محل الوزارة . وسلم اليه السلطان من خالص ماله مئة الف دينار من المال الخالص على حكم التجارة . وكتب له الى عدن بخمسين الفاً فلما نزل الى عدن تصرف فيها تصرف المالك وكان قابضاً على الوزارة .

وفي هذه السنة ايضاً وصل الامير بدر الدين حسن بن احمد بن المختار الامام الفاضل العارف بعلوم الاوائل من الهيئة والهندسة وعلم المجسطى . وكان مشاركاً في كل فن وضارباً في كل علم بنصيب . ولم يكن في البلاد المصرية ولا البلاد الشامية من يناسبه في معرفته مع اتساعها وفرح السلطان بوصوله فرحاً شديداً .

وفي هذه السنة توفي الفقيه الصالح ابو اسحق ابراهيم بن ابي بكر بن عمر الاحنف وكان فقيهاً تقياً ورعاً وكان اماماً في المدرسة الاشرفية بذي جبلة توفي لخمس بقين في شهر رجب من السنة المذكورة رحمه الله تعالى .

وفي هذه السنة توفي الفقيه الفاضل ابو عبدالله محمد بن الحسن ابن ابي الرجا ابن الجناب بن ابي القاسم الحميري . وكان مولده سنة سبع وثلاثين وستمئة وتفقّه في بدايته بالفقيه علي بن الحسن الآصابي وبابن البانة . وهو اول من رتب في المدرسة

المظفرية طالباً مع الفقيه علي بن الحسن وولاه بنو عمران قضاء التاحية وتـدريس مدرسة البرحة . فلما صار القضاء الى بني محمد بن عمر عزلوه . وكانت طريقته مرضية الى ان توفي في سلخ المحرم من السنة المذكورة رحمهُ الله تعالى .

وفيها توفي الامام العلامة عبد المؤمن بن عبدالله بن راشد البارقي ثم النهمي هكذا قال الجندي وذكر انه منسوب الى عرب يسكنون ناحية من بلد بني شهاب . ويعرفون ببني بارق نسبة الى عمرو بن براقة . وكان احد رؤساء العرب الذين قتلوا مع الحسين بن علي رضي الله عنهما . وكان عبـد المؤمـن المذكور ممـن رسـخ في السمعلة . وأقام فيها مدة طويلة الى ان صار ابن خمسين سنة . ثم تشكك في كونه على الحق ام على الباطل فجعل يزور المشاهد المشهورة . والترب المباركة . ويسأل الله تعالى ان يريهُ الحق حقّاً ويرزقهُ اتباعه . فمالت نفسه الى الانتقال الى مذهب الامام الشافعي فحين علم الاسماعيلية بذلك شق عليهم . وهموا بقتله فتقدم الى القاضي وهو يومئذ عمر بن سعيد واخبره بقصته وانـه يريد الدخـول في مذهـب الشافعي لكنهُ يخشى من الاسماعيلية . فقدم به القاضي عمر بن سعيد الى الامير علم الدين سنجر الشعيبي واخبراه بالقصة فقال الامير علم الدين من سكب عليك كوز ماء سكبت عليه كوز دم فتاب على يد القاضي بحضرة الامير وأخذ منهما العهـود والمواثيق على حمايته وتوثق منهما وخرج من فوره وتظاهر بترك السمعلة والدخول في مذهب اهل السنة . وجعل يسب الاسماعيلية ومذهبهم . ويذكر قبائح افعالهـم فحين سمعوا منه ذلك سعوا في قتله اشد السعي لكن الدولة قهرتهم . وكان عبد المؤمن رجلاً مباركاً زاهداً ورعاً لازماً طريق القناعة غالب اوقاته في مسجد الجامع بصنعاء حتى قيل انه لازم الاعتكاف اربعين سنة . وكان كثير التلاوة لكتاب الله في المصحف . وكان يقرأ كتب الحديث وقرأ بعض كتب اللغة وبداية الهداية . ولـم يزل على الطريق المرضي الى ان توفي في سلخ صفر من سنة عشرين وسبعمائة . وهي السنة المذكورة رحمه الله تعالى .

وفيها توفي الفقيه الصالح ابـراهيم بن الفقيه علي بن ابـراهيم البجلي وكان

ميلاده سنة ثلاث وستين وستمئة تفقه بأبيه وكان من أعيان الفقهاء الفضلاء الآخذ عن أبيه . وكان أبوه يحبه حبّاً شديداً ويفضله . فسئل عن ذلك فقال كنت عند والدتهحين وضع في الخيمة التي وضعته أُمه فيها فحين سقط الى الأرض اضاءَت الخيمة وأنارت حتى اني عددت جوانح الخيمة .

قال الجندي واخبرني الخبير بحاله انه كان من أخير أولاد الفقهاء ديناً وكرماً ومعرفة للفقه وعبادة غالب أيامه الصيام ولياليه القيام . وكان كثير الاطعام قل ما تلد الأخيار مثله . وتوفي على أكمل طريق مرضي ليلة الجمعة سابع عشر ذي الحجة من السنة المذكورة رحمه الله تعالى .

وفيها توفي الفقيه الصالح موسى بن الفقيه الامام العلامة ابي العباس احمد بن موسى بن علي بن عجيل . وكان فقيهاً صالحاً فاضلاً ديناً خيراً تفقه بأبيه وكان مشهور الفضل والصلاح توفي يوم السادس من شعبان من السنة المذكورة رحمه الله تعالى .

وفيها توفي الفقيه الصالح محمد بن عمر بن حشيبر بضم الحاء المهملة وفتح الشين المعجمة وسكون المثناة من تحتها وكسر الباء الموحدة وآخره راء . وكان فقيهاً زاهداً ورعاً صاحب كرامات له في الحكمة كلام عجيب . توفي في غرة ذي الحجة من السنة المذكورة رحمه الله تعالى .

وفي سنة احدى وعشرين وسبعمئة وصل القاضي محيي الدين من عدن وحصل بينه وبين القاضي صفي الدين مرافعات كثيرة . واتفق لمحيي الدين اتفاقات ليست بحسنة فنقص ذلك القبول من جهة السلطان . وكان في ذلك يطلب الوزارة ويجتهد ويسعى في تحصيلها فلما الح واكثر قال السلطان كلا لا وزر ثم اراد السلطان ان يجبر خاطره فأركبهُ يوم العيد عيد الفطر في موضع الوزارة وركب بالطرحة على عادة الوزراء المصريين .

وفي هذه السنة توفي الفقيه الفاضل عبد الرحمن بن ابي بكر بن سبا الشعبي وكان فقيهاً فاضلاً تفقه بمحمد بن ابي بكر الاصبحي وتزوج ابنته وهو وصيه . وكان منصوبه على اولاده وولي قضاء بلده من قبل بني محمد بن عمر مدة ثم انفصل

عنه وكانت وفاته في شعبان من السنة المذكورة رحمه الله تعالى .

وفيها توفي الفقيه الفاضل ابو محمد عبدالله بن اسعد الحديقي نسبة الى قوم يقال لهم الأحدوق . وكان فقيهاً فاضلاً تفقه بالعماري وسكن قرية الخصابتين وكان صبوراً على اطعام الطعام واكرام الأنام . عظيم العبادة الى ان توفي . وكانت وفاته في السنة المذكورة رحمه الله تعالى .

وفيها توفي الفقيه الامام العلامة ابو العباس احمد بن علي بن عبدالله العامري الملقب جمال الدين وكان يعرف بالمدرس لطول اقامته على التدريس بالمهجم وشهرته فيه . وكان مولده سنة اربعين وستمئة وهي السنة التي توفي فيها الامام ابو الحسن علي بن قاسم الحكمي . وكان تفقه الامام جمال الدين بخاله الفقيه اسمعيل بن محمد الحضرمي . وأخذ عن الامام احمد بن موسى بن عجيل وهو من ابرك فقهاء تهامة تدريساً . واكثرهم نشراً للعلم اخذ عنه جمع كبير وصنف عدة مصنفات منها شرح التنبيه شرحاً مفيداً اثنى عليه غالب الفقهاء وله شرح الوسيط ايضاً . وذكروا انه اقام على التدريس في المهجم نحواً من خمسين سنة . ولذلك كثر اصحابه وانتشر عنه الفقه وامتحن بقضاء المهجم من قبل بني محمد بن عمر . ثم لما صار القضاء الاكبر الى ولد الفقيه ابي بكر بن محمد بن عمر اليحيوي استدعاه فعزل نفسه حين وصله الطلب . وكان سهل الاخلاق لين الجانب سليم الصدر مشهوراً بالبركة وكانت وفاته في مستهل صفر من السنة المذكورة رحمه الله تعالى .

قال الجندي اخبرني الثقة ان بعض الفقهاء من الحضارم رأى النبي صلى الله عليه وسلم ليلة موت الفقيه ورأى مع النبي صلى الله عليه وسلم صاحبيه ابا بكر وعمر والفقيه محمد بن اسماعيل الحضرمي وابنه اسماعيل فقال لجده محمد يا جدّ من هؤلاء معك يعني النبي صلى الله عليه وسلم وصاحبيه فقال هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحباه ابو بكر وعمر جئنا جميعاً في طلب الفقيه جمال الدين فاستيقظ الرائي من نومه واذ به يسمع قائلاً يقول مات الفقيه جمال الدين رحمه الله تعالى .

وفيها توفي الفقيه الفاضل ابو عبدالله محمد بن حسين وكان فقيهاً فاضلاً كريم

النفس حسن الاخلاق وكان محفوظه من كتب الفقه الوجيز ولم يدرس في جامع القرية . وانتفع به جماعة وكانت وفاته يوم الجمعة التاسع من شهر ربيع الآخر من السنة المذكورة رحمه الله تعالى .

وفي هذه السنة توفي السلطان الملك المؤيد رحمة الله عليه وكان قد عزم على النزول الى زبيد كجاري عادته في كل سنة فبرز الى قصر الشجرة فاقام فيه نحواً من عشرة ايام بسبب مرض اصابه فلما اشتد به المرض وهو في قصر دار الشجرة امر ولده السلطان الملك المجاهد بطلوع الحصن ولم يكن له يومئذ ولد غيره فطلع الحصن آخر نهار الاثنين سلخ ذي القعدة من السنة المذكورة . وتوفي والده السلطان الملك المؤيد بعد نصف الليل من ليلة الثلاثاء اول ليلة من ذي الحجة . وقد ترك الامير جمال الدين يوسف بن يعقوب بن الجواد . وكان يومئذ نائب السلطنة واتابك العسكر واستاذ دار السلطان ونزل بنزوله جماعة من العسكر واعيان الامراء . فثبت ثباتاً حسناً وحفظ نظام السلطنة وضرب اركاً على الشجرة الى آخر الليل وطلعوا بالسلطان المرحوم الى الحصن فحطوه في دار العدل وكان رحمه الله قد اوصى ان يغسله جماعة من الفقهاء منهم الفقيه الظفاري والبها الجاندار . وان تكون آلة الغسل كلها مدراً يشترى من السوق وان يشترى كفنه من السوق فاشتري له ذلك كما ذكر . فكان اول شيء استنكره الناس من ولده المجاهد وحمل من دار العدل الى مدرسته التي انشأها في مغربة تعز فدفن بها وكان يوم دفنه يوماً مشهوداً فيا لها من مصيبة تركت العامة حيارى والخاصة سكارى :

خرجوا بهِ ولكل باكٍ خلفه ... صعقات موسى يوم دك الطورُ
حتى أتوا جدثاً كأن ضريحه ... في قلب كل موحد محفورُ
والشمس في كبد السماء مريضة ... والارض راجفة تكاد تمورُ

وكان له من المآثر مدرسته التي انشأها في مغربة تعز المعروفة بالمؤيدية وجعل فيها مدرساً ودرسة ومعيداً واماماً ومؤذناً ومعلماً وايتاماً يتعلمون القرآن ومقرئاً يُقرِيءُ القرآن بالسبعة الاحرف ووقف عليها من الاراضي والكروم ما يقوم بكفايتهم ووقف

فيها خزانة من الكتب النفيسة وابتنى في ايامه عدة من المآثر . فابتنت كريمته التي تسمى جهة دار الدملؤة مدرسة في مدينة زبيد ومسجداً في تعز ومدرسة في ظفار الحبوضي ايضاً وجددت مسجداً في مدينة زبيد . وابتنى الخازندار مسجداً في مدينة تعز وهو الذي بين المغربة وعدينة وعنده الاحواض وبه تعرف الى الآن فيقال مسجد الخازندار . وابتنى الامير محمد بن ميكائيل الذي كان استاذ داره مدرسة في زبيد وهي التي قبالة باب الشبارق تمر المجرى تحتها وهي الآن خراب .

وكان السلطان الملك المؤيد ملكاً جباراً شجاعاً مقداماً شهماً جواداً . كريماً متلافاً . له في الشجاعة والجود فعلات مشهورة يعرفها الخاص والعام . وكان رحمه الله مشاركاً في كثير من العلوم قد اخذ في كل فن وشارك في كل علم وكان يحفظ مقدمة طاهر بن بابشاذ وكفاية المتحفظ في اللغة والجمل للزجاجي قراءة واخذ التنبيه ايضاً لابي اسحاق الشيرازي قراءة محققة وطالع الكتب المبسوطة في كل فن وسمع الحديث النبوي من الشيوخ الموثوق بهم ممن علا سنده . واجازه الشيخ الامام المبجل ابو العباس احمد بن محمد الطبري شيخ السنة بالحرم الشريف في البخاري والترمذي وناوله صحيح مسلم واجازه في باقي الامهات على حكم روايته من الكتب التي سمعها واستجازها وما صنفه في كل فن وما وجد له . واختصر كتاب الجمهرة في التبرة وبيّن في مختصره ما لم يبينه صاحب الكتاب من عمل التدنيق ووصل الجناح وشرح طردته الى ابي فراس شرحاً شافياً وهي التي اولها :

ما العمر ما طالت به الدهور العمر ما تمَّ به السرورُ

ونقل جانباً من اشعار الجاهلية والمخضرمين والمولدين . وجمع من مصنفات العلم على اختلاف انواعها من علم قراءاتها وقرائها وحديثها وفقهها واصولها وفروعها وحقيقتها وادبها ومعرفة ايام عربها من تاريخها ونسبها واشعارها على اختلاف طبقاتها شيئاً كثيراً والله اعلم .

تمَّ الجزءُ الاول ويليه الجزءُ الثاني



محتويات الجزء الأول من كتاب العقود اللؤلؤية



مراجع التصحيح

- « أنباء الغُـبْر لأبناء العمر » لابن حجر .
- « ثُغر عدن » لعبد الله الطيّب بامخرمة المتوفى سنة ٩٥٥ هـ (مطبوع) .
- « الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة » للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني المتوفى في سنة ٨٥٢ .
- « السلوك في طبقات العلماء والملوك » للبهاء الجندي المتوفى سنة ٧٣٣ (مخطوط) .
- « صفة جزيرة العرب » للمهداني المتوفي بين سنة ٣٥٠ و٣٦٠ هـ (مطبوع) .
- « العسجد المسبوك في من وَلي اليمن من الملوك » للخزرجي المتوفى سنة ٨١٣ هـ (مخطوط) .
- « قرّة العيون بأخبار اليمن الميمون » ، للحافظ الدبيع المتوفى سنة ٩٤٤ هـ : (مطبوع) .
- معلومات .









